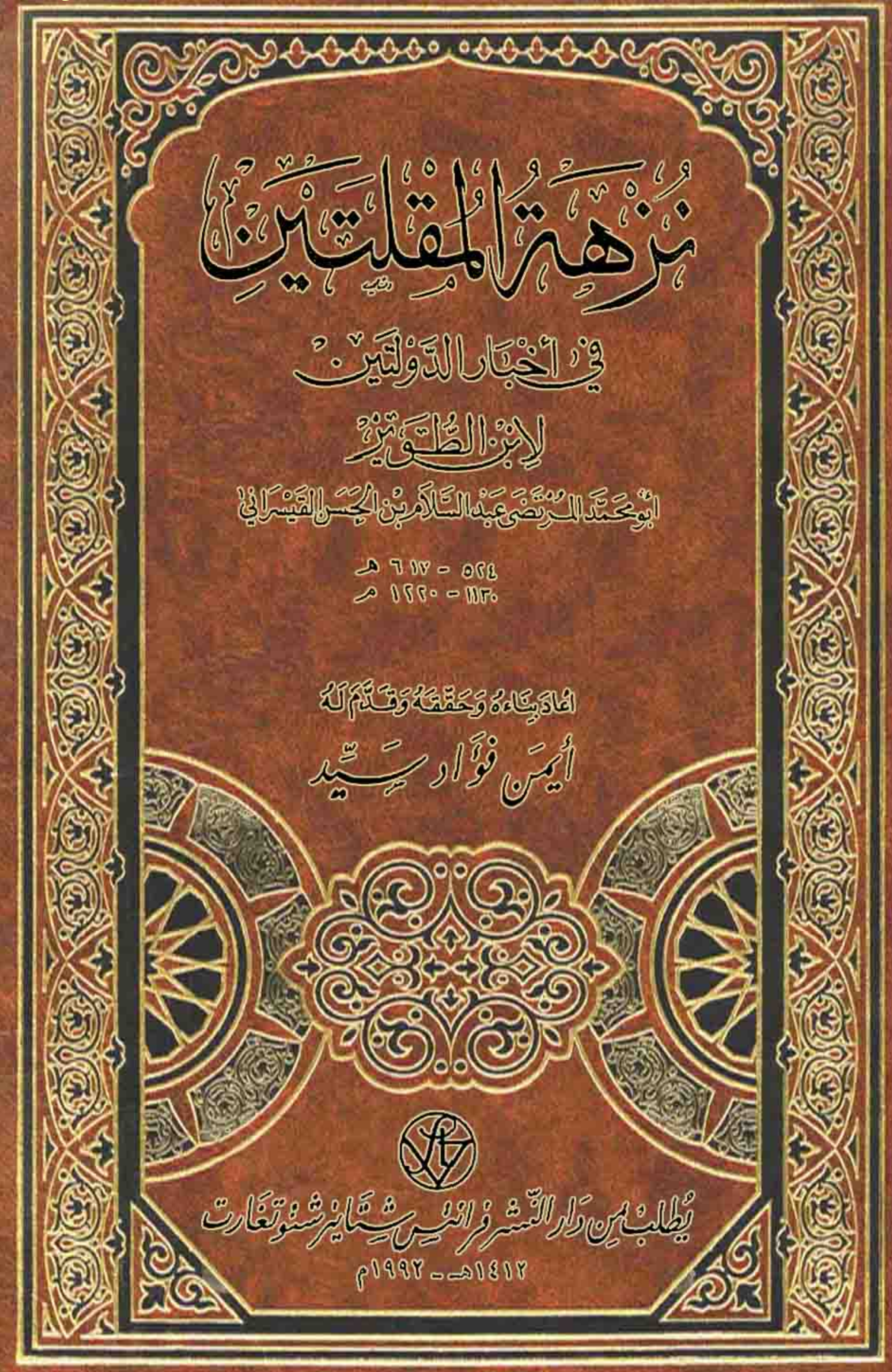
التنسيق والفهرسة : مصطفى قرمد





في أخبار الدولتين

لابن الطوير

أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القيسراني

٥٢٤ - ٦١٧ هـ
١١٣٠ - ١٢٢٠ م

أعاد بناءه وحققه وقدم له

أيمن فؤاد سيد

يطلب من دار النشر فرانس شتاينر شتوتغارت

١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

الطبعة الأولى

طبع على نفقة الجمعية الألمانية للبحث العلمي
بإشراف المعهد الألماني للأبحاث الشرقية في بيروت
على مطابع دار صادر - بيروت

فهرست الموضوعات

نُظُمُ الفاطميين ورُسُومُهم فى مِصْر
كما جاءت عند ابن الطُّوَيْر .

صفحة

٭ ٭ ٭

نُزْهَةُ المُقْلَتَيْن فى أخبار الدُّولتين

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

يَرْجِعُ اهتمامى بالدّراسات الفاطمية ، والتاريخية منها بوَجْه خاص ، إلى أكثر من عشر سنوات أصْدَرْتُ خلالها عددًا من النصوص التاريخية الخاصة بمصر الفاطمية : للمُسَبِّحِى وابن مُيَسَّر وابن المَأْمُون ، بالإضافة إلى عددٍ من الدراسات المتخصِّصة عن تاريخ الفاطميين فى مصر واليمن ، وعن تَطَوُّر الدَّعْوة الإسماعيلية المُبَكِّرة ، وعن مصادر التاريخ الفاطمى ، ثم توَّجت ذلك برسالة دكتوراه دولة تقدَّمتُ بها إلى جامعة السُّربون عنوانها « عَاصِمَة مِصْر فى زَمَنِ الفاطميين (القَاهِرَة والفُسْطاط) مُحَاوَلَة لإعادة تَخْطيطِها » .

وقد أوْضَحْت فى مقدّمات هذه الكتب أن ما وَصَل إلينا من المؤلَّفات التاريخية التى كُتِبَت فى زمن الفاطميين لا يُمَثِّل إلّا القليل من هذه المؤلَّفات التى ضاع أغلبها وفُقِد منذ زمنٍ بعيد . ومن حُسْن الحظ فقد حَفَظَ لنا مؤلِّفو عصر سلاطين المماليك المتأخِّرين (وعلى الأخصّ النُّوَيرى وابن الفُرَات وابن دُقْماق والقَلْقَشَنْدى والمَقْريزى وأبو المَحَاسن وابن إياس) فَقَرات مُطَوَّلة وكاملة من هذه المؤلَّفات التى لم نكن لنعرف عنها شيئًا إلّا بفَضْل هؤلاء المؤلِّفين . فالجَبَرْتى ، فى مطلع القرن التاسع عشر ، يقول : إن المقريزى « نَقَل فى مؤلَّفاته أسماء تواريخ لم نَسْمَع بأسمائها فى غير كتبه مثل تاريخ ابن أبى طَيّ والمُسَبِّحِى وابن المَأْمُون وابن زُولَاق والقُضَاعى »[1] .

---

[1] الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار (بولاق ١٢٩٧) ١ : ٦ .

واعْتَمَدَت كل الدِّراسات المتعلّقة بتاريخ الفاطميين ونُظُمِهم ورُسُومِهم فى مصر على كتابات هؤلاء المؤرِّخين المتأخِّرين وبعض الكتابات التى وَصَلَت إلينا من العصرين الفاطمى والأيُّوبى كمؤلَّفات ابن الصَّيْرَفى وعُمَارة اليمنى وابن ظَافِر وابن الأثير وابن مُيَسَّر وأبى شَامَة . و لم يحاول الباحثون الذين درسوا نُظُم الفاطميين ورُسُومَهم التعرُّف على مصادر مؤلِّفى عصر سلاطين المماليك التى اعْتَمَدَت عليها هذه الدِّراسات ؛ وعلى الأخصّ القَلْقَشَنْدى والمَقْريزى وأبو المَحَاسن ؛ وتتبُّع أولويات هذه المصادر ومعرفة الفترة التى دُوِّنَت فيها لتحديد العصر الذى يَصْدُق عليه ما أورده هؤلاء المؤلِّفون وخاصة ما يتعلّق منها بالنُظُم والرُسُوم ؛ فمؤلفو عصر سلاطين المماليك يكتبون عن أحداثٍ تفصلهم عنها ما بين ثلاثة وخمسة قرون . وهكذا جاءت أغلبُ هذه الدِّراسات بأحكام عامة على تاريخ النُّظُم والرُّسُوم الفاطمية و لم تحاول تتبُّع تَطَوُّر هذه النُّظُم والرُّسُوم على مدى ما ينيف على قرنين من الزمن هما عُمْر الدولة الفاطمية فى مصر . وقد سَبَق أن أشَرْت فى مقدِّمة القسم الخاص بممالك مِصْر والشَّام والحِجَاز واليَمنْ من كتاب « مَسَالِك الأبصَار » لابن فَضْل الله العُمَرى إلى تكرُّر نفس هذا الخطأ عند دراسة نُظُم الدَّولة المماليكية فى مصر ، وأوْضَحتُ أن ما يورده القَلْقَشَنْدى والمَقْريزى والسُّيُوطى عن نظام دولة المماليك لا يَصْدُق تمامًا على عصرهم وإنما هو وَصْفٌ لهذه النُّظُم فى زمن دولة المماليك الأولى ، وعلى الأخص فى عهد الناصر محمد ابن قلاوون ، الذى أهدى إليه ابن فَضْل الله العُمَرى كتابه الذى نَقَل عنه هؤلاء المؤلِّفون وَصْفَهم للنُّظُم المماليكية[1] .

وعلى ذلك فإن كتابة تاريخٍ صحيحٍ للدولة الفاطمية ونُظُمها ورُسُومها فى مصر لا يمكن أن يتم ، فى غياب مصادر العصر الفاطمى ، إلاّ بعد التعرُّف على

---

[1] ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار - ممالك مصر والشام والحجاز واليمن ، تحقيق أيمن فؤاد سيد (مط . المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٥)٢ م .

هذه المصادر واستخراج نصوصها من كتابات المؤلفين المتأخرين الذين سَجَّلوا لنا تاريخ الفاطميين فى مصر[1] . وفى الحقيقة فإن تاريخ الفاطميين ، كما سجّله مؤرِّخو القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، فيما عدا استثناءات ضئيلة ، لا يُمَثِّل رُؤْيَة أو وِجْهَة نَظَر هؤلاء المؤرِّخين فى التاريخ الفاطمى ، لأن هؤلاء المؤرِّخين لم يُحَلِّلوا أو يَنْقُدوا معطيات المصادر التى اعتمدوا عليها (وكلها مصادر أصلية ترجع إلى كل عهود التاريخ الفاطمى) وإنما اكتفوا - وحَسَنًا فعلوا - بنقل نصوصها بحرفية وأمانة شديدتين تُمَكِّننا الآن من إعادة بناء هذه المؤلَّفات التى ضاعت أصولُها .

وإذا تتبَّعنا المَقْرِيزى ؛ وهو المؤلِّف الوحيد الذى اعتنى فى كتابه « الخِطَط » بذكر مصادر معلوماته ، رغم أنه أهمل ذلك فى بقية مؤلفاته[2] ؛ نجده يعتمد فيما يخص الخمسين عامًا الأولى من تاريخ الفاطميين فى مصر على مؤرِّخَيْن هما : ابن زُولَاق و المُسَبِّحِى ، وفيما يخص تاريخ الفاطميين فى القرن الخامس الهجرى على كتاب « الذَّخائر والتُّحَف » و « سيرة الوزير اليازورى » و « تاريخ القُضَاعى » بالإضافة إلى بعض المصادر المتأخِّرة وعلى الأخص « تاريخ ابن مُيَسَّر » ، أما فيما يخص تاريخ الفاطميين فى القرن السادس فإنه يعتمد فيه ،

---

[1] يدفعنا ذلك إلى تأكيد أهمية نشر مصادر التاريخ المصرى فى العصر الإسلامى . فكتابة تاريخ تام وصحيح لمصر الإسلامية لا يمكن أن يتم فى غياب النشرات المُحَقَّقة لمصادر هذا التاريخ . فمرحلة التأليف لا تكون إلّا بعد توفُّر المصادر الأصلية ودراستها ونشرها . وقد انصرف الباحثون المصريون فى حقل التاريخ الإسلامى عن نشر مصادر هذا التراث ، لأن لجان ترقية أساتذة الجامعة اعتبرت تحقيق النصوص ونشرها عملًا من الدرجة الثانية ، رغم أنه الباب الواسع الذى يتعرَّف من خلاله الباحث على المكتبة العربية ويتطلَّب منه معرفةً واطلاعًا واسعًا فى علوم العربية المساعدة لعلم التاريخ .

[2] راجع ما كتبته عن مصادر المقريزى وأمانته فى النقل أو إهماله لذكر مصادره فى مقدمات « أخبار مصر » للمُسَبِّحى ولابن مُيَسَّر و « مَسَالك الأبصار » للعُمَرى .

بالإضافة إلى «تاريخ ابن مُيَسَّر» ، على «تاريخ ابن المأمون» و «تاريخ ابن الطُّوَيْر» ومؤلَّفات ابن الصَّيْرَفى و «متجدِّدات القاضى الفاضل» .

و «تاريخ ابن المَأْمُون» هو وكتابا «الذَّخائر والتُّحَف» المجهول المؤلِّف و «نُزْهَة المُقْلَتَيْن فى أخبار الدَّولتين» لابن الطُّوَيْر أهم المصادر التى اعتمد عليها المَقْريزى والقَلْقَشَنْدى وأبو المَحَاسن وهم يصفون النُّظُم والرُّسُوم الفاطمية .

وقد بدَأْتُ منذ عِدَّة سنوات مشروعًا لنشر هذه النصوص الفاطمية المتفرِّقة فى كتابات المؤرِّخين المتأخِّرين ؛ فنشرت فى سنة ١٩٨١ «نصوصًا ضائعة من أخبار مصر للمُسَبِّحى» وفى سنة ١٩٨٣ نصوص ابن المأمون الخاصة بفترة خلافة الآمر بأحكام الله ووزارة المأمون البَطَائحى وبوَصْف الرُّسُوم والاحتفالات التى تمَّتْ فى عهد هذا الخليفة ، ووَعَدْت فى مقدِّمة هذا الكتاب أن أُتبعه بنشر نصوص ابن الطُّوَيْر و «الذَّخائر والتُّحَف» . وها أنا أفى بوعدى وأُقَدِّم اليوم نصوص ابن الطُّوَيْر الخاصة بتاريخ ونُظُم ورُسُوم الدولة الفاطمية فى القرن السادس الهجرى .

الكتاب ومؤلِّفه

موضوع الكتاب

يُعَدُّ كتاب «نُزْهَة المُقْلَتَيْن» لابن الطُّوَيْر من المؤلَّفات القليلة التى تناوَلَت موضوع نُظُم الحُكم ورُسُوم دار الخلافة الفاطمية فى مصر ، إن لم يكن هو الكتاب الوحيد الذى تناوَل هذا الموضوع الهام . فالمؤلَّفات الفاطمية التى كُتِبَت فى القرنين الرابع والخامس/ العاشر والحادى عشر ؛ مثل مؤلَّفات ابن زُولَاق والمُسَبِّحِى والقُضَاعى ، تعالج موضوعات تاريخية خالصة وقد تصف مَوَاكِب الخليفة أو مجالسه فى القصر فى سياق عرض الأحداث .

وإذا كُنَّا لا نعرف الشيء الكثير عن نُظُم الفاطميين ورُسُومِهم فى الدور الإفريقى[1] ، فإننا نملك فى المقابل أوصافًا تفصيلية للاحتفالات والمواكب الرسمية للخلفاء كما كانت تتم فى النصف الأول للقرن السادس الهجرى ، دون شك فى أعقاب تَشَكُّل وتَطَوُّر بطيء لتقاليد هذه الاحتفالات ورُسُومها منذ انتقال الفاطميين إلى المشرق . وهذه الأوصاف التى نجدها فى الأساس لدى ثلاثة من مؤلِّفى القرن التاسع / الخامس عشر هم القَلْقَشَنْدى والمَقْريزى وأبو المَحَاسِن تستحق ثقتنا الكاملة لأنها تعتمد على مصادر من الدرجة الأولى ترجع إلى العصر الفاطمى نفسه أو إلى بداية العصر الأيوبى .

ومشكلة أصول هذه الرُّسُوم ، كما يقول ماريوس كانار M. Canard ، غامضة[2] . فمن المؤكَّد أن الفاطميين - منافسي العبّاسيين - قَلَّدُوا ونَمَّوا وتفوَّقوا على تقاليد الاحتفالات العباسية المستمدة من تقاليد الاحتفالات السَّاسانية . ولا يُسْتَبْعد كذلك أن الفاطميين قد أرادوا محاكاة العديد من الاحتفالات البيزنطية لمنافسة أُبَّهَة وعَظَمة بلاط الإمبراطور البيزنطى كما سبق وفعل دون شك العبَّاسيون . ولكن لا يجب أن ننسى مع ذلك أن الفاطميين هم وَرَثَة الفَرَاعِنَة والبَطَالِمَة فى مصر عَبْر العديد من الأنظمة والحكومات المتتالية ، لذلك فإننا يجب أن نبحث ، على الأقل فيما يخص الاحتفالات الوطنية ، عن أصلٍ محلىّ للعديد من خصوصيات هذه الاحتفالات .

---

(1) راجع عن نظم الحكم فى الدولة الفاطمية فى المغرب Dachraoui, F., *Le califat fatimide au Maghreb 296 - 362 / 908 - 973 - Histoire politique et institutions,* Tunis *STD* 1981, pp. 277 - 422.

(2) Canard, M., « Le cérémonial fatimide et le cérémonial byzantin essai de comparaison », *Byzantion* XXI (1951),.p. 356.

وقد توصَّل M. Canard بمقارنة « كتاب الاحتفالات » لقُسْطَنْطين السابع بورفيروجينيت[١] مع الأوصاف التى أوردها كل من المقريزى والقلقشندى إلى وجود شَبَهٍ أكيدٍ بين نُظُم القصر وأُبَّهة البلاط وشارات الحكم والمواكب والاستقبالات والأعياد المختلفة لكل من الدولتين فى فترة زمنية متقاربة نسبيًا ، إذ أن الرُّسُوم البيزنطية فى القرنين الثالث والرابع / التاسع والعاشر ليست إلّا استمرارًا لحالة سابقة دامت دون تغيير يُذْكر حتى عصر الحروب الصليبية[٢] ، كما أن الرُّسُوم الفاطمية التى بلغت أوج ازدهارها فى القرن السادس / الثانى عشر وُجدت بالفعل منذ بداية الدولة الفاطمية بشكل أبسَط مما أصبحت عليه فى نهاية الدولة .

والنُظُم والرُسُوم من أكثر الموضوعات تعرُّضًا للتبديل والتغيير فى الدَّوْلَة الواحدة حتى تصل إلى مرحلة الثبات والاستقرار مع قمة ازدهار الدَّوْلة . وإذا كان « تاريخ ابن المَأمُون » يقدّم لنا تفاصيل الاحتفالات التى كانت تجرى فى عصر الخليفة الآمر ، وعلى الأخص فى السنوات ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، وما كان يقدَّم فى الأسْمِطَة من أنواع الأطعِمَة ، وأنواع الخِلَع والكُسْوات التى كان الخليفة يمنحها لرجال الدولة وأرباب الرُّتب فى هذه الاحتفالات . فإن « تاريخ ابن الطُّوَيْر » يُقَدِّم لنا الوصف الوحيد الذى نملكه لترتيب هذه الأسْمِطة والاحتفالات الموكبية التى كانت تُقَدَّم فيها هذه الأطْعِمَة وتُمْنَح فيها هذه الكُسْوات .

° ° °

---

(١) Constantin VII Porphyrogénète, *Le Livre des Cérémonies*, 1 - 2, texte établi et traduit par Albert Vogt, Paris 1935 - 39.

(٢) Canard, M., *op ., cit.*, p.356.

والمؤلَّفات الفاطمية السابقة على كتاب ابن الطُّوَيْر فُقِد أغلبها ، مثلما فُقِد كتاب ابن الطُّوَيْر نفسه[١] ، مثل مؤلَّفات ابن زُولَاق والقُضَاعى و « سيرة المُسْتَنْصِر » و « سيرة اليازورى » وبقية كتاب المُسَبِّحِى ... الخ وما وَصَل إلينا من هذه المؤلَّفات هو قسم من « تاريخ المُسَبِّحى » وكتاب « مَوَاد البيان » لعلىّ ابن خَلَف ومؤلفات ابن الصَّيْرَفى وعُمَارة اليمنى وأُسَامَة بن مُنْقِذ . ولا تُقَدِّم لنا هذه الكتب شيئًا مما يقدِّمه لنا ابن الطُّوَيْر ، فقد انفرد ابن الطُّوَيْر بتقديم وصفٍ تفصيلى وكامل لترتيب الاحتفالات والمواكب التى شهدتها العاصمة المصرية (القاهرة والفُسْطاط) على الأَخَصّ فى النصف الأول للقرن السادس / الثانى عشر . وإزاء ضياع كتاب ابن الطُّوَيْر فلا توجد أمامنا سوى طريقة واحدة لتكوين فكرة واقعية عن مضمونه هى دراسة المادة التى حَفظَها لنا منه المؤلِّفون الذين نقلوا أغلب مادته .

*
* *

يقدِّم لنا ابن الطُّوَيْر رواية على جانب كبيرٍ من التفصيل لأحداث النصف الأول من القرن السادس / الثانى عشر حتى استيلاء الأيوبيين على السلطة فى مصر سنة ٥٦٧ / ١٠٧١ ، إلى جانب عرضٍ مَنْهَجى موَسَّع لنُظُم الدولة الفاطمية الزائلة كما يجب أن يعرفها عن طريقه حُكَّام مصر الجُدُد . وهذا هو دون شك معنى عنوان كتابه « نُزْهَة المُقْلَتَيْن فى أخبار الدَّوْلتين » .

والموضوعات التى تناولها كتاب ابن الطُّوَيْر ، كما تبدو من خلال نقول المتأخِّرين منه ، موضوعات ثلاثة هى : « التاريخ » و « النُظُم » و « الرُّسُوم » .

---

[١] راجع مقالى « دراسة نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين فى مصر » ، دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أبى فهر محمود محمد شاكر . القاهرة ١٩٨٢ ، ١٢٩ - ١٧٩ .

فقد كان كتاب ابن الطُّوَيْر من المصادر التى اعتمد عليها كل من ابن خَلْدُون وابن الفُرات والمَقْريزى وأبو المَحَاسِن وعلى الأخص فيما يخص «تاريخ الفاطميين المتأخرين» وإذا كان بإمكاننا تحديد النصوص التاريخية التى ترجع إليه عند ابن الفرات والمقريزى وأبى المحاسن فإن ذلك لا يتيسَّر مع ابن خلدون . فابن خلدون يذكر أنه نقل «أخبار الفاطميين مُلَخَّصَة من كتاب ابن الأثير ومن تاريخ دولتهم لابن الطُّوَيْر وقليل من المُسَبِّحى»[1] . وقد أشار ابن خلدون فى مواضع قليلة إلى النصوص التى استفاد منها من ابن الأثير ، ولكنه لم يشر إطلاقًا إلى ما نقله عن المُسَبِّحى أو ابن الطُّوَيْر .

وقد انفرد ابن الطُّوَيْر بإيراد تفصيلاتٍ تاريخية موسَّعة لا نجدها عند غيره من المؤرِّخين ، أوردها المقريزى فى «الاتعاظ» دون تحديد لمصدرها . ومقارنة هذه المعلومات مع «تاريخ ابن الفرات» الذى نقل بأمانة نصوصًا تاريخية مُطَوَّلة عن ابن الطُّوَيْر ، تُحَدِّد لنا مصدر هذه المعلومات التى أوردها المقريزى فى «الاتعاظ» .

والموضوع الثانى الذى تناوله كتاب ابن الطُّوَيْر هو «النُّظام الإدارى للدولة الفاطمية» وعلى الأخص فى الخمسين عامًا الأخيرة من تاريخها . فهو يشير إلى ترتيب دواوين الدَّوْلة المختلفة وأَرْبَاب الوظائف بها وإلى أهم خَزَائن الفاطميين والأَهْرَاء والحَوَاصِل ومن يُشْرِف عليها ورواتبهم والطبقة التى ينتمون إليها : هل هم من أرباب السُّيوف أم من أرباب الأقلام أم من أرباب العمائم ؟ خاصة وقد تولَّى بنفسه رئاسة «ديوان الرَّواتب» قرب نهاية العصر الفاطمى .

أما أهم موضوعات الكتاب التى جعلت منه نصًا له خطورته بين مصادر التاريخ الفاطمى ، فهو الفصل الخامس الذى تناول فيه «ركوب الخليفة فى المواكب العِظَام» وَوَصَفَ فيه تفصيلًا الاستعدادات لهذه المواكب ، والآلات

[1] ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٨٤) ٤ : ٨٢ .

الموكبية المصاحبة لها ، وكيفية ركوب الخليفة ومَنْ يكون فى صحبته وكيفية استقدامهم ، والطريق الذى يَسْلُكُه الموكب فى الذهاب والعَوْد ، إلى غير ذلك من التفصيلات الدقيقة التى انفرد بها ابن الطُّوَيْر ؛ وكذلك الفصل العاشر الذى وَصَف فيه « مَجَالِس الخليفة بالقصر » وقَدَّم لنا فيه تفصيلات غنيَّة عن ترتيب الجلوس فيها وآدابه ومَنْ جرى رسمه بحضورها ، والأَسْمِطَةَ التى كانت تُمَدّ فى قاعة الذَّهَب فى رمضان والعيدين . وقَدَّم لنا فى خلال ذلك وصْفًا دقيقًا لترتيب قاعة الذَّهَب والإيوان الكبير والدَّهاليز الطِّوال التى تقود الداخل من أبواب القصر إلى مختلف قاعاته وإلى فنائه الداخلى ، مما يُعين على إعادة بناء الطبوغرافية الداخلية لجزء من القصر الفاطمى .

مُؤَلِّف الكِتَاب

هو القاضى المُرْتَضَى أبو محمد عبد السَّلام بن الحسن بن عبد السَّلام بن على[1] بن أحمد الفِهْرى القَيْسَرَانى الأصل المصرى المولد والدار ، العَدْل الكاتب المعروف بابن الطُّوَيْر .

وإلى فترة قريبة لم نكن نعرف متى عاش ابن الطُّوَيْر على وجه الدقة ، فلم ترد له أية ترجمة فيما بين أيدينا من كتب التراجم والطبقات المطبوعة حتى نُشر كتاب « التَّكْمِلَة لوفيات النَّقَلَة » للمُنْذِرى ، وكان البروفيسير كلود كاهن Claude Cahen قد تعرَّف قبل ذلك على شخصية ابن الطُّوَيْر عن طريق الذَّهبى وكتابه « تاريخ الإسلام » ، ويضاف إلى ذلك ترجمة أخرى أوردها الصَّفَدى فى كتابه « الوافى بالوفيات » . وبذلك تكون أخبار ابن الطُّوَيْر قد وصلت إلينا فى ثلاث تراجم شديدة الاختصار[2] ، لا نعرف منها الشىء الكثير عن نشأته وحياته الأولى سوى أنه وُلِدَ

---

(1) ابن على ، ورد فقط عند المنذرى .

(2) المنذرى : التكملة لوفيات النقلة ٣ : ٧ - ٨ ، الذهبى : تاريخ الإسلام ، الطبقة الثانية والستون ، ص ٣١٦ ، الصفدى :

فى مصر فى ذى الحجة سنة أربع وعشرين وخمسمائة . وعندما بَلَغ أشُدَّه انخرط فى الأعمال الديوانية وتقلَّب فى الخدمة فى الدواوين الفاطمية ثم الأيوبية . وكان يتولَّى « ديوان الرَّواتب » قرب نهاية العصر الفاطمى[١] .

وسمع ابن الطُّوَيْر بالإسكندرية من الحافظ أبى الطاهر السِّلَفى ، وكان سِنُّه إذ ذاك يقارب الخمسين عامًا ، أى نحو سنة خمس وسبعين وخمسمائة . وأقام يشْهَد ستين سنة أو زيادة عليها . وكان حافظًا للحديث سمعه منه الحافظ زكىُّ الدين المُنْذِرى ، وتوفى ليلة النصف من المحرم سنة ٦١٧ / ٢٣ مارس سنة ١٢٢٠ وهو ابن اثنتين وتسعين سنة وسبعة وعشرين يومًا عن ذِهْن حاضر وصِحَّة سَمْع وكتابةٍ جَيِّدة . وكان يسكن فى خُطّ دار الأنْماط بفسطاط مصر[٢] .

وكان جده ، أبو محمد عبد السَّلام ، أحد العدول بمصر والمقدَّمين بها، كَتَبَ عنه الحافظ أبو الطَّاهر السِّلَفى .

وينتمى ابن الطُّوَيْر إلى نفس طبقة المؤلِّفين الإداريين الذين أُوْكَلَت إليهم الحكومة وظائف الإشراف العُلْيا على الدَّواوين الإدارية فى مصر فى أيام الفاطميين والأيوبيين والتى ينتسب إليها : ابن الصَّيْرَفى والقاضى المرتضى بن المُحَنِّك والمَخْزُومى والنابُلْسى وابن مَمَّاتى والقاضى الفاضل . وكان ابن الطُّوَيْر سُنِّى المذهب مثل المَخْزُومى والقاضى الفاضل وتكوَّن مثلهما فى الإدارة الفاطمية قبل أن يدخل فى خدمة الأيوبيين .

= الوافى بالوفيات ١٨ : ٤١٧ – ٤١٨ وانظر كذلك Cahen, Cl., « Quelques chroniques anciennes relatives aux derniers Fatimides », *BIFAO* XXXVII (1937), pp. 10 - 14. id., *EI²*., art. *Ibn al - Tuwayr* III, p. 985; id., « L'historiographie arabe : des origines au VII° s.H. », *Arabica* XXXIII (1986), p.177 - 178 ، أيمن فؤاد سيد : دراسة نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين فى مصر ١٦٢ .

(١) انظر فيما يلى ص ٧٧ س ٤ .

(٢) ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢ .

وكما تولَّى المَخْزُومى «ديوان المَجْلِس» أكثر من مرة فى الدولة الفاطمية[١]، تولَّى ابن الطُّوَيْر كذلك «ديوان الرَّواتب» فى أواخر عصر هذه الدولة[٢] .

وكتب ابن الطُّوَيْر كتابه على الأرجح فى زمن صلاح الدين ، وقَصَد عمل ما يُشْبه المُوازنة بين نظام الدولة الفاطمية ، الذى خَبِرَه جيدًا ، ونظام الدولة الصَّلاحية ، وهذا ما يُفسِّر عنوان الكتاب «.... أخبار الدولتين» . ولكن الغريب أننا لا نجد بين النقول التى حُفِظَت عنه أيَّة إشارة إلى نُظُم الدولة الأيوبية ، فكل ما وصل إلينا عنه يتعلَّق بالدولة الفاطمية مما جعل المؤرخ أبو المحاسن يصفه بأنه «أجْدَرُ بأخبار الفاطميين من غيره»[٣] .

ولعل فى تأليف هذا الكتاب فى زمن الأيوبيين وبقائه إلى القرن التاسع/الخامس عشر دليلٌ على أن الأيوبيين لم يعمدوا إلى طَمْس آثار الفاطميين كُلِّيَّةً ، وأن العصر الأيوبى شهد تأليف كتب تصف أدَقّ تفاصيل بلاط ودواوين الدولة الفاطمية .

أما عنوان كتاب ابن الطُّوَيْر فلم يُشر إليه إلَّا من نقلوا عنه اعتبارًا من نهاية القرن الثامن/الرابع عشر ، وهو يرد أحيانًا باسم «نُزْهَة المُقْلَتَيْن فى أخبار (أو سيرة) الدَّولتين» (ابن الفرات والمقريزى وحاجى خليفة) وأحيانًا أخرى باسم «المُقْلَتَيْن فى أخبار الدولتين» (أبو المحاسن) ، أما ابن خلدون والقلقشندى فلم يذكرا اسم الكتاب إطلاقًا .

---

[١] المخزومى : المنهاج فى علم خراج مصر (م . المتحف البريطانى رقم Add. 23483) ورقة ٤٦و ، وهى ليست من القسم الذى نشره كلود كاهن .

[٢] انظر فيما يلى ص ٧٧ .

[٣] أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٥ ٢٤١ .

نُقُولُ المتأخِّرين مِنَ الكِتاب

ابن خَلْدُون - ابن الفُرَات - ابن الزَّيَّات
القَلْقَشَنْدى - المَقْرِيزى - أبو المَحَاسِن

رغم الأهمية الكبيرة التى يُمَثِّلها «تاريخ ابن الطُّوَيْر» لتاريخ الدولة الفاطمية فى مصر فقد ظلَّ كتابه غير معروف أو على الأقل غير متداول بين مؤرِّخى دولة المماليك الأولى . فلا يشير إليه ابن مُيَسَّر أو النُّوَيْرى أو ابن أَيْبَك الدَّوادارى ، وهم المؤلِّفون الذين سجَّلوا تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر فى عصر دولة المماليك الأولى . ووجود بعض الاتفاق فى سَرْد الأحداث بين هؤلاء المؤرِّخين والنقول المحفوظة عن ابن الطُّوَيْر لدى المؤلِّفين المتأخِّرين ليست دليلًا كافيًا للحكم بأن مؤرِّخى القرنين السابع والثامن قد عرفوا كتاب ابن الطُّوَيْر . ولكن مع نهاية القرن الثامن / الرابع عشر أخذ اسم ابن الطُّوَيْر وكتابه «نُزْهة المُقْلَتَيْن» فى الظهور فى مؤلَّفات المؤرِّخين الذين دوَّنوا تاريخ الدولة الفاطمية . وتستمد المعلومات المُتَعَلِّقة بتاريخ الدولة الفاطمية فى كتابات هؤلاء المؤلِّفين المتأخِّرين قيمتها من اعتمادها على المصادر الأصلية لهذه الفترة ، رغم تأخُّر هؤلاء المؤلِّفين النسبى عن عصر الدولة الفاطمية . ويأتى فى مقدمة هؤلاء المؤلِّفين ابن الفُرَات والمَقْريزى والقَلْقَشَنْدى وأبو المَحَاسِن ثم يليهم فى الأهمية ابن خَلْدُون وابن الزَّيَّات .

فقد اعتمد ابن الفُرَات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم المتوفى سنة ٨٠٧ / ١٤٠٤) فى تأريخه للفاطميين المتأخِّرين على مصادر متنوعة فُقِد أغلبها اليوم ، وعلى الأخصّ تاريخ ابن الطُّوَيْر وتاريخ يحيى بن أبى طىّ (بالإضافة إلى تاريخ ابن الأثير وتاريخ بيبرس الدَّوادار وتاريخ ابن خَلِّكان) . ورغم أن هذه المصادر قد استخدمها كذلك مؤرِّخون آخرون فإن نَقْل ابن الفرات عنها فى مجموعه يتّسم بالأمانة الشديدة . فعن طريق هؤلاء المؤلِّفين تَتَبَّع ابن الفرات

فى كتابه «تاريخ الدُّوَل والملوك» أخبار الدولة الفاطمية فى مصر فى النصف الأول للقرن السادس/الثانى عشر ، ونَقَل عن ابن الطُّوَيْر وابن أبى طيّ نصوصًا عظيمة القيمة استمد منها أصل معارفه عن العصر الفاطمى الثانى . كذلك فقد نقل ابن الفرات عن ابن الطُّوَيْر الفصل الذى عقده بعد أن ذكر سقوط دولتهم وأورد فيه تلخيصًا شاملًا للنُظُم الفاطمية ، وقد نقل أيضًا المقريزى هذا الفصل عن ابن الطُّوَيْر فى «الخِطَط» و «اتعاظ الحُنَفَا»[1] .

وترجع أقدم نقول ابن الفرات التاريخية عن ابن الطُّوَيْر إلى قرب نهاية وزارة الأفْضَل بن بَدْر الجَمَالِى ، وتستمر باطراد إلى أثناء تَوَصُّل رِضْوان بن وَلَخْشِى إلى تَوَلّى الوزارة سنة ٥٣١ / ١١٣٦ . ثم ينتاب نص ابن الفرات ، فيما يخص تاريخ مصر ، نَقْصٌ شديد فى حوادث السنوات التالية لهذه السنة ، ثم يعود ابن الفرات لينقل عن ابن الطُّوَيْر بعض الأخبار الخاصة بوزارة العادل ابن السَّلَار ومقتل الخليفة الظَّافر وتولية الخليفة الفائز ووصول الوزير الصَّالح طلائع ابن رُزِّيك إلى قمة السلطة ، وهى تمتاز بتفصيلات لا نجدها فى مصادر تاريخ الفاطميين المتأخرين الأخرى سوى من نَقَل عن ابن الطُّوَيْر .

أما بداية التدخُّلات الأجنبية فى شئون مصر ، والتى حدثت بعد تولى شاور للوزارة وأدَّت سريعًا إلى سقوط الفاطميين وعودة مصر إلى قلب العالم الإسلامى السُّنِّى ، فقد نَقَلَها ابن الفرات من «جزء لطيف مجهول المؤلِّف سمَّاه مؤلِّفه أخبار الدَّوْلة المصرية وما جرى بين الملوك والخلفاء من الفِتَن والحروب من أيَّام الآمر إلى أيَّام شيركوه» ، وقد نَقَل المقريزى هذا الجزء مُلَخَّصًا فى الخِطَط [٢ : ١٢-١٣] ونصًّا فى الاتعاظ [٣ : ٢٦٤-٢٧١] سواء بطريق مباشر أو بطريق

---

[1] ابن الفرات : تاريخ الدول والملوك ٤ / ١ : ١٣٥-١٥١ والمقريزى : الخطط ١ : ٣٩٧ - ٤٠٤ و اتعاظ الحنفا ٣ : ٣٣٥ - ٣٤٤ .

غير مباشر[١] ، وأغلب الظن أن المقريزى أخذ هذا النص من ابن الفرات ، فقد اطَّلَع المقريزى على نسخة تاريخ ابن الفرات المحفوظة فى مكتبة فِينَّا وعليها خَطُّه وتوقيعه[٢] .

ورغم أن ابن الفرات وأبا المحاسن والمقريزى لا يشيرون إلى ابن الطُّوَيْر فيما يخص فترة خلافة الخليفة العاضد فإن هناك من الشواهد ما يجعلنا نظن أنهم يَتْبَعون تاريخه أيضًا بالنسبة لهذه الفترة وعلى الأقل حتى عام ٥٦٤ / ١١٦٨ . فهناك اتفاق فى طريقة سرد أحداث هذه الفترة بين ابن الفرات والمقريزى وأبى المحاسن وحتى ابن خلدون .

واعتمد ابن خَلْدون وهو يُجْمل أخبار الدولة الفاطمية فى مصر على كتب ثلاثة أساسية هى : تاريخ المُسَبِّحى للفترة الأولى وتاريخا ابن الأثير وابن الطُّوَيْر لبقية التاريخ الفاطمى[٣] . ورغم أن ابن خلدون قد حدَّد المواضع التى استفاد فيها من ابن الأثير ، فإنه لم يشر بوضوح إلى مواضع اقتباساته من المُسَبِّحى أو ابن الطُّوَيْر ، واكتفى بتلخيص هذه الأخبار بإيجاز شديد بَلَغ حَدّ الإخلال .

ونَقَل ابن الزَّيَّات (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن ناصر الدين الأنصارى المتوفى سنة ٨١٤ / ١٤١١) صاحب كتاب « الكواكب السيَّارة فى ترتيب الزيارة » عن ابن الطُّوَيْر فى موضعين : ذكر فى الأول أن ابن الطُّوَيْر صَحَّح نَسَب الفاطميين فى كتابه[٤] ، وأورد فى الثانى القصة التالية المنسوبة للخليفة الآمر :

---

(١) ونشره كلود كاهن Cahen, Cl., « Un récit inédit du vizirat de Dirghām », *An. Isl.* VIII (1969), pp. 27 - 46 .

(٢) ابن الفرات : تاريخ ٧ : ٩٥ ظ — ٩٦و الموافقة لصفحة ١٥١ من المطبوع .

(٣) ابن خلدون : العبر ٤ : ٨٢ .

(٤) ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٧٦ .

« قال ابن الطُّوَيْر : خرج الآمر ليلة فمَرَّ ببيتٍ فسمع امرأة تقول لبَعْلِها : والله ما أُضاجعك ولو جاء الآمر ومعه ثلاثون دينارًا . فلما سمع الآمر كلامها أرسل الخادم إلى القصر فجاء بمائة دينار وطَرَق الباب على الرجل ففتح ، ودَخَل الآمر وقال لزوجة الرجل : خذى هذه مائة دينار بدل الثلاثين وضاجعى زوجك وأنا الآمر »[1] .

أما أهم النصوص التى مَكَّنَتْنا من إعادة بناء تاريخ ابن الطُّوَيْر ودراسته فتلك النصوص الكاملة والمطوَّلة التى حَفظَها لنا مؤرِّخو القرن التاسع/الخامس عشر : القَلْقَشَنْدى والمَقْريزى وأبو المَحَاسِن والتى تأتى على رأسها النصوص التى حَفظَها لنا المقريزى فى « الخِطَط » .

وكل هذه النصوص ، باستثناء بعض النصوص التاريخية التى أوردها المقريزى وأبو المحاسن ، تختص بوصف نُظُم ورُسُوم الفاطميين قبل سقوط دولتهم فى أواسط القرن السادس . بل هى النصوص الوحيدة التى تَصِفُ لنا التفاصيل الدقيقة للمواكب الاحتفالية للخلفاء الفاطميين وترتيب مجالسهم وأسْمِطَتِهم التى كانت تُمَدّ فى المناسبات والمواسم المختلفة .

فقد نَقَلَ المقريزى فى « الخِطَط » الفصل الخامس من كتاب ابن الطُّوَيْر الخاص « بركوب الفاطميين فى المواكب العِظام » بتمامه موزَّعًا على الفصل الذى عَقَدَه عن القاهرة فى زمن الفاطميين ، كما نَقَلَ كذلك القسم الأكبر من الفصل العاشر الذى خصَّصه ابن الطُّوَيْر لذكر هيئة الفاطميين فى الجلوس العام . وعن طريق ما حَفظَه المقريزى عَرَفْنا أن كتاب ابن الطُّوَيْر كان يتكوَّن من فصولٍ ربَّما تجاوزت العشرة . كما أن أُغْلَب المادة التى سجَّلها المقريزى عن دواوين الدولة الفاطمية وترتيب وظائفها وعن خزائن الفاطميين وحَواصِلهم وأَهْراءاتهم نقلها كذلك عن ابن الطُّوَيْر .

---

[1] ابن الزيات : الكواكب السيارة ١٧٧ .

أما القَلْقَشَنْدى فقد وزّع الكثير من مواد كتاب ابن الطُّوَيْر على امتداد الفصل الذى عقده «لذكر ترتيب المملكة فى زمن الخلفاء الفاطميين» فى كتابه «صُبْح الأعشى»[1] . ولم يُلْزِم القلقشندى نفسه بنقل نصوص ابن الطُّوَيْر بترتيبها بل استخلص منها مواد تصلح للترتيب الذى ارتضاه لكتابه . فالآلات الموكبية التى أفردها فى الجزء الثالث بين صفحتى ٤٦٨ - ٤٧١ استخرجها من الفصل الذى عقده ابن الطُّوَيْر لوصف الاستعدادات الخاصة بموكب أوّل العام ، وهو الموكب النموذجى بين المواكب الفاطمية من حيث دِقّة التفصيلات وغناها فى نص ابن الطُّوَيْر . وفَعَل القلقشندى الشىء نفسه وهو يذكر وظائف الأستاذين المُحَنَّكين وغير المُحَنَّكين حيث استخلصها من خلال ذِكْر ابن الطُّوَيْر لمن جرى رسمه بمصاحبة الخليفة فى هذه المواكب أو فى حضور مجالسه . وعلى ذلك فإن كل المادة الموجودة عند القلقشندى عن الرُّسُوم والدَّواوين الفاطمية تُمَثِّل ما كانت عليه هذه الرُّسُوم والدَّواوين قرب نهاية دولتهم فى النصف الأول للقرن السادس/ الثانى عشر .

ورغم حِرْص أبى المَحَاسن صاحب «النُّجُوم الزَّاهِرَة» على تسجيل مصادر معلوماته بدِقّة فإنه نَقَل الفصل المتعلّق بوصف ركوب الخلفاء فى المواكب العظام وأسْمِطَة الطُّعام التى كانت تُمَدّ فى شهر رمضان والعيدين [النجوم ٤ : ٧٩ - ١٠٢] عن ابن الطُّوَيْر دون أن يشير إليه ، وأورد هذا الوصف فى آخر ترجمة الخليفة المعز لدين الله وبدأه بالعبارة التالية : «والمعز هذا هو الذى استَسَنّ ذلك كله» [النجوم ٤ : ٧٩] . وبذلك أوْقع أبو المحاسن الباحثين الذين اعتمدوا عليه فى خطأ كبير حيث ظنّ هؤلاء الباحثون أن ترتيب هذه الاحتفالات الموكبية

[1] القلقشندى : صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء (القاهرة - دار الكتب المصرية) ٣ : ٤٦٨ - ٥٢٨ .

استقرّ على هذه الهيئة منذ زمن المعز أوّل خلفائهم فى مصر[١] . وهو خطأ فادح ، لأن هذه النُّظُم والرُّسُوم مرّت بسلسلة طويلة من التبديل والتغيير حتى استقرّت على الشكل الذى يقدّمه لنا ابن الطُّوَيْر فى أواسط القرن السادس .

° ° °

ومما تقدّم يتّضح لنا أن « تاريخ ابن الطُّوَيْر » ليس كتابًا مجهولًا تمامًا لنا ، فقد نُشِر القسم الأكبر من نصوصه التى نقلها المقريزى والقلقشندى وأبو المحاسن ، إلّا أنه برغم معرفة هذه النصوص (وبعضها معروف منذ أكثر من مائة عام) فإن الدراسات الخاصة بالفاطميين لم تستفد منها الاستفادة الحَقّة[٢] بل إن بعض هذه الدراسات لم تلتفت إلى هذه النصوص لتفرُّقها فى هذه المصادر المختلفة ، وأصْدَرَت بذلك أحكامًا عامة على تاريخ الفاطميين ، رغم أن المعلومات التى يوردها كل من القلقشندى والمقريزى وأبو المحاسن لا تَصْدُق إلّا على فترة قصيرة من تاريخ الفاطميين الطويل . فالكتب والدراسات التى تناولت تاريخ الفاطميين ، أيًّا كانت قيمتها ، مُخَيِّبة للآمال فى مجملها فيما يخص التنظيمات الإدارية والرُّسُوم والاحتفالات بسبب نَقْص المصادر ، لذلك فإنها كثيرًا ما تُقْحِم ، دون تمييز ، مصادر أيوبية ربما تكون صالحة من خلال استعادتها للأنظمة السابقة ، ولكن دون أن تكون لها نفس قيمة المصادر المعاصرة .

ولا شك أن هناك عناصر استمرارية بين النظامين الفاطمى والأيوبى نجدها حتى عند المماليك ، ولكن التغيير كان ، دون شك ، قويًا وسريعًا فى نفس الوقت فى القسم الأكبر من النُّظُم والوظائف الإدارية .

---

[١] ماجد ، عبد المنعم : « أصل حفلات الفاطميين فى مصر » ، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية فى مدريد (١٩٥٤) ، ٢٥٣ - ٢٥٤ .

[٢] فيما عدا دراستى إسترونـزف ؛ ماريوس كانار عن « الاحتفال بركوب أول العام عند الفاطميين » .

وعلى ذلك فإن تجميع هذه النصوص ونَشْرها نشرًا علميًا اعتمادًا على مخطوطات جديدة ، من شأنه أن يصوِّب الكثير من الأخطاء التى وقعت فى نشرة كتاب «الخِطَط» السَّقيمة وخاصة فيما يتعلَّق بالمصطلحات وأسماء المواضع ، ومن شأنه كذلك أن يساعدنا على إعادة دراسة تاريخ هذه الفترة اعتمادًا على هذه المصادر المعاصرة دون الخلط بينها وبين المصادر المختلفة الأخرى ، مما يعيننا على رسم لَوْحَة صادقة لما كانت عليه النُّظُم والرُّسُوم فى فترات التاريخ الفاطمى المختلفة وكذلك للحوادث التاريخية كما تظهر فى كتابات هؤلاء المؤرِّخين المعاصرين .

طَريقَتى فى إخرَاج النصّ

كان علىَّ وأنا أعد هذه النشرة أن أجْمَع كل النصوص التى نَسَبَها المؤرِّخون اللاحقون إلى ابن الطُّوَيْر ، وكذلك النصوص التى أظن أنها نُقِلَت عن ابن الطُّوَيْر ، فكثيرًا ما أغْفَل المؤرِّخون المتأخِّرون أسماء المؤلِّفين الذين نقلوا عنهم (مثلما فعل المقريزى فى «اتعاظ الحنفا» و «المُقَفَّى» ، وابن الفرات فى بعض المواضع) . وبعد ذلك صنَّفْت هذه النصوص تبعًا للموضوعات الثلاثة الرئيسية التى أظن أن تاريخ ابن الطُّوَيْر كان يحويها وهى : التاريخ ، والنُّظُم ، والرُّسُوم . والقسم الأكبر من المادة التاريخية لم يُنْشر بتمامه وهو يقدِّم لنا معلومات جديدة عن تاريخ الفاطميين فى القرن السادس / الثانى عشر ، وقد نَقَلْته من «تاريخ الدُّوَل والملوك» لابن الفُرَات (ويقدِّم لنا هذا الكتاب هو والجزء السادس والعشرين من مخطوطة «نهاية الأرب» للنُّوَيْرى وكذلك مخطوطة «المُقَفَّى الكبير» للمقريزى معلومات جديدة عن الفاطميين) ، وتبيَّن لى أن المقريزى اعتمد عليه جزئيًا فى الجزء الثالث من «اتِّعاظ الحُنَفا» وإن لم يُشر صراحة

إلى ابن الطُّوَيْر سوى فى مَوْضِعٍ واحد[١] ، كذلك نقل المقريزى فقرات كاملة عن ابن الطُّوَيْر فى « المُقَفَّى الكبير » دون الإشارة إلى مصدرها (سواء فى نسخة السليمية أو نسخة باريس أو نسخة ليدن وهى تُكْمِل بعضها بعضًا ، والنسختان الأخيرتان بخط المقريزى) . أما أبو المحاسن فقد نقل فى « النجوم الزاهرة » نصوصًا تاريخية مطوَّلة عن ابن الطُّوَيْر ، بينما لَخَّص ابن خلدون بطريقة مُخِلَّة ما نقله عن ابن الطُّوَيْر .

واعتمدت فيما نقلته عن تاريخ ابن الفرات على نسخة مكتبة فِينَّا رقم ٨١٤[٢] وهى نسخة فريدة بخط مؤلِّفها تقع فى تسع مجلدات تضم حوادث السنوات من ٥٠١ إلى ٧٩٩ يتخلَّلها سَقْطٌ كبير بعد المجلد الخامس أضاع حوادث السنوات من ٦٢٥ إلى ٦٥٩ (يمكن الاستعاضة عنه بمجلد مكتبة الفاتيكان رقم ٧٢٦ الذى يُظنّ أنه قسمٌ من المجلد الساقط من مخطوطة فِينَّا)[٣] ، وسَقْطٌ آخر بعد المجلد الثامن أضاع حوادث السنوات من ٦٩٧ إلى ٧٨٨[٤] . ولم يُنْشر من هذا الكتاب الهام سوى

---

(١) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١٢ بالإضافة إلى موضعين فى الجزء الأول ص ١١٣ و ٢٣٥ تعود إلى عصر المعز ولكنها ليست دليلًا كافيًا على أن ابن الطُّوَيْر قد كتب تاريخًا كاملًا للفاطميين .

(٢) Flügel, G., *Die arabischen, persischen und türkischen Handschriften der Kaiserlich - Königlichen Hofbibliothek zu Wien,* Wien 1865 - 67, Ba-II, p. 46-49. ومن هذه المخطوطة نسخة مصورة على الفوتوستات بالمكتبة التيمورية برقم ٢١١٠ تاريخ ، وأخرى بدار الكتب المصرية برقم ٣١٩٧ تاريخ ، ونسخة على الميكروفلم بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة برقم ١١٤ تاريخ و ٩٥٤ تاريخ .

(٣) درس لسترنج هذا المجلد فى مقاله Le Strange, G., « The Story of the Death of the Last Abbasid Caliph, from the Vatican MS. of Ibn al - Furât », *JRAS* (1900), pp.293 - 300.

(٤) توجد مجلدات ساقطة من مخطوطة فينا موزَّعة على المكتبة الأهلية فى باريس برقم ١٥٩٥ ، ٥٩٩٠ وفى المتحف البريطانى برقم ٣٠٠٧ .

وقد توفر البروفيسير كلود كاهـن على دراسة الأجزاء الأولى من تاريخ ابن الفرات للتعرف على مصادره بالنسبة للفترة التى تبدأ من سنة ٥٠١ وحتى ٦٢٤ وخرج بنتائج هامة راجـع ، Cahen, Cl., *Quelques chroniques anciennes* pp. 10 - 14, 17 - 22; id., *La Syrie du Nord à l'époque du Croisades,* Paris 1940, pp. 55 - 57; id., *CR de l'Académie des Inscriptions et des Belles - Lettres* (1935), pp.258 - 269; id., *EI²*., art. *Ibn al - Furât*, p. 792 وأغلبها عن المؤرخ الشيعى ابن أبى طَىّ كمصدر لابن الفرات . وبالنسبة للفترة =

الجزء الرابع وقسم من الجزء الخامس[1] والأجزاء من السابع إلى التاسع[2] تبدأ بحوادث سنة ٥٦٣ وتنتهى بنهاية الكتاب .

أما النصوص المتعلّقة بالنُّظُم والرُّسُوم فقد نقلها المقريزى فى «الخِطط» بتمامها وأثْبَتَها بتصرُّف القلقشندى فى «صُبْح الأعْشَىٰ» وأبو المحاسن فى «النجوم الزاهرة» . وهنا تقيَّدت بنص كتاب «الخِطَط» مع الإشارة إلى الاختلافات بينه وبين «النجوم» و «صبح الأعشى» فى الهامش .

وكتاب «الخِطَط» أو «المَوَاعِظُ والاعْتِبارُ بذِكْرِ الخِطَطِ والآثار» للمَقْريزى نُشِر فى بولاق منذ أكثر من قرن وربع القرن نشرة لا تستحق دائمًا ثقة كاملة ، فنحن لا نعرف الأصل الذى اعتمدت عليه (مثل بقية الكتب التى أخرجتها مطبعة بولاق القديمة) وجاءت مليئة بالأخطاء والتصحيف والسَّقْط ، رغم أن لهذا الكتاب عددًا كبيرًا من المخطوطات تعدَّت المائة وسبعين مخطوطة (كما أحصاها قييت) ، وهو ما يُثبت الأهمية الكبرى التى منحها

التالية راجع ، Ashtor, E., «Some unpublished Sources for the Bahri Period», *Studies in Islamic History and Civilization*. Edited by Uriel Heyd. («Scripta Hierosolymitana», vol. IX). Jerusalem : Hebrew University 1961, pp.14 - 15; Little, D.P., *An Introduction to Mamluk Historiography*, Wiesbaden 1970, pp.73 - 75 ثم أحمد الشامى : دراسة فى مخطوط تاريخ الدول والملوك لابن الفرات ، القاهرة ١٩٨٣ وهو لم يطّلع على هذه الدراسات السابقة .

[1] نشره حسن الشمّاع فى مجلدين فى البصرة سنة ١٩٦٧ – ١٩٦٩ والمجلد الأول من الجزء الخامس فى سنة ١٩٧٠ . وهذه النشرة لا يمكن الاعتماد عليها لما بها من أخطاء وتصحيف وسقط ولم يطّلع صاحبها على الدراسات المذكورة فى الهامش السابق والتى كان من شأنها أن توضّح له الكثير من الأمور التى التبست عليه ، والغريب أنه مشتغل بالأدب وأراد استخراج مواد أدبية من تاريخ ابن الفرات ولم يهتم بدراسة المادة التاريخية وهى أساس الكتاب .

[2] نشرتها الجامعة الأمريكية ببيروت ، المجلد التاسع فى جزأين : الأول سنة ١٩٣٦ بتحقيق قسطنطين زريق والثانى فى سنة ١٩٣٨ بالإشتراك مع نجلاء عز الدين وكذلك الثامن فى سنة ١٩٣٩ وانفرد بنشر السابع فى سنة ١٩٤٢ .

المؤلّفون والكُتّاب العرب لهذا الكتاب الذى يُعَدُّ بحقٍ أهم وأشمل كتاب فى تاريخ وطبوغرافية مصر الإسلامية . وهذا ما دفع العالم الفرنسى الراحل جاستون فييت G. Wiet ، وهو من أعلم الناس بتاريخ مصر الإسلامية ، إلى بدء مشروعٍ طويل لنشر هذا الكتاب الهام بأسلوب علمى . فأصدر جزءَه الأول فى سنة ١٩١١ ولكنه توقّف بعد أن أصدر الجزء الخامس فى سنة ١٩٢٧ ، وهو لم يبلغ نصف الجزء الأول من طبعة بولاق ، أمام كثرة مخطوطات الكتاب ووجد أن إخراجه يحتاج إلى تضافر جهود فريق من المتخصّصين فى تاريخ مصر الإسلامية[1] .

والواقع أن فييت قد عَنَّى نفسه كثيرًا بإثبات فروق نسخ واختلاف قراءات لا طائل من ورائها ، وكان عليه أمام هذا الكَمّ الهائل من مخطوطات الكتاب أن يختار أقدم هذه المخطوطات وأكملها ، أو ما له ميزة خاصة من بينها ليقابل عليها ، خاصة وأن الفروق بين هذه النسخ (فيما عدا أخطاء النُسَّاخ الكثيرة) غير كبيرة ولكنها تصوِّب الكثير من أخطاء طبعة بولاق وتسدّ الكثير من السَّقْط الذى تخلَّلها ، فالمخطوطة التى اعتمدت عليها طبعة بولاق من أكثر مخطوطات الكتاب تصحيفًا وتحريفًا وسَقْطًا .

وكان مما سهَّل مُهِمَّتى أننى وَقَفْت على مُسَوَّدَة «الخِطَط» التى كتبها المقريزى بخَطِّه ، وهى محفوظة فى استامبول وتختلف فى ترتيبها ومنهجها عن الشكل النهائىّ الذى وَصَل إلينا «للخِطَط . وهى مخطوطة ذات قيمة كبيرة

---

(1) *MIFAO* t.XXX (1911), t. XXXIII (1913), t. XLVI (1922), t.XLIX (1923 - 24), t.LIII (1927). كما أخرج المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة فهرسًا للخطط والانتصار لابن دقماق وضعه أحمد عبد المجيد هريدى صدر منه ثلاثة أجزاء (١٩٨٣ - ١٩٨٤) جاء به جميع التصحيفات الواردة فى طبعة بولاق ولكنه يقدّم رغم ذلك خدمة كبيرة للباحثين .

لأنها تفيدنا فى التعرُّف على أسلوب القدماء فى التأليف[١] . وقد أثْبَت فيها المقريزى مصادر اقتباساته التى تخفَّف منها فى الصورة النهائية للخِطَط بدِقّة ، ونَقَل النصوص بتمامها بينما قَسَّمها ووزَّعها على فصول كتابه فى الصورة التى وصلت إلينا ، مما ساعدنى على إثبات نصوص مطوَّلة نقلها عن ابن الطُّوَير جاءت مفرَّقة فى الشكل النهائى « للخِطَط » ، وعندما كان نَصُّ « الخِطَط » يختلف مع نص المُسَوَّدَة كنت أُثْبِت نص المُسَوَّدة وأشير فى الهامش إلى الاختلاف بينه وبين نص « الخِطَط » الذى وصل إلينا .

وبالنسبة للنصوص التى لم ترد فى المُسَوَّدة ، فقد قابلتها على نسختين للخِطَط اعتبرتهما من أقدم وأصَحّ مخطوطات الكتاب هما : مخطوطة مكتبة ميونخ رقم ١١٦ ، ومخطوطة مكتبة ليدن رقم ٣٧٢[٢] ، وأشرت فى الهامش إلى الخلاف بينهما وبين طبعة بولاق ، وكذلك نصوص « النجوم الزاهرة » و « صبح الأعشى » . وقد تمكّنت عن طريق هذه النسخ الثلاث (استامبول وميونخ وليدن) من تصويب واستكمال الكثير من أخطاء وسَقْط طبعة بولاق .

ولم يتعدّ نصيب ابن الطُّوَيْر فى نشرة فييت نَصَّين أَحَلْت إليهما فى موضعهما . وجعلت جميع إحالات الكتاب إلى طبعة بولاق ، ولم ألتفت إلى أية طبعة أخرى للخِطَط ، لأنها الطبعة التى اعتمد عليها الباحثون الذين درسوا تاريخ مصر وطبوغرافيتها وأُحالوا إلى صفحاتها فى حواشيهم طوال قرن من الزمان ، رغم ما بها من عيوب ونَقْص .

أما نَشْرَتَىْ كتاب « صُبْح الأَعْشَىٰ » للقَلْقَشَنْدى و « النُّجُوم الزَّاهِرة » لأبى المحاسن بن تَغْرى بِرْدى فنشرة تستحق كامل ثقتنا أخرجها القسم الأدبى بدار

---

[١] انظر مقال Fu'àd Sayyid, A., « Remarques sur la composition des Ḫitat de Maqrīzī d'après un manuscrit autographe », *Hommage à Serge Sauneron*, Le Caire, *IFAO* 1979, pp. 231 - 258.

[٢] منها صورة على الميكروفلم فى معهد المخطوطات العربية بالقاهرة تحت رقم ١٢٧٣ تاريخ .

الكتب المصرية فى أوائل هذا القرن ، وأشْرَف عليها علماء أجِلَّاء ، وقوبلت على عددٍ من المخطوطات المعتبرة ، وشُرِحَت مصطلحاتها ، وعُرِّف بمواضعها ، وضُبِطَت ضَبْطًا كاملًا ، وصُنِعَت لها فهارس دقيقة (وعلى الأخص النجوم الزَّاهرة) . إلَّا أنه عندما كانت تختلف نصوص القلقشندى وأبى المحاسن مع نصوص المقريزى كنت أُثْبت نص المقريزى ، خاصَّة إذا كان فى المُسَوَّدة ، لأن نَقْلَه جاء كاملًا بينما تَصرَّف القلقشندى وأبو المحاسن فى إثبات هذه النصوص واختصروها . وقد أشَرْت إلى مواضع الخلاف الظاهرة بين هذه الكتب فى الهامش . هذا فيما يخصُّ ضَبْط النص وتوثيقه .

أما « عَمَلى فى الكتاب » فتمثَّل فى مقابلة الأحداث التاريخية مع نظائرها فى كتب التاريخ الأخرى والإشارة إلى الاختلافات بينها ، خاصة وأن الفترة التى يتناولها « تاريخ ابن الطُّوَيْر » من أكثر فترات التاريخ الفاطمى غناءً وتنوُّعًا فى المصادر وتفصيلًا للأحداث . فبقدر قِلَّة المصادر التى تروى لنا تاريخ مصر فى العصر الفاطمى الأول ، والتى لا تخرج عن مؤلَّفات ابن زُولاق والمُسَبِّحى ويحيى بن سعيد الأنطاكى وعلى بن رضوان الطبيب والقُضَاعى و « سيرة اليازورى » وكتاب « الذَّخائر والتُّحَف » ومؤلفات ابن الصَّيْرَفى ، فإن العصر الفاطمى الثانى غَنِىٌّ بالمصادر المتنوِّعة والوثائق الرسمية متمثِّلة فى مؤلَّفات أُسَامَة ابن مُنْقِذ وعُمَارة اليمنى وابن المأمون والمرتضى بن المُحَنَّك والمَخْزُومى وابن أبى طىّ والشريف الجَوَّانى وأبى شَامَة وابن ظافر الأزدى وابن الأثير وابن مُيَسَّر ، بالإضافة إلى المؤلَّفات المتأخِّره التى اعتمدت على هذه الكتب ، التى فُقِد أغلبها ، مثل مؤلفات ابن سعيد المغربى وابن خَلِّكان والنُّوَيْرى وابن أيْبَك وابن الفُرَات والقلقشندى والمقريزى وأبى المحاسن وابن إيَّاس .

وحَقَّقْت أسماء الأعلام وحدَّدت المواضع وشَرَحت المصطلحات وعَرَّفت بها اعتمادًا على المصادر الأصلية والدراسات الحديثة . وجَعَلْت هَوَامِش الكتاب فى قسمين : قسمٍ لاختلاف القراءات وفروق النُّسَخ ، وقسمٍ للتعليقات والشروح أكثرت فيه من الإحالة إلى المصادر والدراسات المتخصِّصَة .

ولما كان نصُّ ابن الطُّوَيْر يُقدِّم لنا ، فيما يخص المواكب الاحتفالية ومجالس الخلفاء ووَصْف الأسْمِطَة ، وَصْفًا نموذجيًا لما يجب أن يكون عليه الموكب أو المجلس أو السِّماط (ويبدو هذا أكثر وضوحًا فيما يخص الاحتفال بركوب أوَّل العام) فقد تتبَّعتُ المصادر للوقوف على كيفية الاحتفال عمليًا بهذه الاحتفالات ، و لم أجد مَنْ وَصَفَها سوى مؤرِّخَيْن : المُسَبِّحى فيما يخص الخمسين عامًا الأولى لتاريخ الفاطميين فى مصر ، وابن المأمون بالنسبة للاحتفالات التى تمَّت فى زمن الخليفة الآمر ووزارة المأمون البَطَائحى فى السنوات ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ ، فقد عادت الدولة الفاطمية للاحتفال بهذه المناسبات فى عام ٥١٦ بعد انقطاع طويل بسبب السياسة الاستبدادية للوزير الأَفْضَل بن بَدْر الجمالى[1] . كذلك أورد ابن مُيَسَّر والنُّوَيْرى وَصْفًا لمجلس الوزير وهيئته فى السلام على الخليفة[2] ، والوزير المعنيّ هنا هو أيضًا الوزير المأمون البطائحى .

وقد تخلَّل وَصْف هذه المواكب والمجالس ذِكْرُ الكثير من المصطلحات النوعية كالملابس والآلات والأطعمة وألقاب الموظفين ، بالإضافة إلى ذكر الكثير من مواضع القاهرة والفسطاط الواقعة على الطريق الذى كان يسلكه الموكب فى الذَّهاب والعَوْد . وقد حَرَصت على شرح هذه المصطلحات وتحديد هذه المواضع بما يقابلها اليوم .

وفيما يخص ذكر الدَّواوين والنِّظام الإدارى بصفة عامة وكذلك وَصْف الطبوغرافية الداخلية للقصر الفاطمى ، فقد وَجَدْت أننى سأُثْقِل الهوامش بتعليقات

---

(١) المقريزى : اتعاظ ٣ : ٨٣ . (٢) ابن ميسر : أخبار ٨٨-٩٠ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٥-٨٦ ؛ المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٢ .

قد تُعْطى صورة غير واضحة عن تطوُّر هذه الدَّواوين ، وعن الوصف المعمارى لقاعات القصر . فاستَعَضْت عن ذلك بمقدِّمة دَرَسْت فيها ، بتركيز غير مُخِلّ ، الإدارة الفاطمية وتطوُّر الدَّواوين كما ذكرها ابن الطُّوَيْر واعتمادًا على المصادر المعاصرة والقريبة العهد من الفاطميين مثل : المُسَبِّحى وابن الصَّيْرَفى والنابُلْسى وابن مَمَّاتى وأبو صالح الأرْمَنى وساويرس بن المُقَفَّع وابن مُيَسَّر بالإضافة إلى القلقشندى والمقريزى ، وكذلك الدراسات الحديثة وخاصة ما كتبه Gatschalk و Cl. Cahen . أما الوصف المعمارى لقاعة الذَّهَب ، حيث كان يُعْقَد المَجْلِس ، والإيوان والسَّهْدِلَّا والشُّبَّاك فقد استَكْمَلْت صورته من أوصاف ابن الطُّوَيْر وغُلْيوم أُسْقُف صور والمقريزى مقارنة بنتائج الحفريات الحديثة التى تمَّت فى الفُسْطَاط وفى موضع القصر الغربى .

وأَلْحَقْت بالكتاب عددًا من « المَلاحِق » تتضمَّن نُسَخ كتب البشارة بالسَّلامة بركوب الخليفة فى الاحتفالات الموكبية المختلفة أوردها القلقشندى والمقريزى ، وأغلب هذه الكتب من إنشاء ابن الصَّيْرَفى مما يدل على أنها صادرة فى العقود الأولى للقرن السادس / الثانى عشر .

وأوَّل كتاب ذكرته فى المَلاحِق ورد فى « رَسَائِل العَمِيدى » ، أبو سَعْد محمد بن أحمد بن محمد متولِّى ديوان التَّرتيب ثم ديوان الإنشاء فى أيام المستنصر بالله عِوَضًا عن ولىّ الدَّولة ابن خَيْران والمتوفى سنة ٤٣٣ هـ/ ١٠٤١م . ومن هذه « الرَّسائل » نسخة فى مكتبة جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية ضمن مجموعة يهودا التى تُكَوِّن قسمًا من مجموعة جاريت Garrett كبرى مجموعات القسم العربى برقم ٤٣٦٥[١] . والفضل فى تعريفى بهذا الكتاب

---

(١) Mach, R., *Catalogue of Arabic Manuscripts (Yahuda section in the Garrett Collection - Princeton University Library)*, Princeton 1977, p. 374.

يرجع إلى الدكتورة باولا سوندرز Paula Sanders الأستاذة بجامعة Rice بالولايات المتحدة الأمريكية التى أمدتنى بصورة لهذا الكتاب عندما عَرَفَت باهتمامى بنشر نَصّ ابن الطُّوَيْر وكُتُب البِشَارة بالسَّلامَة بركوب الخليفة فى المواكب المختلفة ، فلها الشكر الجزيل على صادق عونها وفى انتظار نشرتها الكاملة لهذه الرَّسائل الهامة .

وجَعَلْتُ « فهارس الكتاب » متنوِّعة لتُسَهِّل على القارئ استخدام الكتاب والتعرُّف على دقيق تفصيلاته . فصنعت فهرسًا للأعلام ، وفهرسًا للخِطَط والأماكن الأثرية بالقاهرة والفسطاط ، وفهرسًا للمواضع والبلدان ، وفهرسًا للمصطلحات وأسماء الدواوين والمآكل ، وأخيرًا فهرسًا للملابس والأزياء والأقمشة .

ويقتضينى واجب العِرْفَان بالفَضْل أن أتوجَّه بالشُّكْر إلى عميد الاستشراق الفرنسى البروفيسير كلود كاهن Claude Cahen ، الذى كان من أوائل الذين نَبَّهوا إلى قيمة هذا الكتاب وأهميته . وعندما علم بنيتى فى إخراجه طَلَب إليَّ ، فى آخر لقاء لنا فى باريس ، أن يكون أوَّل عملٍ أقوم به بعد مناقشة أطْرُوحتى ، هو نَشْر نص ابن الطُّوَيْر ، ويُسْعِدُنى أن أهدى إليه اليوم هذا العمل متمنيًا له دوام الصِّحَّة والعافية .

أما الفَضْل فى إخراج الكتاب إلى حَيِّز الوجود فيرجع إلى الصديقين الدكتور أولريش هارمان Ulrich Haarmann الأستاذ بجامعة فرايبورغ والدكتور أنطون هاينن Anton Heinen المدير السابق للمعهد الألمانى للأبحاث الشرقية فى بيروت ، اللذين عَرَفا قيمة هذا النص وأهميته ورحَّبا بحماس شديد بإخراجه فى سلسلة « النَّشَرات الإسلامية » التى تصدرها جمعية المستشرقين الألمان ، فالشكر الجزيل على عونهما الصادق وترحيبهما بنشر الكتاب . والشكر كذلك

إلى الدكتورة إريكا جلاسن Erika Glassen المديرة الحالية للمعهد الألمانى التى يَسَّرت لى كافة الإمكانيات لطبع الكتاب والإشراف عليه ليخرج فى هذه الصورة اللائقة .

وبعد ، فهذا « تاريخ ابن الطُّوَيْر » يظهر لأول مرة بعد أن جَمَعت شَمْل نصوصه المتفرِّقة وضَبَطتُها وعَلَّقْت عليها وشَرَحت مُصْطَلَحاتها وكشفت الغامض منها ، آملًا أن أكون قد وُفِّقْت فيما قَصَدْتُ إليه من بَذْل الجُهْد وشِدَّة العناية ، راجيًا التجاوز عما يكون قد تَسَرَّب إليه من هنات ، فالكمال لله وحده ، وهو المسئول أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ .

مصر الجديدة فى ٩ جمادى الآخرة ١٤١٠هـ .

٦ يناير ١٩٩٠م .

أيمن فؤاد سيد



كما جاءت عند ابن الطوير



تمهيد

كان أوَّل من اهتم بدراسة رُسُوم الفاطميين فى مصر المستشرق الروسى إنسترونزف Inastrontsef فى دراسته «الخروج الاحتفالى للخلفاء الفاطميين» (بالروسية) التى صدرت فى سان بُطْرُسْبرج سنة ١٩٠٥ . وهذه الدراسة هى أوَّل عمل علمى تناول عددًا من مظاهر تنظيم الاحتفالات الفاطمية . وقد نبَّه إنسترونزف فى هذه الدراسة إلى أهمية مقارنة الاحتفالات الفاطمية بالاحتفالات البيزنطية وطَرَح فكرة وجود تأثير ممكن لبيزنطة عليها .

ولم تقم أية دراسة جادة لنُظُم الفاطميين ورُسُومهم فى مصر منذ هذا التاريخ إلى أن كتب الدكتور عَطِيَّة مصطفى مُشَرَّفَة رسالته «نُظُم الحُكْم بمصر فى عصر الفاطميين» (القاهرة ١٩٤٧) تناول فيها نظام الخلافة ونظام الوزارة والقضاء والدَّعْوة والحِسْبة كما كانت تجرى فى الدولة الفاطمية .

وفى سنة ١٩٥١ عَقَد المستشرق الفرنسى ماريوس كانار M. Canard مقارنة بين رُسُوم الفاطميين ورُسُوم البيزنطيين اعتمادًا على المقريزى والقلقشندى وكتاب «الاحتفالات» لقسطنطين بورفيروجينيت[١] ، وهي دراسة عميقة ومركَّزة ؛ ثم أعقبها فى سنة ١٩٥٢ بدراسة عن «ركوب أوَّل العام عند الفاطميين» كما وصفه ابن الطُّوَيْر وابن المأمون اعتمادًا على نصوص المقريزى والقلقشندى وأبى المحاسن ودراسة إنسترونزف السابق الإشارة إليها .

وفى العام نفسه أتمَّ الدكتور عبد المنعم ماجد رسالته «نُظُم الفاطميين ورُسُومهم فى مصر» التى تقدَّم بها إلى جامعة السُّربون ثم نشرها بالعربية فى جزأين صدرا فى القاهرة سنتى ١٩٥٣ و ١٩٥٥ . وما يزال هذا الكتاب هو مرجع المهتمين بهذا الموضوع .

---

(١) انظر أعلاه ص ٦ .

وفى سنة ١٩٨٤ تقدَّمت الدكتورة باولا سوندرز برسالة إلى جامعة برنستون بالولايات المتحدة الأمريكية عن «رُسُوم الدولة الفاطمية فى مصر»
Paula Sanders, *The Court Ceremonial of the Fatimid Caliphate in Egypt* .
وهى الدراسة الوحيدة التى اعتمدت على نصوص المُسَبِّحِى وابن المأمون وابن الطُّوَيْر وتتبَّعت أوليات هذه الاحتفالات وتطوُّرها .

وبالإضافة إلى هذه الدراسات الرئيسية كتب H. L. Gottschalk مقالًا هامًا عن «الدواوين فى مصر الإسلامية» فى دائرة المعارف الإسلامية ، كما كتب الدكتور محمد حمدى المناوى رسالة عن «الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى» وقدَّمت الباحثة ليلى سامى العماد رسالة إلى جامعة نيويورك عنوانها «الوزارة الفاطمية»
al - 'Imâd, L. S., *The Fatimid Vizirate* 969 - 1172 , PH. D. 1986 [1] .

نظم الفاطميين

عندما وَصَل المعز لدين الله الفاطمى إلى مصر عَهَد إلى يعقوب بن كِلِّس - اليهودى الذى أسْلَم فى زمن كافور والتقى بالمعز فى إفريقية - مهمة

---

[1] وصدرت مؤخرًا عِدَّة دراسات بالعربية عن الحياة الاجتماعية والمجتمع المصرى فى العصر الفاطمى ، ولكنها خَلَطَت بين الأعياد والاحتفالات Cérémonies كمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية ، وبين الرُّسُوم المتبعة فى الاستعداد لهذه الاحتفالات وهو ما يُطْلَق عليه البروتوكول أو تقاليد الاحتفال Cérémonial . راجع ، الشيخ الأمين عوض الله : الحياة الاجتماعية فى العصر الفاطمى ، جدة ١٩٧٩ ؛ عبد المنعم سلطان : المجتمع المصرى فى العصر الفاطمى - دراسة تاريخية وثائقية ، القاهرة - دار المعارف ١٩٨٥ .

وأخيرًا نشرت باحثة فرنسية ترجمة للفصل الذى عقده القلقشندى عن الاحتفالات المدنية فى عصر الفاطميين Espéronier, M., « Les fêtes civiles et les cérémonies d'origine antique sous les Fatimides d'Egypte » - Extraits du tome III du *Subh al - Aʿšā* d'al - Qalqašandī » (traduction de), *Der Islam* 65 (1988), pp. 46 - 59 .

إعادة تنظيم إدارات الدولة الفاطمية فى مصر لمعرفته الجَيِّدَة بأمورها وعلى الأخص ما يُدِرُّه كل إقليم فيها . وعيَّن المعز عُسْلُوج بن الحسن لمعاونته فى الإشراف على الشئون المالية[1] .

وقد وَضَع ابن كِلِّس فى مصر أساس نظام مركزى متدرِّج يأتى على رأسه «الإمام» وهو «الخليفة» ، الذى اعتبره الشيعة الإسماعيليون مُمَثِّل الله على الأرض ومنه تَنْبَثِق كل سُلْطَة[2] . وتقاسمت إدارة هذا النِّظام سلطاتٌ ثلاث : إدارية وقضائية ودعائية ، أما الجيش فكان يأتمر بأوامر الإمام (الخليفة) مباشرة . ولم يستمر هذا النظام طويلًا ، فقد كان لما أَلَمَّ بالدولة الفاطمية من أحداث واعتراها من ضَعْف ، دَوْرٌ فى تغيير وتعديل هذه الأنظمة ، وخاصة مع بداية ازدياد نفوذ الوزراء أرباب السيوف ، ولكنها احتفظت بالخطوط العريضة لهيكل هذا النظام . وكان الوزير هو الذى يتولَّى الإشراف على السلطة الإدارية وقاضى القضاة هو المشرف على الشئون الدينية والتشريعية وداعى الدُّعَاة هو المشرف على الدعاية الفاطمية وأحيانًا كانت هاتان السلطتان تجمعان لشخص واحد . وبوصول بدر الجمالى إلى قمة السلطة وبداية عصر الوزراء أرباب السيوف أصبح الوزير هو قائد الجيش وقاضى القضاة وداعى الدعاة فى الوقت نفسه .

ولتوضيح ذلك نقول : إن الوظائف الإدارية العليا فى الدولة الفاطمية كانت تنقسم ، كما هو الحال فى بقية العالم الإسلامى ، إلى ثلاث طبقات : الذين ينتمون إلى الطبقة العسكرية ويسمون «أرباب السُّيوف» ، والذين ينتمون

---

(1) ابن ميسر : أخبار مصر ١٦٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٨٢ ، ٢ : ٥-٦ ، ٢٦٩ واتعاظ الحنفا ١ : ١٤٤-١٤٥ ، ٢٢٣ والمقفى ٣٨٤ ، وابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ١٢٧ .

(2) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٣٥ .

إلى الطبقة المدنية ويسمون «أرْباب الوَظَائف الديوانية» أو «أرباب الأقلام» والمنتمين إلى طبقة رجال الدين والعلماء ويسمون «أرْباب الوظائف الدينية» أو «أرباب العمائم» .

وَظَائِفُ أرْبَابِ السُّيُوف

كانت وظائف أرباب السُّيوف فى زمن الفاطميين تنقسم إلى نوعين : وظائف عامة الجُنْد ، ووظائف خواص الخليفة من الأستاذين . وتنقسم هذه الوظائف بدورها إلى نوعين : الأستاذين المُحَنَّكين والأستاذين غير المُحَنَّكين .

فوظائف عامة الجُنْد تِسْع وظائف هى : الوَزَارَة (إذا كان الوزير صاحب سيف) - صاحبُ الباب - الإسْفِهْسَلار - حاملُ المِظَلَّة - حاملُ سيف الخليفة - حاملُ رُمْح الخليفة - حاملُ السِّلاح - والى القاهرة - والى مصر الفُسْطَاط .

ووظائف خواص الخليفة من الأستاذين المُحَنَّكين تِسْع وظائف هى : شادّ التاج - صاحبُ المَجْلس - صاحبُ الرِّسَالة - زِمَامُ القصور - صاحبُ بيت المال - صاحبُ الدَّفْتَر - حاملُ الدَّواة - زَمُّ الأقارب - زَمُّ الرجال[1] .

أما وظائف الأستاذين غير المُحَنَّكين فوظيفتان : نِقَابَةُ الطالبيين (العلويين) وزَمّ الرجال والطوائف[2] .

---

(1) هو الذى يتولى أمر طعام الخليفة كأستادار الصحبة فى العصر المماليكى .

(2) هو بمثابة مقدّم المماليك فى العصر المماليكى . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٨ - ٤٨٢) .

وقد أضاف إليها القلقشندى وهو يذكر الولايات الصادرة عن الخلفاء لأرباب المناصب فى الدَّولة الفاطمية : النَّظَر فى المَظَالم - ولاية الشُّرطَة - ولاية المَعَاون والأَحْدَاث - ولاية الحِمَاية - ولاية حِفْظ الثُّغُور - الإمارة على الحجّ - الإمارة على الجِهَاد - ولاية الأعمال[1] .

وَظَائف أرْبَاب الأقلام

وكانت الوظائف الديوانية فى زمن الفاطميين تنقسم إلى أربعة أنواع متميِّزة هى : الوَزير (إذا كان الوزير صاحب قَلَم) - ديوانُ الإنشَاء (ويتعلَّق به صحابة ديوان الإنشاء والمكاتبات ، والتوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم ، والتوقيع بالقلم الجليل) - ديوانُ الجَيْش والرَّواتب (ويشمل ديوان الجَيْش وديوان الرَّواتب وديوان الإقْطاع) - الدَّواوين الإدارية وهى أربعة عشر ديوانًا : ديوانُ النَّظَر ، ديوانُ التحقيق ، ديوان المَجْلِس ، ديوان خَزَائن الكُسْوة ، الطِّراز ، الخِدْمَة فى ديوان الأَحْباس ، الخِدْمَة بديوان الرَّواتب ، الخِدْمَة فى ديوان الصَّعيد ، الخِدْمَة فى ديوان أَسْفَل الأرض ، الخِدْمَة فى ديوان الثُّغُور ، الخِدْمَة فى الجَوَالى والمَوَاريث الحَشْريَّة ، الخِدْمَة فى ديوانَىْ الخَرَاجى والهِلَالى ، الخِدْمَة فى ديوان الكُرَاع ، الخِدْمَة فى ديوان الجِهَاد[2] .

° ° °

---

(1) القلقشندى : صبح ١٠ : ٣٠٨ . (2) نفسه ٣ : ٤٨٥ - ٤٩٢ .

أرْبابُ الوَظَائِف الدِّينية
أو أرْبابُ العَمَائِم

وتشمل وظائف قاضى القضاة وداعى الدُّعاة والمُحْتَسِب ووكيل بيت المال والنَّائب والقُرَّاء[1] ، والنظر فى الأوقاف والأحباس ، والنَّظر فى المساجد وأمرِ الصلاة[2] .

°
° °

وإذا كنت قد أجملت فيما سبق وظائف الدولة الفاطمية ودواوينها ، فسأُفَصِّل فيما يلى الحديث عن تطوُّر السُّلْطَة التنفيذية ممثَّلة فى الوزير والدواوين الإدارية ، والسُّلْطَة التشريعية ممثَّلة فى قاضى القضاة ، ثم السلطة الدَّعائية ممثلة فى داعى الدُّعاة ، وقبل ذلك منصب الإمام الرئيس الأعلى للدولة الفاطمية .

الإمَامُ (الخلِيفَة)

يأتى على رأس النِّظام الفاطمى شخصية الإمام أو الخليفة . وإذا كان تولِّى الخليفة لدى أهل السنة يأتى نتيجة انتخاب أو تعيين من الخليفة السابق تؤكَّده مبايعة عامة ، فإن الإمام الفاطمى هو خليفة من سبقه بموجب الحق الإلهى ، ويُخْتار ليكون وصيًا للنبى ﷺ ولعلى بن أبى طالب رضى الله عَنه . وتنتقل الإمامة من الأب إلى الابن ، أى يجب أن تكون فى الأعقاب من أبناء الحُسَيْن ،

---

[1] نفسه ٣ : ٤٨٢ - ٤٨٥ .   [2] نفسه ١٠ : ٣٠٨

ولا تنتقل من أخ إلى أخيه بعد أن انتقلت من الحَسَن إلى الحُسَيْن . والشَّرط الوحيد اللازم توافره فى شخص الإمام هو « الوَصِيَّة » أى « النَّص » عليه من الإمام السابق[1] ، وبالتالى فلا يتطلَّب الفاطميون توافر شروط خاصة فى الإمام (أو الخليفة) مثل الشروط التى يتطلَّبها أهل السنة فى شخص الخليفة أو الزَّيْدية فى شخص الإمام الزَّيْدى .

وكان من الممكن للإمام أن يُخْفى وَصِيَّته عن مجموع المؤمنين ولا يُعْلم بها إلَّا بعض الثِّقات لا غير ، الذين عليهم أن يكشفوا عنها فقط فى الوقت المناسب[2] . ورغم أن القاعدة هى فى نصّ الإمام على الابن الأكبر ، إلَّا أن الفاطميين لم يلتزموا بذلك دائمًا ؛ فقد عَدَل الخليفة المُعِزّ بوصيته عن ابنه الأكبر تميم ، الذى كان يحيا حياة عابثة لا تليق بمن سيُرشَّحْ لإمامة المؤمنين[3] ، إلى ابنه الأوسط عبد الله ولكنه توفى فى حياة أبيه[4] . وبذلك كان يَجب على المُعِزّ أن ينص ، وفقًا للعقيدة الإسماعيلية ، على حفيده ابن عبد الله ، ولكنه نقل وصيته إلى نِزَار أخ عبد الله الأصغر . كما أن الحاكم بأمر الله نصَّ فى حياته بالإمامة إلى ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس فى سنة ٤٠٤ وَنَقَشَ اسمه على السِّكَّة وكتبه على الطِّرَاز[5] إلّا أنه حُبِس وأُبعِد قبل وفاته وآلت

---

[1] ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ١ : ٥١ - ٧٧ .

[2] أبو على الجوذرى : سيرة الأستاذ جوذر ١٣٩ .

[3] نفسه ١٠٠ ، ١٨١ ، ١٨٦ ، محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ٢٠٢ - ٢٠٣ ، وانظر Makârim, S., « The Philosophical Significance of the Imam in Ismailism ». *SI* 46 (1970), pp. 92 - 95.

[4] ابن زولاق عند ابن ميسر : أخبار ١٦٥ - ١٦٦ ، المقريزى : اتعاظ ١ : ١٥٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٦ - ٢١٧ .

[5] يحيى بن سعيد الأنطاكى : تاريخ (شيخو) ٢٠٧ - ٢٠٨ ، ابن سعيد : النجوم ٦٤ ، ابن عذارى : البيان المغرب (كولان وبروفنسال) ١ : ٢٦٠ ، النويرى : نهاية الأرب ٢٦ : ٥٧ ، =

الإمامة إلى علىّ بن الحاكم الذى تلقَّب بالظَّاهر لإعزاز دين الله بفضل تدخل سِتّ المُلْك أخت الحاكم الكبرى[1] .

وقد أدَّى هذا النظام إلى وصول عدد كبير من الأطفال إلى منصب الإمامة ، فبعد وفاة العزيز بالله سنة ٣٨٦ / ٩٩٦ خَلَفَه تسعة من الخلفاء كان بينهم وقت اعتلاء العرش ثلاثة أطفال وأربعة مراهقين مما مكَّن لرجال القصر ونسائه وللوزراء وقادة الجيوش السيطرة التامة على الدَّوْلة وأن تكون بأيديهم السُّلْطَة الحقيقية طوال عصر الدولة الفاطمية .

وظلَّ توارث الإمامة يسير دون اعتراضات ذات شأن إلى حين وفاة المستنصر بالله سنة ٤٨٧ / ١٠٩٤ ، حيث تدخَّل الوزير القوى الأَفْضَل شَاهِنْشَاه لعَزْل نِزَار ، الإبن الأكبر للمستنصر وصاحب الحق الشرعى فى الإمامة ، وتولية المُسْتَعْلى الابن الأصغر مما أدَّى إلى نشوء أول انقسام فى الدعوة الفاطمية[2] . كذلك فبعد وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله سنة ٥٢٤ / ١١٣٠

= المقريزى : الخطط ٢ : ٢٨٨ والاتعاظ ٢ : ١٠٠ – ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ١٠٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ١٩٣ – ١٩٤ ، Lane - Pool, S., *Catalogue of Oriental Coins in the Br. Mus.*, IV Coinage of Egypt, London 1879 p. 22 n.88, p. 26 m. 106 ; id., *Catalogue of the Collection of Arabic Coins Preserved in Khedivial Library at Cairo*, London 1897, p. 165 n. 1048 ; Wiet, G., *RCEA* t. VI n. 2212 - 2217.

(1) المقريزى : اتعاظ ٢ : ١١٦ ، ١٨٣ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ١٩٣ – ١٩٤ .

(2) يُعَدُّ ما قام به الوزير الأفضل انقلابًا سياسيًا واضح المعالم للمحافظة على السلطان القوى الذى كان يتمتَّع به منفردًا منذ أواخر عهد المستنصر . (راجع ، ابن ميسر : أخبار ٥٩ – ٦٣ ، ساويرس : تاريخ ٢ / ٣ : ٢٤٤ – ٢٤٥ ، ابن الأثير : تاريخ ١٠ : ٢٣٧ – ٢٣٨ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٤٠٧ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٧٢ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٣ والاتعاظ ٣ : ١٢ والمقفى (مخ . السليمية) ١٤٢ظ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ١٤٢ ، Gibb, H.A.R., *EI*.,art. *al - Musta'li*, III, pp. 819 - 820; Fu'âd Sayyid, A., op. cit., pp. 462 - 66.

دون وريث (وإن كان أشار إلى أنه قد ترك إحدى جهاته حاملًا)[1] تولّى الأمر بعده ابن عمه عبد المجيد، أكبر الأقارب سنًا، كإمام مُستَوْدَع، وفقًا للمصطلح الإسماعيلى، إلى أن عزله الوزير أبو على الأفضل كُتَيْفات واستولى على السُّلْطَة لمدة أربعة عشر شهرًا باسم «الإمام المُنْتَظَر»، إلى أن قُتِل أبو على وأعيد عبد المجيد فى المحرم سنة ٥٢٦ «وليًا لعَهْد المسلمين» ثم عيَّن نفسه إمامًا باسم «الحافظ لدين الله» فى ربيع الآخر سنة ٥٢٦[2]. كما أن الخليفة العَاضِد، آخر خلفائهم، لم يكن أبوه إمامًا كما يتطلَّب المذهب الإسماعيلى[3].

والدَّوْلَة الفاطمية دولةٌ ثيوقراطية كان يُنْظر للإمام فيها، بدون أى التباس، كممثل لله على الأرض، وبأنه المفَسِّر الأول للشَّرْع ومصدر كل العلم. وقد حرص كبار رجال الدَّعْوة على تأكيد هذا المعنى والإشارة إلى أن الإمام هو «وَلىّ الله» الشَّافِع لهم جميعًا[4]. فقط الحاكم بأمر الله ذهب فى سنة ٤٠٨ / ١٠١٧ إلى حد اعتبار شخصه تجسيدًا للألوهية أو على الأقل إدّعاء الألوهية[5].

وقد تدهورت سلطة الخليفة قرب نهاية القرن الخامس، وأصبح الوزراء أرباب السيوف هم أصحاب السُّلْطَة الفعلية، ونجح بعضهم فى اعتبار منصب الوزارة

---

(1) عن مشكلة خلافة الآمر بالله وهل ترك وريثًا للإمامة. راجع كتابى: تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن ١٧١ - ١٨٦.

(2) انظر فيما يلى ص ٣٠ - ٣٤.

(3) المقريزى: اتعاظ ٣ : ٣٢٩، أبو المحاسن: النجوم ٥ : ٢٣٧.

(4) السجلات المستنصرية (سجل رقم ٣٥)، Sourdel, D., *EI²*., art. Khalifa IV, p. 977.

(5) يحيى بن سعيد الأنطاكى: تاريخ ٢٢٠ - ٢٢٦، المقريزى: الخطط ٢ : ٤١٣ والاتعاظ ٢ : ١١٣، Bianquis, Th., « Al - Hâkim bi amr Allâh ou la folie de l'unité chez un souverain Fatimide », *Les Africains* XI (1978) pp. 107 - 133. وانظر موقف الإسماعيلية من ذلك عند الكرمانى: الرسالة الواعظة فى نفى دعوى ألوهية الحاكم بأمر الله، تحقيق محمد كامل حسين، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة ١٤ (مايو ١٩٥٢) ١ - ٢٩.

وقتيًا منصبًا وراثيًا (بَدْرُ الجَمَالى – الأَفْضَل – أبو على الأَفْضَل ، الصالح طَلَائع – رزِّيك بن طَلَائع ، شاور – الكامل) .

وقد تلقَّب الفاطميون فى سجلاتهم وعلى نقودهم « بالإمام » و « بأمير المؤمنين » ، ولم يتلقَّبوا فى الوثائق الرسمية بالخليفة ، حرصًا منهم على إظهار صفتهم الروحية وسلطتهم الدينية[1] .

الوَزَارة

١ - وَزَارة التنفِيذ

لم يعرف الفاطميون فى المرحلة الإفريقية نِظَام الوزارة . وحتى بعد انتقالهم إلى مصر فإن الخليفة المُعِزّ لم يَتَّخذ وزراء رغم أن هذه الرُّتْبة قد عُرِفَت فى مصر منذ زمن الطُّولونيين[2] . ونحن نعرف أن ابن الفُرَات كان وزيرًا للإخشيديين ، ولكن عند قدوم الفاطميين توقَّف جَوْهَر القائد عن مخاطبة ابن الفرات بالوزير إلَّا بعد مراجعة ، لأنه كما قال ، لم يكن وزير خليفة[3] .

وبعد وصول الخليفة المعز فَضَّل أن لا يُفَوِّض سلطاته إلى أحد وأن « يباشر التدبير بنفسه ولا يُعَوِّل فيه على غيره »[4] ، ولكنه أَوْجَد ما أُطْلِق عليه « الوَسَاطَه » ، لأن

---

[1] ماجد : نظم الفاطميين ٧٤ – ٧٥ .
وانظر الوثائق والسجلات الصادرة عن الخلفاء فى « السجلات المستنصرية » وهى السجلات الصادرة عن المستنصر إلى دعاته بجزيرة اليمن (نشرها عبد المنعم ماجد ، القاهرة ١٩٥٤) ، ووثائق الخلافة التى جمعها جمال الدين الشيال ونشرها فى « مجموعة الوثائق الفاطمية » ، القاهرة ١٩٥٨ ، والسجلات المحفوظة فى دير سانت كاترين والتى نشرها صمويل شتيرن ، Stern, S.M., *Fatimid Decrees*, London 1964 ، وانظر كذلك ما دونوه على نقودهم عند Miles, G. *Fatimid Coins* , NY 1952 .

[2] السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٢٠١ ، Hassan, Z.M., les Tulunides, p. 194.

[3] المقريزى : اتعاظ ١ : ١٠٧ ، ١١٨ ، الخطط ١ : ٤٣٩ ، المقفى ٣٨٣ (نشرة محمد اليعلاوى) .

[4] ابن الصيرفى : الإشارة ٤٧ .

صاحبها كان يتوسَّط بين الخليفة ورعيته ، بحيث أن القرار الأخير كان يأخذه الخليفة بنفسه[١] . وقد عهد المعز إلى يعقوب بن كِلِّس بالإشراف على الشئون الإدارية للدولة على أن يعاونه عُسْلوج بن الحسن فى الإشراف على الشئون المالية[٢] وقد ظلَّ الوضع على ذلك طوال عهد المعز وبداية عهد العزيز . وفى رمضان سنة ٣٦٨ / إبريل ٩٧٩ مَنَح الخليفة العزيز ابن كِلِّس لقب « الوزيرُ الأجَلُّ » وأصبح بذلك أوَّل وزراء الدولة الفاطمية[٣] وإن كان خلفاؤه لم يتمتعوا جميعًا بهذا اللَّقب ، فقد حملوا لقب « الوَسَاطَة » و « السِّفارة » ونادرًا ما كان بينهم من حمل لقب « الوَزَارة »[٤] . على أن هذا اللَّقَب لم يثبت رسميًا إلَّا فى زمن الخليفة الرابع الظَّاهر لإعزاز دين الله (٤١١-٤٢٧ هـ) . وقد حَفظ لنا ابن القَلَانِسى سِجِلّ تولية الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجَرْجَرَائى ، أوّل من ثَبّت هذا اللقب ، وهو مؤرَّخ فى ذى الحجة سنة ٤١٨ / يناير سنة ١٠٢٨ وقد جاء فيه : « رأى أميرُ المؤمنين ، وبالله توفيقه ، أن يستكفيك أمرَ وزارته ويُنْزلك أعلى منازل الاصْطِفاء بخاص إثرته ، ويَرْفَعَك على جميع الأكْفَاء بتام تَكْرِمَتِه ، ويُنَوِّه باسمِك تنويهًا لم يكن لأحدٍ قَبْلَك من الظُّهراء فى دولته فسمَّاك « الوَزِير » لمؤازرتك له على حَمْل الأعْبَاء ، ووكَّد هذا الاسم « بالأجَلّ » لأنك أجَلّ الوزراء ، وعزَّز ذلك

---

[١] ابن الصيرفى الإشارة ٥٩ ، ٦١ ، ٦٤ ، بن القلانسى : ذيل ٨١ ، ابن ميسر : أخبار ١٧٧ ، ١٧٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٩ ، ماجد : نظم الفاطميين ١ : ٧٨ - ٧٩ .

[٢] ابن زولاق لدى ابن ميسر : أخبار ١٦٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٨٢ ، ٢ : ٥-٦ ، ٢٦٩ و اتعاظ ١ : ١٤٤-١٤٥ ، ٢٢٣ و المقفى ٣٨٤ .

[٣] ابن الصيرفى : الإشارة ٤٩ ، ابن خلكان : وفيات ٧ : ٢٨ ، ٢٣٢ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٤٦ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٩ ، ٢ : ٨٤ ، الاتعاظ ١ : ٢٤١ ، ٢٩٣ .

[٤] لم يستوزر العزيز أحدًا بعد ابن كِلِّس وإنما ضَمن مال الدولة على جماعة مستخدمين . (ابن ظافر : أخبار ٤٠) . كذلك فإن الحاكم بأمر الله كان يباشر الأمور بنفسه ويتولى أيضًا النظر والتدبير وكل الوزراء والسفراء الذين اصطفاهم لم تطل أيام نظرهم . (ابن الصيرفى : الإشارة ٥٥) .

« بصَفِىِّ أمير المؤمنين وخَالِصَتِه » إذ كنت « أعزَّ الخُلَصَاء والأصفياء »[١] . وقد وُجِدَت هذه الألقابُ بتمامها كما جاءت فى هذه الوثيقة الديوانية على الطِّراز وعلى النقوش والكتابات الأثرية التى جمعها جاستون فييت[٢] .

وابتداءً من هذا التاريخ (٤١٨ / ١٠٢٨) أصبحت الوزارة منصبًا وتكليفًا ويُطْلَق عليها « رُتْبَة »[٣] وتُعَدُّ من ضمن الوظائف العامة وانقسمت إلى نوعين : وزارة قَلَم ووزارة سَيْف .

وكان أغلبُ وزراء الفاطميين قبل بَدْر الجمالى وزراء قَلَم ويُطْلَق عليهم « وزراء التنفيذ »[٤] . ورغم أن أعباء هذا المنصب كانت تشمل جميع أعمال الدولة وتَضْمَن لصاحبها المكان الثانى مباشرة بعد الإمام أو الخليفة ، فقد كانت للخليفة كل السلطة على الوزير ويراجع جميع أفعاله . بل إن وزير القَلَم لم تكن له سلطة كاملة على بقية موظفى الإدارة الذين كان يُعَيِّنهم الخليفة ، فكان بذلك وزيرًا مُعَيَّناً ذو سلطات محدودة .

ومن جهة أخرى فقد بدأ انحلال الدولة الفاطمية فى الظهور فى أعقاب وفاة الوزير أبى القاسم على بن أحمد الجَرْجَرَائى فى رمضان سنة ٤٣٦ / مارس سنة ١٠٤٥ وهو الانحلال الذى أوشك أن يقودها إلى زوالها بعد ذلك بربع قرن[٥] . ولا شك أن منصب الوزارة حَفظ ثِقَله فى زمن وزارة الوزير الحسن بن على اليازورى (٤٤٢ - ٤٥٠ / ١٠٥٠ - ١٠٥٨) الذى سجَّل

---

[١] ابن القلانسى : ذيل ٨١ ، الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ١٣٦ - ١٣٩ ، ٣١٥ - ٣٢١ .

[٢] Wiet, G., *RCEA* VII, n° . 2402 , 2417, 2418, 2501, 2506, 2509 - 2513.

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٩ .

[٤] فيما عدا بَرْجَوَان والحسين بن جوهر وعلى بن صالح . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٥ - ٤٨٦) .

[٥] ابن ميسر : أخبار ٣ - ٤ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١٩٥ .

المؤرِّخون ألقابه التى تعدَّت ما جرى به الرَّسْم فى هذا الوقت[١] . فعندما عَهَد إليه الخليفة المُسْتَنْصر بمنصب الوزارة فى سنة ٤٤٢ / ١٠٥٠ كان يشغل مناصب القضاء والدَّعْوَة وتولَّى النَّظَر فى ديوان أم المستنصر فنُعِت « بالناصر للدين غيَّاث المُسْلمين الوزير الأجَلّ المُكَرَّم سَيِّد الرُّؤساء تاجِ الأصْفِياء قاضى القضاة وداعى الدُّعاة »[٢] . ولكن بعد عَزْل هذا الوزير فى سنة ٤٥٠ / ١٠٥٨ وفى أعقاب فَشَل الفاطميين أمام السَّلاجِقَة والذى كانت عواقبه وخيمة على مصر ، دخلت مصر فى أزمة إدارية كبيرة ، ففى خلال الفترة بين وفاة اليازورى ووصول بدر الجمالى إلى قمة السُّلْطة أُبْعِد أربعة وخمسون وزيرًا واثنان وأربعون قاضيًا لم يتمكن بعضهم من مزاولة منصبه سوى أيام ، ولم يستطيعوا حِفْظ أمن البلاد مما حدا بالخليفة المستنصر ، الذى حار أمام الفِتَن والأزمات التى كانت تتفاقم يومًا بعد يوم ، إلى اللجوء إلى قائدٍ عسكرى هو والى عَكَّا بدر الجمالى يستدعيه لإنقاذ عرشه .

٢ - وزارة التفويض

فور أن انتهى بَدْرُ الجَمَالى من إعادة النظام إلى الدولة ونَشْر الأمْن بين ربوعها ، فوَّضه الخليفة المستنصر فى جميع سلطاته ومَنَحه إشرافًا عامًا على شئون الدولة . وبقبول بدر الجمالى منصب الوزارة مضافًا إلى إمْرة الجيوش بدأ عصرٌ جديدٌ فى تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر ، عصرٌ تحكَّم فيه الوزراء أرباب السيوف وأصبحوا الحكَّام الفعليين للدولة ، وفقدت فيه الدَّعْوَة الكثير من قوتها بعد فَشَل محاولة البَسَاسيرى ، وبعد الأزمة الاقتصادية الطاحنة التى

---

[١] ابن ميسر : أخبار ١١ ، ابن الصيرفى : الإشارة ٤٠ - ٤٥ ، ابن ظافر : أخبار ٧٨ ، المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٣٥٩ ظ - ٣٦٨ ظ ، ابن حجر : رفع الإصر ١٩٠ - ١٩٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٢ .

[٢] نفسه ١١ ، المقريزى : المقفى ٣٦١ ظ .

مرَّت بها البلاد ، وبعد تقلُّص دور مصر الدولى فى أعقاب خروج شمال إفريقيا وصِقِلِيَّة وبلاد الشام عن سيطرة الفاطميين الذين وجَّهوا كل اهتمامهم إلى إنجاح استراتيجيتهم الشرقية للسيطرة على طرق تجارة الهند والشرق الأقصى ، وأصبح همُّ الوزراء هو الحِفَاظ على بقاء الدولة واستمرارها فيما اصْطُلِح على تسميته بـ «عصر نفوذ الوزراء» .

وبالفعل فقد حَفظ نظام بدر الجمالى وخلفائه المباشرين : الأفْضَل والمأمون البَطَّائحى ، الدولة الفاطمية وأطال بقاءها وأجَّل سقوطها نحو مائة عام أخرى بفضل سيطرتهم التامة على نظام الدولة الإدارى والدينى والعسكرى .

وهكذا أصبح بدرٌ الجمالى أول قائد عسكرى يوليه الفاطميون الوزارة[١] ، التى أصبحت منذ هذا التاريخ تقوم مقام السَّلْطَنَة ، أو كما يقول القلقشندى : «إن الوزير إذْ ذاك كان فى منزلة السلطان الآن»[٢] ، يتَّضح ذلك مما ورد فى سجل تولية بدر على لسان الخليفة حيث يقول : «... وقد قلَّدك أميرُ المؤمنين جميع جوامع تدبيره ، وناط بك النظر فى كل ما وراء سريره ، فباشِر ما قلَّدك أميرُ المؤمنين من ذلك مدبِّراً للبلاد ومُصْلِحًا للفساد ومدمِّرًا أهل العناد»[٣] ، كذلك فقد ذكر المستنصر فى أحد سجلاته التى وجَّهها إلى دعاة اليمن أنه «فوَّض إليه أمور المُلْك الذى استخلفه الله تعالى على سلطانه»[٤] . يقول المقريزى : «فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض ويقال لمتوليها «أميرُ الجُيُوش» وبَطُل اسم الوزارة»[٥] .

---

(١) ابن ميسر : أخبار ٣٩-٤٠ ، ابن خلكان : وفيات ٢ : ٤٤٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٢ ، ٤٤٠ و الاتعاظ ٢ : ٣١١ - ٣١٢ .

(٢) القلقشندى : صبح ١٠ : ٨٠ ، ٣١٠ ، ٤٤٦ ، السيوطى : حسن ٢ : ٢١٥ .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ١٣٢ .

(٤) السجلات المستنصرية سجل رقم ٣٤ ، ٥٩ .

(٥) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ .

وكان لقبُ «أمير الجيوش» قبل بدر الجمالى ، كما يقول المقريزى ، مخصَّصًا لصاحب ولاية دِمَشْق[1] . ولكن بدر الجمالى أضفى شُهْرةً على هذا اللقب بشكل مثير للإنتباه حتى إنه حلَّ محل اسمه الشخصى للتدليل عليه . ورغم أن خلفاءه تلقَّبوا كذلك بلقب «أمير الجيوش» ، بما أنهم كانوا «وزراء سيوف» أى قادةً للجيش فى نفس الوقت ، فإن بدر الجمالى احتفظ وحده لدى المؤرِّخين المتأخِّرين بميزة أنهم كانوا يكتفون فقط لتعريفه بذكر لقبه «أمير الجيوش» دون أن يجدوا ضرورةً لإلحاق اسمه الشخصى بهذا اللقب . ومن هذا اللقب اشتقت النسبة «الجُيُوشِى»[2] .

واعتبارًا من بدر الجمالى حَمَل جميع وزراء التفويض ألقابًا خاصة بهم لتأكيد قوة منصبهم ، فقد جمعوا إلى جانب قيادة الجيش جميع الإدارات المدنية والقضائية وحتى الدينية . وهكذا فإن جميع شئون الدولة ، دون استثناء ، أصبحت خاضعة لسلطتهم ، ولم يبق للخليفة معهم أية سلطة[3] .

وقد أدرك داعى الدُّعاة المُؤَيَّد فى الدين الشِّيرازى الخطر الذى يتهدَّد مستقبل الدَّعْوَة الفاطمية على يد الوزراء أرباب السيوف . وقد أشار بالفعل

---

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ . وكما يذكر ابن القلانسى وابن ظافر فإن أوّل من تلقُّب «أمير الجيوش» من ولاة دمشق كان القائد أنوشتكين الدزبرى (ذيل ٧١ ، أخبار ٦٣) . انظر كذلك : المسبحى : أخبار مصر ١٢٣ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٢٥٢ ، Stern, S.M., *Fatimid Decrees*, pp. 25, 30; Wiet, G., «Un proconsul fatimide de Syrie : Anushtakin Dizbiri (m. en 433 / 1042)», *MUSJ* XLVI (1970), pp. 383 - 407; Bianquis, Th., *Damas et la Syrie sous la domination* fatimide pp. 175-273.

ويجب أن نذكر أن بدر الجمالى فى الفترة التى تولى فيها ولاية دمشق (٤٥٥ و ٤٥٧) لم يكن يلقب «بأمير الجيوش» وإنما «مقدّم الجيوش» . (Sauvaget, J., «Une inscription de Badr al - Gamâlî »), *Syria* X (1929), pp. 137 - 138; Wiet, G., *RCEA* VII, n° 2651. ابن القلانسى : ذيل ٩١ ، (Bianquis, Th., *op. cit.*, p. 556.

(2) Wiet, G., *CIA* Egypte II, pp. 147 - 148.

(3) القلقشندى : صبح ١٠ : ٣١ ، ماجد : نظم الفاطميين ١ : ٨٣ - ٨٤ .

فى سيرته الذاتية ، التى دوَّنها نحو سنة ٤٦٠ / ١٠٦٨ ، إلى مدى ضعف الخلافة وكيف أصبح المستنصر ألعوبة فى أيدى وزرائه[١] . فعمل لذلك على نقل تراث الدعوة من مصر إلى اليمن قبل وفاته سنة ٤٧٠ / ١٠٧٨ بواسطة رُسُلِه ودُعَاتِه حيث يوجد مؤمنون حقيقيون بالدَّعْوَة الفاطمية[٢] .

وصَدَق حَدْس الداعى المُؤَيَّد فبعد وفاته أضاف الخليفة المستنصر إلى بدر الجمالى مهمة الإشراف على القضاء والدَّعْوة بالإضافة إلى منصبى الوزارة وإمْرَة الجيوش وزاد فى ألقابه « كافِل قُضَاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين »[٣] . يؤكِّد ذلك أن الكتابتين التاريخيتين اللتين تحملان اسم بدر الجمالى ويرجع تاريخهما إلى صَفَر وربيع الأول سنة ٤٧٠ ، والسجلات المدوَّنة قبل ٣٠ ذى القعدة سنة ٤٧٠ لا تشير إلى هذه الألقاب .

وهذا ما تثبته كذلك دراسة الكتابات الأثرية الخاصة ببدر الجمالى و « السِّجِلّات المستنصرية » المرسلة إلى دُعَاة اليمن بعد هذا التاريخ . ففيما يخص الكتابات توجد مجموعة من النقوش مؤرَّخة فى سنة ٤٧٠ / ١٠٧٧ ، قبل وفاة داعى الدُّعاة المُؤَيَّد فى الدِّين هِبَةُ الله الشِّيرازى فى شَوَّال من هذه السنة ، يُنْعَت فيها « بالسيد الأجلّ أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام »[٤] ؛ ثم

---

[١] المؤيد فى الدين : سيرة ٨٠ و ٨٤ .

[٢] محمد كامل حسين : مقدمة ديوان المؤيد فى الدين ١٥ ، حسين الهمدانى : الصليحيون والحركة الفاطمية فى اليمن ١٧٧ – ١٧٩ ، Hamdani, H. « Some unknown ismaʿili authors and their works », *JRAS* (1933), pp. 362, 376, 377; Hamdani, A., *Beginnings of the Ismaʿīli Daʿwa in Northern India*, Cairo 1955, p. 15; id., « The Fatimid Abbasid Conflict in India » *IC* (1967), p. 190 ، أيمن فؤاد سيد : مصادر تاريخ اليمن ٤٦ و تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن ١٣٧ .

[٣] ابن ميسر : أخبار ٤٥ وانظر كذلك النويرى : نهاية – خ ٢٦ : ٧٠ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٢ ، ٤٤٠ والاتعاظ ٢ : ١١٣ ، ٣١٩ والمقفى (خ . السليمية) ٢٤٣ ظ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ١٣٢ .

[٤] Wiet, Gaston, *RCEA* VII, n°. 2716.

مجموعة أخرى ، أقدمها يرجع إلى سنة ٤٧٧ / ١٠٨٤ ، تضيف إلى الألقاب السابقة « كافل قضاة المسلمين وهادى دُعَاة المؤمنين »[١] .

وقد أوضح ابن مُيَسَّر فى نصٍّ صريح أن قضاء القضاة فُوِّض فى شعبان سنة ٤٧٠ إلى أمير الجيوش[٢] ، ويذكر المستنصر فى السِّجِلّ المؤرخ فى شوال سنة ٤٧٢ / إبريل ١٠٨٠ أنه أضاف إلى ألقاب بدر لقب « كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين » ليُقَلِّده أمور الدنيا وأمور الدين[٣] . وبذلك أصبح بدر مصدر كل قرارات الدولة ، ولكن لا يجب أن نظن أن بدرًا كان يقوم بنفسه بأداء عمل القاضى أو الداعى ، وإنما « جَعَل القاضى والداعى نائبين عنه ومقلَّدَيْن من قِبَلِه » وزيد له فى الزىّ « الحَنَك مع الذُّؤابة المرخاة والطَّيْلَسان المُقَوَّر زى قاضى القضاة »[٤] .

وإذا كانت المصادر الأدبية لا تمدّنا بالألقاب الكاملة للوزراء الفاطميين أرباب السيوف ، فإن الكتابات التاريخية والوثائق الرسمية أو صورها المحفوظة فى المصادر الأدبية ، وهى وثائق لا تقبل الشك ، تمدّنا بألقاب الوزراء الفاطميين : بَدْرُ الجَمَالى والأفضَل شَاهِنْشَاه والمأمون البَطَائِحى وبَهْرَام الأرمنى وعبَّاس الصنْهاجى وطَلَائع ابن رُزِّيك . أما ألقاب ابن مَصَال وابن السَّلار التى لم تُذْكر فى أى مصدر فيُفْترض أنها مطابقة لألقاب بَهْرام ورِضْوَان بن وَلَخْشِى بما أن نفس هذه الألقاب استخدمت لعبَّاس الوزير التالى لهما والذى نملك سجلًا يحمل ألقابه . وفيما يخص الوزراء الأواخر للدولة الفاطمية : رزِّيك بن طلائع وضِرغام وشاور السَّعْدى وأسد الدين شيركوه وصلاحُ الدين فقد وردت ألقابهم فى المصادر الأدبية فقط .

---

(١) Wiet, G., *RCEA* VII, n°. 2745, 52, 62, 76, 94, 96; JA (1961), p. 14 - 15.

(٢) ابن ميسر : أخبار ٤٠ ، ٤٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٢ والاتعاظ ٣ : ٣١٣ ، ٣١٩ .

(٣) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٥٩ ، المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٢٤٢ ظ .

(٤) ابن الصيرفى : الإشارة ٥٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٢ ، ٤٤٠ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٢ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٣٧ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ١٣٢ .

وفيما يلى الترتيب المستقر لألقاب وزراء السيوف الفاطميين ابتداء من بدر الجمالى وحتى ظهور لقب «المَلِك» بين ألقاب الوزير .

«السيد الأجلّ [النَّعْت الشخصى للوزير الذى أصبح ابتداء من الصَّالح طَلَائِع لقب «ملك»] أمير الجيوش سيف الإسلام ، ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين [ثم اسم وكنية ولقب الوزير الشخصى] »[1] .

وعادة ما يَتْبع لَقَبَ « السيد الأجَلّ » ، مباشرة النَعْتُ الشخصى للوزير . وكان هذا النعت هو «أميرُ الجُيُوش» بالنسبة لبدر الجمالى[2] و «الأَفْضَل» بالنسبة لابنه شاهنشاه[3] وحفيده أبى على كُتَيْفات[4] ولرِضْوان بن وَلَخْشِى[5] ، و «المَأْمُون» لمحمد بن فاتك البَطَائحى[6] ، و «المُفَضَّل» لسليم بن مَصَال[7] ، و «العَادِل» لعلىّ بن السَّلار[8] . أما الوزير عبَّاس الصِّنهاجى فقد ورد لقبه أحيانًا « الأَفْضَل »[9] وأحيانًا أخرى « العَادِل »[10] . والاسستثناء الوحيد لهذه القاعدة

---

(1) Wiet, G., *CIA* Egypte II, pp. 173 - 174.

(2) انظر أعلاه ص ٤٥° .

(3) السجلات المستنصرية ، سجل رقم ٣٥ و ٤٣ ، Wiet, G., *RCEA* VIII, n°. 2912, 2986.

(4) ابن ظافر : أخبار ٩٤ ، ابن ميسر : أخبار ١١٦ ، ابن الأثير : تاريخ ١٠ : ٦٧٢ ، النويرى : نهاية - خ ٢٦ : ٨١ ، ابن الفرات : تاريخ (خ . فيينا) ٣ : ٢٠ ، المقريزى : المقفى (خ . السليمية) ٨١ ظ والاتعاظ ٣ : ١٤٣ - ١٤٤ ، السيوطى : حسن ٢ : ٢٠٥ .

(5) ابن ميسر : أخبار ١٢٦ ، النويرى : النهاية - خ ٢٦ : ٩٠ وانظر أيضًا ابن ظافر : أخبار ٩٨ وفيما يلى ص ٤٧ .

(6) نفسه ٨٨ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٤٨٨ ، المقريزى : المقفى (خ . ليدن) ٢ : ٢١٢ ظ والاتعاظ ٣ : ٦٤ - ٦٥ ، Wiet, G., *RCEA* VIII, n°. 3012; Dunlop, D. M., *EI²*., art. *al - Baṭâ'iḥî* I, p. 1124.

(7) نفسه ١٤١ ، Canard, M., *EI²*., art. *Ibn Maṣâl* III, p. 892 .

(8) نفسه ١٤٢ ، القلقشندى : صبح ١٣ : ٢٤٢ - ٢٤٣ ، Wiet, G., *EI²*., art. *al - Adil b.al - Salâr* I, p. 204.

(9) نفسه ١٤٦ ، Stern, S. M., *Fatimid Decrees* pp. 65 - 69, id., *EI²*., art. *Abbâs b. Abil - Futûḥ* I, pp. 9 - 10.

(10) القلقشندى : صبح ١٠ : ٤٢٢ .

الوزير يانس الرومى والوزير النَّصْرانى بَهْرَام الأرمنى ، فقد لُقِّب الأول « بأمير الجيوش » فقط[1] ولُقِّب الثانى « بسَيْف الإسلام تاج الملوك »[2] .

وذكر ابن الأثير وأبو الفِدَا والقلقشندى والمقريزى أن رِضْوان بن وَلَخْشِي « هو أوّل من لُقِّب من وزرائهم « بالملك » مضافًا إلى بقية الألقاب »[3] عندما وَزَر للحافظ لدين الله خلفًا لبَهْرَام الأرمنى فقيل له « السَّيِّدُ الأَجَلُّ الملك الأَفْضَل »[4] ، وأكَّد المقريزى ذلك فى « الاتعاظ » بقوله « وخَلَعَ عليه [الحافظ] خِلَع الوزارة يوم الجمعة ثالث عشر جمادى الأولى [سنة ٥٣١] ونُعِت « بالسَّيِّد الأَجَلّ الملك الأَفْضَل » »[5] . ولكن ما يذكره المقريزى هنا يناقض نصًا آخر للمقريزى نفسه فى « الاتعاظ » حيث يذكر فى ترجمة الوزير طَلَائع بن رُزِّيك أن الخليفة الفائز أمر بأن يكتب له « سجل عظيم نُعِت فيه « بالمَلِك الصَّالِح » » وأضاف قائلًا « ولم يُلَقَّب أحدٌ من الوزراء قبله بالملك وذلك فى يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر سنة تسع وأربعين وخمسمائة »[6] . ويؤكد ذلك ما ذكره ابن مُيَسَّر من أن الخليفة الحافظ أَخْلَع على رِضْوان بن وَلَخْشِي خِلَع الوزارة ونعته فقط « بالأَفْضَل »[7] ، وكذلك

---

(1) ابن ميسر : أخبار ١١٧ - ١١٨ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٥٠٦ .

(2) نفسه ١٢٢ ، القلقشندى : صبح ٨ : ٢٦٠ - ٢٦١ و ١٣ : ٣٢٥ ، Stern, S. M., *Fatimid Decrees* pp. 53, 59.
وراجع حول هذه الألقاب أيضًا ما ذكره القلقشندى : صبح ٥ : ٤٤٣ ، ٤٨٧ .

(3) ابن الأثير : تاريخ ١١ : ٤٨ ، أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ٣ : ١٢ ، القلقشندى : صبح ٥ : ٤٨٧ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ .

(4) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ .

(5) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦١ .

(6) نفسه ٣ : ٢١٨ ، ٢٥١ والخطط ١ : ٤٤٠ ، ساويرس بن المقفع : تاريخ ٣/ ١ : ٤٦ الذى يذكر أن طلائع بن رزّيك نعت عند استقراره فى الوزارة بالملك الصالح . وانظر نص هذا السجل عند السيوطى : حسن ٢ : ٢٠٥ - ٢١٤ ، الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ١٥١ - ١٥٣ و ٣٣٧ - ٣٥٠ وراجع أيضًا Wiet, G., *RCEA* XIII, n°. 3489; XIV, n°. 3231; Stern, S.M., *op. cit.*, pp. 60, 76.

(7) ابن ميسر : أخبار ١٢٦ .

سِجِل تقليد رضوان الوزارة ، والذى حَفَظَه القلقشندى ، وتقرَّرت فيه نعوته « بالسَّيِّد الأَجَلّ الأَفضَل أمير الجيوش سَيْف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو الفتح رضوان الحافظى »[1] .

وهكذا عَظُم أمر الوزارة منذ أن تولَّاها أمير الجيوش بدر الجمالى « وصارت قائمة مقام السلطنة الآن » كما يقول القلقشندى[2] ، وأصبح وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر إلى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحلّ والعَقْد وإليه الحُكْم فى الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكُتَّاب وسائر الرعية وهو الذى يُوَلّى أرباب المناصب الديوانية والدينية[3] .

وأصبحت الوزارة فى أواخر عصر الدولة الفاطمية ، كما يقول ابن الأثير ، « لِمَنْ غَلَب » ، والخلفاء من وراء الحجاب ، والوزراء كالمتملكين ، وقلّ أن وليها أحدٌ بعد الأَفضَل إلَّا بحرب وقتل وما شاكل ذلك »[4] .

ونظرًا لأن الخليفة الآمر بأحكام الله أمضى العشرين عامًا الأولى لحكمه (٤٩٥ – ٥١٥) محجورًا عليه من الوزير القوى الأَفضَل شاهنشاه ثم شارك فى الحكم مع الوزير المأمون البطائحى (٥١٥ – ٥١٩) فإنه بعد أن تمكّن من أمره وعَزَل الوزير المأمون البطائحى لم يستوزر بعده وزير سيف بل اسْتَبَدَّ بالأمور وتصرَّف فى سائر أحوال المملكة وباشرها بنفسه[5] واكتفى باتخاذ صاحِبَي ديوان أحدهما مسلم يعرف بجعفر بن عبد المنعم بن أبى قيراط ، والآخر سامرى اسمه أبو يعقوب إبراهيم وجعل معهما مستوف راهب يعرف بأبى نَجَاح بن قَنّا[6] .

---

(1) القلقشندى : صبح ٨ : ٣٤٢ – ٣٤٦ ، الشيال : مجموعة الوثائق ٣٢٦ – ٣٣٣ .

(2) نفسه ٥ : ٤٨٧ ، ١٠ : ٣١٠ .

(3) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ .

(4) ابن الأثير : تاريخ ١١ : ١٨٥ .

(5) ابن ميسر : أخبار ١١١ ، المقريزى : اتعاظ ٣ . ١٢٩ ، ١٣٢ .

(6) فيما يلى ص ٢ – ٢٣ ، ابن ميسر : أخبار ١٠٧ – ١٠٨ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١٥-١١٦ .

وكذلك فَعَل الخليفة الحافظ لدين الله فإنه بعد أن اعتقل الوزير رِضْوان بن وَلَخْشى فى سنة ٥٣٣ لم يستوزر بعده أحدًا إلى وفاته فى سنة ٥٤٤ ، بل استخدم كذلك « كُتَّابًا على سُنَّة الوزراء أرباب العمائم كأبى عبد الله محمد بن الأنصارى والقاضى الموفَّق التِنِّيسى وصنيعة الخلافة أبى الكرم الأَخْرَم النَّصْرانى »[١] .

وعندما تولَّى الوزير شاور السَّعْدى الوزارة للخليفة العاضد للمرة الثانية بعد انتصاره على ضِرْغام فى رجب سنة ٥٥٩/١١٦٤[٢] جَدَّ أمرٌ جديد على نظام الوزارة الفاطمية ، فقد عُيِّن ابنه الكامل شُجاع نائبًا لأبيه فى الوزارة . وهى المرة الأولى التى يصادفنا فيها تعيين نائب لأحد وزراء الفاطميين أثناء وجوده ومباشرته الحكم[٣] . وجاء تعيين الكامل فى منصب نائب الوزارة بعد حريق الفسطاط فى سنة ٥٦٤/١١٦٨ فى الوقت الذى استبدَّت فيه حامية الفِرِنْج بالقاهرة[٤] . والسبب الذى دعا العاضد إلى التفكير فى إنابة الكامل عن أبيه هو الاختلاف الواضح بين موقف كل من الخليفة العاضد والكامل من جهة والوزير شاور من جهة أخرى من الفِرِنْج وجيوش نور الدين . فبينما سعى شاور إلى مصالحة الفِرِنْج كان العاضد والكامل يؤيدان الاستنجاد بجيوش نور الدين[٥] . ونتيجة لاستبداد

---

(١) ابن ظافر : أخبار ٩١ ، ابن ميسر : أخبار ١٤٠ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب ١ : ١٣٩ .

(٣) أناب بدر الجمالى ولده الأفضل شاهنشاه فى حياته كما يتضح من السجل رقم ٢٧ من السجلات المستنصرية المؤرخ يوم السبت عيد الأضحى سنة ٤٧٨ ، وكذلك من الكتابة التاريخية التى حفظها المقريزى والسخاوى والتى تفيد مشاركة الأفضل لأبيه فى سنة ٤٨٢ وهى الكتابة التى تعين الترميم الذى قام به بدر الجمالى فى هذه السنة لمشهد السيدة نفيسة . (الخطط ٢ : ٤٤٢ ، والسخاوى : تحفة الأحباب ١٣٥ ، وانظر كذلك ساويرس بن المقفع : تاريخ ٢/٣ : ٢٤٣ الذى يذكر أن الأفضل شاهنشاه تولى الأمر فى العشر الأخير من شهر ربيع الأول سنة سبع وثمانين وأربعمائة قبل وفاة والده بدر الجمالى الذى كان قد مرض وانفلج لكبر سنه ، وأن المستنصر كتب له سجلا بتقليده أمور المملكة والنظر فى سائر أمور الدولة وقضاياها وشرائعها وأحكامها

(٤) المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٨٩ .

(٥) الشيال : المرجع السابق ١٦٩ – ١٧٠ .

حامية الفِرِنْج بالقاهرة فقد عهد الخليفة العاضد فى هذا السجل إلى الكامل بالإشراف على مدينة القاهرة لتأمينها من الفوضى التى أحاقت بها على أيدى حامية الفِرِنْج وبسبب انتقال أهل الفسطاط إليها بعد حريق مدينتهم[1] .

ومنذ أن تولى شاور الوزارة للمرة الثانية بَطُل لقب «أمير الجيوش» واستعيض عنه بلقب «سلطان الجيوش»[2] فقد كان هذا هو أيضًا لقب أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقت أن توليا الوزارة للعاضد[3] .

والأمر الذى يُمَيِّز منصب الوزارة فى العصر الفاطمى هو أن الكثير من وزراء الفاطميين ، سواء الذين مُنِحوا لقب الوزارة أو لقب الوَسَاطَة ، كانوا من النَّصَارى مثل : عيسى بن نَسْطورس وزير العزيز وكذلك زُرْعة بن نَسْطورس الشَّافى الذى خَلَف وزيرًا نصرانيًا آخر هو منصور بن عبدون الكافى ، كلاهما فى أيام الحاكم[4] ، وأبو سعد منصور بن أبى اليُمن سورس ابن مكرَوَاه بن زنبور الذى كان نصرانيا وأسلم ، قال ابن ميسر : والنصارى تُنْكِر إسلامه . ونحن لا نعرف إذا كان يانس الأرمنى الذى كان وزيرًا للحافظ لعِدَّة شهور قد أُسْلَم أم ظلّ على نصرانيته . أما الحالة الصارخة فهى حالة الوزير بَهْرام الأرمنى الذى ظلَّ على نصرانيته رغم كونه وزير سيف بكل سلطته ولُقِّب «بسيف الإسلام»[5] . وفى المقابل فإن اليهود رغم أنهم شغلوا دائمًا مناصب هامة فى زمن الفاطميين فإنه يبدو أنهم كان عليهم أن يتحوَّلوا

---

[1] القلقشندى : صبح ١٠ : ٣١٨ - ٣٢٥ ، الشيال : المرجع السابق ١٥٧ و ٣٦٧ - ٣٧٩ .

[2] نفسه ١٠ : ٣١٠ .

[3] نفسه ١٠ : ٦ و ٨٠ و ٩١ ، وابن واصل : مفرج الكروب ١ : ١٦٤ و ٢ : ٤٤٣ .

[4] نفسه ٣ : ٤٨٦ .

[5] ابن ميسر : أخبار ١٢٢ .

إلى الإسلام ليتولوا منصب الوزارة : فقد اعتنق ابن كِلّس الإسلام وكذلك أبو سعد إبراهيم بن سهْل التُستَرى ، الذى تولّى الوَسَاطَة فترة قصيرة للمستنصر ، وصَدَقَة بن يوسف الفَلَاحِى[1] .

تَطَوُّر الدَّواوين الفاطمية

مرَّ تطوُّر «الدَّواوين المصرية» بثلاث مراحل متميِّزة رغم أن استمرارية النُظُم الإدارية فى مصر تميل إلى أن تكون أقوى من تغيير الحكومات والأنْظِمَة الحاكمة . فلا يوجد فى الواقع فاصلٌ واضحٌ بينها . وهذه المراحل هى : عصرُ الوُلَاة والدُّول المُسْتَقِلة (١٩ – ٣٥٨/٦٣٩ – ٩٦٩)[2] وعصرُ الدولة الفاطمية (٣٥٨ – ٥٦٧ / ٩٦٩ – ١١٧١)[3] والعصرُ الأيوبى المملوكى (٥٦٧ – ٩٢٣/١١٧١ – ١٥١٧)[4] . فقد استحدث الفاطميون أمورًا كثيرة فى نظام الحُكْم لم تكن قبلهم ، كما أن الأيوبيين استمدُّوا نظام دولتهم من نظام الأتابكة

---

[1] نفسه ٣ – ٥ ، ٢٥ ، ٥٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٤ ، Fischel, W. J., *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*, New York 1969, p. 80.

[2] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٧ وانظر سيدة إسماعيل كاشف : مصر فى عصر الولاة ، القاهرة ١٩٨٨ ، ٢٥ – ٦٦ و مصر فى عصر الإخشيديين ، القاهرة ١٩٧٠ ، ١٦٥ – ٢١١ ، Hassan, Z. M., *Les Tulunides*, Paris 1933, pp. 163 - 231.

[3] نفسه ٣ : ٤٦٨ – ٥٢٦ ؛ عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر فى عهد الفاطميين ، القاهرة ١٩٤٨ ؛ عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ج ١ ، القاهرة ١٩٥٣ .

[4] نفسه ٤ : ٥ – ٧٢ ، ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (مصر والشام والحجاز واليمن) ، القاهرة ١٩٨٥ ، Rabie, H., *The Financial System of Egypt A.H. 564 - 741 / A.D. 1169 - 1341*, London 1972 ، على إبراهيم حسن : دراسات فى تاريخ المماليك البحرية وفى عصر الناصر محمد بوجه خاص ، القاهرة ١٩٤٤ ، ١٨١ – ٢٩٥ ، عبد المنعم ماجد : نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم فى مصر ج ١ ، القاهرة ١٩٦٧ ، Gottschalk, H.L., *EI²*., art. *Diwān*, II, pp. 336 - 341.

والسَّلاجِقة[1] ، وكانوا أصل الدولة التركية[2] بحيث أن المماليك لم يُدخِلوا تغييرًا كبيرًا على أسلوب الحُكْم وجهاز الإدارة الأيوبى .

وقد لقيت دواوين الدولة تغييرات وتعديلات كبيرة طوال الفترة الفاطمية التى استمرت أكثر من قرنين من الزمان . ولم يعرف الفاطميون أغلب هذه الدَّواوين خلال الستين عامًا التى أمضوها فى شمال إفريقيا ، كما أن قسمًا كبيرًا منها لم تعرفه النُظُم المصرية السابقة على الفاطميين ، بل استحدثه الفاطميون بعد انتقالهم إلى مصر . فالتنظيم الصارم الذى أدخله يعقوب بن كِلِّس وعُسْلُوج ابن الحسن على الإدارة والنُّظُم المالية كان أساس النِّظام المُعَقَّد للمُؤسَّسَات العامة التى نَمَت وتبدَّلت أو استُجِدَّت تدريجيًا طوال العصر الفاطمى[3] .

ومصادر معلوماتنا الرئيسية عن دواوين الدولة الفاطمية فى مصر نستمدها من كتابين هما : « صُبْح الأعْشَى » للقَلْقَشَنْدى و « خِطَط » المَقْريزى . وبالنسبة للفاطميين المتأخِّرين وبداية العصر الأيوبى يُمَثِّل كتاب « قَوَانين الدَّواوين » لابن ممَّاتى و « المِنْهاج فى أحكام صَنْعة الخراج » للمَخْزُومى بالإضافة إلى كتابَىّ « لُمَع القوانين المُضِيَّة » و « تاريخ الفيوم وبلاده » للنابُلْسى أهمية خاصة . أما « ديوان الإنْشَاء » أو « الرَّسَائِل » فنحن نملك عنه كتابين مستقلَّيْن أحدهما عن الفترة الفاطمية الأولى هو « مَوَادُ البَيَان » لعلى بن خَلَف ، والآخر عن الفترة الفاطمية الثانية هو « قانون ديوان الرَّسائل » لعلى بن مُنْجِب ابن الصَّيْرَفى بالإضافة إلى صُوَر السِّجِلَّات والمناشير التى أوردها القلقشندى فى « صُبْح الأعْشَى » .

---

(1) القلقشندى : صبح ٣ : ٥ .

(2) نفسه ٧ : ١١٩ .

(3) راجع ، Lev, Y., « The Fatimid vizier Yaʿqûb Ibn Killis and the Beginning of the Fatimid Administration in Egypt », *Der Islam* 58 (1981), pp. 237 - 249.

وقد اعتمد عَرْضُ القلقشندى والمقريزى لدواوين الدولة الفاطمية فى الأساس على ما أورده ابن الطُّوَيْر فى « نُزْهة المُقْلَتَيْن » ، وهى النصوص التى يجدها القارىء فيما يلى من صفحات هذا الكتاب .

وتُقَدِّم لنا الوثائق الرسمية القليلة التى وصلت إلينا من العصر الفاطمى أسماء عدد من الدّواوين لم يرد لها ذِكْرٌ فى القائمة التى أوردها القلقشندى والمقريزى . فقد كانت العادة أن يُسَجِّل الكاتب فى نهاية كل سجل أو منشور أسماء الدواوين التى يجب أن يُثْبَت أو يُخَلَّد بها السِّجِل أو المَنْشور .

° ° °

وعَرَف الفاطميون فى بداية حكمهم فى مصر عددًا من الدَّواوين ، ذكر أغلبها المُسَبِّحى فى تاريخه ، استمر بعضها يعمل إلى نهاية دولتهم وزال أغلبه أو تبدَّل أو تغيَّرت أهميته فى النصف الثانى من تاريخ الدولة . ولا تعيننا المعلومات المتوافرة لنا على دراسة تطوُّر الدَّواوين الفاطمية فى النصف الأول من تاريخ حكمهم فى مصر . فتاريخ المُسَبِّحى – وهو أقدم مصدر فاطمى وصل إلينا إذا استثنينا تاريخ ابن زولاق – لا يذكر لنا سوى أسماء سبعة دواوين فقط استمر عدد قليل منها وتغيَّر أكثرها وتبدَّل بعد ذلك هى : ديوان الأَحْبَاس وديوان البريد وديوان التَّرْتيب وديوان الخَرَاج وديوان الشَّام وديوان العَرَائف وديوان الكُتَاميين[1] ، أضاف إليها ابن مُيَسَّر والمقريزى : الديوان المُفْرَد والديوان الخَاص وديوان النَفَقَات وديوان دِمَشْق وديوان أم الخليفة المستنصر[2] ؛ بالإضافة إلى ديوان الزِّمام وديوان الأولياء الكبار وديوان

---

(1) المسبحى : أخبار ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٠٩ ، أبو صالح : تاريخ ٥١ (٤٠ ب) .

(2) ابن ميسر : أخبار ٥ ، ٢٤ ، ٩٠ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤٠٨ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ٤٨ ، ٩٠ ، ١٠٨ .

الطهاوية (أو الظاهرية) والديوان الفَرَجى ، وهى الدواوين التى وردت فى إسجالات « السِّجل المنشور » الصادر عن الخليفة الظاهر فى المحرم سنة ٤١٥[١] . ويجب أن نضيف إلى هذه الدَّواوين دون شك « ديوان الإنشَاء والمكاتبات » أو « ديوان الرَّسائل » . وواضح أن بعض هذه الدواوين نشأ لخدمة أغراض معيَّنة ثم زال بزوال الغرض الذى أنشىء من أجله .

وقد قَسَّم على بن خَلَف فى كتابه « مَوَاد البيان » الذى أَلَّفه نحو سنة ٤٣٧ / ١٠٤٥ مراتب الوظائف الديوانية أو المتعلِّقة بصناعة الكتابة إلى خمس عشرة مَرْتَبَة هى : الوَزَارة ، والتَّوْقيع والرَّسَائل ، والخَرَاج ، والضِّيَاع ، وبيت المال والخَزَائن ، والنَّفَقَات ، والجَيْش ، والزِّمام ، والبَريد والقَصّ ، والمَظَالِم ، وكتابة القضاء ، وكتابة القُوَّاد والأمراء ، وكتابة المَعَاون[٢] .

ولا يَتَّفق هذا الترتيب كذلك مع ما أورده المُسَبِّحى وابن مُيَسَّر ، كما أنه لا يفيدنا كثيرًا فى التعرُّف على طبيعة الوظيفة الموكلة إلى هذه الدواوين أو إلى هذه الوظائف الديوانية .

وأغلب هذه الدَّواوين لا يرد ذكره فى توصيف دواوين الإدارة الفاطمية فى العصر الفاطمى المتأخِّر الذى ترجع إليه هذه الأوصاف ، ولكن دراستها تدلنا على أن بعضها قد زال فى النصف الثانى من تاريخ الدولة الفاطمية وبعضها الآخر تغيَّر اسمه والدور الذى يقوم به .

فديوان الشَّام وديوان دِمَشْق وديوان الكُتَاميين وديوان أم الخليفة المستنصر والديوان الفَرَحى زالت بزوال سبب وجودها . فدور الكتاميين تلاشى فى أوائل القرن الخامس ، وديوان أم الخليفة تغيَّر دوره بتغير دور نساء القصر ونفوذهن ،

[١] Stern , S. M. *Fatimid Decrees* pp. 17 - 18 .

[٢] على بن خلف : مواد البيان ٧٠ — ٨٨ .

كما أن ديوان الشام وديوان دمشق زال دوره بخروج دمشق والشام عن السيطرة الفاطمية فى سنة ٤٦٨ / ١٠٧٥ .

أما أهم دواوين العصر الفاطمى الأوَّل التى استمرّت فى العصر الفاطمى الثانى ، مع تبدُّل أسمائها وتوسيع دورها ، فيأتى على رأسها « ديوان التَّرْتيب » أو « الرَّتيب » ، وقد تولَّاه المؤرِّخ المُسَبِّحى أكثر من مرة فى زمن الحاكم بأمر الله[1] ، كما تولَّاه أبو سَعْد محمد بن أحمد العَمِيدى الكاتب وعُزِل عنه سنة ٤١٣ قبل أن يتولَّى ديوان الإنشاء[2] ، كما ذكره ابن الصَّيْرَفى فى زمن أبى على الأفضل كُتَيْفات[3] . وقد جدَّد أبو عبد الله الأنصارى فى عهد الخليفة الحافظ ديوانًا سمَّاه « ديوان الترتيب » تعادِلُ وظيفته « ديوان البريد »[4] . أما عمل « ديوان الترتيب » فى العصر الفاطمى الأول فهو أشْبَه بالتنسيق بين دواوين الدَّولة وهو الدور الذى سيقوم به فى العصر الفاطمى الثانى « ديوان التحقيق » .

الدِّيوان الثانى هو « الدِّيوان المُفْرَد » وهو ديوان أحدثه الخليفة الحاكم سنة ٤٠٠ برسم مَنْ يُقْبَض ماله من المقتولين أو من يَسْخَط عليه الخليفة[5] ، وربما كان هذا الديوان هو الدِّيوان الذى عُرِف فى نهاية العصر الفاطمى « بديوان المُرْتَجَع » ، وقد جاء فى السِّجل الخاص بولاية متولِّى هذا الدِّيوان ، والذى أورده القلقشندى ، أنه الدِّيوان الخاص بالمُرْتَجَع عن الوزير بَهْرَام وغيره وأنه من أجَلّ الدواوين وأوفاها[6] .

---

(1) المسبحى : أخبار ١٠٩ ، ابن خلكان : وفيات ٤ : ٣٧٧ ، الصفدى : الوافى ٤ : ٨ .

(2) نفسه ١٣ ، ياقوت : معجم الأدباء ١٧ : ٢١٢ ، القفطى : انباه الرواه ٣ : ٤٧ ، الصفدى : الوافى ٢ : ٧٦ ، السيوطى : بغية الوعاة ١ : ٤٧ . وانظر كذلك ساويرس : تاريخ ٢ / ٣ : ١٧٨ س ١٧ .

(3) ابن الصيرفى : قانون ديوان الرسائل ٣٥ .

(4) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٤ – ١٩٥ .

(5) نفسه ٢ : ٨١ ، ٨٢ ، والخطط ٢ : ١٥ س ٢٦ – ٢٧ و ٢٨٧ س ١٤ – ١٥ .

(6) القلقشندى : صبح ١٠ : ٣٥٧ – ٣٥٩ . ربما كان هو الديوان الذى ذكر فى وثائق ديرسانت كاترين باسم « ديوان الاستيفاء على الاقطاعات المرتجعة ... » (Stern S. M., *op. cit.*, p. 37).

أما « ديوان الزّمام » الذى جاء ذكره فى السِّجل المنشور الصادر عن الخليفة الظاهر سنة ٤١٥[١] فيبدو أنه الدِّيوان الذى تحوَّل فى أواسط القرن الخامس إلى ديوان المَجْلِس . فالمقريزى ينقل عن « جامع سيرة الوزير الناصر للدين الحسن بن على اليازورى » أن ديوان المَجْلس هو زمام الدواوين ، بما يعنى أن ديوان المَجْلِس هو اسم جديد لديوان الزِّمام[٢] .

ولا ندرى إن كان « ديوان الخاص » الذى كان يتولّاه عيسى بن نسطورس فى زمن الحاكم[٣] هو نفسه « الديوان الخاص » الذى كان يتولّاه أبو الفضل جعفر بن عبد المنعم بن أبى قيراط فى زمن الآمر بأحكام الله[٤] !

° ° °

ديوانُ المَجْلِس وديوانُ النَّظر .

لاشك أن الديوان الرئيس بين الدَّواوين الإدارية الأربعة عشر للدولة الفاطمية والذى يقابلنا اسمه فى المصادر مع أواخر القرن الخامس ، هو « ديوان المَجْلِس » . وهذا الديوان ، كما يقول ابن الطُّوَيْر ، هو أصل الدواوين وفيه علوم الدولة بأجمعها ويقال لمتَوليه « صاحب ديوان المَجْلِس » ، ويشرف على إداراته المختلفة عددٌ من الكُتَّاب لكل واحد منهم مجلس مفرد ويعاونه معين أو معينان ، وصاحب هذا الديوان هو المتحدِّث فى الإقطاعات . وأهم كُتَّاب هذا الديوان هو « صاحب دَفْتَر المَجْلِس » ويكون عادة من الأستاذين المُحَنَّكين[٥] . وتتولَّى

[١] Stern , S. M., *op. cit* ., p. 17.

[٢] المقريزى : الخطط ١ : ٨٢ ، ٩٩ آخر سطر .

[٣] ابن ميسر : أخبار ١٧٩ ، المقريزى : الخطط ٢ : ١٩٦ س ٢٦ .

[٤] أبو صالح : تاريخ ٥٤ (٤٢ ب) .

[٥] من بين الذين تولوا دفتر المجلس : أبو الفضائل ابن أبى اللَّيْث أخو الشيخ أبو البركات يُحَنَّا بن أبى اللَّيْث . (أبو صالح : تاريخ ٦٤ (٥٠ ب) ، المقريزى : المقفى (مخ . ليدن) ٢ : ٢٠٦ ظ) .

إدارات هذا الديوان المختلفة الإشراف على الإنعامات والأُعطية ، ومَنْح الكُسْوات ، وتسجيل ما يرد من التُّحَف والهدايا من الملوك والأمراء ، وضَبْط ما يُنْفق فى الدولة من المهام لمعرفة ما بين كل سنة من التفاوت ، ويتم تنزيل كل ذلك فى « دَفْتر المجلس »[١] .

ويتّسم الدور الفَعَّال لديوان المَجْلِس بالمرونة حيث يشتمل على كل ما يتَّصل بالخليفة وتنظيم البلاط وتنظيم الأعياد والاحتفالات والنفقات الزائدة وتوزيع الإقطاعات ، والسياسة العامة ... إلخ .

ومن أهم مَهَام « ديوان المَجْلِس » عمل « الاسْتيمار » فى نهاية ذى الحجة من كل عام . فقد كان كتَّاب ديوان الرَّواتب (الذى أصبح فى فترة نجهلها فرعا لديوان المَجْلِس بعد أن كان فرعًا لديوان الجيش)[٢] يجتمعون فى هذا الوقت عند صاحب ديوان المَجْلِس ويحرِّرون قائمة بأسماء المرتزقين والمبالغ المؤدَّاة لهم عَيْنًا ووَرِقًا . وقد تولَّى مؤلِّفنا ابن الطُّوَيْر بنفسه ديوان الرَّواتب ، وذكر أن الاستيمار انعقد وقت تولِّيه هذا الدِّيوان على ما مبلغه نيف ومائة ألف دينار أو قريب من مائتى ألف دينار[٣] .

ويبدو أن « ديوان المَجْلِس » هو تسمية جديدة « لديوان الزِّمام » الذى كان موجودًا فى مطلع القرن الخامس[٤] . ولا تفيدنا المصادر فى التعرف على الفرق بين « ديوان المَجْلِس » و « ديوان النَّظَر » الذى يبدو ، من وَصْف ابن الطُّوَيْر ، أن صاحبه كان يرأس دواوين الأموال[٥] ، وكان لصاحبه العَزْل والولاية ، وهو الذى يتولَّى عرض الأوراق فى أوقات معروفة على الخليفة

---

[١] انظر فيما يلى ص ٧٦ .
[٢] المخزومى : المنهاج ٦٨ — ٦٩ .
[٣] انظر فيما يلى ص ٧٧ .
[٤] Stern, S. M., *op. cit.*, p. 17.
المقريزى : الخطط ١ : ٨٢ ، ٩٩ .
[٥] ربما كان الديوان الذى يسمّيه المخزومى « ديوان المال » . (المنهاج ٦٩ ، ٧٠ ، ٧٢) .

أو الوزير ، وله الاعتقال بكل مكان يتعلّق بنوّاب الدولة ، وهو الذى يندب المترسلين لطلب الحساب والحَثّ على طلب الأموال ، ولا يُعْتَرض فيما يقصده من أحد من الدولة . ولم يكن يتولّى هذا الديوان سوى المسلمين فيما عدا الأُخْرَم (الأكْرَم) النَّصْرانى الذى توصَّل إلى ولايته بالضَمَان فى سنة ٥٣٠ / ١١٣٦[١] .

و « ديوان النَّظَر » مما استُجِدَّ فى النصف الثانى من تاريخ الدولة الفاطمية[٢] ، وإن كانت وظيفته تبدو استمرارًا لوظيفة « ديوان النَّفَقات » الذى كان معروفًا فى أول القرن الخامس وتولّاه نجيب الدولة الجَرْجَرائى سنة ٤٠٩ / ١٠١٨ قبل أن يلى الوزارة[٣] ؛ ولم يكن ديوان النَّظَر معروفًا باسمه هذا فى العصر الفاطمى الأول كما ظَنَّ الدكتور حسنين ربيع ، فإشارة النُّوَيرى وابن مُيَسَّر التى يعتمد عليها تشير إلى أن أبا سَعْد التُسْترى تولّى نظر ديوان أم المستنصر وهو شىء آخر غير نظر الدّواوين[٤] .

وقد أمدّنا ابن مُيَسَّر بأسماء بعض من تولّوا نَظَر الدّواوين فى آخر عصر الدولة الفاطمية ، أُقدمهم الشريف معتمد الدولة بن جعفر بن غسَّان المعروف بابن أبى العَسّاف الذى تولّى نَظَر الدواوين بعد عَزْل وَلِىّ الدولة أبى البركات يُحَنَّا بن أبى الليْث عن ديوانى التحقيق والمَجْلِس سنة ٥٢٧[٥] . وفى سنة ٥٢٩ ولّى الخليفة الحافظ صنيعة الخلافة أبا الكرم الأُخْرَم ابن أبى زكريا النَّصْرانى نَظَر الدّواوين ، وهو النصرانى الوحيد الذى تولّى هذا الديوان ، إلى أن عزله الوزير ابن وَلَخْشِى سنة ٥٣٢ واستخدم عِوَضًا عنه القاضى المرتضى

---

(١) فيما يلى ص ٧٩ – ٨٠ .

(٢) انظر Geoffrey Khan , « A copy of a decree from the archives of the Fatimid chancery in Egypt » , *BSOAS* XLIX (1986) , p. 442 .

(٣) ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤٠٨ .

(٤) Rabie , H., *op. cit.*, pp. 144 - 145 .

(٥) ابن ميسر : أخبار ١١٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٨ .

المُحَنَّك الطَرَابُلْسى[١] ، ولكنه لم يلبث أن صرفه الخليفة الحافظ وأعاد الأُخْرَم النصرانى إلى ضَمَان الدولة بعد عَزْل رضوان بن وَلَخْشِى[٢] . وفى سنة ٥٤٠ أوكل نَظَر الدَّواوين إلى القاضى المُوَفَّق أبى الكرم محمد بن معصوم التِّنِّيسى ثم صُرِف عنه فى سنة ٥٤٢ وأعيد إليه القاضى المرتضى المُحَنَّك[٣] . وممن تولَّى هذا الديوان كذلك أبو الحسن على بن سليم البوَّاب الذى قتله الوزير الصَّالِح طَلَائع مع آخرين فى سنة ٥٥٠[٤] ، ومحمد بن محمد بن محمد بن بنان الأَنْبَارى الذى ذكر الصَّفَدى أنه « تولَّى ديوان النَّظَر فى الدولة المصرية وتقلَّب فى الخِدَم فى الأيام الصَّلاحية بتِنِّيس والإسكندرية »[٥] .

وعلى العكس من « ديوان النَّظَر » فلم يكن يتولَّى « ديوان المَجْلس » عادة سوى النَّصَارى ، ورغم أن هذا الديوان قد عُرِف منذ وزارة الوزير اليازورى[٦] ، فإن أوَّل اسم يقابلنا فى المصادر لمتولِّى هذا الديوان هو أبو الطَّيِّب سَهْلون بن كيل المتوفى سنة ٤٨٠[٧] . وفى أيام الوزير الأَفْضَل شاهنشاه كان الشيخ أبو الفَضْل المعروف بابن الأُسْقُف هو « كاتب الأفضل والمُوَقِّع عنه فى الأموال والرجال ومتولى ديوان المَجْلِس والنَّظَر فى جميع دواوين الاستيفاء على جميع أعمال المملكة »[٨] .

---

(١) نفسه ١٤٠ ، نفسه ٣ : ١٦٥ ، وانظر ابن ظافر : أخبار ٩٩ .

(٢) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٨٤ .

(٣) ابن ميسر : أخبار ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٣ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٩٩ ، ٢٢٣ .

(٤) نفسه ١٥٣ ، نفسه ٣ : ٢٢١ .

(٥) الصفدى : الوافى ١ : ٢٨٢ ، ابن شاكر : فوات ٣ : ٢٦٠ .

(٦) المقريزى : الخطط ١ : ٨٢ ، ٩٩ آخر سطر .

(٧) ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ٢ / ٣ : ٢٢٣ .

(٨) نفسه ٣ / ١ : ٣ والمقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٩ .

ديوان التَّحْقِيق :

وفي سنة ٥٠١/ ١١٠٧ استحدَثَ الوزير الأَفْضَل ديواناً سمَّاه «ديوان التحقيق» مقتضاه المقابلة على الدَّواوين ، كان لا يتولَّاه إلَّا كاتب خبير ويُلْحق بمتولى ديوان النَّظَر[١] . كان أوَّل من تولَّاه الشيخ وَلِيّ الدولة أبو البركات يُحَنَّا بن أبى اللَّيْث[٢] وأطلق عليه ابن ميسر اسم « ديوان المملكة »[٣] . وبعد وفاة الشَيخ أبى الفضل بن الأُسْقُف ، متولى ديوان المَجْلِس ، فى مطلع القرن السادس جُمِع لابن أبى اللَّيْث « ديوان المجلس » إلى « ديوان التحقيق » وظلَّ يليهما إلى أن صَرَفَه الخليفة الحافظ فى سنة ٥٢٧ /١١٣٣ « لأشياء نقمها عليه » وسَلَّم أمر الديوان إلى الشريف معتمد الدولة على بن جعفر بن غَسَّان المعروف بابن العَسَّاف[٤] ، ولكن لم يكد يمضى عامان حتى استخدم الخليفة الحافظ الشيخ صنيعة الخلافة أبو ذكرى بن يحيى بن بولس الكاتب النَّصْرَانى فى ديوان التحقيق فى أيام وزارة بَهْرَام الأرمنى سنة ٥٣٠ / ١١٣٦[٥] .

وعندما تولَّى رِضْوان بن وَلَخْشِي الوزارة فى سنة ٥٣١ ، بعد عَزْل بَهْرَام الأَرْمَنِّى ، « أمر بعدم استخدام النَّصَارى فى الدَّواوين الكبار ولا نُظَّارًا ولا مُشَارفين »[٦] ، فعيَّن القاضى الخطير أبو الحسن على بن سليم بن البَوَّاب والقاضى المرتضى المُحَنَّك بن الطَّرابُلْسى على ديوانى التحقيق والمَجْلِس وديوان النَّظَر عِوَضًا عن ابن بولُس وعن الأُخْرَم النَّصْرانى[٧] .

---

(١) انظر فيما يلى ص ٨١ .

(٢) ابن المأمون : أخبار ٥٣ ، ٦٥ ، أبو صالح : تاريخ ٦٤ ، ابن ميسر : أخبار ٧٧ ، ١٠٨ ، ساويرس : تاريخ ٣ / ١ : ٢٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٩ والاتعاظ ٣ : ١٢٦ .

(٣) ابن ميسر : أخبار ٩٠ .

(٤) ابن ميسر : أخبار ١١٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٨ .

(٥) ساويرس : تاريخ ٣ / ١ : ٣١ .

(٦) نفيسه ٣ / ١ : ٣١ وانظر ابن ميسر : أخبار ١٢٨ – ١٢٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٣ .

(٧) نفسه ٣ / ١ : ٣١ والاتعاظ ٣ : ١٦٥ .

وفى أول الأمر كان ديوانا التحقيق والمَجْلِس يُجمعان لشخصٍ واحد كما حَدَث مع الشيخ ولىّ الدَّولة أبى البركات يُحَنَّا بن أبى اللَّيْث ، يؤكِّد ذلك أن المَنْشُور الذى أصدره الخليفة الآمر بأحكام الله فى أعقاب وفاة الوزير الأفْضَل بن بدر الجمالى فى شَوَّال سنة ٥١٥ « بإمضاء ما كان الوزير قد قَرَّره وخرجت به توقيعاته قبل قتله وعدم تغيير شىء منه » أمر باعتماده فى ديوان التحقيق والمَجْلِس وأن يُخَلَّد بهما[1] .

ويبدو أن « ديوان المَجْلِس » قد أُلْغِى فى عصر الدولة الأيوبية ، فيذكر النَّابُلْسى عند حديثه عن « ترتيب الدَّواوين بالديار المصرية » : « إن أحوال الدَّواوين بالديار المصرية كان على أنحاء مختلفة من زمن المصريين [أى الفاطميين] فكان لهم ديوان يُعرف « بديوان المَجْلِس » وهو النظر على أموال الزَّكاة والجَوَالى بالديار المصرية جميعها مع ما يضاف إليه من دواوين الباب ، وكان أجلَّ رُتْبَة عندهم وكان هو الذى يوقِّع بإطلاق جامَكِيَّات المستوفين ويكتب على مستحقات المستحقين من أرباب الجامكيات والرَّواتب فيه ، ليس لأحدٍ مع ناظر هذا الديوان حديث » وهو الذى يتولَّى إرسال التذاكر إلى الأعمال بطلب ديوان الزَّكاة والجَوَالى وحسباناتهما ويستخدم فيهما ويصرف ، وكذلك ديوان الخَرَاج وديوان المَوَاريث والنَّطْرون والثُّغور وغير ذلك من الدَّواوين . « ثم تَغيَّر ذلك على أنحاء مختلفة إلى أن انتهى الحال إلى أن يؤمر المستوفون بعمل أوراق بالأشغال والدَّواوين »[2] .

أما « ديوان التحقيق » فيذكر ابن مُيَسَّر صراحةً أنه زال بسقوط الفاطميين إلى أن أعاده الملك الكامل محمد فى سنة ٦٢٤ واستخدم فيه ابن كَوْجَك اليهودى ثم أبطله نهائيًا فى سنة ٦٢٦ ، ويضيف ابن مُيَسَّر أنه فى أيَّام المعز

---

[1] المقريزى : اتعاظ ٣ : ٦٩ . [2] النابلسى : لمع القوانين المضية ٣٦ .

أَيْبَك التُّرْكُمانى اسْتُخْدِم صفىّ الدّين عبد الله بن على المغربى مستوفيًا على مقابلة الدَّواوين ، الذى يُعَدّ نوعًا من ديوان التحقيق[1] .

وقد استعاض الأيوبيون عن هذين الديوانين بما أُطْلق عليه « مجلس أصحاب الدَّواوين » الذى كان يجتمع بحضرة السلطان لتسمية ناظر الدَّواوين . وقد عُقِد مَرَّة فى العاشر من صفر سنة ٥٨٠ « للمفاضلة بين شخص يُدْعى ابن شُكْر وآخر يُدْعى ابن عُثْمان . ووقع اختيار المجلس أولًا على ابن عُثْمان ثم صُرِف بابن شُكْر الذى سُمِّىَ فى خامس عشر ربيع الأول من السنة نفسها « بناظر الدَّواوين » . وعُقِد المجلس كذلك فى رابع المحرم سنة ٥٩٠ بحضرة السلطان العزيز عثمان[2] .

ديوانُ الخاصّ :

وإلى جانب ديوانى المَجْلِس والتحقيق كان هناك ديوانٌ آخر يُعْرف « بديوان الخاص » لا نعرف وظيفته على وجه التدقيق ولكنه كان يُجْمَع دائمًا إلى ديوان المَجْلِس فيقال « ديوانى المَجْلِس والخاص السعيدين »[3] أو « ديوان الخاص والمَجْلِس »[4] وعادة ما كانت هذه الدَّواوين تُنْسَب إلى الخليفة الحاضر كأن يقال « ديوانى المَجْلِس والخاص الآمريين السعيدين »[5] أو « الديوان الخاص الآمرى »[6] أو « ديوان المَجْلِس الفائزى »[7] .

---

(1) ابن ميسر : أخبار ٧٧ – ٧٨ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨١ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٩ .

(2) المقريزى : السلوك ١ : ٨٨ ، ١٢٠ ، Rabie, H., *op. cit.*, p. 146.

(3) Stern, S. M., *op. cit.*, p. 36.

(4) ابن المأمون : أخبار ٦٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٩ .

(5) نفسه ٣٠ ، ٣١ ، نفسه ١ : ٨٤ .

(6) أبو صالح : تاريخ ٥٤ (٤٢ ب) .

(7) Stern, S. M., *op. cit.*, p. 72.

ديوانُ الجَيْش :

ينقسم « ديوان الجَيْش » إلى قسمين : « ديوان الجَيْش » وفيه مستوفٍ أصيل لا يكون إلَّا مُسْلمًا[١] ، ويكون فى خدمته نُقَباء الأمراء ينهون إليه أخبار الأجناد من حياة وموت وصِحَّة ومرض . و « ديوان الرَّواتب » ويشتمل على أسماء كل مرتزق فى الدولة ، وفيه كاتب أصيل ونحو عشرة من المعينين والمُبَيِّضين وفيه ثمانية عروض تحوى جميع أرباب الدَّولة[٢] . وقد انتقل ديوان الرَّواتب ، نحو بداية عصر الخليفة الحافظ ترجيحًا ، من أن يكون فرعًا من ديوان الجيش إلى أن صار فرعًا لديوان المَجْلِس الذى تجرى فيه معاملات الأموال[٣] . يؤكد ذلك ما ذكره أبو صالح الأرْمَنِّى من أن شخصًا يُدْعى أبا الفخر ويعرف بسُعَيْدان كان كاتب الرَّواتب بديوان المَجْلِس[٤] .

دِيوَانُ الرَّسَائل أو دِيوَانُ الإنْشَاء والمُكَاتَبَات :

وإلى جانب هذه الدَّواوين استمر يؤدِّى وظيفته طوال العصر الفاطمى دون تغيير يُذْكر « ديوانُ الرَّسائل » ، وهى التسمية التى كانت تُطْلَق على هذا الديوان حتى حَلَّ محلها نهائيًا ابتداءً من القرن الرابع مصطلح « ديوان الإنشاء »[٥] . وهو ديوان مشترك فى جميع الأقاليم الإسلامية طوال العصور الوسطى . ورغم أن ابن الصَّيْرَفى المتوفى سنة ٥٤٢ / ١١٤٧ ، ألَّف كتابًا اهتم فيه بذكر الشروط التى يجب أن تتوفَّر فى موظفى هذا الديوان وتوضيح تنظيمه الداخلى وسمَّاه « القانون فى ديوان الرَّسائل » ، فقد أطلق عليه فى مؤلَّف

---

[١] كان صاحب ديوان الجيش فى أواخر أيام المستنصر هو ثقة الملك أبو العلاء صاعِد بن مُفَرِّج . (ابن ميسر : أخبار ٦٠ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٨٥) .

[٢] انظر فيما يلى ص ٨٣ –٨٥ .

[٣] المخزومى : المنهاج ٦٨ – ٦٩ .

[٤] أبو صالح : تاريخ ٤٣ (٣٣ ب)

[٥] القلقشندى : صبح ١ : ١٠٣ .

آخر هو « الإشَارَة إلى مَنْ نال الوَزَارَة » : « ديوان الإنْشَاء »[١] . وتُطْلق جميع مصادر العصر الفاطمى التى وصلت إلينا على هذا الديوان : « ديوان الإنْشَاء » وأحيانًا « ديوان المكاتبات »[٢] . وكان يرأس هذا الديوان كاتبٌ من أجَلّ كُتّاب البَلَاغَة يقال له « رئيس »[٣] أو « متولّى الديوان » أو « صاحب الدِّيوان » وكان يُخَاطَب « بالشيخ الأجَلّ » ويُلَقّب « بكاتب الدَّسْت الشَّرِيف »[٤] .

° ° °

وانفرد ابن الطُّوَيْر بالحديث عن عدد آخر من الدَّواوين مثل « ديوان الإقْطَاع » و « ديوان الصَّعيد الأعْلى والأدْنى » و « ديوان أسْفَل الأرض » و « ديوان الثُّغور » و « ديوان الجِهاد أو العَمَائِر » . ووردت أسماء بعض هذه الدَّواوين ، مع بعض التغيير ، على الإسجالات المثبتة على السِّجِلّات والمناشير المحفوظة فى دير سانت كاترين . فديوان الصَّعيد الأعلى والأدْنى يُسَمَّى فيها « ديوان الاسْتيفاء على الصَّعيدين الأعْلى والأدْنى وما جُمِع إليه »[٥] (ويعرف فى نسخة سجل أورده القلقشندى « بديوان الاسْتيفاء على الأعمال القبلية وما جُمِع إليه »)[٦] . ويُطْلق فيها على ديوان الثُّغور « ديوان الاستيفاء على الثُّغور المحروسة والطُّور الشريف وما جُمِع إليه »[٧] . وذلك بالإضافة إلى « ديوان

---

[١] ابن الصيرفى : الإشارة ٨٥ ، ٩٢ .

[٢] على بن خلف : مواد البيان ٧٥ – ٧٦ ، ابن المأمون : أخبار ٢٧ ، ٥٢ ، ١٠٣ ، ابن ميسر : أخبار ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٦ ، ٦٠ ، ٩٠ ، القلقشندى : صبح ١ : ٨٩ – ٩٦ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٤ .

[٣] ابن الصيرفى : القانون فى ديوان الرسائل ٧ .

[٤] فيما يلى ص ٨٧ ، ابن ميسر : أخبار ١١٢ ، القلقشندى : صبح ١ : ١٠٢ ، ١٠٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٢ ، ٢ : ٨٦ س ٣٥ – ٣٦ .

[٥] Stern , S. M., *op. cit.*, p. 37.

[٦] القلقشندى : صبح ١٠ : ٤٦٤ .

[٧] Stern , S. M., *op. cit.*, p. 54 , 66.

الاستيفاء على الأعمال الشرقية »[1] و « ديوان الاستيفاء على الإقطاعات المرتجعة والرِّباع والأُجنة السلطانية وما جمع إليه »[2] والذى يبدو أنه هو نفسه « الديوان المُرْتَجَع » الذى ذكره القلقشندى[3] .

القَضَــاء

كانت السُّلْطَة القضائية واحدة من السُّلْطات الثلاث الرئيسية التى اشتمل عليها النظام الفاطمى فى مصر . فبوصول الفاطميين إلى مصر أضحت القَاهِرَة ، مثلها مثل بَغْدَاد وقُرْطُبَة ، مركز خلافة بعد أن كانت مصر مجرد ولاية تابعة للخلافة العباسية بها قاضٍ يُعَيِّنه الخليفة العباسى السنى ، وهكذا عَرَفَت مصر فى العصر الفاطمى منصب « قاضى القضاة »[4] .

وحرصًا من القائد الفاتح جَوْهَر الصِّقِلِّى على عدم خلخلة النظام الإدارى فى مصر ، وهو من أعقد أنظمة البلاد الإسلامية ، احتفظ بالموظفين الإخشيديين فى مناصبهم ومن بينهم القاضى أبو الطَّاهر محمد بن أحمد الذُّهْلى الذى كان قد عَيَّنه الخليفة العباسى فى سنة ٣٤٨ . ورغم مكانة القاضى النُّعْمان ابن حَيُّون الكبيرة لدى الخلفاء الفاطميين ودوره فى التعبير عن المعتقدات الفاطمية وتسجيل تاريخ أئمتهم ، فإنه لم يُكَلَّف رسميًا بالقضاء فى مصر وإنما شارك القاضى أبا الطَّاهر فى نظر بعض القضايا إلى أن توفى سنة ٣٦٣[5] .

---

(١) Stern , S.M., *op. cit.*, p. 54.

(٢) *Ibid.*, p. 37.

(٣) القلقشندى : صبح ١٠ : ٣٥٧ .

(٤) ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم فى مصر ١ : ١٤٠ .

(٥) Gottheil , R., « A Distinguished Family of Fatimide Cadis (al - Nuʿmân) in the Tenth Century », *JAOS* 27 (1906) , p. 239 . وهى نصوص منقولة من كتاب « رفع الإصر » لابن حجر ، المقريزى : اتعاظ ١ : ٢٢٥ .

وبعد ذلك استمر القاضى أبو الطّاهر على حاله وجَعَل له الخليفة المُعِزّ عليًا ابن النعمان معاونًا له وكان يحكم بالجامع العتيق[١] . ولما تولّى العزيز بن المعز الخلافة سنة ٣٦٥ ردّ أمر دار الضّرْب والجامع لعلى بن النعمان ، فشارك بذلك أبا الطّاهر الذُهْلى وجرى التنافس بينهما إلى أن أصابت أبا الطّاهر رطوبة عطّلت شِقّه وأعجزته عن الحركة ، ففوّض الخليفة الحُكْم إلى على بن النُعْمان لليلتين خلتا من صفر سنة ست وستين وثلاثمائة[٢] . وهو أوّل من خوطب « بقاضى القضاة » بالديار المصرية ، كما يقول ابن حجر ، لأنه جاء فى سِجِلّه ، الذى قرئ بالجامع الأزهر وبالجامع العتيق ، أن جميع الأعمال داخلة فى ولايته[٣] . أما أوّل من كُتِب فى سجله « قاضى القضاة » فابنه الحسين بن على بن النعمان[٤] .

وقد توارث ستة من أسرة بنى النعمان منصب القضاء فى مصر أكثر من ستين عامًا تخلّلها بعض الانقطاع .

وجرت العادة أن يُقْرأ سِجِلّ تولية قاضى القضاة فى الجامع بالقاهرة ومصر وهو قائمٌ على قدميه ، وكلما مرَّ ذكر الخليفة أو أحدٌ من أهله أومأ بالسجود[٥] .

وكان قاضى القضاة ، فى العصر الفاطمى الأول ، هو الذى يُعَيِّن سائر قضاة الأنحاء . ففى ربيع الآخر سنة ٣٨٢ خلع القاضى محمد بن النعمان على مالك بن سعيد الفارق وقلّده قضاء القاهرة[٦] ، فلما خَلَفَ القاضى الحسين ابن على بن النعمان عمَّه محمدًا أقرّه على ذلك واستخلف الحسين بن محمد ابن طاهر على الحكم بمصر[٧] .

---

(١) المقريزى : اتعاظ ١ : ٢٢٥ .

(٢) Gottheil, R., *op. cit.*, p. 240.

(٣) *Ibid.*, p. 243.

(٤) ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٢١٠ .

(٥) Gottheil, R., *op. cit.*, p. 241.

(٦) المقريزى : اتعاظ ١ : ٢٧٥ .

(٧) ابن حجر : رفع الاصر ١ : ٢٠٨ .

ولم يتولَّ أحد من أسرة بنى النُّعْمان أمر الدَّعْوَة الفاطمية قبل الحسين بن على بن النعمان الذى كان « أوَّل من أضيفت إليه الدَّعْوَة من قضاة العبيديين »[1] كما فُوِّض إليه كذلك الحكم بجميع المملكة وكذلك الخطابة والإمامة بالمساجد الجامعة والنَّظر عليها وعلى غيرها من المساجد ، وولى أيضاً مُشَارَفَة دار الضَّرْب وقراءة المجالس بالقصر وكتابتها وذلك فى سنة ٣٨٩[2] .

والحسين بن على بن النعمان هو كذلك أوَّل من أفرد لمَوْدِع الحُكْم مكاناً معيَّناً فى زُقاق القَنَادِيل بمصر الفسطاط ، فقد كانت الأموال قبل ذلك تودع عند القضاة أو أمنائهم[3] .

° ° °

ووظيفة قاضى القضاة من المناصب العليا فى الدولة الفاطمية كان يتقدَّم على داعى الدُّعَاة ويتزيَّا بزيِّه وهو من طبقة أرباب العمائم[4] . وكان من عادته الجلوس بالقصر فى يومى الاثنين والخميس أوَّل النهار عند باب البحر للسلام على الخليفة[5] ، ويبدو أن هذا التقليد اتبع بانتظام ابتداء من عصر الخليفة الآمر .

وقد أراد الخليفة الحاكم أن يَحُول بين القضاة وبين أخذ الأموال بغير الحق ، فأمر أن يُضَعَّف للحسين بن على بن النعمان رزقه وصلاته وإقطاعاته ، وشَرَط عليه ألَّا يتعرَّض من أموال الرعية لدرهم فما فوقه[6] . وكان دَخْل القاضى

---

(1) ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٢٠٩ .

(2) نفســه ١ : ٢٠٩ .

(3) نفسه ١ : ٢٠٩ وقارن ابن ميسر : أخبار ٨٣ - ٨٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٧٢ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ١٥١ .

(4) انظر فيما يلى ص ١١٠ .

(5) فيما يلى ص ١٠٨ ، المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٣٥٩ ظ ، الاتعاظ ٢ : ١٩٨ .

(6) ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٢٠٨ - ٢٠٩ .

عبد الحاكم بن سعيد الفارقى عشرين ألف دينار فى السنة[١] . ويذكر ناصر خسرو أن مرتب قاضى القضاة بمصر ، نحو سنة ٤٤٠ ، بلغ ألفى دينار « حتى لا يطمع القضاة فى أموال الناس أو يظلمونهم »[٢] ، بينما يذكر ابن الطُّوَيْر أن المستقر لقاضى القضاة ولداعى الدُّعاة مائة دينار فى الشهر من واقع ما سُجِّل فى ديوان الرَّواتب[٣] . أما ابن مُيَسَّر فيذكر أن جارى الحكم كان أربعين دينارًا فى الشهر[٤] ، وذلك فى أغلب الظن ، لقضاة النواحى .

ويُعَدُّ الوزير الحسن بن على اليازورى أوَّل من تولَّى الوزارة مضافًا إلى قضاء القضاة والتقدمة على الدُّعاة فى سنة ٤٤٢ « ولم يُجْمع ذلك لأحد قبله »[٥] ونُعِت « بالناصر للدين غيَّاث المسلمين الوزير الأجَلّ المكرم سَيِّد الرؤساء تاج الأصفياء قاضى القضاة وداعى الدعاة » إلى أن قُضِىَ عليه فى المحرم سنة ٤٥٠[٦] .

وبعد عَزْل الوزير اليازورى فى أول سنة ٤٥٠ دخلت مصر فى أزمة إدارية حادَّة فخلال السبعة عشر عامًا التى أعقبت وفاته أُبعد أربعة وخمسون وزيرًا واثنان وأربعون قاضيًا إلى أن وصل إلى مصر أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٦٦ .

وابتداء من هذا التاريخ طرأ تغيير كبير على وظيفة قاضى القضاة . فقد نُعِتَ بدر الجمالى فى أول الأمر « بالسَّيِّد الأجَلّ أمير الجيوش » ثم أضيف إلى ألقابه نحو سنة ٤٧٠ « كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين »[٧] وجُعل

---

[١] ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٣٠٨ .

[٢] ناصر خسرو : سفرنامة ١٠٩ .

[٣] فيما يلى ص ٨٤ .

[٤] ابن ميسر : أخبار ١٣٢ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٧٤ .

[٥] ابن ميسر : أخبار ٥٥ .

[٦] نفسه ١١ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ٢١٢ ، المقفى (مخ ، الصليمية) ٣٦١و ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ١٩٤ .

[٧] انظر أعلاه ص ٤٦ .

القاضى والداعى نائبين عنه . وهكذا أصبح القضاة نوّاب الوزراء ويذْكرون النيابة عنهم فى الكتب الحكمية النافذة إلى الآفاق وكتب الأنْكِحَة[١] .

وكان قاضى القضاة طوال العصر الفاطمى يُختار من بين الفقهاء الإسماعيليين ويُشْتَرط عليه ألّا يَحْكُم إلّا بمذهب الدَّوْلة ؛ فعندما استخلف على ابن النعمان أخاه محمدًا والحسن بن خليل الفقيه الشافعى « شَرْط عليه أن يحكم بمذهب الإسماعيلية لا بمذهب الشافعى »[٢] . وبعد وفاة القاضى أحمد بن عبد الرحمٰن بن محمد بن أبى عقيل سنة ٥٣٣ « أقام الناس بلا قاض ثلاثة أشهر » ، ثم اختير الفقيه أبو العباس أحمد بن عبد الله بن الحُطَيْئَة المالكى اللَّخْمى « فاشترط أن لا يقضى بمذهب الدَّوْلة فلم يُمَكَّن من ذلك » ، فعهد الوزير ابن وَلَخْشى إلى الفقيه أبى محمد عبد المولى اللبْنى بعقد الأنْكِحَة فأجاب وبقى الحكم شاغرًا[٣] .

والاستثناء الوحيد لذلك حَدَث فى الفترة التى تولّى فيها الوزارة أبو على الأفضل كتيفات ، عندما سَجَن الخليفة الحافظ ودعا للإمام المُنْتَظَر (ذو القعدة ٥٢٤ – المحرم ٥٢٦) . فقد رتَّب فى الحكم فى سنة ٥٢٥ أربعة قضاة يحكم كل قاض بمذهبه ويورِّث بمذهبه : قاض للشافعية وقاض للمالكية وقاض للإسماعيلية وقاض للإمامية ، وعلَّق ابن مُيَسَّر على ذلك بأنه « لم يُسْمع بهذا قط فيما سلف »[٤] .

---

(١) ابن ميسر : أخبار ١٢٣ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ ، الاتعاظ ٣ : ١٥٦ والمقفى (مخ . السليمية) ٢٦٦ و .

(٢) Gottheil , R., *op. cit.*, p. 242.

(٣) ابن ميسر : أخبار ١٣١ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٥٢٨ ، المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ١٠٥ ظ ، الاتعاظ ٣ : ١٧٢ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٨٠ .

(٤) نفسه ١١٤ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٧ – ٨٨ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٢ ، الخطط ٢ : ٣٤٣ ، المقفى (مخ . السليمية) ٨١ ظ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٢٤٧ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ١٦٥ ، Allouche , A., « The Establishment of Four Chief Judgeships in Fatimid Egypt » , *JAOS* 105 (1985) , pp. 317 - 320.

لذلك فقد كان يُعْهد أحيانًا إلى القاضى بتدريس دار العِلْم بالقاهرة مثلما حَدَث مع القاضى هبة الله بن حسن الأنصارى الأوسى المعروف بابن الأُزرق فى ١٧ جمادى الآخر سنة ٥٣٤[1] .

وكان مجلس القاضى دائمًا يومى الثلاثاء والسبت بالزيادة البحرية الشرقية لجامع عمرو بالفسطاط ، فإذا أقبل العصر عاد القاضى إلى القاهرة[2] . وله فى مجلسه طُرَّاحة ومَسْنَد حرير ، وقد استجد هذا الرسم بعد أن تولَّى القاضى أحمد بن عبد الرحمٰن بن أبى عقيل فى المحرم سنة ٥٣١ ، فإنه لما دخل مجلس القضاء « ووجد المرتبة أمر برفعها وجلس على طُرَّاحات السَّامان فاستمر هذا الرسم »[3] . ويجلس الشهود حواليه يَمْنَة ويَسْرَة بحسب تاريخ عدالتهم وقد بلغ عِدَّة الشهود فى أيام القاضى محمد بن هبة الله بن مُيَسَّر (نحو سنة ٥٢٤هـ) مائة وعشرين شاهدًا ، وكانوا قبل ذلك دون الثلاثين[4] . وكان يجلس بين يديه فى المجلس خمسة من الحُجَّاب : اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد يُنْفذ الخصوم إليه ، كما كان له كذلك أربعة من المُوَقِّعين بين يديه إثنان يقابلان اثنين وله كرسى الدَّواة ، وهى دواة محلَّاة بالفضة تُحْمَل إليه من خزائن القصور ، ولها حاملٌ بجامكية فى الشهر على الدولة[5] .

وكان للقاضى برسم ركوبه على الدوام بَغْلَةٌ شَهْباء تخرج له من الاصطبلات الخليفية ، وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة . وكانت تأتيه فى المواسم الأُطْواق ويُخْلع عليه الخِلَع المذهبة بلا طَبْل ولابوق ، إلَّا إذا جُمِعَ له الحكم والدَّعْوة ، فإن من بين رسوم الدَّعوة فى الخِلَع الطبل

---

(١) نفسه ١٣٢ ، الاتعاظ ٣ : ١٧٣ .

(٢) فيما يلى ص ١٠٧ ، ناصر خسرو : سفرنامة ١٠٢ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٥٣ والاتعاظ ٢ : ٢٢٤ .

(٣) فيما يلى ص ١٠٧ .

(٤) ابن ميسر : أخبار ١٠٧ ، المقريزى : الاتعاظ ٣ : ١٢١ .

(٥) فيما يلى ص ١٠٧ .

والبنود . أما إذا خُلِع عليه للحُكْم خاصة فيكون حواليه القُرَّاء رجَّالة والمُؤذِّنون يُعْلنون بذكر الخليفة أو الخليفة والوزير ، إن كان الوزير صاحب سيف[1] .

وإذا حضر قاضى القضاة فى مجلس فلا يتقدَّم عليه أحدٌ من أرباب السيوف أو الأقلام ، ولا يحضر عقود الأنكِحَة أو الجَنائز إلَّا بإذن ، ولا سبيل إلى قيامه لأحدٍ وهو فى مجلس الحُكْم ، ولا يعدَّل شاهدٌ إلَّا بأمره[2] .

وابتداء من وزارة أمير الجيوش بدر الجمالى لم يعد يخاطب من يتولَّى الحكم « بقاضى القضاة » لأنه أصبح من نعوت الوزير صاحب السَّيف . وكان من أهم أعباء منصبه النظر فى عِيَار دار الضَّرب لضبط ما يُضْرب من الدنانير[3] .

وكان القاضى لا يُصْرف إذا وُلِّى إلَّا بُجنْحة .

وكان للقاضى مكان متميز فى المواكب والاحتفالات فمن ذلك « ركوب عيد الفِطْر » و « ركوب عيد النَّحْر » . فبعد فراغ الخليفة من الصلاة كان يصعد المنبر للخطبة العيدية وكان القاضى من بين من يَشْرُفون بالوقوف مع الخليفة ويَرْق معه المنبر ليُزرِّر عليه المزرَّة الحاجزة بينه وبين الناس[4] ، ويقرأ مدرجًا يكون قد أُحْضِر إليه من ديوان الإنشاء يتضمَّن ثبتًا بمن شَرُف بصعود المنبر الشريف مع الإمام يوم العيد[5] . كما أنه يرقى المنبر مع الإمام فى صلاة الجمعة فى رمضان « وفى يده مدخنة لطيفة خيزران يُحْضِرها إليه صاحب بيت المال فيها جمرات ، ويجعل فيها ندّ مثلث لايُشَمّ مثله إلَّا هناك ، فيبَخِّر الذورة

---

[1] فيما يلى ص ١٠٨ .

[2] فيما يلى ص ١٠٨ .

[3] فيما يلى ص ١٠٨ والمقريزى : الخطط ١ : ١١٠ .

[4] ابن ميسر : أخبار ١٢٣ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٥٦ .

[5] ابن المأمون : أخبار ٨٧ ، ٨٨ وفيما يلى ص ١٨٠ .

التى عليها الغشاء كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ويكرِّر ذلك ثلاث دفعات » ثم يصحب الإمام ومعه الوزير إلى المنبر حتى يستوى الإمام جالسًا فيزرِّر عليه المزرَّة ويقف صاحب الباب ضابطًا للمنبر إلى أن يخطب الخليفة خطبة الجمعة[1] .

والقاضى هو الذى يمسك الحَرْبَة للخليفة لينحر بها الأضاحى يوم عيد النَّحر فى « المَنْحَر » فتكون بيد الخليفة الحربة من رأسها الذى لاسنان فيه ويد القاضى فى أصل سنانها ، فيجعله القاضى فى نحر النحيرة فيطعن به الخليفة[2] .

وفى عيد غَدير خُمّ كان من الرسم أن يجلس القاضى والشهود تحت كرسى الدَّعْوة الذى كان يُنْصب فى الإيوان الكبير وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب فى هذا العيد ، فإذا فرغ الخطيب ونزل صَلَّى قاضى القضاة بالناس ركعتين[3] .

وفى شهر رمضان كان يُعْقَد كل ليلة بقاعة الذَّهَب سماطٌ إلى آخر السادس والعشرين منه ، ولم يكن يُستْدعى له قاضى القضاة إلَّا فى ليالى الجمع فقط توقيرًا له[4] .

وفى الاحتفال بالموالد الستة كان لقاضى القضاة دورٌ أساسى ، فهو أوَّل أرباب الرُّسُوم فى تفريق الحَلْوَاء التى تُعْمل بدار الفِطْرة احتفالًا بالمولد . وهو الذى يجلس بالجامع الأزهر بعد صلاة ظهر هذا اليوم مقدار قراءة الختمة الكريمة ، ثم يركب ومعه الشهود وداعى الدُّعاة بالنقباء إلى بين القصرين والركن المُخَلّق لنظر الخليفة فى المنظرة المعدَّة لذلك ويرد عليه الخليفة السلام بواسطة أحد الأستاذين المُحَنَّكين[5] .

---

(1) فيما يلى ص ١٧٣ . (2) فيما يلى ص ١٨٤ . (3) فيما يلى ص ١٨٨ ، ١٨٩ .
(4) فيما يلى ص ٢١١ . (5) فيما يلى ص ٢١٧ – ٢١٨ .

والقاضى كذلك هو الذى كان يقود موكب الاحتفال بليالى الوقود الأربعة بعد صلاة العصر إلى حيث رَحْبَة باب العيد أمام باب الزُّمُرُّد من القصر ، ويخطب الخطباء ويسلم عليه الخليفة مثلما حدث فى الاحتفال بالمولد ، وبعد زيارة قصيرة للوزير يشق القاضى والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويُصَلِّى ركعتين ، ثم يخرج من باب زُوَيْلَة طالبًا الفُسْطاط وفى خدمته والى القاهرة ، فيدخل فى طريقه جامع ابن طولون للصلاة ويدخل المَشَاهد فى طريقه أيضًا ، ثم يجد والى الفسطاط فى خدمته بعد خروجه من جامع ابن طولون ويستمر فى اختراق الشارع الأَعْظَم حتى يصل إلى باب الجامع من جهة الزيادة التى يحكم فيها ويُوقَد له التنور الفضة الذى كان معلقًا بها[1] .

وكانت عملية الإشراف على الأحباس وصيانتها موكولة كذلك إلى القضاة فيذكر محمد بن أسعد الجَوَّانى أن القضاة بمصر ، كانوا إذا بقى لشهر رمضان ثلاثة أيام ، طافوا يومًا على المساجد والمَشَاهِد بمصر والقاهرة يبدؤن بجامع المَقْس ثم القاهرة ثم المَشَاهد ثم القرافة ثم جامع مصر ثم مشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وما تَشَعَّث منه وظل الأمر على ذلك حتى زوال الدولة الفاطمية[2] .

الدَّعْــوَة

لما كانت الدَّوْلة الفاطمية قد قامت على أساسٍ تشابكت فيه السياسة مع الدين إلى حد أن كل تنظيم سياسى فى هذه الدولة كان انعكاسًا لروح العقيدة الفاطمية نفسها ، حتى أصبحت أصْدَق مثال للدولة الدينية العقائدية

---

(1) فيما يلى ص ٢٢٠ – ٢٢١ .
(2) المقريزى : الخطط ١ : ٤٩١ ، ٢ : ٢٩٥ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ١٢٢ .

(الثيوقراطية) فى الإسلام . فإن « الدَّعْوَة » كانت عماد هذه الدولة وأهم ما مَيَّزها عن الأنظمة الإسلامية الأخرى . فلم يستطع الفاطميون أن ينفصلوا عن الدَّعْوَة ، كما سبق وفعل العبَّاسيون ، فقد كانوا ينتظرون منها الكثير وكانت لهم بمثابة السِّلاح الإيديولوجى للنظام ، وكانت وظيفة داعى الدُّعاة ، كما يقول المقريزى ، من مفردات الدولة الفاطمية[1] .

ولا تمدنا المصادر بمعلومات كافية عن حقيقة دور « داعى الدُّعَاة » فى مصر الفاطمية . ونحن نعرف ، تبعًا للعقيدة الفاطمية ، أن داعى الدُّعاة هو أحد دعائم هذه العقيدة وأن مرتبته تلى مباشرة مرتبة الإمام[2] . ولكن كل مصادرنا التى تحدَّثنا عن داعى الدُّعاة فى مصر تعتمد على النص الوحيد المنقول عن ابن الطُّوَيْر وفيه أن داعى الدعاة « يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيّا بزيّه فى اللِّباس وغيره »[3] . وهذا التعريف ، الذى أورده ابن الطُّوَيْر ، يبدو مُحَيِّرًا إذ أن داعى الدُّعاة هو الذى يعقد « مجالس الحِكَم » سواء فى « المُحَوَّل » بالقصر أو فى « الجامع الأزهر » أو فى « دار الحِكْمَة » ثم فى فترة متأخِّرة فى « دار العِلْم »[4] ، وهو كذلك الذى يأخذ العَهْد وينشر الدَّعْوة بين المستجيبين ، وهو الذى كان يكتب ما يُلْقى فى « مجالس الحِكَم » بعد أن يأخذ عليه علامة الخليفة ويقرؤه على أتباع الدَّعْوَة على أنه صادر من الخليفة نفسه فى كل يوم اثنين وخميس ، للرجال على كرسى الدَّعْوة بالإيوان الكبير وللنساء بمجلس الداعى . وكان داعى الدُّعاة يقوم كذلك « بأخذ النَّجْوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالها لاسيما الصَّعيد ، ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث فيجتمع

---

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٣٩١ ، وراجع : Ivanow, W., « The Organization of the Fatimid Propaganda », *JBBRAS* XV (1939), pp. 1 - 35.

(2) Hamdani, A., « Evolution of the Organizational structure of the Fatimid Daʿwa » in *Arabian Studies* III (1976), pp. 85 - 114.

(3) فيما يلى ص ١١٠ .

(4) القلقشندى : صبح ١٠ : ٤٣٧ .

من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة بيده بينه وبينه وأمانته فى ذلك مع الله تعالى » . ويضيف ابن الطُّوَيْر أن من بين الإسماعيلية المموِّلين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارًا وثلثى دينار على حكم النَّجْوى وبصحبتها رقعة مكتوبة باسمه فيتميَّز فى المُحَوَّل وتعود إليه وعليها خط الخليفة « بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك » فيَدَّخر ذلك ويُفَاخِر به[1] .

وقد حَفظ لنا المقريزى وثيقة هامة ومطوَّلة عن وظيفة داعى الدُّعاة وَوَصْف الدَّعْوة وترتيبها[2] .

وعلى ذلك فإنه يبدو غريبًا أن يقدِّم الفاطميون فى رُسُومهم قاضى القضاة على داعى الدُّعاة . وقد حدث كثيرًا أن جمع قاضى القضاة بين وظيفته ووظيفة داعى الدُّعاة ، بينما لم يحدث العكس إطلاقًا . وابتداء من وصول بدر الجمالى إلى الحكم جَمَعَ الوزراء بين الوزارة والقضاء والدَّعْوة وقيادة الجيوش ، وإن كان القاضى والدَّاعى نائبين عن الوزير . وقرب نهاية عصر الدولة الفاطمية أصبح لقب « هادى دعاة المؤمنين » لقبًا شرفيًا بما أنه كان من بين ألقاب أسد الدين شيركوه رغم أنه سنى المذهب .

ورغم أن مرتبة داعى الدُّعاة تلى الإمام فى تسلسل مراتب الدَّعْوة الفاطمية ، فإنه يبدو لى أن ذلك كان فى وقت استتار الإمام أو فى الجُزُر (جـ . جزيرة حيث قسَّم الفاطميون العالم إلى اثنتى عشرة جزيرة) التى تشرف عليها رئاسة الدَّعْوة الفاطمية . فبظهور الإمام لم تعد الحاجة ماسة إلى وجود داع للدُّعاة فى وجود الإمام حتى إن أكبر فقهاء الدَّعْوة الإسماعيلية القاضى النعمان بن حيُّون يُعْرف فى المصادر باسم القاضى وليس الدَّاعى ، كما أن أبناءه الذين

---

(1) فيما يلى ص ١١٢ .

(2) المقريزى : الخطط ١ : ٣٩١ – ٣٩٧ ؛ Casanova, P., « La Doctrine secrète des Fatimides d'Egypte », *BIFAO* XVIII (1920), pp. 121 - 165.

عاونوا الدولة الفاطمية فى مِصر تولَّوا جميعًا القضاء فيما عدا الحسين بن على ابن النعمان الذى جَمَع بين الدَّعْوة والقضاء فى سنة ٣٩٣[١] . كذلك فإن شُهْرَة داعى الدُّعاة المؤيد فى الدين الشِّيرازى ترجع إلى الدور الذى لعبه فى فارس ومعاونته لأبى الحارث أرسلان البَسَاسيرى لإقامة الدَّعْوة الفاطمية فى بغداد ، أكثر من دوره كداعٍ للدُّعاة ومتولٍ لدار الحكمة فى مصر الفاطمية .

وأَوَّل الوزراء الذين جُمع لهم الوزارة والقضاء والدَّعْوة (قبل عصر الوزراء العظام) هو الوزير أبو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمٰن اليازورى وذلك فى سنة ٤٤٢[٢] ، والذى يعد بحق أهم وزراء الدولة الفاطمية فى عصرها الأول بعد يعقوب بن كِلِّس .

وقد تولَّت أمر الدَّعْوة بعد المؤيد فى الدين أُسَرٌ بأعيانها توارثت المنصب أهمها بنو عبد الحقيق ، كان أولهم ولىّ الدولة أبو البركات بن عبد الحقيق المتوفى سنة ٥١٧ ، وبنو عبد القوى الذين كان آخرهم الجليس بن عبد القوى الذى أدركه أسد الدين شيركوه .

ومهما كان الأمر فبفضل « تنظيم الدَّعْوة » تمكَّن الفاطميون من بَسْط نفوذهم وسيادتهم على أماكن مترامية من الأراضى الإسلاميه : فى السِّنْد والهند وعُمَان واليمن . وقام الدُّعاة بدور ملحوظ فى فرض السيطرة الفاطمية على طرق التجارة البحرية المؤدِّية إلى الهند ، وفى العمل على إثارة القلاقل فى أراضى الخلافة العباسية نفسها . وقد ظَلَّ أتباع الدعوة ، فى أغلب هذه المناطق ، محتفظين بحماسهم لها ، ولم يتهاونوا فى ذلك أبدًا – كما حدث فى مصر مركز الخلافة الفاطمية – فحفظوا لنا بذلك جزءًا كبيرًا من التراث الإسماعيلى بدأ يرى النور منذ وقت غير بعيد .

---

[١] المقريزى : اتعاظ ٢ : ٤٩ – ٥٠ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٢٠٩ وحفظ القلقشندى سجل توليته فى صبح ١٠ : ٣٨٤ – ٣٨٨ .

[٢] ابن الصيرفى : الإشارة ٧٦ ، ابن ميسر : أخبار ١١ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١٦٧ ، ٢١٢ ، المقفى (خ . السليمية) ٣٦١ و ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ١٩٣ ، ١٩٤ .

رسوم الفاطميين

الوزير المأمون والخليفة الآمر وتقرير الرُسُوم الفاطمية .

لاشك أن وصول الوزير المأمون البَطَائِحى إلى الحُكْم فى نهاية عام ٥١٥ / ١١٢١ يُمَثِّل منعطفًا هامًا فى تاريخ الدولة الفاطمية فى مصر . فطوال الثمانية والعشرين عامًا التى أعقبت وفاة المستنصر (٤٨٧ – ٥١٥) كان الوزير القوى الأَفْضَل شاهنشاه هو صاحب السلطة الفعلية فى البلاد ، فهو الذى أجلس المستعلى على كرسى الخلافة عوضًا عن أخيه نِزار صاحب الحق الشرعى[١] ، وبعد وفاته أقام ابنه أبا على المنصور فى الخلافة فى صفر سنة ٤٩٥ ولَقَّبه بالآمر بأحكام الله ، وكان ما يزال طفلًا لم يتجاوز الخامسة من عمره[٢] . وهكذا ظلَّ الأفضل طوال العشرين عامًا التالية حتى وفاته فى سنة ٥١٥ هو الحاكم الفعلى للبلاد فعَطَّل الكثير من رسوم الدولة وحَجَر على الخليفة الطفل ونقل الدَّواوين والأَسْمِطَة إلى دار المُلْك التى أنشأها سنة ٥٠١ على النيل جنوب فسطاط مصر ، وقَلَّص دور الخليفة فى الاحتفالات والأعياد . فلما بلغ الآمر سن الشباب عمل على التخلُّص من سيطرة الوزير الأفضل . ويشير المؤرخون بأصابع الاتهام إلى تواطؤ تَمَّ بين الخليفة الآمر والقائد أبى عبد الله محمد بن فاتك ، أستاذ دولة الأَفْضَل ، للتخلُّص من الأفضل الذى قُتل عشية عيد الفطر سنة ٥١٥[٣] .

كان من الطبيعى أن يعرض الآمر الوزارة على القائد محمد بن فاتك ولكنه تمَنَّع عن قبولها فى أوَّل الأمر ، فعُيِّن وَاسِطَة ثم تولَّى الوزارة كاملة فى ثانى ذى

---

(١) ابن ميسر : أخبار ٥٩ – ٦١ وما ذكر من مراجع ، Fu'ād Sayyid , A., *La capitale de l'Egypte à l'époque fatimide* pp. 462 - 466.

(٢) نفسه ٧٠ – ٧٤ .

(٣) ابن القلانسى : ذيل تاريخ ٢٠٣ – ٢٠٤ وفيما يلى ص ٧ – ٨ .

الحجة سنة ٥١٥ . وقد حَفظ الخليفة الآمر للقائد أبى عبد الله حرصه على استدعائه له ، فى أعقاب مقتل الأفضل ، لتسَلُّم تركته ، وكانت تركة عظيمة استمر نقلها من دور الأفضل إلى القصر نحو أربعين يومًا . وكان ذلك سبب تلقيب القائد أبى عبد الله « بالمأمون » فبعد أن شكره الآمر على صنيعه قال له : « والله إنك المأمون حقًّا مالك فى هذا النعت شريك . فلما قلَّده الوزارة نعته بالأَجَلّ المأمون فعرف به »[1] .

وقد قرئ سِجِلّ تولية المأمون على « باب مجلس اللُّعْبَة » وهو ، كما يقول ابن المأمون « أول سِجِلّ يُقْرأ هناك » . فقد كانت سِجِلَّات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالإيوان . ثم أمر الخليفة الشيخ أبا الحسن ابن أبى أسامة ، كاتب الدَّسْت ، بكتابة سِجِلّ آخر بنقل نسبة الأمراء والأستاذين المُحَنَّكين من « الآمرى » إلى « المأمونى » فلم « يكن أحدٌ قبل ذلك يُنْسب إلى الأفضل ولا لأبيه أمير الجيوش وإنما يُنْسَبون إلى الخليفة ، فصاروا يُنْسبون إلى المأمون »[2] .

وبعد انقضاء مراسم تقليده الوزارة ، وجد المأمون ضرورة مُلِحَّة لحديث منفرد مع الخليفة أملى عليه فيه شروطًا مهينة التزم الخليفة بها كتابةً وأُقْسِم له « بأن لا يلتفت لحاسدٍ ولا مبغض ، ومهما ذُكِرَ عنه يُطْلعه عليه ، ولا يأمر فى شيء سِرًّا ولا جهرًا يكون فيه ذهاب نفسه وانحطاط قدره ، وأن تكون هذه الأَيْمَان باقية إلى وقت وفاة المأمون ، فإذا توفى تكون لأولاده ولمن يخلفه بعده »[3] .

وقد حرَّر الخليفة خطَّه بالأَيْمَان من نسختين جُعِلت واحدة فى قَصَبَة فِضَّة أنفذ الخليفة فى طلبها عند القبض على المأمون فى سنة ٥١٩ وأحرقها ؛ أما

---

(1) فيما يلى ص ١٠ والمقريزى : المقفى (مخ . ليدن) ٢ : ٢١٢ ظ ، اتعاظ ٣ : ٦٤ – ٦٥ .

(2) ابن المأمون : أخبار ٢١ ، المقريزى : المقفى ٢ : ٢٠٧ و ، الخطط ١ : ٤٤٠ ، الاتعاظ ٣ : ٧٥ .

(3) ابن المأمون : أخبار ٢٢ – ٢٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ والمقفى ٢ : ٢٠٧ و ، الاتعاظ ٣ : ٧٥ – ٧٦ .

النسخة الأُخرى فقد بقيت عند ابن المأمون (جمال الدين أبو على موسى) ، الذى ذكر لنا تفصيل هذه الحادثة ، إلى أن عُدِمت « فى الحركات التى جَرَت »[1] .

وفى مقابل هذه الاشتراطات طلب الآمر إلى وزيره استعادة عَظَمَة الأعياد والاحتفالات الرسمية وأن لا تُجْبَى الأموال إلّا بالقصر ، ولا تصل الكُسْوَات من الطِّرَاز والثُّغور إلّا إليه ولا تُفَرَّق إلّا منه ، وتكون أسْمِطَة الأعياد فيه ، ويوسَّع فى رواتب القصور من كل صنف ، وزيادة رسم المِنْديل الذى برسْم الكُمّ . وتعَهَّد له المأمون بأن تكون الجباية والكسوات والأسمطة بالقصر ، والعمل على توسعة الرَّواتب وزيادة رسم مِنْديل الكُمّ من ثلاثين دينارًا إلى مائة دينار فى اليوم وأن الآمر سيشاهد ما يُعمل بعد ذلك فى الركوبات وأسْمِطَة الأعياد وغيرها فى سائر الأيام ، وهى الرُّسُوم التى كان قد منعها الوزير الأفضل وقَلَّص فيها دور الخليفة[2] .

كان الآمر مفتونًا بعظمة الاحتفالات وفخامتها ، ويرجع إليه ، كما يقول المقريزى ، الفضل « فى تجديد رُسُوم الدَّوْلة وإعادة بهجتها إليها »[3] . والواقع فإن كل ما نعرفه عن رسوم خلافة الفاطميين فى مصر وتفاصيل الاحتفالات الموكبية والأسْمِطَة وأنواع الخِلَع والكُسْوات التى كانت هذه الاحتفالات مناسبة لتفريقها على رجال الدولة ندين به ، فيما عدا نُتَف ذكرها المُسبِّحى فى أول الدولة الفاطمية ، إلى هذه الفترة .

وإذا كان الفاطميون قد عرفوا هذه الرُّسُوم فى أوَّل دولتهم ، فقد شهدت فى زمن الآمر بأحكام الله تطوُّرًا كبيرًا وبَلَغت من الفخامة حدًّا بعيدًا ، فوُضِعَت قواعد صارمة للبروتوكول حيث تقرَّر أن يجلس الخليفة الجلوس العام فى قاعة الذَّهَب يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع[4] ، بعد أن كان يتم

---

[1] نفسه ٢٣ . [2] نفسه ٢٣ . [3] المقريزى : الخطط ٢ : ٢٩١ . [4] فيما يلى ص ٢٠٦ ، أبو صالح الأرمنى : تاريخ ٢ : ٤ ، ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٧٨ ظ .

فى أوَّل الدولة كيفما اتَّفق[١] . ورُتِّب لركوب الخليفة ثلاثة أيام من كل أسبوع هى يوم الجمعة ويوم السبت ويوم الثلاثاء ، فإذا لم يتهيّأ له الركوب فى أحد هذه الأيام ركب فى يوم غيره . فقد كان الوزير يركب فى يومى السبت والثلاثاء بالرَّهَجِيَّة إلى القصر ثم يمضى مع الخليفة إلى النزهة فى بستان البَعْل والتاج والخمسة وجوه وقُبَّة الهواء من ظاهر القاهرة ، أو إلى دار المُلْك بمصر ، أو إلى الهَوْدَج الذى أنشأه الخليفة الآمر بجزيرة الرَّوْضة[٢] . أما يومى الأحد والأربعاء فقد كان يجلس فيهما الوزير المأمون فى داره على سبيل الرَّاحَة[٣] .

وقد شَهد عام ٥١٦ / ١١٢٢ عودة الاحتفالات التى أُهمِلَت منذ تَسَلُّط بدر الجمالى وابنه الأفضل على الدولة . فمع بداية هذا العام أعيد الاحتفال بالموالد الأربعة : النبوى والعلوى والفاطمى والإمام الحاضر بعد أن كان الأفضل قد أبطل أمرها وقَدُم العهد بها حتى نُسِيَ ذكرها . وأوَّل ما أعيد منها المولد الآمرى (مولد الإمام الحاضر) وكان فى الثانى عشر من المحرم[٤] .

وفى مستهل رجب عُمِلَت الأسْمِطَة الجارى بها العادة ، وقد انتهز الخليفة هذه المناسبة ليبالغ فى شُكْر وزيره وإطرائه بعد أن أظهر من المَسَرَّة والانشراح ما لم تجر به عادته ، على حد قول ابن المأمون . وقال للوزير : « قد أَعَدْت لدولتى بهجتها وجدَّدت فيها من المحاسن ما لم يكن ، وقد أَخَذَت الأيامُ نصيبها من ذلك وبقيت الليالى ، وقد كان بها مواسم قد زال حكمها وكان فيها

---

[١] المسبحى : أخبار ٢٨ ، ٣٦ ، ٣٩ .

[٢] ابن المأمون : أخبار ٩٦ – ٩٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٨١ ، ٢ : ٢٩١ ، الإتعاظ ٣ : ٧٨ ، ١٢٩ والمقفى (مخ . ليدن) ٢ : ٢٠٩ ظ ، وكذلك ساويرس : تاريخ ٣ / ١ : ٢٤ .

[٣] المقريزى : اتعاظ ٣ : ٧٨ .

[٤] ابن المأمون : أخبار ٣٥ .

تَوْسِعَة وبِرٌّ ونفقات ، وهى : « ليالى الوقود الأربَع » ، وقد آن وقتهن فأشتهى نظرهن » . فامتثل الوزير الأمر وتقدَّم إلى متولِّى بيت المال بأن يهتم بأمر هذه الليالى وأن يُطْلق للجوامع والمساجد تَوْسِعَة فى الزَّيْت برسم الوقود[١] .

وفى آخر رمضان عُمِل الخَتْم بالقصر وعُبِّى سِمَاط الفِطْرَة بمجلس المُلْك بقاعة الذَّهَب[٢] ، ووصلت الكُسْوَة المختصة بالعيد وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار[٣] . فقد كان الأفضل قد نقل الأُسْمِطَة وصارت تُعْمَل أيام الأعياد والمواسم فى دار المُلْك بمصر حيث كان يقيم[٤] . وفى هذه السنة صلَّى الآمر بالناس صلاة العيد فى المُصَلَّى ظاهر باب النَّصْر وخطَب وكان ذلك قد بَطَل أيضًا منذ أيام أمير الجيوش[٥] .

ومن الأمور التى أُهْمِلَت ، بسبب الأزمة التى مرَّت بها البلاد فى منتصف القرن الخامس ، الإقامة بمنظرة اللُّؤْلُؤة فى وقت زيادة النيل . فلما استعاد الآمر رسوم الدولة صار يتحوَّل فى أيام النيل من القصر بحرمه ويسكن فى اللؤلؤة المطلَّة على خليج القاهرة ، بينما يسكن المأمون فى دار الذَّهَب المجاورة لها ، والشيخ أبو الحسن على بن أبى أسامة منظرة الغزالة القريبة منها[٦] . وكان الناس يوم ركوبه يخرجون من القاهرة ومصر بمعايشهم ويجلسون للنظر إليه فيكون كيوم العيد[٧] ، وكانوا يصنعون أخشابًا متراكبة بعضها على بعض يجلسون فوقها للتفرج يوم كسر الخليج ، لذلك فقد أمر الخليفة فى سنة ٥١٨ ببناء دار واسعة ليتفرَّج الناس فيها عند كسر الخليج بالكراء[٨] .

---

(١) ابن المأمون : أخبار ٣٦ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٨٢ والخطط ١ : ٤٦٦ والمقفى (مخ . ليدن) ٢ : ٢١٠ ظ .

(٢) نفسه ٨٣ ، نفسه ٣ : ٨٣ ، نفسه ١ : ٤٥٢ ، ٤٩٢ .

(٣) نفسه ٣٨ ، الخطط ١ : ٤٥٢ .

(٤) اتعاظ ٣ : ١٣٣ .

(٥) نفسه ٣ : ٨٣ وابن المأمون : أخبار ٢٤ - ٢٥ والخطط ١ : ٤٥٢ .

(٦) ابن المأمون : أخبار ٧١ ، ٩٨ - ١٠٠ ، الخطط ١ : ٤٦٨ ، ٤٧١ ، اتعاظ ٣ : ١٢٩ .

(٧) اتعاظ ٣ : ١٢٩ .

(٨) نفسه ٣ : ١٠٧ .

وهكذا فإن أغلب ما نعرفه عن رُسُوم الدولة الفاطمية يرجع إلى الفترة التى شارك فيها الخليفة الآمر الوزير المأمون فى الحكم (٥١٥ – ٥١٩) والتى قدَّم لنا ابن المأمون (الأمير جمال الملك أبو على موسى) تفصيلات دقيقة عنها . والفضل فى ذلك يرجع إلى وَلَع الخليفة الآمر بالمواكب والاحتفالات والأعياد وإلى استعداد الوزير المأمون البطائحى إلى تلبية رغبات الخليفة فى هذا المجال .

المَوَاكِبُ الاحْتفالية زَمَن الفاطميين

وتجدر الإشارة إلى أن رسوم البلاط الفاطمى كانت تتضمَّن عددًا من المواكب الاحتفالية بعضها دينى مثل : ركوب أول رمضان وركوب أيام الجمع الثلاث من شهر رمضان وركوب عيد الفطر وركوب عيد النَّحْر . وبعضها الآخر مدنى مثل : ركوب أوَّل العام وركوب تخليق المِقْيَاس وركوب فَتْح الخليج .

فالعادة أن يحتفل المسلمون طوال العام بعيدَىْ الفِطْر والأضْحَى ، وهما العيدان اللذان يحتفل بهما المسلمون فى كل مكان . وإلى جانب هاذين العيدين كانت العادة فى مصر الفاطمية أن يُحْتَفَل كذلك « برأس السنة الهجرية » (أول المحرم) باحتفال ليلى يستمر إلى اليوم التالى « أوَّل العام » ، و « مولد النبى » (١٢ ربيع الأول) ، و « قافلة الحج ».وبالإضافة إلى ذلك كان هناك الاحتفال « بليالى الوقود الأربع » . كما أن « صَوْم رمضان » كانت تصحبه بعض الرسوم فى البلاط الفاطمى خاصة وقت « سُحُور » الخليفة[1] .

أما إحياء ذكرى المناسبات الشيعية فقد كانت عديدة على رأسها : « حُزْن عاشوراء » (١٠ محرم) حيث يُمَدُّ فيه سماط يعرف « بِسمَاط الحُزْن » ،

---

(1) ابن المأمون : أخبار ٨٢ – ٨٣ ، الخطط ١ : ٤٩١ – ٤٩٢ .

وكذلك « مَوْلد الحُسَيْن » (٥ ربيع الأول) و « مَوْلد السَّيِّدة فاطمة » (٢٠ جمادى الآخر) ، و « مَوْلد الإمام على » (١٣ رجب) و « مَوْلِد الحسن » (١٥ رمضان) و « مَوْلِد الإمام الحاضر » (وهو الثانى عشر من المحرم بالنسبة للآمر بأحكام الله) . ويُطْلَق على هذه الموالد الخمسة الأخيرة بالإضافة إلى « المولد النَّبوى » : « المَوَالِد الستة » أما آخر هذه الاحتفالات الشيعية « فعيد غَدير خُمّ » (١٨ ذى الحجة)[1] .

وكعادة سابقيهم كان الفاطميون يحتفلون بأعياد النيل حيث كان « كَسْرُ الخليج » مناسبة لخروج الجماهير للاستمتاع بمنظر النيل ومشاهدة الخليفة وهو ينظر هذا الاحتفال . ويدخل فى هذا النوع من الاحتفالات رأس السنة القبطية أو « النَّوْرُوز » (أول توت) الذى يتوافق قدومه مع أقصى ارتفاع للفيضان .

كذلك فقد كان الخلفاء الفاطميون يُبْرِزون بحضورهم قيمة الاحتفالات الشعبية التى كانت تصحب بعض الأعياد القبطية مثل : « المِيلَاد » و « الغِطَاس » و « خميس العَهْد » الذى كان مناسبة تَضْرِب فيها الحكومة الفاطمية قطعًا صغيرة ذهبية تسمى « خراريب الذَّهَب »[2] .

ميزانية الاحتفالات الفاطمية .

وبالطبع فإن كل هذه الاحتفالات لم تكن تمر دون إرهاق ميزانية الدولة الفاطمية . فبمطالعة « الاستيمار » أو « الرُوزْنامَج » الذى يتضمَّن ما أُنْفِق عَيْنًا من بيت المال فى مُدَّة أوَّلها محرم سنة ٥١٧ وآخرها سَلْخ ذى الحجة منها (أول مارس ١١٢٣ – ١٨ فبراير ١١٢٤) ، والذى حفظه لنا ابن المأمون فى

---

(1) انظر فيما يلى ص ٢١٧ . Wiet , G., CIA Egypt II, pp. 176 - 177 , Fu'âd Sayyid, A., op. cit., pp. 503 - 505.

(2) ابن المأمون : أخبار ٩٥ ، الخطط ١ : ٤٥٠ ، Balog , P., « Monnaies islamiques rares fatimides et ayyubides » , BIE XXXVI (1953 - 54) , pp. 328 - 329.

تاريخه ، نستطيع أن نلحظ حجم المبالغ المنصرفة فى هذا العام والذى يبدأ بعد خمسة عشر شهرًا فقط من تولّى المأمون البطائحى الوزارة . فقد بلغ حجم المنصرف عينًا « أربعمائة ألف وثمانية وستون ألفا وسبعمائة وتسعون دينارًا ونصف من جملة خمسمائة ألف وسبعة وستين ألفا ومائة وأربعين دينارًا ونصف » (٧٩٠ , ٤٦٨) وفى حقيقة الأمر فقد وُفِّر من أبواب هذا الاستيمار ٩٨,٣٩٧ دينارًا حملت إلى الصناديق الخاص برسم المهمات العسكرية الاستثنائية .

أما القسم الثانى من هذا الرُّوزْنامج فقد بلغ مائتى ألف ومائة دينار خُصِّصت « للديوان المأمونى » الذى ابتلع بذلك أكثر من رُبْع مجموع نفقات الدولة وهو يتضمَّن مصروفات الوزير وإخوته وأولاده بالإضافة إلى ما يُحْمَل مشاهرة إلى موظفى الدولة[1] .

وفى الوقت نفسه فإننا نعلم كذلك المُنْفق فى مطابخ وأَسْمِطَة الخليفة الآمر فقد كان يُذْبح له فى كل شهر خمسة آلاف رأس من الضَّأْن ثَمَن الرأس ثلاثة دنانير ، غير ما يذبح من الأنواع الأخرى[2] . ومن جهة أخرى يذكر لنا ابن المأمون أن عدد ما ذُبِحَ فى عيد النَّحْر وعيد الغَدِير سنة ٥١٥ بلغ ألفين وخمسمائة وأحد وستون رأسًا تفصيله ، نوق : مائة وسبعة عشر رأسًا ، بَقَر : أربعة وعشرون رأسًا ، جاموس : عشرون رأسًا وهو عدد ما كان يذبحه الخليفة بيده فى المُصَلَّى والمَنْحَر وباب السَّاباط . بينما كان الجَزَّارون يذبحون ألفين وأربعمائة رأس من الكباش[3] .

---

(1) ابن المأمون : أخبار ٧٠ – ٧١ ، الخطط ١ : ٣٩٩ ، المقفى (مخ . ليدن) ٢ : ٢١٢ و ، Wiet , G., *op. cit.*, p. 181 ; Fu'ād Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 506 - 508 وقارن ذلك بالاستيمار المعمول فى زمن الوزير اليازورى فى منتصف القرن الخامس (الخطط ١ : ٨٢ ، ٩٩) .

(2) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٣١ .

(3) ابن المأمون : أخبار ٢٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٦ وقارن بما ذبحه الخليفة فى سنة ٥١٦ (ابن المأمون ٤١ – ٤٢ ، الخطط ١ : ٤٣٦) .

وهذا بالطبع غير ميزانية دار الفِطْرَة والأَسْمِطَة والكُسْوَات التى كانت توزَّع فى المناسبات المختلفة والتى أمدّنا ابن المأمون بمعلومات غنية عنها[١] .

ولن أجد لوصف رسوم هذه الاحتفالات والمواكب وترتيب مجلس المُلْك أَفْضَل وأَدَقّ مما قدَّمه ابن الطُّوَيْر ، مصدرنا الوحيد لذلك ، بأسلوبه الخاص والذى يجده القارىء فيما يلى من صفحات هذا الكتاب[٢] .

الطبوغرافية الداخلية للقصر الفاطمى

ويبقى موضوع يجب أن نستخرجه من خلال نصّ ابن الطُّوَيْر خاص بالطُّبوغرافية الداخلية للقصر الفاطمى ، حيث قدَّم لنا ابن الطُّوَيْر مادة غنية تساعدنا على تَصَوُّر تخطيط قاعة الذَّهَب والإيوان حيث كان يُعْقَد المَجْلِس ، وتعريف السُّهْدِلَّا والشُّبَّاك ، حيث كان يُحْتَفَل بيوم عَرْض الخيل ، وهى المواضع التى جرى فيها القسم الأكبر من رسوم أو تقاليد هذه الاحتفالات .

القَاعَةُ والمَجْلِس

ذَكَرْتُ فى مُقَدِّمة الكتاب أن ابن الطُّوَيْر يُقَدِّم لنا خلال وَصْفه للاستعدادات المصاحبة لركوب الخليفة فى المواكب العظام ، وكذلك عند ذكره لهيئة الخلفاء فى الجلوس العام بمجلس المُلْك ، ووَصْفِه للأَسْمِطَة التى كانت تُمَدُّ فى قاعة الذَّهَب فى المناسبات المختلفة ، وَصْفًا دقيقًا لترتيب هذه القاعة ولمواضع أخرى من القصر مما يعين على إعادة بناء الطبوغرافية الداخلية لجزء من القصر الفاطمى[٣] .

---

(١) نفسه ٢٥ ، ٢٦ ، ٣٥ – ٣٦ ، ٣٨ ، ٤٨ – ٥٥ ، ٦٦ – ٦٨ .

(٢) قدمت لنا الدكتورة باولا سوندرز عرضًا شاملًا للمراسم والمواكب سواء عند الأمويين أو العباسيين أو الفاطميين (انظر ، Sanders , P., *EI²*., art . *Marâsim* VI, pp. 502 - 505 ; art. *Mawâkib* VI , pp. 841 - 843).

(٣) انظر أعلاه ص ٩* .

وتتَّفق الأوصاف التى يقدّمها لنا ابن الطُّوَيْر ، بل تتطابق فى كثير من الأحيان ، مع الأوصاف التي نعرفها لهذه القاعة والتى أمدَّنا بها على التوالى : المُسَبِّحِى وناصرى خسرو وغليوم أسْقُف صور Guillaume de Tyr ، مما يعيننا على تقديم وصف متكامل للترتيب الداخلى لبعض أجزاء القصر الفاطمى وعلى الأخص لقاعة الذَّهَب والإيوان الكبير والسَّهْدِلِّى والدَّهاليز الطوال والشُّبَّاك .

ولكى نستطيع التعرُّف على نَمَط بناء هذه المواضع ، فإنه يجب علينا أن نتعرَّف على نَمَط وأسلوب البناء السائد فى مصر قبل الفاطميين وعلى الأخصّ فى الفُسْطَاط ، وكيف عرف هذا النَمَط طريقه إلى القاهرة فى زمن الفاطميين . فقد أسفرت الحفائر التى قام بها على بك بهجت وألبير جبرييل Albert Gabriel فى الفُسْطاط بين سنتى ١٩١٢ و ١٩٢٠ ، وكذلك الحفائر التالية والتى قامت بها لجنة حِفْظ الآثار العربية سنة ١٩٣١ والهيئة العامة للآثار سنتى ١٩٦٤ و ١٩٧٢ ، ثم الحفائر التى قادها الأستاذان جورج سكانلون G. Scanlon وفلاديسلاف كوبياك V. Kubiak بين سنتى ١٩٦٦ و ١٩٨٢ ، أسْفَرَت عن الكشف عن عددٍ من الدور التى يرجع تاريخها إلى العصرين الطولونى والفاطمى . وتتكوَّن هذه الدور ، فى معظمها ، من نظام هندسى قائم على محورين متعامدين يلتقيان فى وَسَط « صَحْن » مكشوف ، مربع أو مستطيل ، فى كل جنب من جوانبه « رِوَاق » ذو ثلاث فتحات تختلف فى الضيق والسَّعَة ، فالفتحة الوسطى أوْسَع من الفتحتين الجانبيتين ويفصلها عنهما كَتِفان مبنيان بالآجر ، ويتراوح عرض هذا الرواق بين متر وثمانين سم ومترين . وفى سَمْت الرِّواق « القَاعَة » وهى قاعة كبيرة يزيد طولها عن عرضها وتكتنفها من جانبها حجرتان صغيرتان منعزلتان عنها (أى أنها مجموعة مكوَّنة من رِوَاق داخله قاعة) .

وفى الجوانب الثلاثة الأخرى من الصَّحْن ، فى محور كل جانب ، « أواوين » تختلف فى الامتداد إلى الداخل فتكون منها تارة قاعات وتارة أخرى ، وهو الأغلب ، أواوين صغيرة أو صُفَف[1] .

---

[1] على بهجت وألبير جبرييل : حفريات الفسطاط ، القاهرة ١٩٢٨ ، ٨٥ – ٨٩ . وانظر كذلك عباس حلمى كامل : تطور المسكن المصرى الإسلامى من الفتح العربى حتى الفتح العثمانى ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة .

هكذا وصف على بهجت شكل الدور التى كشفت عنها حَفَائِر الفُسْطاط ، وقد أطلق كريزويل Creswell على العنصر الذى وصفه بهجت بأنه إيوان مفصول عن الصحن برواق ذى ثلاث فتحات The T-plan أى المخطط على شكل الحرف T أو « البيت السامرَّائى » أى المبنى على طراز سامرًّا فى العراق[1] .

وقد استمدَّت المنشآت الملكية الطولونية والفاطمية ، مثلها مثل الدور التى كُشِفَت فى الفسطاط ، طِرازها من طِرَاز سامرًّا (سُرَّ من رأى) فى البناء الذى أُدْخِل على فن العمارة الإسلامية ذلك الأسلوب الذى يَنْسِب المؤرِّخ والجغرافى المَسْعُودى ، إحداثه إلى الخليفة المتوكِّل العبَّاسى (٢٣٢ - ٢٤٧هـ) فقد ذكر أنه « أُحْدَث فى أيَّامه بناءً لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف « بالحِيرى والكُمَّيْن والأَرْوِقَة » (أخذه عن ملوك الحِيرَة من النعمانية من بنى نَصْر ، حيث أُحْدَث أحدهم بنيانًا على صورة الحرب للَهَجِه بها) « فكان الرِّوَاق فيه مَجْلِس الملك وهو « الصَّدْر » ، و « الكُمَّان » مَيْمَنَة ومَيْسَرة ، ويكون فى البيتين اللذين هما الكُمَّان مَنْ يقرب إليه من خواصّه ، وفى اليمين منهما خِزانة الكُسوة وفى الشمال ما احتيج إليه من الشراب ؛ والرِّواق قد عمّ فضاؤه الصَّدْر ، والكمَّيْن والأبواب الثلاثة على الرِّواق ؛ فسمِّى هذا البنيان إلى هذا الوقت بالحيرىّ والكُمَّيْن إضافة إلى الحيرة ، واتَّبع الناس المتوكِّل فى ذلك ائتمامًا بفعله واشتهر إلى هذه الغاية »[2] .

وقد اعتاد الباحثون على القول بأن هذا الطِّراز من البناء هو عبارة عن إيوان مصمَّم على شكل حرف الـ T اللاتينى ومدعم بغرفتين ملاصقتين واقعتين على جانبى القسم الرئيسى للإيوان والممتد إلى الداخل والذى يُطْلَق عليه

---

(1) Creswell, K.A.C., *MAE* I, pp. 121, 128.

(2) المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (نشرة شارل بلّا - بيروت ، منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٦٦ - ١٩٧٩) ٥ : ٦ .

« الصَّدْر » (والذى يماثل ذيل حرف الـ T) وهو الجزء الذى يُرَتَّب فيه مكان الاجتماع والمعروف « بالمَجْلِس » . وفى طراز سامرًا ، كما يعرضه المسعودى ، فإن الرِّواق هو مجموع البناء الذى يفتح على الصَّحْن بثلاثة أبواب (واحد فى مواجهة صَدْر المجلس والاثنان الآخران على الجانبين فى امتداد الغرفتين الملحقتين)[1] . وإذا كان الرِّواق حقًّا هو الطابع المميِّز لطراز سامرًا فيمكننا القول بأن « بيت الذَّهب » الذى عمله خُمَارَوَيْه فى داره ، كان على هذا المِثَال بما أن المقريزى يصفه بأنه مجلس عَمَله برواق داره[2] .

ولا شك أن « قاعَة الذَّهَب » الملحقة بالقصر الفاطمى (حيث كان الخلفاء يجلسون الجلوس العام يومى الاثنين والخميس)[3] كانت مصمَّمة على هذا الطِّراز الذى انتقل إلى عمائر القاهرة من الفُسْطاط ، بل يبدو أن هذا التصميم كان الطِّراز السائد فى هذا العصر . فقد كَشَفَت الحفائر التى أُجريت فى مدينة صَبْرة المنصورية بتونس بقرب القيروان ، عن قاعة فى قصر الخليفة المنصور بالله الفاطمى تشبه القاعات الموجودة فى دور الفسطاط والمبنية على طراز سامرًا[4] ، وهذا لا يعنى وجود تبادل فنى بين مصر وإفريقية قبل انتقال الفاطميين إلى مصر ، ولكن يثبت أن هذا الطِّراز كان شائعًا فى كثير من أقاليم العالم الإسلامى فى هذا الوقت . ورغم أن المُسَبِّحى يُطْلِق لفظ « قَصْر » على هذا الموضع ، « قصر الذَّهَب »[5] ، فإنه اعتبارًا من ابن المأمون[6] وابن

---

(1) Garcin, J.Cl., *Habitat médiéval et histoire urbaine*, p. 170.

(2) المقريزى : الخطط ١ : ٣١٦ . وانظر وصف المجلس فى قصور العراق عند Grabar, O., *La formation de l'Art Islamique*, Paris 1984, pp. 206 - 208.

(3) انظر فيما يلى ص ٢٠٥ .

(4) Zbiss, S.M., « Mahdia et Ṣabra Mansouriyya - Nouveaux documents d'art fatimide d'Occident », *JA* CCXLIV (1956), pp.85 - 88 ; Marçais, G., *EI²*, II, pp. 882 - 83.

(5) المسبحى : أخبار مصر ٢٨ ، ٣٦ .

(6) ابن المأمون : أخبار ٤٣ ، ٦٠ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩٣ ، ٩٩ وكذلك عمارة اليمنى : النكت العصرية ٣٢ ، ٧٤ .

الطُّوَيْر نجد لفظ « قاعة » هو المستخدم فى التدليل عليه . ويذكّرنا وصف ابن الطُّوَير لترتيب قاعة الذّهَب بوصف « الحيرى والكُمَّيْن والأروقة » الذى وصفه المَسْعُودى . فقد كان الانتقال من أحد « فَرْدَى الكم » بها إلى « الصَّدْر » (حيث يوجد المَجْلِس) يتم عبر « المَقْطَع » أو « مَقْطَع فَرْد الكم »[١] ، الذى نعرف من خلال إحدى أوراق الجنيزة ، التى أرَّخها Goitein سنة ٥٨٦ / ١١٩٠ ، أنه كان بابًا مزودًا بمصراع من الخشب المنقوش[٢] أو بابًا مطويًا[٣] ، يصل الجزء الرئيسى للإيوان ، وهو الصَّدْر ، مع كلٍ من فَرْدى الكُمّ ، أى الغرفتين الملحقتين[٤] .

ونعرف من خلال وصف ابن الطُّوَيْر لهيئة جلوس الخلفاء فى المجلس بقاعة الذَّهب ، أن الجزء الرئيسى للقاعة أو الصَّدْر (حيث كان يُعْقد المجلس) لم يكن من الممكن مشاهدته من الصَّحْن إلّا بعد فتح باب المجلس ورَفع الستر الموجود عليه بإشارة من « صاحب المَجْلِس » ، ولا يتم ذلك إلّا إذا تهيّأ جلوس الخليفة على السرير فى صدر المَجْلِس[٥] .

---

(١) انظر فيما يلى ص ٢٠٨ . والمقريزى : اتعاظ ٣ : ٧٤ .

(٢) « عليه وعلى كمية أبواب منقوشة » .
Sayed , H.I., « The Development of the Cairene *Qā'a* : Some Considerations », *An. Isl.* XXIII (1987) , p. 36.

(٣) *Ibid.*, p. 36.

(٤) Garcin , J. Cl., *op. cit* ., pp. 170 , 171.

(٥) « فإذا تهيأ الجلوس استدعى الوزير من المقطع إلى باب المجلس المذكور وهو مغلق وعليه ستر .... وخرج من المقطع الذى يقال له فرد الكم ، فإذا الوزير واقف أمام باب المجلس .... فيشير صاحب المجلس إلى الأستاذين فيرفع كل منهما جانب الستر فيظهر الخليفة جالسًا ...... وبعد انقضاء المجلس يُرخى الستر ويُغْلق باب المجلس إلى يوم مثله . (انظر فيما يلى ص ٢٠٧ – ٢٠٨) .
وقد استجد تقليد جديد ، بعد وفاة الوزير الأفضل ، فأصبحت سجلات تولية الوزراء تقرأ على باب هذا المجلس (المعروف بمجلس اللُّعْبَة) بعد أن كانت قبل ذلك تقرأ بالإيوان ، وكان سجل تولية المأمون البطائحى هو أول سجل قرئ هناك . (ابن المأمون : أخبار ٢١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ والاتعاظ ٣ : ٧٥ والمقفى (مخ . ليدن) ٢ : ٢٠٦ و) .

ونعرف كذلك من وَصْف ابن الطُّوَيْر لسِمَاط العيد ، الذى كان يُمَدّ فى قاعة الذَّهَب ، أن طول القاعة لم يكن بعمق القصر عموديًا على باب الذَّهَب ، وإنما كان موازيًا لواجهة القصر الغربية فيما بين باب الذَّهَب (المؤدى إلى هذه القاعة من خلال الدَّهاليز) والمُحَوَّل الذى كان يُدْخَل إليه من باب البحر (وهو الباب الذى يلى باب الذَّهَب من ناحية الشَمَال) . فيذكر ابن الطُّوَيْر أن سِمَاط رمضان كان يُبْسَط فى طول القاعة مادًّا من الرِّواق إلى ثلثى القاعة[1] ، أما بالنسبة لسِمَاط العيد فقد كان سرير الملك يُنْصَب أمام باب المَجْلِس فى الرِّواق (وتُنْصب عليه مائدة من فضة يقال لها المُدَوَّرة) ثم يُنْصب السِّماط أمام السرير إلى باب المَجْلِس قبالته ويُعْرَف بالمُحَوَّل طول القاعة[2] . وكان يسبق القاعة دِهْليز سمَّاه ابن الطُّوَيْر وساويرس بن المقفع « دِهْليز العمود »[3] ، يبدو أنه رواق بأعمدة مما يُعْطى انطباعًا بأن القاعة كانت فى غاية الاتساع وأنه كان من الضرورى وجود دعائم لرفعها مكوَّنة من عددٍ من الأعمدة ، وهو ما يتَّفق مع وصف غليوم أسقف صور كما نقله إلى الفرنسية جستاف شُلُمْبِرْجيه ، يقول : « Une vaste cour découverte qu'entouraient de magnifiques portiques à colonnades » أى « فناء واسع مكشوف تحيط به أروقة ذات أعمدة »[4] . وكانت الدَّهاليز التى تقود إلى دِهْليز العمود وقاعة الذَّهَب حالكة الظلام وهذا ما دَفع الوزير العادل بن السَّلار ، حين استوحش من الخليفة الظَّافر ، إلى « نقل جلوسه من القاعة التى يُدْخَل فى دهاليزها المظلمة إلى الجلوس بالإيوان فى البراح والسعة »[5] وكانت

---

(1) انظر فيما يلى ص ٢١٢ .

(2) انظر فيما يلى ص ٢١٣ .

(3) فيما يلى ص ٢٠٦ ، ساويرس : تاريخ البطاركة ٣ / ١ : ٥٦ .

(4) Schlumberger , G., *Campagnes du Roi Amaury Ier de Jérusalem en Egypte au XIIe siècle* , Paris 1906 , p. 119.

(5) انظر فيما يلى ص ٥٩ .

شكوك العادل بن السَّلار فى مكانها فقد قُتِل بعد ذلك الوزير الصالح طلائع ابن رُزِّيك فى سنة ٥٥٦ « فى باب السِّرداب من الدِّهْليز المظلم الذى يُدْخل منه إلى القاعة »[1] . كما أن الحاكم بأمر الله سبق وقتل خادمه عُطُوف فى سنة ٤٠١ بجماعة من الأتراك وقفوا له فى دِهْليز القصر واحتزوا رأسه[2] . ويتَّفق هذا الوصف تمامًا مع وصف غليوم أسقف صور الذى أطلق عليها « longues et etroites allées voûtées , tout à fait obscures , où l'on ne voyait goutte » أى « دهاليز طويلة وضيِّقة ذات أقبية حالكة الظلمة لا يستطيع الإنسان أن يتبيَّن فيها شيئًا »[3] .

وكان دِهْليز العمود يقود إلى « مَقْطَع الوزارة » حيث توجد المرتبة المختصة بالوزارة وعندها الباب المعروف بباب السِّرداب والذى جرى الرَّسْم بإغلاقه لوزراء السيوف والأقلام[4] ، وكانت حمَّام القصر تقع من خلف هذا الباب[5] .

ويبدو أن أغلب أبواب القصر الفاطمى كانت تفتح على دَهَاليز طويلة مظلمة تقود سواء إلى قاعات القصر أو أفنيته المختلفة . وقد أدرك المقريزى أحد هذه الدَّهاليز فى مطلع القرن التاسع يقول وهو يصف باب الرِّيح ، وهو باب القصر الذى يفتح فى واجهته الشمالية : إنه « كان بابًا مربعًا يُسلك فيه من دِهْليز مستطيل مظلم إلى حيث المدرسة السابقية ودار الطَّوَاشى سابق الدين وقصر أمير سلاح وينتهى إلى ما بين القصرين تجاه حمام البَيْسَرى » وأنه

---

[1] المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٣١٤ ، وقارن : عمارة : النكت العصرية ١٤٥ ، أبو شامة : الروضتين ١ : ٣١٢ ، ساويرس : تاريخ ٣ / ١ : ٥٦ وانظر كذلك اتعاظ ٢ : ١٨٣ .

[2] المسبحى : نصوص ضائعة ٣٠ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٤ ص ٦ ، ١٣ – ١٤ .

[3] Schlumberger , G., *op. cit.*, p. 118 .

[4] ابن ميسر : أخبار ٨٩ .

[5] نفسه ٩٠ .

كان دِهْليزًا « عريضًا يتجاوز عرضه فيما أُقَدِّر العشرة أذرع [نحو ستة أمتار] فى طول كبير جدًا »(١) [نحو اثنين وثلاثين مترًا] .

ويتَّضح كذلك من الأوصاف التى ساقها ابن الطُّوَيْر وما يُسْتَقْرأ من نصوص المقريزى أن القاعات الرئيسية للقصر كانت غالبًا على شكل إيوانات عميقة مفتوحة على أَفْنِيَة أو على أَرْوِقَة مستعرضة تطلّ عليها ولم تَتَّخذ بعد شكل القاعات المغلقة . فعندما نَصَب المعز لدين الله « الشَّمْسَة » التى عملها للكعبة على إيوان قصره يوم عَرَفَة سنة ٣٦٢ « رآها الناس فى القصر ومن خارجه لعلو موضعها »(٢) . وهو ما يدل عليه كذلك شكل « قاعة سِتّ الملك » ، كما سيتضح بعد قليل . وبذلك فإن طراز القاعات المُغَطَّى لم يظهر فى العصر الفاطمى ، فالمقريزى عندما يذكر « قاعة سِتّ المُلْك » فإنه يقصد بالقاعة الفناء المتوسط والإيوانات الأربعة حوله(٣) ، وعلى ذلك فإن الفناء بما حوله يُعَدُّ بمثابة قاعة واحدة متكاملة ويمثل الطِّراز المعروف للقاعات فى العصر الفاطمى والذى انتشر فى الفترة بين إقامة القصور الفاطمية وإقامة « قاعة الدَّرْدير » فى النصف الأول للقرن السادس / الثانى عشر ، وهى بداية ظهور القاعات المُغَطَّاة فى القاهرة ، والذى أُخذ عنه تصميم المدارس المتعامدة فى العصر المملوكى الأول(٤) .

أما مكان الشَّرَف بقاعة الذَّهب ، الذى كان يقف به كبار رجال الدولة ، فهو آخر الرِّواق الذى يُطْلِق عليه ابن الطُّوَيْر « الإفْريز العالى عن أرض القاعة » وكان يقع خارج باب المَجْلِس ، المعروف بِمَجْلِس اللُّعْبَة ، بامتداد الرِّواق ويعلوه ساباط على عقود قناطر لتدعيم القاعة(٥) . كذلك فقد كان على

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٤ .

(٢) المقريزى : اتعاظ ١ : ١٤٠ – ١٤١ .

(٣) الخطط ٢ : ٤٠٦ .

(٤) Fu'ād Sayyid , A., *op. cit.*, pp. 346 - 352.

(٥) انظر فيما يلى ص ٢٠٨ .

جانبى « دِهْليز العمود » عددٌ من المصاطب تُوَصِّل بعضها ببعض بِدِكَك يُمَدُّ عليها سِمَاطُ حُزْن عاشوراء[١] .

وإذا كنا قد فَقَدْنا كل أثر للقصر الفاطمى وبالتالى لقاعة الذَّهَب ، فقد حَفظَ لنا الزمن مُخَطَّط « قاعة ستّ المُلْك » – إحدى قاعات القصر الغربى الصغير – حفظها اتصالها بمجموعة قلاوون الشهيرة التى بنيت على جزء من أرض القصر الغربى الصغير . فقد تمكَّن هرتس باشا Herz Pacha خلال حفرياته بمارستان قلاوون ، فى أول هذا القرن ، من اكتشاف التخطيط الأصلى لهذه القاعة وهو يثبت بما لا يدع مجالًا للشك أنها بنيت على طراز سامرّا الذى بنيت عليه قاعة الذَّهَب[٢] .

ولاشك أن دائر قاعة الذَّهَب كان يوجد إفريز من الخشب المحفور (Bois sculptés) تحت سقف القاعة كذلك الإفريز المكتشف فى مارستان قلاوون ، ويظن الباحثون أنه كان يدور كإفريز تحت سقف قاعة ست الملك . وتحمل هذه الأخشاب مناظر طَرَب أو موسيقى أو صيد أو قتال وكذلك صور طيور وحيوانات ، وكانت فى الأصل مدهونة بالألوان مما كان يُظْهِر دقائقها ويزيدها وضوحًا[٣] .

وإذا عدنا إلى استخدام مصطلح « المَجْلِس » للتدليل على « القاعة » فسنجد أن المجلس قد ذُكِرَ فى حُجَّتى وَقْف مؤرختين فى سنتى ٦٥٨ / ١٢٦٠

---

(١) انظر فيما يلى ص ٢٢٤ .

(٢) Herz, M., *Die Baugruppe des Sultans Qalaun in Kairo (Abhandlungen des Hamburgischen Kolonialinstituts, Band XXXII)*, Friederichsen, Hamburg 1919, pp. 25 - 26 ; Gabriel, A., *Les fouilles d'al-Fousṭāṭ et les origines de la maison arabe en Egypte*, Paris 1921, pp. 64 - 68.

(٣) Herz, M., « Boiseries fatimides aux sculptures figurales », *Orientalisches Archiv* III (1913), pp. 170 - 171.

و ٦٨٤ / ١٢٨٥ باسم « المَجْلِس الحيرى بكُمَّيْن »[١] ، ولكن كان يُكْتَفى فى أغلب الأحيان بإطلاق كلمة « المَجْلِس » فقط للتدليل على طراز « الحيرى والكمين » الذى أحدثه المتوكل[٢] . يدل على ذلك ما ذكره الأمير أسامة بن منقذ فى سيرته الذاتية يقول : إنه أثناء إقامته بالقاهرة انهزم رجل سودانى إلى علو داره والرجال بالسيوف خلفه ، فأشرف على « القاعة » من ارتفاع عظيم .... ثم قفز من السطح على شجرة نَبْق فى الدار « ثم نزل ودخل من « كم مجلس » قريب منه ... »[٣] . كما أن وثيقة الجنيزة المؤرخة فى سنة ٥٨٦ / ١١٩٠ ، والسابق الإشارة إليها ، تصف إحدى دور الفسطاط بأنها تحوى قاعة عريضة مكوّنة من مجلسين متقابلين ، وتشير كذلك إلى الكُمَّيْن والأبواب ولكنها لا تشير إلى الرِّواق الذى يبدو أنه استعيض عنه بطريقة ما بلفظ « قاعة » وهو اللفظ الذى أصبح يدل فيما بعد على المجلس[٤] . وتبعًا لحُجَج الأوقاف فقد تحوَّل الكثير من « المجالس » فى فترة متأخرة إلى « إيوانات »[٥] .

السَّهْدِلَّا والشُّبَّاك والإيوان

فى أثناء وَصْفِه « ليوم عَرْض الخَيْل » ، وهو اليوم الذى يسبق الاحتفال بركوب أوَّل العام ، يقدِّم لنا ابن الطُّوَيْر وصفًا لدِهْليز باب المُلْك حيث كانت توجد « السَّهْدِلَّا » و « الشُّبَّاك » ، اللذين يُتَوَصَّل إليهما من باب العيد .

وبابُ العيد هو باب القصر الذى كان يخرج منه موكب الخليفة إلى مُصَلَّى العيدين يومى عيد الفِطْر وعيد النَّحْر . ويدخل منه الوزير ورجال الدَّولة إلى

---

(١) Sayed , H.I., *op. cit.*, p. 36.

(٢) *Ibid.*, p. 38.

(٣) أسامة بن منقذ : الاعتبار (تحقيق قاسم السامرائى – بيروت ١٩٨٧) ٣٢ .

(٤) Garcin , J. Cl., *op. cit.*, p. 171.

(٥) Sayed , H.I., *op. cit.*, p. 38.

الفناء الداخلى للقصر[١] ، الذى كان يتم فيه عرض الخيل ، عبر دِهْليز باب المُلْك . وكان يفتح فى الواجهة الشرقية للقصر المُطِلَّة على رَحْبَة باب العيد « ويُدْخل منه إلى ساحة عظيمة »[٢] . فقد كان الخليفة يخرج فى هذا اليوم راكبًا من مكانه فى القصر و « ينزل فى السَّهْدِلَا » بدِهْليز باب المُلْك الذى فيه الشُّبَّاك »[٣] .

و « السَّهدلى » أو « السَّدلى » أو « السَّدِلَا » لَفْظ فارسى معرَّب[٤] . ذكر ابن منظور أن « السَّدِلّى على فِعِلّى معرَّب وأصله بالفارسية سهد له [وقد ورد بهذا الرسم فى مخطوطة خزينة] كأنه ثلاثة بيوت فى بيت كالحيرى [فى الأصل الحارى] بكُمَّيْن[٥] وهذا يُذَكِّرنا مرة أخرى بالطِّراز الذى أَحْدَثَه الخليفة المتوكل وأصبح يطلق عليه « المَجْلِس » . وقد صَوَّر إنسترونزف السَّدِلَّا الفاطمية ببناء مغلق من ثلاثة جوانب ومفتوح من الجانب الرابع حيث كان يوجد « الشُّبَّاك » ، وحدَّد موضعها على وجه التقريب فى وسط القصر بين باب العيد وباب البحر[٦] .

أما « الشُّبَّاك » فأشبه بمقصورة عليها من ظاهرها ستر يرفعه اثنان من الأستاذين المُحَنَّكين (زمام القصر وصاحب بيت المال) متى حضر الوزير وجلس على الكرسى الكبير الحديد الموجود تحت الشُّبَّاك ، وفور رفعها يُرَى الخليفة جالسًا فى المرتبة الهائلة به[٧] .

ويُفْهم من كلام ابن الطُّوَيْر أن باب العيد كان يؤدِّى إلى الشُّبَّاك[٨] عن طريق الدَّهاليز الطِّوال ، وأن السَّهْدِلَا كانت بدِهْليز باب المُلْك الذى فيه

---

(١) انظر فيما يلى ص ١٥٤ .

(٢) انظر فيما يلى ص ٥٧ .

(٣) انظر فيما يلى ص ١٥٤ .

(٤) الجواليقى : المعرب ٢٣٥ .

(٥) ابن منظور : لسان العرب ١٣ : ٣٥٥ .

(٦) Canard, M., *La procession de nouvel an*, pp. 376-77. وانظر ابن المأمون: أخبار ٨٢

(٧) انظر فيما يلى ص ١٥٤ .

(٨) انظر فيما يلى ص ١٨٢ ، ١٨٨ .

الشُبَّاك[١] . كذلك فتبعًا لما أورده ابن الطُّوَيْر فقد كان يوجد شُبَّاك آخر بالإيوان الكبير يجلس فيه الخليفة[٢] أو أنهما شُبَّاك واحد يقع بين الإيوان والسُّهْدِلّا .

ولم يكن الجلوس بالشُبَّاك من مفردات الرُّسوم الفاطمية ، فقد كان بقصر الخلافة فى بغداد ، فى نفس الفترة ، « شُبَّاك » . فنحن نعرف أنه خلال حركة البَسَاسِيرى التى أدَّت إلى الاعتراف المؤقت بالفاطميين والدَّعْوة لهم من على منابر بغداد سنة ٤٥٠ ، كان من بين ما أخرجه البَسَاسِيرى من قصر الخلافة وأرسله إلى القاهرة « الشُبَّاك » الذى « كان يجلس فيه [الخليفة القائم بأمر الله العباسى] ويتكئ عليه » وهو من الذَّهَب[٣] . فلما شَيَّد الأفضل بن بدر الجمالى دار الوزارة الكبرى جعل هذا الشُبَّاك بها يجلس فيه الوزير ويتكئ عليه[٤] .

وقد وردت « السُّهْدِلّا » فى أوراق الجنيزَة وفى حجج الأوقاف بمعنى مَصْطَبَة من الحجر بارتفاع نصف قدم ، أو موضع استراحة ترتفع فيه الأرض بانتظام ومتساوية العمق و العرض مفروشة بمساند وملاءات على جانب أو اثنين متقابلين من جوانبها[٥] .

أما « الإيوان الكبير » فقد بناه الخليفة العزيز بالله فى سنة ٣٦٩ بالقصر الكبير الشرقى[٦] ، وكان يُتَوصَّل إليه من باب العيد وكذلك من دِهْليز باب الدَّيلم . وكان به الشُبَّاك الذى يجلس فيه الخليفة ويتكئ عليه وقت قراءة السِّجِلّات بالإيوان[٧] .

---

[١] انظر فيما يلى ص ٥٤ ، ١٥٤ .

[٢] انظر فيما يلى ص ٣٤ ، ٥٩ ، ٢١٣ .

[٣] الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ١٩٦ .

[٤] المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٩ .

[٥] Goitein ,S.D.,*A Med. Soc.* IV ,p.68. وثيقة وقف السلطان الغورى (رقم ٨٨٦ أوقاف) ورقة ٦٤ .

[٦] المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٨ .

[٧] انظر فيما يلى ص ٣٤ .

وبهذا الإيوان كان جلوس الخلفاء الجلوس العام بمجلس المُلْك قبل انتقال الجلوس نهائيًا إلى قاعة الذَّهَب فى يومى الاثنين والخميس فى زمن الخليفة الآمر[١] ، باستثناء فترة تولِّى العادل بن السَّلار الوزارة للخليفة الظَّافر حيث أعاد الجلوس إلى الإيوان بعد أن استوحش من الخليفة[٢] . ويُفْهَم من نصّ المُسَبِّحِى أنه كان للإيوان صَحْنٌ يجتمع به الناس لتُقْرأ عليهم فيه السِّجِلَّات الصادرة عن الخليفة[٣] ، كما كان يُمَدّ فيه سِمَاط الفِطْرَة[٤] ، فقد كانت الفِطْرَة تعمل به وتُفَرَّق منه إلى أن عُمِلَت لها دار خاصة استقطعها المأمون البطائحى من اصْطَبْل الطَّارِمَة[٥] ، وكذلك كان يُعْمَل به الاجتماع والخطبة يوم عيد الغدير[٦] .

وعندما عطَّل الوزير الأفْضَل العديد من رسوم الخلافة عندما سكن بمصر فى دار المُلْك كانت الفِطْرة تُعْمَل بمصر ، كما منع الخليفة من صلاة العيد بالمُصَلَّى ، وكان يحضر من مصر يوم العيد فيدخل القصر من باب العيد ويصلى صلاة العيد فى الإيوان ، يصلِّيها به القاضى ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة إلى أن تنقضى الخطبة فيدخل من باب المُلْك ويسلم على الخليفة لا يراه أحد ، ثم يخلع عليه إلى داره بمصر فيكون السِّماط بها مدى الأعياد[٧] .

والإيوانُ لغة هو البيت المؤزَّج ، أى المرتفع البناء غير المسدود الوجه . أى أنه قاعة مسقوفة بقبوة ، مفتوح مقدمها على بهو بعقد مقوَّس نصف دائرى ، أو مدبَّب أو منفوخ أو منبعج ، مغلق مؤخرها بجدار .

ولاشك أن فكرة بناء الأواوين انتقلت من فارس إلى العمارة الإسلامية فى العراق واستخدمت أول ما استخدمت فى عمارة القصور ، ثم أدخلت فى

---

(١) انظر فيما يلى ص ٢٠٥ .
(٢) انظر فيما يلى ص ٥٩ .
(٣) المسبحى : أخبار ٤ ، ٢٤ .
(٤) المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٨ .
(٥) نفسه ١ : ٤٢٦ .
(٦) نفسه ١ : ٣٨٨ .
(٧) ابن المأمون : أخبار ٢٤ .

الأبنية الدينية منذ منتصف القرن الخامس الهجرى وشاعت فى بيوت الصلاة بعد كثرة المساجد الجامعة فى المدينة الواحدة مما أدَّى إلى تصغير مساحات بيوت الصلاة تبعًا لذلك ، وأصبحت بعد ذلك طرازًا شائعًا فى بناء المدارس المتعامدة . ويُعَدّ بيت الصلاة فى مدرسة السلطان حسن أكبر إيوان أنشئ بالقاهرة[1] .

وللأسف فإننا لا نملك وصفًا لشكل الإيوان الفاطمى الكبير سوى الوصف الذى أورده المقريزى والذى يُفْهم منه أنه « بصدر هذا الإيوان كان الشُبَّاك الذى يجلس فيه الخليفة ، وكان يعلو هذا الشُبَّاك قبة » ... وكان به « ضِلْعا سَمَكَة إذا أقيما واربا الفارس بفرسه » بعثهما السلطان صلاح الدين هدية إلى بغداد[2] .

[1] أحمد فكرى : خصائص عمارة فى العصر الأيوبى (الندوة الدولية لألفية القاهرة) ١٦٨ - ١٧٢ ومساجد القاهرة ومدارسها ٢ : ٨٨ - ٨٩ .

[2] المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٨ .

الرموز والاختصارات

A = مخطوطة للخطط استخدمها Wiet على نسخته الخاصة .

B = مخطوطة أخرى استخدمها Wiet على نسخته الخاصة[1] .

ش = مطبوعة تاريخ ابن الفرات .

ف = مخطوطة تاريخ ابن الفرات .

م = اتعاظ الحنفا .

مخ . = مخطوطة .

مط = مطبوع .

بولاق = الخطط طبعة بولاق .

[ ] = ما بين المعقوفتين زيادة على الأصل .

° ° °

AIEO = *Annales de l'Institut d'Etudes Orientales* .

An. Isl. = *Annales Islamologiques* .

BEO = *Bulletin d'Etudes Orientales* .

BIE = *Bulletin de l'Institut d'Egypte* .

BIFAO = *Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale* .

BSOAS = *Bulletin of the School of Oriental and African Studies* .

CIA = *Corpus Inscriptionum Arabicarum* .

---

(1) نسخة Wiet الخاصة موجودة بالمعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة .

CNRS = *Centre National de Recherches Scientifiques* (Paris) .

EI[1] = *Encyclopédie de l'Islam* (1ère édition) .

EI[2] = *Encyclopédie de l'Islam* (2ème édition) .

GAL = *Geschichte der arabischen Litteratur* .

IC = *Islamic Culture* .

IFAO = *Institut Français d'Archéologie Orientale* .

IFD = *Institut Français de Damas* .

IJNES = *International Journal for Near Eastern Studies* .

JA = *Journal Asiatique* .

JAOS = *Journal of American Oriental Studies* .

JBBRAS = *Journal of the Bombay Branch of the Royal Asiatic Society* .

JESHO = *Journal of the Economic and Social History of the Orient* .

MAE = *Muslim Architecture of Egypte* .

MIE = *Mémoires de l'Institut d'Egypte* .

MIFAO = *Mémoires de l'Institut Français d'Archéologie Orientale* .

MUSJ = *Mélanges de l'Université Saint - Joseph* .

RCEA = *Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe* .

RSO = *Rivista degli Studi Orientali* .

SI = *Studia Islamica* .

نزهة المقلتين في أخبار الدولتين

لابن الطوير

بسم الله الرحمن الرحيم

القسم التاريخي

[حَمْلةُ الأَفْضَل ضد الفِرِنْج
فى عَسْقَلان]

قال صاحب كتاب « نُزْهَة المُقْلَتَيْن فى سيرة الدَّوْلَتَيْن » ما صيغته : باشر أبو القاسم الأَفْضَل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى[١] الوزارة فجاء أشَدَّ من أبيه وأضْبَط وجرى على عادة أبيه فى الاستبداد .

وكوتب الأَفْضَل[a] من عَسْقَلان باجتماع الفِرِنْج فاهتم للتوجُّه إليها و لم يُبْق ممكنًا من مال وسلاح ورجال وخَيْل[b] ، واستناب أخاه المُظَفَّر [أبا محمد جَعْفَر بن أمير الجيوش بَدْر][c] بين يدى الخليفة مكانه وقَصَد استنقاذ السَّاحل من يد الفِرِنْج . ووصل إلى عَسْقَلان وزَحَف عليها بذلك العسكر فخُذِل من جهة عسكره ، وهى نَوْبة النَّصّة[٢] . وعلم أن السبب فى ذلك

(a) الخطط : بن أمير الجيوش .   (b) الخطط : وخيل ورجال .   (c) ساقطة من ابن الفرات .

---

[١] الوزير الأَفْضَل شاهِنْشاه بن بدر الجمالى تولّى الوزارة بعد وفاة أبيه فى السنة التى توفى فى آخرها الخليفة المستنصر سنة ٤٨٧ ، وظل طوال الثمانية والعشرين عامًا التالية حتى وفاته فى سنة ٥١٥ هو الحاكم الفعلى للبلاد فى ظل خلفاء من الأطفال لا حول لهم ولا قوة (المستعلى والآمر) . (أخباره كثيرة فى كتب التاريخ راجع ، ابن المأمون : أخبار ٣ – ٤ هـ[٣] وابن ميسر : أخبار ٥٩ – ٨٧ وهـ[١٨٩] و[٢٩٠] ، Wiet , G., *EI²*., art. *al-Afḍal b. Badr al-Djamālī* , I, pp. 221 - 222).

[٢] النَّصّة أو البَصّة . هذا الاسم لا يوجد فى المصادر الأخرى ، وهو مجهول لنا و لم يرد سوى فى نص ابن الطُّوَيْر هذا ونص ابن ظافر : أخبار ٨٢ . وقد جرت هذه الواقعة لتسع ليال بقين من رمضان سنة ٤٩٢ . (ابن ظافر : أخبار ٨٢ ، المقريزى : الخطط ٣ : ٢٤ وابن خلدون : تاريخ ٤ : ٦٨ (ملخصًا)) .

من جنده . ولما غُلِب حَرَّق جميع ما كان معه من آلات[a] . وكان عند الفِرِنْج شاعرٌ مُنْتَجِع إليهم فقال يخاطب ملك الفِرِنْج واسمه صَنْجيل[١] لعنه ٣ الله تعالى[b] :

[متقارب]

نَصَرْتَ بسَيْفِكَ دينَ المَسيح فللّه درُّك من صَنْجَـلِ
وما سَمِعَ الناسُ فيما رووه بأقْبَحِ من كَسْرَة الأفْضَلِ

٦ فتوصَّل الأفْضَل إلى ذَبْح هذا الشاعر ، ولم ينتفع أحدٌ من الأجناد بعد هذه النَّوْبَة[c] بالأفْضَل ، وحَظَر عليهم نعوتهم[d] ولم يسمع لأحد منهم كلمة ، وأنشأ سَبْع حُجَر واختار من أولاد الأجناد ثلاثة آلاف رجل[e] ٩ وقسَّمهم فى الحُجَر وجعل لكل مائة زمامًا ونقيبًا وزم الكل بأمير يقال له « المُوَفَّق »[٢] وأطْلَق لهم كل ما يحتاجون إليه[f] من خيل وسلاح وغيره ، وغَنِىَ بهؤلاء عن الأجناد[g] فإذا دهمه أمرٌ جَهَّزهم إليه مع الزمام الأكبر « المُوَفَّق »[٣] .

(a) الخطط : الآلات . (b) الخطط : يخاطب صنجل ملك الفرنج . (c) الخطط : ولم ينتفع بعد هذه النوبة أحد من الأجناد . (d) الخطط : النعوت . (e) الخطط : راجل . (f) الخطط : وأطلق لكل منهم ما يحتاج إليه . (g) الخطط : وعنى بهؤلاء الأجناد .

---

[١] هو المعروف بـ Saint Angilles أو St. Gilles.

[٢] اتَّخذ الفاطميون ألقابًا تدلّل على عددٍ من وظائفهم الديوانية بحيث يُستعاض بإطلاقها عن ذكر الوظيفة مثل : « عَدِىّ المُلْك » للنائب ، و « أمين المُلْك » لصاحب المجلس ، و « تاج الدَّوْلة » لزمام القصر ، و « سنان الدولة » لمتولى حراسة القصر ، و « المُوَفَّق » لزمام الحُجَرِيَّة .

ويتَّضح من نص الحوار الذى دار بين العادل بن السَّلار والمُوَفَّق أبى الكرم محمد بن معصوم التِنِّيسى ، والذى أورده ابن ميسر وآخرون ، أن ابن معصوم كان زمامًا للحُجَرِيَّة قبل أن يكون ناظرًا للدواوين . (أخبار ١٤٣ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٧ ، ابن ظافر : أخبار ١٠٤ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٩٣ ، الصفدى : الوافى ٢١ : ٥٦ ظ ، المقريزى : المقفى (مخ . ليدن) ٣ : ١٤١و والاتعاظ ٣ : ١٩٩ - ٢٠٠) .

وعن صِبْيان الحُجَر أو الحُجَرِيَّة انظر فيما يلى ص ٥٧ .

[٣] ابن الفرات : تاريخ ١ : ١٦٣و - ١٦٣ظ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٣ .

قال ابن الطُّوَيْر ، وقد ذكر استيلاء الفِرنْج على مدينة صُور[1] : فعاد الحِفْظ والحراسة على عَسْقَلان فما زالت محمية بالأبدال المجرَّدة إليها من العساكر والأساطيل والدولة تضعف أولًا فأولًا باختلاف الآراء ، فثقلت على الأجناد وكبر أمرها عندهم واشتغلوا عنها ، فضايقها الفِرنْج حتى أخذوها فى سنة ثمان وأربعين وخمسمائة[2] . ولقد سمعت رجلًا قبل ذلك بسنتين يحدِّث بهذه الأمور ويقول : فى سنة ثمان تؤخذ عَسْقَلان بالأمان[3] .

[زواجُ الآمر من ابنة الأفْضَل]

ولما مات المستعلى بالله استخلف وَلَدَه الآمر وركَّبه فى طَيَّار فى السرج لينمو فى العين ، وانتشا الآمر وهو لا يعرف غير الأفْضَل . وبنى دارَ المُلْك بمصر[4] وانتقل الأفْضَل إليها وبقى الآمر بالقصر فى القاهرة ورتَّب له راتبًا وكَفَلَه قومٌ من أعيان الأستاذين المُحَنَّكين وجدَّته لأمه .

ولما كبر الآمر قَصَد مصاهرة الأفضل فاستدعى زمام القصر ، وكان عاقلًا يقال له « تاج الدَّولة » ، وفاوضه فى ذلك . فقال له الأستاذ : إن أحدًا من آبائك لم يَكْتب عليه صداقًا ، فقال : إلَّا أنا . وخشى الأستاذ أن يبلغ ذلك الأفضل وأنه نبَّهه على أن لايفعل ذلك كآبائه ؛ فحضر الأستاذ إلى الأفضل

---

(1) استولى الفرنج على مدينة صور فى سنة ٥١٨ . (ابن القلانسى : ذيل ٢١١ ، ابن ظافر : أخبار ٨٧ ، ابن الأثير : تاريخ ١٠ : ٦٢٠ - ٦٢٢ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨ : ١١٣ ، ابن ميسر : أخبار ٩٦ - ٩٧ ، ابن سعيد : النجوم ٨٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٠٧ والخطط ٢ : ٢٩١) .

(2) ابن ظافر : أخبار ١١٧ ، ابن الأثير : تاريخ ١١ : ١٨٨ ، ابن ميسر : أخبار ١٤٦ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٠ - ٨١ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٠٤ .

(3) المقريزى : الخطط ١ : ٤٩ (نشرة فييت١: ٢٠٧-٢٠٨) ، وانظر فيما يلى ص ٦٠ .

(4) دار المُلْك . انظر فيما يلى ص ١٦٩ .

خلوة وفاوضه فيما قصده الخليفة من الاتصال به بأحسن عبارة ، فتأفّف من ذلك أولًا ثم أجاب إليه من طريق أنه ربما استولدها الخليفة ولدًا فيكون الخليفة من بعده وهو ابن بنت الوزير[1] ، فتبقى الوزارة دائمة فيه وفى بيته بالمُصاهَرة كما الخلافة دائمة فى الخليفة ، وهى الطريقة التى سَلَكها الوزير طلائع بن رُزّيك مع العَاضِد فكانت سبب هلاكهم[2] . فاهتم بالعَقْد فعَقَد وأمر بكتب الكتاب فاجتمع عليه رأس الطبقة من كتاب الإنشاء واستطروا بأعيان كُتّاب الشروط الحُكْمِيّة لأنه لم تقع مثل هذه القضية . وكان مما قيل فى الكتاب « فاختصها أمير المؤمنين للوصلة الشريفة فصدقت وأصدقها للكلمة النبوية فما صدقت ، وارتضاها لنفسه النفيسة من كافة النساء ، واصطفاها لينبوع الإمامة من نسل سيد الوزراء » . واشتمل الصَّدَاق على مائة ألف دينار ومائة خِلْعَة كل خِلْعَة بخمسمائة [164r] دينار ، ومائة خادم ومائة جارية ونَحَلها الناحيتين المعروفتين بطَمَنْدى وأُشْنين[3] وعرفتا بالعروستين إلى الآن . وقيل إن الآمر لم يدخل بها و لم يصبها[4] .

---

(1) نص ابن خلدون : « فخطب منه الأفضل ابنته فزوّجها على كره منه » .

(2) فقد عقد العاضد على ابنة الصالح طلائع فى مستهل سنة ٥٥٦ بعد امتناع واضطر الصالح إلى حبسه حتى أجاب « وقصد الصالح بزواجه ابنته أن يُرزق منه ولدًا فيجتمع لبنى رُزّيك الخلافة مع الملك » . (المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٤٦) .

(3) هناك مدينتان باسم أُشْنى (أو أشنين) وطَمْبَدى (أو طَنْبَذى) . الأولى من كفور البتنون من أعمال المنوفية بالوجه البحرى . (ابن مماتى : قوانين ٩٥ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ١٠٠) . وقد احتفظت طُنبدى باسمها وأما أشنى فلأنها كانت من توابع طنبدى فقد عرفت من العهد العثمانى بكفر طنبدى . (على مبارك : الخطط ١٣ : ٤٥ ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ١٩٢) .

والثانية ذكرها ياقوت باسم طَنْبَذَة وقال إنها قرية من أعمال البَهْنَسَى من صعيد مصر (معجم البلدان ٣ : ٥٥٠) وكذلك ذكرها ابن مماتى وابن الجيعان ضمن الأعمال البهنساوية (قوانين ١٦٣ ، التحفة ١٦٠) بينما ذكرها ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٣ ضمن الأعمال الإطفيحية . وهذه الأخيرة هى المقصودة فى نص ابن الطُّوَيْر فقد ذكر محمد رمزى أن طَنْبَذى قرية إلى جانب أشنى أو أشنين النصارى غربى النيل بصعيد مصر تسمى هى وأشنى العروستين لحسنهما . وهى اليوم فى مركز مَغَاغَة بمحافظة المنيا . (على مبارك : الخطط ١٣ : ٤٤ — ٤٥ ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ٢٤٩) .

(4) ابن الفرات : تاريخ ١ : ١٦٣ ظ — ١٦٤و ، ابن خلدون : تاريخ ٤ : ٧٠ (ملخصًا) .

[وَفَاةُ الأفْضَل وظهور المأمون]

وكبر الأفْضَل وساءت أخلاقه ، وكبر الآمر وثقلت عليه وطأة الأفْضَل وهو لا يواجهه ولا يغالبه حِفْظًا لحُرْمته عليه . وكان يخدم الأفْضَل رجل يقال ٣
له القائد أبو عبد الله ابن البَطَائِحِى[1] فرَّاشًا بالقصر ، فنصحه وبلغ منه كل مبلغ واحتوى عليه وحجبه عن غيره فارتفعت منزلته عنده ، وتميَّز عن أن يكون فرَّاشًا بل وَاسِطَة ومُدَبِّرًا لأمره باطنًا وظاهرًا[2] . فيقال إن الآمر دخل على ٦
قَتْل الأفْضَل بهذا الرجل ، وَعَدَه بمكانه من الوزارة متى عُدِم[3] ، فقَتَل[4]

---

[1] القائد أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة أبو شجاع فاتك بن الأمير مجد (منجد) الدولة أبو الحسن مختار بن الأمير أمين الدولة أبو على حسن بن تمام المستنصرى الأحول المعروف بالمأمون البَطَائِحى نسبة إلى البَطَائِح ، موضع بين واسط والبصرة . (ابن الصيرفى : الإشارة ١٠٣ – ١٠٧ ، ابن القلانسى : ذيل ٢٠٤ ، ابن المأمون : أخبار ٣ و ٢٠ – ٨٠ ، ابن ظافر : أخبار ٨٨ ، ابن ميسر : أخبار ٨٧ – ١٠٥ ، ابن خلكان : وفيات ٥ : ٢٢٩ و ٣٠٢ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٥ – ٨٦ ، الذهبى : العبر ٤ : ٤٤ – ٤٥ ، الصفدى : الوافى ٤ : ٣١٣ – ٣١٤ ، المقريزى : المقفى (مخ . ليدن) ٣ : ٢٠٦و – ٢١١ ظ والخطط ١ : ٤٦٢ – ٤٦٣ والاتعاظ ٣ : ٧٤ – ١١٦ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ١٧٠ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٤ ، المناوى : الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى ٢٧٢ – ٢٧٥ ، Dunlop , D.M., *EI²*., art. *al- Baṭâ'iḥī* I, p.1124) .

[2] قارن مع ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٦٢٩ ، العماد الأصفهانى : البستان الجامع ١١٩ ، ابن ميسر : أخبار ١٠٤ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٤٩٣ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٦ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١١ .

[3] ابن خلدون : تاريخ ٤ : ٧٠ .

[4] عن مقتل الأفضل راجع ، ابن الصيرفى : الإشارة ٩٧ – ١٠٣ ، ابن القلانسى : ذيل ٢٠٣ – ٢٠٤ ، العماد الأصفهانى : البستان الجامع ١١٨ ، ابن ظافر : أخبار ٨٨ ، ابن الأثير : الكامل ١٠ : ٥٨٩ – ٥٩٠ ، سبط ابن الجوزى : مرآة الزمان ٨ : ١٠٤ ، ابن ميسر : أخبار ٨٠ – ٨١ ، ابن خلكان : وفيات ٢ : ٤٤٨ – ٤٥٢ ، ابن سعيد : النجوم ٢١٦ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٣ – ٨٤ ، ابن أيبك : كنز ٦ : ٤٨٥ – ٤٨٧ ، الذهبى : العبر ٤ : ٣٤ ، ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٥٠ – ٥٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٦٠ – ٦٢ والخطط ٢ : ٢٩٠ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٢١٨ ، ٢٢٢ ، السيوطى : حسن ٢ : ٢٠٤ ، ابن إياس : بدائع ١ / ١ : ٢٢٢ .

الأفْضَل بمصر وهو عائد من القاهرة ليلة عيد الفِطْر من سنة خمس عشرة وخمسمائة فى الفاخرانيين اليوم عند حمَّام التاج[1] الأزرق[2] .

[تَرِكَةُ الأفْضَل]

٣

فنزل الآمر إلى دار المُلْك[3] صباح موت الأفضل ، بعد الحَوْطَة على مافيها ، وأَخَذَ فى نَقْل تركته أولًا فأولًا ، فيقال إنه وجد من العَيْن [ستة][a] آلاف كيس ، ومن الورق خمسين أردبًا . وأما الدِّيباج المُلَوَّن والمَتاع البغدادى والإسكندرى والطُّرَف الهندية والصينية فما لا يعلمه إلَّا الله تعالى لكثرته . ووَجَدَ من العود والعَنْبَر والمِسْك ما أَذْهَل الناس . فأما العَنْبَر فإنه كَثُر بعين الخليفة فأمر بعمل دِكَّة آبنوس وعاج وحلَّاها بالفِضَّة ولَبَّس عليها العنبر شكل هرم مثمن وزنه ألف رطل بالمصرى ، وعمل على الهرم بَبَّغاء من الذهب ورجليها من المرجان ومنقارها من الزُّمُرُّد وعينيها ياقوتتين حمر ، ونَصَبَها على الهرم المذكور على الدِكَّة بالمجلس بقاعة الذَّهب فكانت الريح تُخْرِج ريحها إلى القاعة ولا سيما أيام الصيف[4] .

٦ ٩ ١٢

(a) بياض بالأصل والمثبت من تاريخ ابن خلدون .

[1] الفاخرانيين . هذا الخط كان بالفسطاط فى نطاق خط المطابخ السلطانية (ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٣٨س ١) وهو موضع مجهول لنا ولم يتمكن كازانوفا من تحديده . (Casanova , P., *Top. d'al - Foustat*, p. 113). أما حمام التاج فكان يقع بالرفَّائين ويعرف بوقف بنى الأَقْفَهْسى وهو غير بعيد عن كرسى الجسر (ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٠٤) .

[2] ابن الفرات : تاريخ ١ : ١٦٤و .

[3] دار الملك . انظر فيما يلى ص ١٦٩

[4] تدل التركة التى خلَّفها الأفضل على مدى الثراء الذى حققه وزراء الفاطميين أرباب السيوف ، كما تدل على مدى استبداده وتحكمه فى الدولة وعزله التام للخليفة . ولتفصيلات أكثر راجع ، ابن القلانسى : ذيل ٢٠٣ ، ابن ظافر : أخبار ٩١ – ٩٢ ، ابن ميسر : أخبار ٧٩ – ٨٠ ، ابن خلكان : وفيات ٢ : ٤٥١ ، ابن أيبك : كنز ٦ : ٤٨٦ ، ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٣ / ١ : =

ولما أحيط على القصر فى أيام السلطان صلاح الدين يوسف وكُسِرت العَنْبَرة المذكورة للبيع ووزنت على مَنْ تسلَّمها فكان وزنها ألف رطل بالمصرى لم تنقص غير ثلاثين رطلًا . ووجد من الحَواصِل ما تصرَّف فيه السلطان صلاح الدين مدّة طويلة[١] .

وفى أيامه عُمِل التَّنُّور الفِضَّة الذى كان لجامع مصر من أموال مودعة لأقوام اقترضوا[a] لجامع مصر ، لكون الخلفاء أبدًا يراعون مصر وأهلها ، فخصّوا بذلك جامعها دون جوامع القاهرة . وكان ينزل فى الوقت بعد الوقت لصلاته وإصلاح ما يفسد منه . و لم يزل على ذلك إلى أن جرت النَّوْبَة الحادثة [164v] بمصر فى أيام الوزير شاور وحُرِق الجامع المذكور[٢] فكُسِر هذا التنُّور[٣] وحُمِل إلى القاهرة وأودع بالقصر .

وكان الجليس بن عبد القوى قاضى القضاة وداعى الدُّعاة[٤] ، فاهتم مع الخليفة بعمارة الجامع بمصر وإعادته إلى ما كان عليه ، فضربت فِضَّة التنُّور دراهم وأُنفِقت فى العمارة مضافًا إلى ما أخرجه العاضد على الجليس من ماله[٥] .

(a) كلمة غير واضحة فى الأصل .

= ٢٣ – ٢٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٧٠ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٢٢٢ وفيه : « وخلّف الأفضل من الأموال والنقود والقماش والمواشى مايستحيا من ذكره كثرة . وقد ذكرنا ذلك فى كتاب « الوزراء » وهو محل الإطناب فى الوزراء وليس لذكره هنا محل » ، الأبشيهى : المستطرف من كل فن مستظرف ٢ : ٥٩ ، السيوطى : حسن ٢ : ٢٠٤ ، ابن إياس : بدائع ١ / ١ : ٢٢٢ ، زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ٦٨ – ٧٠ .

(١) هذه الفقرة ملخصة عند ابن خلدون : تاريخ ٤ : ٧٠ .

(٢) حريق الفسطاط كان فى سنة ٥٦٤ / ١١٦٨ .

(٣) انظر خبر هذا التنور فيما يلى ص ٢٢٢ وهذا التنُّور أمر بعمله ، كما يذكر المسبحى ، الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٤٠٣ ، كانت فيه مائة ألف درهم فضة و لم يكن تعليقه بالجامع إلّا بعد قلع عتبتى الباب . (المقريزى : الخطط ٢ : ٢٥٠ ، الاتعاظ ٢ : ٩٦) .

(٤) انظر فيما يلى ص ١١٢ و ١٢٧ .

(٥) ابن الفرات : تاريخ ١ : ١٦٤و – ١٦٤ظ .

[المَأمُون يَلى الوَزارة]

[166 v] .... قال صاحبُ « نُزهَة المُقْلَتَيْن فى سيرة الدَّولتين » ما صيغته : لما دُفِن الأفضل استعمل الآمر ابن فاتك المنعوت « بالمأمون » صاحب الأفضل فى الوَساطة دون الوزارة ، وكان يخاطب « بالقَايِد » حين خدمته الأفضل . فلما استعمله الآمر لَقَّبه « بجَلَال الإسْلَام » واستمر على ذلك مُدَّة تقرب من سنتين ، ثم كمَّل له الوزارة وخَلَع عليه خِلْعَة الوزارة إلَّا الطَّيْلَسَان المُقَوَّر ، فباشرها وكان متيقِّظًا قد حَذَق الأمور[a] ودَرِبَها من صُحْبَة الأفضل وطول خدمته إيَّاه[1] .

(a) ف : فى الأمور .

[1] هذا نصٌّ هام يوضِّح أن المأمون البطائحى لم يل فى أوَّل الأمر وزارة تامة وأنه ظلَّ على ذلك لمدة سنتين وهو ما لا يتَّفق مع ما تذكره المصادر الأخرى كابن المأمون وابن ميسر (أخبار ٢١ ، أخبار ٨٨) بل إن الخليفة لم يخلع عليه الطَّيْلَسان المقوَّر عندما خلَع عليه خِلَع الوزارة نحو سنة ٥١٧ وأنه كان يُلقَّب فى أول الأمر « بجلال الإسلام » . (قارن ابن الصيرفى : الإشارة ١٠٥) .

ومع ذلك فقد ذكر ابن المأمون أن سجل تولية المأمون الوزارة قرئ الاثنين خامس ذى الحجة سنة ٥١٥ وأنه « أوَّل سجل قرئ على باب المجلس ، فقد كانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالإيوان » . (أخبار ٢١ ، المقريزى : المقفى (مخ . ليدن) ٢ : ٢٠٥ ظ والخطط ١ : ٤٤١) . وهذا السجل أنشأه أبو الحسن بن أبى أسامة كاتب ديوان الإنشاء وقد أورد ابن الصيرفى قطعة من هذا السجل جاء فيها أنه نعت « بالأجل المأمون عز الإسلام فخر الأنام نظام الدين خالصة أمير المؤمنين أبا عبد الله محمدًا الآمرى » . (الإشارة ٤٥ ، ١٠٥) . بينما يذكر ابن ميسر أن نعوت المأمون استقرَّت فى هذا السجل « بالأجل المأمون تاج الخلافة وجيه الملك فخر الصنائع ذخر أمير المؤمنين » ، وأضاف أنه تجدَّد له فى النعوت بعد ذلك « الأجل المأمون تاج الخلافة عز الإسلام فخر الأنام نظام الدين والدعاة » (وهو ما يتَّفق تقريبًا مع ما ذكره ابن الصيرفى) ثم نُعِت بما كان يُنعت به الأفضل وهو « السيد الأجل المأمون أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين » (ابن ميسر : أخبار ٨٨ هـ٣١٦) وهو ما يتَّفق مع النص التذكارى لتشييد الجامع الأقمر والمثبت على واجهته والمؤرخ فى سنة ٥١٩ . (Wiet , *RCEA* VIII p. 148 n. 3012) . ولم يميز المقريزى فى ترجمته المطولة للمأمون البطائحى =

وكان بالدار التى بالسُّيُوفِيِّين بالقاهرة[1] ، وهى اليوم مدرسة السادة الحنفية[2] .

[الوَحْشة بين الآمر والمأمون]

٣

قال صاحب كتاب « نُزْهَة المُقْلَتَيْن فى سيرة الدَّوْلتين » ما صيغته : أخذ المأمون نفسه على قالب الأفضل مع الآمر وإيش جرى به [كذا] من حرمات الأفضل . فصار يتقلَّب[a] على الآمر فى واحدة بعد واحدة من الجفاء والإقدام ، والآمر يحتمله ويسلك المنافرة له ، فاستوحش كل واحد من الآخر .

٦

(a) م : ينقلب .

= والتى أوردها فى المقفى (مخ . ليدن ٣ : ٢٠٦ و - ٢١١ ظ) بين هذه الألقاب ، وأغلب الظن أنه نقل هذه الترجمة من تاريخ ابن المأمون .

والوحيد الذى تنبّه إلى ذلك هو ابن ظافر الأزدى الذى ذكر أن المأمون رُتِّب أولا ، واسيطلة ، ثم استُوزر . (أخبار الدول المنقطعة ٨٨) . أما ابن الصيرفى فلاشك أنه كتب كتابه قبل أن يلى المأمون الوزارة الكاملة بما أنه لا يشير إطلاقا إلى ألقابه التى استقرّت بعد توليه الوزارة .

[1] المقصود سوق السيوفيين . الذى كان يقع عند المدخل الجنوبى الغربى لميدان بين القصرين . وهذه الدار أقام فيها بعد ابن المأمون ، نصر ابن الوزير عبّاس الصنهاجى ، ثم أقام صلاح الدين الأيوبى على جزء منها مدرسة للحنفية سنة ٥٧٢ هى أوّل مدرسة وُقِفت على الحنفية بديار مصر . (المقريزى : الخطط ١ : ٣٧٤ ، ٢ : ٣٥٦ - ٣٦٦ وانظر فيما يلى ص ٢١١ ، ٢١٨) .

وهذه المدرسة حلّ محل جزء منها اليوم المسجد المعروف بجامع الشيخ مطهّر والواقع بأول شارع الخُرُنْفُشيّة (المعز لدين الله) على يسار الداخل إليه من جهة شارع جوهر القائد . (ابن المأمون : أخبار ٢٦هـ ، ابن ميسر : أخبار ١٤٧ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٩٠ هـ ، على مبارك : الخطط ٥ : ١١٦) .

[2] ابن الفرات : تاريخ ١ : ١٦٦ ظ ، ابن خلدون ٤ : ٧٠ (ملخصا) ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١٢ (وهذا أول نص فى الاتعاظ يذكر المقريزى صراحة أنه نقله عن ابن الطوير) .

وكان له أخ يُنْعت « بالمُؤتَمَن »[١] فرأى من الرأى أن يولى أخاه جانبًا عظيمًا من ديار مصر ويجعل معه عسكرًا ليجده[a] رداءً إذا قَصَد به الخليفة ضررًا ، وإنه متى دام أخوه كان حاميًا له ، فيكون هو من داخل وأخوه من خارج . وجَرَّد معه مائة فارس من شِدَّة الأجناد وكبرائهم ، وينضاف إلى ذلك أمثالهم مثل على بن السَّلار وتاج الملوك قايماز وسيف الملك الجمل ودُرِّى الحرون وحُسَام المُلْك . فسَلَّ[b] كل واحد من هؤلاء جيشًا[c] بمفرده والخليفة يعلم ذلك ولا يرده عليه . وزاد معناه[d] فقيل : إن الخليفة اطَّلع على أن المأمون المذكور ادَّعى الخلافة بطريق إنه وَلَدُ نِزَار من جارية خرجت من القصر وهى حامل به عندما خرج نِزَار إلى الإسكندرية ، فانزعج باطنًا الخليفة لها[e][٢] .

ثم سَيَّر المأمون إلى اليمن رجلًا يقال له ابن نَجيب الدولة[٣] من أهل الأدب وكان فصيحًا داهية ليُحَقِّق نسبه هناك ويدعو الناس إلى بيعته . فلما قيل للآمر

(a) م : عسكر النجدة . (b) م : حسام الملك بسيل ! (c) الأصل : جيش . (d) م : فى معناه . (e) م : فانزعج الخليفة لذلك .

[١] المؤتمن . هو حيدرة بن فاتك بن مختار ابن حسن بن تمام المؤتمن سلطان الملوك أبى الحسن ابن الأمير أمين الدولة أبى على ، أخى الوزير المأمون ابن البطائحى . (راجع ترجمته ، وأغلبها منقول من نص ابن الطُّوَيْر ، عند المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٤٢٤و – ٤٢٥و ، اتعاظ ٣ : ٩٧ – ٩٩ ، ١١٢ – ١١٤ وقارن ابن ظافر : أخبار ٨٨ ، ابن ميسر : أخبار ٩٣ ، ١٠٦) .

[٢] ابن الفرات : تاريخ ١ : ٢٠٧ ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١٢ – ١١٣ ، ابن خلدون : تاريخ ٤ : ٧٠ (ملخصا) .

[٣] اسمه وألقابه كما جاءت عند عمارة اليمنى : « الأمير المنتخب عز الخلافة الفاطمية فخر الدولة المُوَفَّق فى الدين داعى أمير المؤمنين على بن إبراهيم ابن نجيب الدولة » . (تاريخ ٧٥ ، وراجع أخباره عند عمارة : تاريخ ٧٥ – ٨٠ (وعنه بقية المصادر اليمنية) ، عماد الدين الأصفهانى : البستان الجامع ١٢٠ ، ابن ميسر : أخبار ١٠٤ – ١٠٧ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١١٠ – ١٢٢ ، أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن ١٦٠ – ١٦٤ وما ذكر من مصادر ومراجع) .

هذا ما شك فيه بوجهٍ ، فأخذ الخليفة يتحيَّل فى الخلاص منه بالإيقاع به بعد عَوْد أخيه من ولايات الإسكندرية والغربية والبحيرة والجزيرتين[١] والدَّقَهْلِيَّة والمرتاحية[٢] ليحيط بها[٣] . فاختلق الآمر قضية يلتمسها من الإسكندرية وهو مقيم بها ، وسَيَّر لذلك أستاذًا من ثقاته ، ظاهره فيما نَدَبه إليه وباطنه فى العمل على المأمون وأخيه ، وقال له : احرص فى اجتماعك بعلىّ بن السَّلار فى المسايرة فسَلِّم[a] عليه عنَّا وتقول له إنَّا مازلنا نلتفتُ إليه وندَّخِرُه لمهمَّاتنا ونتحقَّق فيه الموافاة لنا ، وإنا بحمد الله قادرون على المكافأة بالخير [207 r] أكثر من غيرنا ، وقد تلوَّنت أحوال المأمون وبالغ فى عقوقنا بأشياء لا يتَّسع لنا ذكرها[b] ، ومقصودنا أن تكتم عنا ما نقول لك ؛ فقال : السَّمْع والطاعة لمولانا وأنا مملوكه وباذل[c] نفسى فى خدمته . قال : هكذا والله قال عنك .

(a) م : وسلم . (b) م : لها ذكرنا . (c) م : وأذل .

---

[١] الجزيرتان . هما جزيرة بنى نَصْر وجزيرة قُوسْنِيا ، وكانتا تقعان بين فُرْقتى النيل الشرقية والغربية . كانت جزيرة بنى نَصْر (وهى من المدن المندرسة الآن) تشمل المنطقة الواقعة على الشاطئ الشرق لفرع رشيد من محلة اللبن ، التى بمركز كفر الزيّات شمالًا إلى زاوية رزين بمركز منوف جنوبًا . ذكر المقريزى أنها منسوبة إلى بنى نَصْر بن معاوية بن بكر بن هوازن ، كانت لهم شوكة شديدة بأرض مصر وكثروا حتى ملؤا أسفل الأرض وغلبوا عليها حتى قويت عليهم قبيلة لَواتة فتركوا الخيام وصاروا أهل قرى فى مكان عرف بهم وسط النيل هو هذه الجزيرة . (الخطط ١ : ٢٢٦) . وسميت جزيرة لأن ماء النيل كان يحيط بها فكان يحدها من الغرب فرع رشيد ومن الشرق ترعة الباجورية وفروعها . (ابن مماتى : قوانين ٩٥ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٠٥ - ٤٠٦ ، أبو المحاسن : النجوم ٩ : ٣٨ هـ ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ١ ص ٢١٣ - ٢١٤) .

أما جزيرة قوسنيا أو قويسنا فهى مدينة قويسنا الحالية أحد أعمال الغربية . (ابن مماتى : قوانين ١٦١ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٨٨ ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٢ ص ٢٠٤) .

[٢] عن التقسيم الإدارى فى العصر الفاطمى راجع أبا صالح : تاريخ ١١ ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ١ : ١٠٩ .

[٣] خُلِعَ على المؤتمن وقُلِّد ثغر الإسكندرية فى سنة سبع عشرة وخمسمائة . (المقريزى : اتعاظ ٣ : ٩٧ ، المقفى (خ . ليدن) ٢ : ١١٠و) .

فما يأمر به ؟ قال : تُحَدِّث رجفتك بأجمعهم فى الانفصال عن المؤتمن أنت ومن تثق به ، وهو تابع لك فى الكرامة منا .

٣ فاتَّفق هو وقايماز ودُرِّى الحرون ، وكانوا أُمراء الجماعة ، فتفرَّقوا عن المؤتمن بجمعهم[a] الباقون ، فانفرد المؤتمن واستَوْحَش فكاتب أخاه المأمون بذلك وما اتسع له أن يتتبع[b] الأمراء ولا أن ينكر عليهم ليرجعوا إلى أخيه مع علمه ٦ بتغيُّر الخليفة عليه فيُفْسد أمره ظاهرًا وباطنًا .

فحضر المأمون إلى الخليفة يوم سلام ، على عادة الوزراء ، فتقدَّم إلى الخليفة وقال : يامولانا ، صلوات الله عليك ، وَصَل كتاب أخى يتذمَّم من طول ٩ بقائه[c] خارج القاهرة وأسَفه على ما يفوته من خدمة مولانا بالمباشرة ، ويسأل الفُسْحَة له فى العَوْد إلى بابه الكريم . فقال الآمر : مرحبًا وأهلًا وهذا رأينا[d] ونحن مشتاقون إليه ، وإنما قَصَدنا رضاك فيما رتَّبته له ويَقْدم على ١٢ بركة الله . فكوتب عن الخليفة بالعَوْد ، وأن يُرَتَّب فى ولاياته من يرضاه فامتثل ذلك ، ودَخَل القاهرة . فجلس الخليفة فى غير وقت الجلوس فمَثَل بين يديه[e] ، فأكرمه وأدناه منه وخَلَع عليه بالتشريف المفخَّم واجتمع هو وأخوه ١٥ بالقاهرة .

فلما دخل شهر رمضان وفيه السِّماط كل ليلة بقاعة الذهب[1] ، ويحضر الوزير وإخوته وأصحابه ، فحضر المأمون وأخوه القادم السِّماط أول ليلة ١٨ فأكرمهما الخليفة بما أخرجه لهما ممَّا كانت يده فيه ، وأرسل رسالة إلى المؤتمن

(a) م : وتبعهم . (b) أن يتتبع ساقطة من ف . (c) م : مقامه . (d) م : وهذا كان رأينا . (e) ف : فمثل به .

[1] انظر فيما يلى ص ٢١١ - ٢١٢ .

يستأنس به لحضوره السِّماط مع أخيه فلم يتَّسع لهما مع هذه المكارمة انقطاعهما عنه ؛ فحضرا ثانى ليلة فزاد فى إكرامهما . ثم أمر الخليفة بأن يدخل المأمون الوزير لمؤاكلته خاصَّة دون أخيه ، فدخل إليه ، ولم يتقدَّمه أحدٌ من الوزراء ، بمثل ذلك ، فهنئ[a] بهذه المنزلة وفرح[b] هو وأخوه وأكَّد عليهما أن لا ينقطعا وأُخلِع عليهما من داخل الدار من الثياب الدَّارية . ثم حضر ثالث ليلة فاستُدعى المأمون فدخل إلى الخليفة ، فلما جلس معه على المائدة قال : قد جَفَوْنا المؤتمن ، فاستدعاه فدخل فصارا فى قبضته ، وكان الخليفة قد رتَّب لهما من يأخذهما . فعند خروجهما للمُضِى قَبَض عليهما واعتقلهما عنده فى خِزانة وسَيَّر بالحَوْطَة على دورهما فما اختلف [207 v] على الآمر فى ذلك اثنان[1] . ثم أمر بإحضار الشيخ الأجل أبى الحسن بن [أبى] أسامَة ، كاتب الدَّسْت[2] ، لينشئ شيئًا فى معناهما يقرؤه على المنبر باكرًا . فوُجد الشيخ أبو الحسن بمصر لعيادة مريض ، فأمر والى القاهرة فى الليلة المذكورة بأن يمضى إلى مصر لإحضار الشيخ أبى الحسن المذكور ليصبح الأمر مفروغًا ، فظَنّ والى القاهرة أنه طُلِب لغير ذلك ، وكان يقال له سعد الدَّولة الأُخْذَب[3] ، فأَزْعَج[c] الرجل من مكانه وسَبَّه أقبح سَبّ وأراد إحضاره إلى القاهرة راجلًا

(a) م : بهنى . (b) م : وخرج . (c) م : فمضى إليه وأزعجه .

[1] ملخصة عند ابن خلدون : تاريخ ٤ : ٧١ .

[2] أبو الحسن على بن أحمد بن الحسن بن أبى أسامة الحَلَبى الأصل المصرى الدار ، صاحب ديوان الإنشاء فى أيام الخليفة الآمر بأحكام الله . كانت له رتبة خطيرة ومنزلة رفيعة وينعت بالشيخ الأجل كاتب الدَّسْت الشريف ، ولم يكن يشاركه أحد فى هذا النعت بديار مصر فى زمانه . توفى سنة ٥٢٢هـ . (ابن الأثير : تاريخ ١٠ : ٥٨٩ ، ابن ميسر : أخبار ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٢ ، ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٥ و – ٥ ظ ، القلقشندى : صبح ١ : ٩٦ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٨٦ ، ٢٩١) . وراجع ابن ميسر : أخبار ٩٠ هـ٣٢٢ .

[3] سعد الدَّوْلَة الأَخْذَب . لا شك أنه =

فأحضر إلى الخليفة وهو ميت لاحراك به ، فقال له : ما هذا ؟ فأخبره بقضيَّته مع الوالى ، فأمر الخليفة بخَلْع أُخفافه من رجليه وصَفْعِه بهما حتى تقطَّعا على قفاه ، وصَرفه من الولاية . فأطْلَع الشيخ أبا الحسن على قضية المأمون وأخيه ، كل ذلك فى الليل ، فقال : يا مولانا ، نشء أيامك ومماليك دولتك ؛ فقال لبعض الأستاذين : خذ بيد الشيخ وسر به[a] إلى المذكورين لينظرهما فى اعتقالهما وينقطع رجاؤه منهما ، فأدخله إليهما فرآهما مكبَّلَيْن فى الحديد وعليهما احتياطٌ عظيم ، فأنشأ للوقت سِجِلًّا كان من استفتاحه :

« أما بَعْدُ فإن محمد بن فاتك استُنْجح فما نَجَح واستُصْلح فما صَلُح وجهل رَفْع قَدْره بعد الهبوط[b] وقابل الإحسان إليه بدواعى القنوط » إلى غير ذلك مما يشاكله .

فلما أصبح الصباح جَلَس الخليفة فى الشُّبَّاك بالإيوان[1] ونصب كرسى الدَّعْوة أمامه وطلع قاضى القضاة عليه وقرأه بعد اجتماع الأمراء وأرباب الرُّتَب والعوام فلم يَنْتَطِح فيها عنزان .

ويقال إن الخليفة كان يقول : أعظم ذنوبه عندى ما جرى منه فى حق صُور وإخراجها من يد الإسلام إلى الكُفْر[2] . وبقيا فى الاعتقال هما وأميران اتُّهما بخزانة البُنُود[3] .

(a) م : صوبه . (b) م : فغدا لهبوط .

= والى القاهرة الذى خَلَف ذخيرة الملك جعفر ابن عُلْوان صاحب مسجد الذُّخيرة . (ابن المأمون : أخبار ٤٧ ، ابن ميسر : أخبار ٦٥ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٢ ، المقريزى : المقفى (خ . السليمية) ٢٩٨ والخطط ٢ : ٤١١ والاتعاظ ٣ : ٢١) . وكان سعد الدولة من أوائل الذين عمَّروا البر الغربى للخليج قبالة الخَرْق هو وابن التبَّان ، رئيس المراكب فى الدولة المصرية ، وناهض الدولة علىّ وعدىّ الدولة أبو البركات محمد بن عثمان وجماعة من فرّاشى الخاص . (المقريزى : الخطط ٢ : ١١٤ وقارن الاتعاظ ٣ : ١١٩) .

(1) انظر فيما يلى ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٠٦ . وانظر أيضًا المقدمة .

(2) كان ذلك فى سنة ٥١٨ (انظر أعلاه ص ٥) .

(3) خِزَانة البُنُود . كانت ملاصقة للقصر الكبير الشرقى من جهته الشرقية ، فيما بين قصر =

وسَيَّر الآمر لإحضار الذى كان المأمون أرسله[a] إلى اليمن ليقتلهم جميعًا . وتفرَّغ الآمر لنفسه ولم يبق له صد[b] ولا مزاج ، وبقى بغير وزير[١] . ٣

(a) م : أنفذه . (b) م : فعل .

= الشوك وباب العيد ، بناها الظّاهر لإعزاز دين الله . (الخطط ١ : ٤٣١) . كانت بها خزائن السِّلاح فى الدولة الفاطمية (النجوم ٤ : ٤٧) ، ثم إنها احترقت فى سنة ٤٦١ فعملت بعد حريقها سجنًا يسجن فيه الأمراء والأعيان . (الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٥١ – ٢٥٢ ، الخطط ٢ : ١٨٨) بينما كان حَبْس المَعُونة بالقاهرة مخصصًا لأرباب الجرائم من السُّرّاق وقُطَّاع الطريق ونحوهم . (الخطط ١ : ٤٦٣ ، ٢ : ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٨٨) ، ورغم ذلك فقد حُبِس جعفر بن عبد المنعم بن أبى قيراط وأبو يعقوب إبراهيم السامرى صاحبا ديوان الآمر بحبس المعونة سنة ٥٢٤ وأخرجا منه ميتين . (ابن ميسر : أخبار ١١٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤١) . ويبدو مما ورد فى المصادر ، أن خزانة البنود استخدمت سجنًا قبل حريقها فى سنة ٤٦١ ، فقد سُجِن بها أبو الحسن التهامى الشاعر سنة ٤١٦ (ابن خلكان : وفيات ٣ : ٣٨١) وكذلك أبو منصور صدقة بن يوسف الفلاحى وأبو الحسن على بن الأنبارى سنة ٤٤٠ . (ابن ميسر : أخبار ٥ ، ٨ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٦٤ – ٦٥ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١٦٦ ، ٢٠٣ ، ابن إياس : بدائع ١ / ١ : ٢١٦) .

وظلَّت خزانة البنود سجنًا بقية العصر الفاطمى ، ثم أقرَّها الأيوبيون كذلك ، إلى أن عملت منزلًا للأمراء من الفرنج يسكنون فيها بأهاليهم وأولادهم زمن محمد بن قلاوون ، ثم هدمها نائب السلطنة الأمير سيف الدين الحاج آل مَلِك الجوكندار سنة ٧٤٤ فاختط الناس موضعها آدرًا . (الصفدى : الوافى ٩ : ٣٧٢ ، المقريزى : السلوك ٢ : ٦٤٠ – ٦٤١ والخطط ٢ : ١٨٨ ، أبو المحاسن : النجوم ١٠ : ٨٨ والمنهل الصافى ٣ : ٨٦ ، وراجع القلقشندى : صبح ٣ : ٣٥٤ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٣ – ٤٢٥ ، زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ٦٥ – ٦٦ ، Fu'âd Sayyid , A., *La capitale de l'Egypte à l'époque fatimide*, pp. 308 - 310).

ويدل على موضعها اليوم مجموعة الدور التى تحد شمالًا بشارع قصر الشوك ومن الشرق بكمالة شارع قصر الشوك ودرب القزّازين ومن الجنوب عطفة القزّازين . (النجوم ٤ : ٤٧ هـ٢) .

[١] ابن الفرات : تاريخ ١ : ٢٠٦ظ – ٢٠٧ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١٢ – ١١٥ ، ابن خلدون : تاريخ ٤ : ٧١ (ملخصا) .

وعَمِل له فى هذه الأيام بالخَاقَانية[1] ، وكانت من خاص الخليفة ، قصرًا من وَرْد . فسار إليها يومًا وخُدِم بضيافة عظيمة . فلما استقرَّ هناك خرج إليه أمير يقال له حُسَام المُلْك ، من الأمراء الذين كانوا مع المُؤْتَمَن أخى المأمون وتخاذلوا عليه ، فوصل إلى الخاقانية وهو لابس لَأْمَة حربه[2] والتمس الوصول بين يدَىِ الخليفة[a] ، فاستُثْقِل ما جاء به فى ذلك الوقت مما ينافى ما فيه الخليفة من الراحة[b] والنزهة ، فحيل بينه وبين مقصوده . فقال لجماعة من حواشى الخليفة : أنتم منافقون على الخليفة إن لم أصل إليه وهو [208 r] يطالبكم بذلك ويعاقبكم . فأُطْلِعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح وقوله ، فأمر بإحضاره . فلما وقعت عينه عليه قال : يا مولانا ، لمن تركت أعداءك – يعنى المأمون وأخاه المؤتمن – هذا والعهد غير بعيد ، أأمِنْت الغدر[c] ؟ فما أجابه إلّا وهو على ظهور الرَّهاويج[d] من الخيل . فلم تَمْض ساعة إلّا وهو بالقصر يمضى إلى مكان اعتقال المأمون وأخيه ، فما صدق أن يلقاهما على حالهما[e] ، فزادهما وثاقًا وحراسة[3] .

(a) الخطط : بين يديه – يعنى الخليفة . (b) ف : مما ينافى الخليفة فيه من الراحة . (c) الغدر ساقطة من ف . (d) الخطط : وهو راكب ، ف : إلّا على . (e) ساقطة من الخطط وفى م : فوجدهما على حالهما .

---

[1] الخاقَانية أو الخَرْقانية . من أعمال القليوبية على الشاطئ الشرق للنيل ، بينها وبين القناطر الخيرية نحو ثلثى ساعة . وهى من القرى القديمة ورد اسمها محرَّفًا فى كثير من المصادر . فهو يرد تارة الخرقانية وتارة أخرى الخرقانية . وذكرها ابن ممّاتى وابن الجيعان والمقريزى وقبلهم ابن الطُّوَيْر باسم الخاقانية . ويبدو أن هذا هو اسمها الذى عرفت به فى الوثائق الرسمية فى العصور الوسطى . وعرفت باسمها الحالى : الخرقانية ابتداء من سنة ١٢٢٨ / ١٨١٣ . (راجع ، أبا شامة : الروضتين ١ : ٤٥٠ ، ابن مماتى : قوانين ٨٥ ، ابن واصل : مفرج ١ : ١٧٦ ، ابن الجيعان : التحفة السنية ٨ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٦ ، ١٢١ ، ٢١٠ ، ٢٦٠ ، ٣١٢ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ١٠ : ٩٧ ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ٥٤) .

وذكر ساويرس بن المقفع أن الخرقانية كانت إقطاعًا لمؤتمن الخلافة فى زمن خلافة العاضد الفاطمى . (تاريخ البطاركة ٣ / ٢ : ٦٥) .

[2] لأْمَة وجمعها لُؤَم كصُرَد . الدِّرْع . (القاموس ١٤٩٢ – ١٤٩٣) .

[3] آخر ما فى الاتعاظ .

وفى أثناء ذلك قدم الذى كان سَيَّره الآمر إلى اليمن بالمكاتبات فى طلب الشخص المسير إليها من جهة المأمون وأحضره معه إلى القاهرة وهو على جمل مشوه[a] . وكان من أهل المعرفة ، وذكر أنه كان يقول وهو على الجمل : والله ما باليت ولا التقيت ، فأُدْخِل خِزَانَة البُنُود . فقتل الجماعة فى تلك الليلة وأخرجوا وصلبوا ظاهر القاهرة[1] .

[الآمر يُفَكِّر فى غزو المَشْرِق]

كان الآمر تُحَدِّثه نفسه بالسَّفَر إلى المشرق والغارة على بلاد بغداد ، واستعمل للسفر سروجًا خالية القَرَابِيص مجوَّفة وبطَّنها بصفائح قصدير فجعل فيها ماءًا وفى كل منها مفتوح مقدار جواز صفارة فيه ، فإذا دعت حاجة فارسه إلى الشرب شرب ، وجعله يحمل مقدار سبعة أرطال وعمل عِدَّة مخالى الخيل من الدِّيباج .

[وقال فى ذلك :

[الطويل]

دَع اللَّوْم عَنِّى لست منى بموثق	فلابُدَّ لى من صَدْمَة المتحقق
وأَسْقِى جيادى من فُرَات ودِجْلة	وأجمع شَمْل الدين بعد تمزُّق][2]

(a) ف : منشوه به والمثبت من الخطط .

[1] ابن الفرات : تاريخ ١ : ٢٠٧ ظ - ٢٠٨و ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٨ - ٤٨٩ ، اتعاظ الحنفا ٣ : ١٢١ - ١٢٢ .

[2] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ١٥ و ، المقريزى : الخطط ١ : ٤١٨ و ٢ : ٢٩١ وقارن ابن ميسر : أخبار ١١٢ والاتعاظ ٢ : ١٣٢ وأبا المحاسن : النجوم ٤ : ١٩٦ . وقد أوردت هذه المصادر البيتين اللذين قالهما الآمر فى هذه المناسبة والتى سقطت من نص ابن الطُّوَيْر كما نقله ابن الفرات .

[صَاحِبَا الدِّيوان والرَّاهب]

وقال صاحب كتاب « نُزْهَة المُقْلَتَيْن فى تاريخ الدَّولتين » ، راوى هذا
٣ الخبر : ورأيت ذلك فى حواصل الخزائن . ولما قَبَض الآمر بأحكام الله على
وزيره المأمون البطائحى ، كما قدَّمنا شرحه ، أقام صاحبى ديوان لاستخراج ما
يجب لله فى أموال الناس من زكاة وما هو مرتَّب من المكوس ، أحدهما مُسْلِم
٦ يقال له [جعفر بن عبد المنعم] ابن أبى قيراط[1] والآخر سامرى يقال له
أبو يعقوب [إبراهيم الكاتب][2] وأقام معهما مستوف لهاتين المعاملتين وكان
راهبًا[3] وكانوا يستخرجون ذلك من أربابه ، ويدخل صاحبا الديوان إلى
٩ الآمر فى كل وقت ومعهما المصحف والتوارة فيحلفان له ، [a]كلّ منهما على
كتابه[a] ، أنهما لا يتعرضان إلَّا لمن يجب[b] لبيت المال عليه حقّ ، فيحملهما فى
ذلك على الصِّدْق وربما اشتطَّا على الناس [15 v] وزيَّدا[c] عليهم مالا يجب
١٢ زيادته ، فتأذَّى بسببهما جماعة والآمر بأحكام الله لم يَطَّلع على ذلك ولم يشر

(a - a) ساقطة من الاتعاظ . (b) اتعاظ : لمن يجب عليه . (c) اتعاظ : زاد .

---

(١) أبو الفضل جعفر بن عبد المنعم المعروف بابن أبى قيراط متولى الديوان الخاص الآمرى . (أبو صالح : تاريخ ٥٤ وقارن ، ابن ميسر : أخبار ٨٦ ، ١١٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١٥ - ١١٦ ، ١٢٥ ، ١٤١) .

(٢) ابن ميسر : أخبار ١١٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤١ .

(٣) سَقَط اسم الرَّاهب من نص ابن الطُّوَيْر كما نقله ابن الفرات ، وهو : أبو نجاح بن قَنَّا المعروف بالرَّاهب . كان فى ابتداء أمره يخدم ولىّ الدولة أبا البركات يُحَنَّا بن أبى اللَّيْث ، صاحب ديوانى التحقيق والمجلس ، ثم اتَّصل بالآمر بعد قتل المأمون وضمن للدولة فى مصادرة قوم من النصارى مائة ألف دينار ، فأُطلق يده فيهم ولَقَّبه « بالأب القديس الرُّوحانى النَّفيس أبى الآباء سيِّد الرؤساء مقدَّم دين النصرانية ، وسيد البطريركية ، ثالث عشر الحواريين » فتمكَّن أمره وزادت مصادرته للناس وعم بلاؤه المسلمين . (ابن ظافر : أخبار ٨٨ ، النابلسى : تجريد سيف الهمة ١٤١ - ١٤٢ (نص هام) ، ابن ميسر : أخبار ١٠٥ ، ١٠٧ - ١٠٩ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٦ - ٨٧ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١١٧ ، ١٢٥ والخطط ٢ : ٢٩١) .

به (a)وهما يخدعانه بالأيمان الحانثة فى كل وقت(a) واستمرا على ذلك مُدَيْدَة[١] حتى وصل أذاهما إلى خادم كان كثير البضائع والتِّجارات والمقارضات ، يقال إنه أُخِذَ منه سبعون ألف دينار تخرج من مائة ألف دينار ، فصار هذا الخادم المأخوذ منه هذا المال يشكو حاله إلى الناس ويتظلَّم ويُظْهِر أنه صودر ولم يبق له شئ ، إلى أن انتهى أمره إلى أستاذ من أستاذين القصر المستنصرية عمره مائة وعشرون سنة يقال له لامعٌ ، وكان منقطعًا فى منزله بمكان بالقصر بعد حَجَّات إلى بيت الله الحرام ، وكان قد أنشأ جَلْبَة[٢] بعَيْذاب[٣] يقال لها اللَّامِعِيَّة تحمل الحاج لبيت الله ، فاتَّفق اجتياز الآمر بأحكام الله على مكانه

(a - a) ساقطة من الاتعاظ .

[١] آخر ما فى الاتعاظ ٣ : ١١٥ – ١١٦ وملخص عند ابن خلدون : تاريخ ٤ : ٧١ .

[٢] جَلْبَه جـ . جلاب وجلبات . من المراكب التى تسير فى المحيط الهندى والبحر الأحمر . استعملها أهل مصر والحجاز واليمن فى نقل الحُجَّاج والأزواد . أول من أشار إليها ابن جبير فقد ذكر عند حديثه على ميناء عَيْذاب أنها « من أحفل مراسى الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها ، زائدًا إلى مراكب الحجاج الصادرة والواردة » ... ولأهلها « أيضًا من المرافق من الحاج إكراء الجلاب منهم ، وهى المراكب . فيجتمع لهم من ذلك مال كثير فى حملهم إلى جدة وردهم وقت انفصاضهم من أداء الفريضة ، وما من أهلها ذوى اليسار إلَّا من له الجلبة والجلبتان فهى تعود عليهم برزق واسع » وأضاف ابن جبير بصف الجلاب بأنها « مُلَفَّقة الإنشاء لا يُستعمل فيها مسمار البتَّة ، إنما هى مخيطة بأمراس من القِنْبار ، وهو قشر جوز النارجيل ، يدرسونه إلى أن يتخيَّط ويفتلون منه أمراسًا يخيطون بها المراكب ، ويخلِّلونها بدُسُر من عيدان النخل . فإذا فرغوا من إنشاء الجلبة على هذه الصفة سَقَوْها بالسمن أو بدهن الخِرْوَع أو بدهن القِرْش ، وهو أحسنها ... ومقصدهم فى دهان الجلبة ليلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة فى هذا البحر ... وعود هذه الجلاب مجلوب من الهند واليمن ، وكذلك القنبار المذكور » . (ابن جبير : الرحلة ٤٧ ، Dozy, *Suppl. Dict. Ar.* I, p. 204 ، على مبارك : الخطط ١٤ : ٥٤ – ٥٥ ، درويش النخيلى : السفن الإسلامية ٢٧ – ٢٩) .

[٣] عَيْذاب . ميناء على الساحل المصرى للبحر الأحمر . بدأ ذكره منذ القرن الثالث الهجرى ولكن نشاطه لم يظهر بوضوح إلَّا فى أثناء خلافة الفاطميين . وكان أحد النقاط الرئيسية فى طريق تجارة الشرق (الفسطاط – قوص – عيذاب – عدن) وظلَّ كذلك حتى أواسط القرن التاسع الهجرى حيث فقدت=

فسأل عنه ، فقيل له إنه لا يستطيع النهوض إلى خدمتك ، فدخل إليه وسأله
عن حاله فقال : شغلى بسُمْعَة مولانا أشَدّ علىَّ من نفسى ، فقال : لأى شىء ؟
٣ فقال : يا أمير المؤمنين ، إن الناس قد تمَّ عليهم من الشِّدَّة مالا أُحْسِن أصفه
وربما يُنسب ذلك إليك ، وشَرَح له أمر الرَّاهب وصاحبى الديوان وما أخذوه
من الخادم . فحلف الآمر إنه ما علم أنهم بلغوا بالناس إلى هذا المبلغ ، وذكر
٦ له أنه كان يستدعى صاحبى الدِّيوان فى كل وقت ويُحَلِّفهما على المصحف
والتوراة ، وأن الرَّاهب لم يُجْعَل إلَّا مُسْتَوْفِيًا لما يُسْتَخْرَج من الأموال وليس
له معهما حديث البتَّة . فقال له الأستاذ : إنهم قد اتَّفَقُوا على أذى الناس وقد جعلك
٩ الله خليفةً فى الأرض واسترعاك على عباده وكل راعٍ مسئول عن رعيته . فشَقَّ على
الآمر بأحكام الله هذا الأمر وعمل فيه ، وخرج ؛ فما بات حتى صَرَف صاحبى
الديوان واعتقلهما[1] ليستعيد منهما ما أخذاه للناس ظُلْمًا ، وأمر والى مصر[2] بأخذ

= عيذاب أهميتها فى أعقاب تحوُّل طرق التجارة الشرقية من عَدَن إلى جُدَّة فى زمن الأشرف بَرْسباى . ذكرها ناصر خسرو الذى زارها سنة ٤٤٢ بقوله : « وفيها تُحصَّل المكوس على ما فى السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن » . (سفرنامة ١١٨) . ووصفها ابن جبير ، فى صدر الدولة الأيوبية ، بأنها « من أحفل مراسى الدنيا بسبب أن مراكب الهند واليمن تحطّ فيها وتُقْلع منها زائدًا إلى مراكب الحجاج » . (الرحلة ٤٥) . وراجع ، المقريزى : الخطط ١ : ٢٠٢ – ٢٠٣ ، على مبارك : الخطط ١٤ : ٥٤ – ٥٥ ، Gibb , H. A. R. , *EI²*., art. ʿ*Aydhāb* I, pp. 805 - 806 ; Garcin , J. Cl., « Jean - Léon l'Africain et ʿAydhâb » , *An. Isl*. XI (1972) , pp. 189 - 209 ; id., « La « Mediterranéisation » de l'empire mamelouk sous les sultans bahrides » , *RSO* XLVIII (1973 - 74) p. 114. ، والمقالان الأخيران عن تدهور الميناء فى القرن التاسع .

(١) ذكر ابن ميسر أنهما حُبِسَا بسجن المَعُونة ثم أُخرجا ميتين (أخبار ١١٤ والمقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤١) . وهذا السجن اتّخذ فى الدولة الفاطمية سجنًا لأرباب الجرائم من السُّرَّاق وقُطَّاع الطريق ونحوهم . وكان حبسًا حرجًا شنيع المنظر ضيِّقًا كان يُشَم من قربه رائحة كريهة . هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون وجعله قيسارية للعنبر وسوقًا للعنبريين . وكان موضعه تجاه الخَرَّاطين ، الصناديقية الآن . (المقريزى : الخطط ٢ : ٨٩ ، ١٠٢ ، ١٠٣ – ١٨٧) . وانظر أعلاه ص ١٦ هـ٢ خزانة البنود .

(٢) ذكر ابن ميسر أن اسمه الأمير مقداد . (أخبار ١٠٧ ، ابن ظافر : أخبار ٨٩) .

الرَّاهب إلى الشُّرطَة وضربه ، فضربه حتى مات وجُرَّ بكعبه إلى كرسى الجسر مسحوبًا فجرفه الناس بالثيران[a][1] . وبقى كلام الناس يعمل فى الآمر وخشى أن الله تعالى يطالبه بذلك واستحيا أن يستفتى فقهاء دولته على مذهبه ٣ فيما يكفِّر عنه ذلك إن كان يتعلَّق بذِمَّتِه منه[b] شىء لأنه إمام ، والإمام عندهم معصوم . فسَيَّر إلى [16 r] الفقيه سُلْطَان بن رَشَا[2] شيخ الفقيه مُجَلّى[3] ، وكان عَدْلًا وخليفة الحكم ، وفاوضه برسالة مَنْ يثق به على ٦ ذلك . فقال : يَرُدّ ما صار إليه من الأموال إلى أربابها ، فقال : والله ما أعرفهم ولا أقدر على ذلك ، فقال : هو قادر على أن يعتق ويتصدَّق ولا يتأثَّر بذلك ولم يبق له إلَّا الصوم فإنه عبادة شاقة على مثله فيصوم ، فقال : الدَّهر ، قال : ٩ لا ، ولكن الصوم الذى وصفه رسول الله ﷺ بالخبر وهو صوم داود النبى ، عليه الصلاة والسلام ، وكان يصوم يومًا ويفطر يومًا . فقال : لا أقدر على ذلك ، فقال : يصوم الثلاثة الشهور : شهر رجب وشهر شعبان وشهر رمضان ، ١٢ ففعَل وتحرَّج فى ذلك ونَزَّه[c] هذه الشهور من كل شىء فيه[4] .

(a) كذا فى ف . (b) ف : منى . (c) م : وتحرم فى صومه وبره .

---

[1] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ١٥و – ١٦و ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٢٥ – ١٢٦ مع زيادة تفصيل .

[2] الفقيه سُلْطان بن إبراهيم بن مسلم المَقْدسى المعروف بابن رَشَا . ولد بالقدس سنة ٤٤٢ . قال ابن ميسر : « كان من وجوه عدول مصر وعلمائها . أخذ عنه مُجَلّى بن جُمَيْع صاحب « الذَّخائر » وغيره ، وروى عنه السِّلَفى الحديث وقال فى حقِّه : كان أفقه الفقهاء بمصر فى وقته وقرأ عليه أكثرهم ومات فى آخر جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ، وقيل فى سنة ثمان » . (ابن ميسر : أخبار ١١٤ ، ١٣٣ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٢٤٧ وانظر كذلك ، الذهبى : العبر ٤ : ٤٢ ، السبكى : طبقات الشافعية الكبرى ٧ : ٩٤ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٢٢٩) .

[3] القاضى مُجَلّى بن جُمَيْع بن نَجا المخزومى الأُرْسُوفى الأصل ثم المصرى . كان من أعيان الفقهاء المشار إليهم فى وقته ، وإليه ترجع الفُتْيا بديار مصر . وهو صاحب كتاب « الذخائر » ، فى فقه الشافعية . (ابن ميسر : أخبار ١٤٨ ، ١٥٤ ، وابن خلكان : وفيات ٤ : ١٥٤ – ١٥٩ ، الذهبى : العبر ٤ : ١٤١ ، السبكى : طبقات ٧ : ٢٧٧ – ٢٨٥ ، ابن حجر : رفع الإصر – خ ٢٠٤ – ٢٠٥) .

[4] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ١٦ ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٢٧ .

[وَفَاةُ الآمِر]

وكان الآمر بأحكام الله مطلوبًا من الطائفة النِزَارِيَّة ، لأنه وأباه المستعلى غَاصِبَا الخلافة منهم وأن النص كان على نِزَار . فاتَّصل بالآمر أن جماعةً منهم حصلوا بالقاهرة ومصر لقتله ، فاحترز وتحيَّل فى قبضهم فلم يُقَدَّر له ذلك لما أراده الله عزَّ وجلّ ، وفشا أمرهم وكانوا عشرة فخافوا أن يقعوا عليهم ، فاجتمعوا فى بيت وقالوا لبعضهم بعضًا : قد فَشَا أمْرُنا ولا نأمن أن يُظْفر بنا ، ومن الرأى أن نَقْتل واحدًا منا ونلقى رأسه بَيْن القَصْرَيْن وحِلَانا عندهم ، فإن عرفوها فلا مقام لنا ، وإن لم يعرفوها تمَّ لنا ما نريد لأن القوم فى غَفْلَة . فقالوا للذى أشار بهذا الرأى : ما يتَّسع لنا قَتْل واحد منا فينقص عددنا وما بذلك أُمِرْنا ؛ فقال : ليس هذا من مصلحتنا ومصلحة من تَلْزَمنا طاعته ، وما دللتكم إلَّا على نفسى . وشرع فى نفسه بيده بسكِّينة فمات إلى لعنة الله تعالى ، وأخذوا رأسه فرموه فى الليل بَيْن القصرين . فأصبحوا منصرفين ينظروا ما يجرى . فكما وُجِدَت الرأس اجتمع عليها الناس وأبصروها فلم يقل أحدٌ منهم أنا أعرفها ، فحملت إلى الوالى فأحضر عُرَفَاءَ الأَسْوَاق[1] على أرباب

---

(1) عَرِيف جـ . عُرَفاء الأسواق . يُسْتخدم هذا المصطلح فى المصادر العربية فى العصر الإسلامى للإشارة عادة إلى رئيس حِرْفَة بالرغم من استخدام مصطلحات أخرى لنفس الغرض مثل « نقيب » و « رئيس » أو « شيخ » . ولا نعرف إلى أى حد يمثل هذا الشخص ، الذى يقوم بدور الوساطة بين الإدارة وأهل الحرفة ، طائفة مهنية مستقلة يمكن مقارنتها بالطوائف المعروفة فى أوربا فى العصور الوسطى . وفى العموم فالعريف يبدو فى المصادر كمعاون للمحتسب فيما يخص التنظيم والقضاء الداخلى والالتزامات المالية للطائفة . غير أن العريف لا يتمكن من الاضطلاع بمهمته إذا لم يتمتع بالحد الأدنى من ثقة أعيان المهنة التى ينتسب إليها . وهو بذلك يمثل أهل المهنة أيضًا أمام السلطة . (S. Ah. El-Ali et Cl. Cahen , *EI²*. art. *arif* I, pp. 649 - 651).

يقول المقريزى : « كان فى كل سوق من أسواق مصر على أرباب كل صنعة من الصنائع عريف يتولى أمرهم » . (إغاثة الأمة ١٨ والمقفى (مخ . السليمية) ٣٦٢ ظ والاتعاظ ٢ : ٢٢٤) . فكان هناك عريف للخبَّازين =

المعايش فلم تُعْرف ، وأحضر أيضًا أصحابَ الأَرْبَاع[١] بالحارات[a] فلم تُعْرف ، ففرحوا بذلك ووثقوا بالمقام لقضاء مرادهم .

فاتّفق للآمر بأحكام الله المذكور أن يمضى إلى الرَّوْضَة ويجوز على الجِسْر الماد بين مصر وجزيرة الرَّوْضَة للمقام بها أيامًا للفُرْجَة . ومن شأنهم فى الركوب أنهم يشيعون فى أرباب خدمتهم بالمواكب حيثما قصدوا حتى لا يتفرَّقون عنهم[٢] ، فعلم النِّزارية قَصْده . فجاؤا إلى الجزيرة ووجدوا قُبَالة الطالع [١٦٧] من الجِسْر إلى البر فُرْنًا فدخلوه قبل مجىء الآمر بأحكام الله ودفعوا إلى الفرَّان دراهم وافرة ليعمل لهم بها فطيرًا بسَمْن وعَسَل ، ففرح الفرَّان بِهم وعمل لهم الفطير ، فما هو بأكثر ما أكلوه ولم يُتِمُّوه وقد طَلَع

(a) النجوم : أصحاب الأرباع والحارات .

= (نفسه) وعرفاء للسقائين (ابن المأمون : أخبار ٦٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٣ والاتعاظ ٣ : ١٠٠) وكذلك للطوائف المهنية الأخرى . ويكون العريف خبيرًا بالحِرْفة أو المهنة وأفرادها وملمًا بأسرارها ومشاكلها ، ونظرًا إلى أنه جرت العادة بتجمُّع أصحاب كل حِرْفَة فى سوق خاصة بهم كان عريف هذه الحرفة بمثابة عريف السوق يعاون الوالى والمحتسب فى تنفيذ القوانين الخاصة بحرفته . (حسن الباشا : الفنون والوظائف ٧٧٨ - ٧٨٠) وانظر فيما يلى ص ٤٢ .

[١] صاحِبُ الرُّبْع . ربما تكون إشارة ابن الطُّوَيْر هنا هى الإشارة الوحيدة إلى وظيفة صاحب الرُّبع (وهى غير الرَّبْع جـ . رِبَاع - انظر فيما يلى ص ٩٣) فقد كان لكل مُرَبَّع سكنى أو حارة فى القاهرة والفسطاط مشرف يتولى حمايتها يسمى « صاحب الرُّبْع » فى الفسطاط « وحامى الحارة » فى القاهرة . كان هو وأعوانه أول من يتدخَّل لمواجهة اضطراب الأمن العام ، كما كان من وظائفه كذلك تجميع سكان الحى (الرُّبْع) وقيادتهم للقاء الخليفة عند دخول المدينة فى موكب احتفالى ، والمدينة المقصودة هنا هى الفسطاط . (Goitein , S. D., *Med. Soc.* II, p. 369). ونعرف من وثائق الجنيزة أن العناية بالشوارع والطرقات كانت واجبًا محتمًا على سكان المنازل المُطِلَّة عليها كان يتولى تكاليفها السكان بإشراف صاحب الرُّبْع . (*Ibid.*, IV p. 40)

[٢] انظر فيما يلى ص ١٦٠ .

الآمر بأحكام الله من آخر الجِسْر وقد تقلَّل عنه الرَّكابية ومن يصونه لحَرَج الجَوَاز على الجِسْر جملة . فلما قابلوه وثبوا عليه وَثْبَة رجل واحد وضربوه عِدَّة ضربات ، وأدركهم الناس فقُتِل التسعة . وحُمِل الآمر فى عُشَارى[1] إلى اللُّؤْلُؤة[2] ، وكان فى أيام النيل ، ففاضت نفسه قبل أن يصل إلى اللُّؤلؤة[3] .

[عبد المجيد إمامًا مُسْتَوْدَعًا]

وقال صاحب كتاب « المُقْلَتَيْن فى أُخبَار الدَّوْلتين » : كان الآمر قد اصطفى مملوكين ، يقال لأحدهما هِزَبْر الملوك واسمه جَوَامَرْد ، والآخر بَرْغَش ويُنْعت بالعادل[4] وهو صاحب المسجد قُبَالة الرَّوْضَة من بَرِّ مصر[5] . وكان

---

[1] العُشَارى . انظر فيما يلى ص ١٩٣ ، ٢٠١ .

[2] منظرة اللُّؤْلُؤة . بناها العزيز بالله ، ولما ولى بَرْجَوان الأمر فى أيام الحاكم بأمر الله سكن هذه المنظرة إلى أن قتله الحاكم فى سنة اثنتين وأربعمائة وأمر بهدمها . ثم جدَّدها الظاهر لإعزاز دين الله . واستمر أمرها إلى أن وقع الغلاء فى زمن المستنصر فأُهملت المنظرة . ولما وقع الاهتمام بسكنها مدَّة النيل فى زمن الآمر وتحوله إليها عمِّرت وجدِّدت وأُعِدَّت لاستقبال الخليفة . وكان يُتَوَصَّل إليها من باب مُرَاد – أحد أبواب القصر الصغير الغربى – المشرف على البستان الكافورى وكان لا يُفْتَح إلا للخليفة خاصة .
وكان موضع المنظرة بالقرب من باب القنطرة تشرف من شرقيها على البستان الكافورى وتطل من غربيها على الخليج . (ابن المأمون : أخبار ٥٦ ، ٥٧ ، ٧١ ، ٩٣ ، ٩٨ – ١٠١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٦٧ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٤٦ ، ٢٥٤ – ٢٥٥ ، على مبارك : الخطط التوفيقية ٣ : ٧٠) .
ويدل على موضعها اليوم مدرسة الفرير بالخرنفش المطِلَّة على شارع بور سعيد .

[3] هذه الرواية انفرد بذكرها ابن الطُّوَيْر ومن نقلوا عنه . ابن الفرات : تاريخ ٢ : ١٦و – ١٦ ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٢٨ – ١٢٩ والخطط ١ : ٤٨٦ س ١٦ – ١٩ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ١٨٤ – ١٨٥ ، ابن خلدون : تاريخ ٤ : ٧١ (ملخصا) . ولاشك أن ابن القطَّان صاحب « نَظْم الجمان » قد نقل خبر مقتل الآمر عن ابن الطُّوَيْر حيث أورد هذه الرواية (نظم الجمان ٢٠٢ – ٢٠٤) .

[4] راجع أخبار جوامرد وبَرْغَش فى الترجمة التى أفردها المقريزى لجوامرد فى المقفى ونقل أغلبها من نص ابن الطُّوَيْر . (المقفى (مخ . السليمية) ٣٠٥ ظ – ٣٠٦و) .

[5] هذا المسجد ذكره المقريزى عَرَضًا وهو يتحدث عن ساحل النيل بمدينة مصر وسمَّاه « مسجد العادل الذى بمَرَاغة الدُّواب الآن » . (الخطط ١ : ٣٤٤ س ٢٠ نقلًا عن ابن المتوج) .

الآمر يؤثر هذا الأصغر لرشاقته . فلما قُتِل الآمر ، وماثَمَّ من يُدَبِّر الأمر[١] ،
اعتمدا على الأمير أبى الميمون عبد المجيد ، وكان أكبر الجماعة سنًّا ، فتحيَّلا
بأن قالا : إن الخليفة المنتقل – يعنون الآمر – كان قبل وفاته بأسبوع أشار ٣
إلى شئ من ذلك ، وإنه كان يقول عن نفسه : المسكين المقتول بالسكين ،
وإنه قال : إن الجهة الفلانية حامل منه ، وإنه رأى رؤيا تدلُّ على أنها ستلِد
ولدًا ذكرًا ، وهو الخليفة من بعده ؛ وإن كفَالته للأمير عبد المجيد أبى الميمون . ٦
وأن يكون هِزَبْر الملوك وزيرًا وأن يكون الأمير الأجلّ[a] السعيد يانس متولى الباب
وإسْفَهْسَلارًا . وكان أصله من غلمان الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر
الجمالى[b] ؛ فلما اتَّفقا على ذلك[c] جلس عبد المجيد المذكور كفيلًا ولُقِّب « بالحافظ ٩
لدين الله »[c] ، وقرئ بهذا التقرير سجلّ فى الإيوان ، والحافظ فى الشُّبَّاك جالسٌ ،
قرأه قاضى القضاة على مِنْبر نُصِب له أمامه بحضور أرباب الدَّولة[٢] .

[وَزَارَة هِزَبْر المُلُوك جَوَامَرْد] ١٢

لما جَلَس الحافظ العُبَيْدى فى منصب الخلافة بالديار المصرية ، كما قدَّمنا
شرحه ، أُخْلِع على الأمير هِزَبْر الملوك[d] جَوَامَرْد خِلَع الوزارة ولبس الخِلَع

(a) ساقطة من ف . (b) النجوم : الأفضل بن أمير الجيوش ، وكان من أعيان الأمراء بمصر . (c - c) هذه العبارة موضعها فى النجوم بين كلمتى أبى الميمون ... وأن يكون (أعلاه) . (d) فى الاتعاظ والنجوم : هزار الملوك .

---

[١] لم يذكر ابن الطُّوَيْر خبر ميلاد ابن للآمر فى السنة التى توفى فيها هو الإمام الطَّيِّب الذى اعترفت به الدعوة اليمنية . وقد انفرد بذكر هذا المولود ، من المؤرخين المصريين ، ابن مُيَسَّر ومَنْ نقلوا عنه . (راجع أخبار هذا الإمام عند . ابن ميسر : أخبار ١٠٩ – ١١٠ هـ[١٧٩] ، أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية ١٧١ – ١٩٤) .

[٢] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ١٧ ظ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤٠ – ٢٤١ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٣٧ .

[وقد اجتمع][a] بين القَصْرَيْن خمسة آلاف فارس وراجل وفيهم الأمير رِضْوَان بن وَلَخْشى ، وكان من الأمراء المُمَيَّزين أرباب الشجاعة ، وهو رأس ذلك
٣ الجمع ، وداخل القاعة[1] بقصر الخليفة منهم جماعة بينهم الأمير بَرْغَش المعروف بالعادل ، رفيق هِزَبْر الملوك ، وقد عزَّ عليه كيف وزر دونه ، والأمير أبو على أحمد ابن الأفْضَل شاهِنْشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى إلى جانبه جالسٌ وقد لَمَح أن
٦ أكثر العسكر الذين بَيْن القَصْرَيْن لا يرضون وزارة رفيقه هِزَبْر الملوك وأراد إفساد حاله ، فقال لأبى على أحمد بن الأفضل : يامولاى الأجَلّ ، أنا أشح عليك أن تطيل الجلوس حتى يخرج هذا الفاعل الصانع وهو وزير لتخدمه ويسومك المشى فى ركابه ،
٩ اخرج إلى دارك وإذا قضى الله مضيت منها لهنائه ، [18v] وكان ظاهر القول منه مُكارمة وباطنه إذا وَقَع شخصه للجَمْع الذى بَيْن القصرين تعلَّقوا به وعملوه وزيرًا فينفسد أمر رفيقه هِزَبْر الملوك وربما هَلَك ، فقام ليخرج فمنعه رجل يقال له طُغْج
١٢ من نوَّاب الباب ، وكان خبيرًا[b] ذكيًا ، فقال له بَرْغَش : لما تَمْنَع هذا المولى من الخروج ؟ فقال : كيف لا أمنعه من الخروج إلى هذا الجَمْع ولا يؤمن تعلُّقهم به[c] ، فنَهَره[d] بَرْغَش وقال له : دَعْ عنك الفضول ، وقام بنفسه وأخرجه إلى آخر
١٥ الدَّهاليز [من القصر[2]] فأُحْدِقت به الصبيان الحُجَرِيَّة[3] عند ركن القصر المُخَلَّق[4] وقالوا : ما يكون الوزير إلَّا ابن الأفْضَل لأنه أحق بهذه المنزلة ، وساعدهم أمراء الدَّيْلم على ذلك لأنهم أنِفوا من وزارة هِزَبْر الملوك ، وشمُّوا من أحمد

(a) زيادة من الاتعاظ . (b) م : فعلنا . (c) ف : تعلق العسكرية فيقع له ما وقع لبرغش ! والمثبت من المقفى . (d) م : فهزه .

---

(1) المقصود قاعة الذَّهَب .
(2) الدَّهاليز من القصر . راجع فيما يلى ص ١٥٤ والمقدمة ...
(3) الصبيان الحجرية . انظر فيما يلى ص ٥٧ .
(4) الركن المُخَلَّق . انظر فيما يلى ص ٢١٨ .

روائح أبيه ، وكان أكثرهم غلمان أبيه وجده وأولاد غلمانه ، وتكاثر الجند حتى قوى الأمر وتقدَّم إلى باب الذَّهَب وكثر اللغط فأخذوا السيوف من السيوفيين ونهبوا من باب الفتوح إلى باب زويلة ، ونُهبت القيسارية[١] وكان فيها ما يملكه أهل القاهرة لأنها كانت مخزنهم ، وكان هذا أوَّل حادث حدث بالقاهرة والنهب والطمع ، فعندما رآه رضوان ومن معه وقد كانوا كرهوا وزارة هِزَبر الملوك][٢] تواثبوا إليه وقالوا : هذا الوزير ابن الوزير ابن الوزير ؛ فأراد الإفلات منهم للأمير رِضْوان بن وَلَخْشِى أنه شارب دواء فلم يُقْبَل منه ، وطلب فى الحال له خيمة وبيت صدر ، فضُرِبت فى جانب من بين القصرين فدخلها .

وقام الصَّالح[٣] وثار العسكر للموافقة على وزارته واتَّفقوا على الرضا به وقالوا : لا سبيل أن يلى علينا هذا الفاعل الصانع ، وأعلنوا بشَتْمه وغُلِّقت أبواب القصر ظاهرًا وباطنًا . فأحضر جماعة من العسكر[a] سلالم ووضعوها إلى جهة طاقات مَنْظَرة القصر وأُطْلعوا عليها أميرًا يقال له[b] ابن شاهنشاه ، فجاءه أستاذو الخليفة فأنكروا عليه هذا . فقال : ياقوم ، هذه فِتْنَة تقوم ما يسْواها هذا الذى خلَعْتم عليه ، ويحصل من ذلك على الخليفة من الغَرَامَة[c] وسوء أدب جُهَّال العسكر مالا يُتَلافى ، وما هذا منى[d] والله نصيحة لمولانا ، فإننى قد علمت من رأى القوم ما لا علمتم ، أخبروا مولانا عنى

(a) م : ضرغام وأصحابه . (b) ف المقفى : صبح . (c) م : العوام . (d) م : شيء .

[١] القيسارية . لم يرد لها ذكر فى غير هذا النص .

[٢] ما بين المعقوفتين [ ] أورده المقريزى فى المقفى (مخ . السليمية) ٨١و وواضح أنه من صميم كلام ابن الطُّوَير وإن كان أسقطه ابن الفرات .

[٣] هكذا بالأصول ولم يسبق الحديث عنه . أو المقصود أنه الصالح لذلك .

بهذا . فنقلوا للحافظ قوله وهِزَبْر الملوك بين يديه لابسًا الخِلَع[a] يسمع هذا
القول ، فقال له الحافظ : ها أنت تسمع ما يقال : فقال : يا مولانا ، أنا فى
٣ محلك ووزارتى بوصية خليفة قبلك ، فاتركنى أخرج لهؤلاء الفَعَلَة الصَّنَعَة . فقال
له الحافظ : لاسبيل لفتح باب القصر فى مثل هذا الوقت ، وقد فعلنا فى أمرك
ما رُتِّب لك ، وهذه الخِلَع عليك ، ولكن قد قال أمير المؤمنين على بن أبى
٦ طالب ، رضى الله عنه . لا رأى لمَنْ لا [١٩ r] يُطَاع .

واشتدَّ الأمر وكثر الغوير[b] فقيل للأمير ابن شاهنشاه قد أُجِبْتم إلى وزارة
أبى على وما نحن له كارهون فى ذلك . فقالوا : سَلِّم لنا هِزَبْر الملوك . فامتنع
٩ عليهم فأشرفوا على سور القصر وصمَّموا على طلب هِزَبْر الملوك طلبًا لا رُخْصَة
فيه . فقال له الحافظ : قم فاحتجب فى مكان لعلَّنا[c] نُدَبِّر فى قضيتك أمرًا
يُصَرَّف به هذا الجَمْع عنَّا وعنك ، وأُمَرنا بانتزاع الخِلَع عنه . ودعته الضرورة
١٢ إلى قَتْله مستورًا ، فقُتِل[١] وألقيت رأسه إلى القوم فسكنوا[٢] .

[وزارة أبى على الأفْضَل]

لما قَتَل الحافظ العبيدى الوزير هِزَبْر الملوك – كما قدَّمنا شرحه – ورمى
١٥ برأسه وسكن الناس ، استدعى الخِلَع لأبى على أحمد بن الوزير الأفْضَل

(a) م : بخلع الوزارة . (b) المقفى : غوير العسكر وم : تمويه العسكر . (c) المقفى : عسى .

(١) كانت وزارة خَوَامُرْد نصف يوم بلا تصرُّف يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة سنة ٥٢٤ كما عند ابن ميسر وليس رابع ذى القعدة كما ذكر المقريزى . (المقفى مخ . السليمية) ٣٠٦و ، الاتعاظ ٣ : ١٣٩) غير أن ابن ميسر ذكر تاريخ وفاة الآمر خطأً فى ثانى ذى القعدة بينما الصواب ثانى عشر ذى القعدة .

(٢) ابن الفرات : تاريخ ٢ : ١٨و – ١٩و ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٣٧ – ١٣٩ .

شَاهِنْشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى[١] فلبسها وجَلَس وزيرًا[٢] ولُقِّب « بالأَفْضَل » مثل أبيه[٣] وركب إلى دار الوزارة[٤] التى أنشأها أبـوه

---

[١] رغم أن أبا المحاسن بن تغرى بردى نقل خبر هِزَبْر الملوك وجَوَامَرْد عن ابن الطُّوَيْر فإنه يقول : « ولم يذكر هذا المؤرخ أمر أحمد الوزير ، ولا ماوقع له مع الحافظ ، وهو أجدر بأخبار الفاطميين من غيره . ولعلّه حذف ذلك لكونه كان فى أوّل الأمر . والله أعلم » . (النجوم ٥ : ٢٤١) . وقد ضمَّن أبو المحاسن هذا التعليق شهادة هامة فى حق ابن الطُّوَيْر وعدَّه أجدر بأخبار الفاطميين من غيره . ويبدو أن أبا المحاسن كانت معه نسخة ناقصة من تاريخ ابن الطُّوَيْر إذ أن ابن الفرات نقل خبر وزارة أبى على الأفضل عن ابن الطُّوَيْر .

[٢] عُيِّن أبو على وزيرًا وأميرًا للجيوش يوم الاثنين وقبل الخميس سادس عشر ذى القعدة سنة ٥٢٤ . (ابن ميسر : أخبار ١١٣) وقارن : ابن القلانسى : ذيل ٢٢٩ ، ابن ظافر : أخبار ٩٤ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٧ وفيه أنه ولى يوم الخميس السادس من ذى القعدة !

وفى مجموعة الوثائق المحفوظة فى دير سانت كاترين سجل صادر فى شهر ذى القعدة سنة ٥٢٤ إلى رهبان جبل سيناء صادر عن « ولى عهد المسلمين ... وكافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبى على أحمد بن السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش » ولم يظهر فى السجل اسم ولى العهد لأنه مبتور من أوّله ، وهو أبو الميمون عبد المجيد ابن عم الآمر ويكون هذا السجل قد صدر فى اليوم الذى اشترك فيه عبد المجيد مع أبى على فى الحكم قبل إلقاء القبض عليه . وقد نشر صمويل شتيرن هذا السجل لأول مرة سنة ١٩٦٠ ، Stern , S. M., « A Fatimid Decree of the year 524 / 1130 » , *BSOAS* XXIII (1960) , pp. 439 - 455 ، ثم أعاد نشره سنة ١٩٦٤ بعنوان Stern , S.M., « Decree by ʿAbd al - Majid (al - Hâfiẓ) and his vizier al - Afḍal concerning the Monks of Mount Sinai , A.H. 524 / A.D. 1130 » , in *Fatimid Decrees* , London 1964 , pp. 35 - 45.

[٣] ذكر ابن ظافر وابن ميسر أن أبا على اختار لنفسه دعاء يدعى به على المنبر تضمَّن ألقابه هو « السيد الأجلّ الأفضل مالك أصحاب الدول ، والحامى عن حوزة الدين ، وناشر جناح العدل على المسلمين الأقربين والأبعدين ، ناصر إمام الحق فى حالتى غيبته وحضوره ، والقائم بنصرته بماضى سيفه وصائب رأيه وتدبيره ، أمين الله على عباده ، وهادى القضاة إلى اتباع شرع الحق واعتماده ، ومرشد دعاة المؤمنين بواضح بيانه وإرشاده ، مولى النعم ورافع الجور عن الأمم ، مالك فضيلتى السيف والقلم ، أبو على أحمد بن السيد الأجل الأفضل شاهنشاه أمير الجيوش » . (ابن الصيرفى : قانون ديوان الرسائل ٤١ ، ابن ظافر : أخبار ٩٤ ، ابن ميسر : أخبار ١١٦ ، ابن الأثير : تاريخ ١٠ : ٦٧٢ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٨ ، ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٢٠و ، المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٨١ ظ والاتعاظ ٣ : ١٤٣ - ١٤٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٥) .

وواضح أن هذه الألقاب اتخذها أبو على بعد أن أسقط ذكر إسماعيل بن جعفر الصادق ، الذى تنسب إليه الإسماعيلية ، وأزال من الأذان « حىّ على خير العمل » وقطع ذكر عبد المجيد من الخطبة ودعوته للإثنى عشرية .

[٤] دار الوزارة . انظر فيما يلى ص ٤٧ .

الأفضل ، والجماعة رجَّالة فى ركابه ، وأُكْرِم الأمير بَرْغَش العادل الذى أشار عليه بالخروج من القصر .

٣ وأظهر الأفضَل المذكور عَدْلًا كثيرًا وردَّ على الناس ما فضل فى بيت المال من مال المُصَادَرَة فى أيام الرَّاهب ورفيقيه السَّامرى والمسلم – المُقدّم ذكرهم – وما كتبت به بخطوط قبل ذلك . وكان الذى وُجِد خمسين ألف دينار ، وكان قد ضربت

٦ ألواح على عِدَّة أملاك فأعيدت إلى أربابها ، فلو استمرّ على ذلك انتَفَع وانْتُفع به . لكنه كان إماميًا متشدِّدًا والتفّت عليه هذه الطائفة ولعبوا بعقله فانفعل بهم وحَسَّنوا له الدعوة [١٩٧] للقائم المنتظر وضَرّب دراهم باسمه دون الدنانير ونَقَش عليها :

٩ « الله الصَّمَد – الإمامُ مُحَمَّد »[١] ولم يكن فى الخلفاء بالديار المصرية من اسمه محمد[٢] .

وأراد خَلْع الحافظ وقَتْله بمَن يُذْكر أن الآمر قتله من إخوته ، لأنه لما احتاط على

١٢ موجود الأفضل بدار المُلْك بلغه عنهم فى حقه كلامٌ قبيح فأقام عليهم الحُجَّة عند مثولهم به وأن أباهم الأفضل غلامه ولا مال له فسَفَّه عليه أحدهم فقتلهم[٣] .

وما قدر الوزير الأفضل أبو على أحمد على قتل الحافظ ولا خَلْعه ، غير أنه حصره

١٥ فى مكان معتقلًا[٤] ، وركب بنفسه فى المَوَاسِم وخطَب للقائم بتمويه من القول .

---

[١] وصلت إلينا من آثار الإمام المنتظر الذى دعا له أبو على الأفضل تسعة دنانير منها ثلاثة فى لندن وواحد فى باريس وآخر فى القاهرة وأربعة ذكرها P. Balog ، وثلاثة دراهم أحدها ذكره M. Soret والآخر ذكره Bergmann والثالث فى مجموعة هنرى أمين عوض ، بالإضافة إلى عشرة أشكال زجاجية مدوَّرة (موازين) ذكرها Jungfleisch وكلها ضُرِب فى عام ٥٢٥ وأول عام ٥٢٦ . (راجع تفصيل ذلك وأرقامه وما كتب على السكة وتواريخها ومصادر ذلك فى كتابى : تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن ١٧٥ – ١٧٩) .

[٢] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ١٩و – ١٩ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٠ .

[٣] المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤١ والمقفى (مخ . السليمية) ٣٨٦ و .

[٤] ذكر المقريزى فى الخطط ١ : ٤٠٦ أن الحافظ كان معتقلًا فى خزانة بجوار الإيوان الكبير بالقصر الكبير الشرقى ، صار موضعها فى زمن المقريزى دارًا للضرب ، وانظر ابن ميسر : أخبار ١١٦ .

وقيل : لما قُتِل الوزير هِزَبْر الملوك وُلِّى بعده أحمد بن الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى . فلما وضعت امرأة الآمر بأحكام الله بنتًا تَغَلَّب على الحافظ الوزير أحمد بن الأفضل وتابعه الأجناد ، فسار إلى القصر وقبض على الحافظ المذكور واستقلّ بالأمر وأقام به أحسن قيام وردّ على المصادرين أموالهم ، وأظهر مذهب الإمامية وتمسَّك بالأئمة الإثنى عشر. ورَفَض الحافظ وأهل بيته ودعا على المنابر للقائم فى آخر الزمان المعروف بالإمام المنتظر على زعمهم ونهى أن يُؤَذَّن بخير البشر[a][1] .

[مَقْتَل أبى على الأفضل]

قال صاحب كتاب « نُزْهَة المُقْلَتَيْن فى سيرة الدَّوْلتين » ماصيغته : تعصب قومٌ من الأجناد لما شاهدوا ما فعله الأفضل وقامت نفوسهم منه وهم من خاص الحافظ فى أربعين رجلًا وتحالفوا سرًّا على قتل هذا أبى على متى ظفروا به جميعًا أو فرادًا ، ووقَّتُوا له يومًا يقدرون[b] فيه عليه . فركب يومًا للتعريق على فرس سابق [42 r] وقد عرفوا قصده برأس الطَّابية خارج القاهرة المحروسة[2] ، فجاء وحده وثَمَّ منهم عشرة رجال ، فصاح على عادة من يعرف : رَاحَت فقالوا : عليك ، وحملوا عليه وطعنوه فقتلوه ، ولحقه أستاذه فألقى نفسه عليه فقُتِل أيضًا . واجتمع الأربعون عنانًا واحدًا وجاؤا إلى المَوْضع الذى فيه الحافظ معتقلًا بالقصر ، فأخرجوه وكان ذلك فى أول الإيوان الواسع[3] .

(a) كذا عند ابن الفرات ولعله قصد « حى على خير العمل » . (b) عند ابن الفرات : تعدبرون .

---

(1) ابن الفرات : تاريخ ٢ : ١٩ ظ .
(2) عند ابن ميسر أنه ركب إلى الميدان بالبستان الكبير ظاهر القاهرة (أخبار ١١٥) .
(3) ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٤١ ظ .

[عيدُ النَّصر]

قال ابن الطُّوَيْر : وكان الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد لما سلم من يد أبى على بن الأَفْضَل الملقب كُتَيْفات ، لما وزر له وخرج عليه ، عمل عيدًا فى ذلك اليوم ، وهو السادس عشر من المحرّم[1] ، من غير ركوب ولا حركة ، بل إن الإيوان باق على فرشه وتعليقه من يوم الغدير[2] فيفرش المجلس المحوّل اليوم فى الإيوان الذى بابه خَوَرْنَق[3] ، وكان يقابل الإيوان الكبير الذى هو اليوم خزائن السِّلاح ، بأحسن فرش وينصب له مرتبة هائلة قريبًا من بَاذْهَنْجه . فيجتمع أرباب الدولة سيفًا وقلمًا ويحضرون إلى الإيوان إلى باب الملك المجاور للشُّبَّاك[4] ، فيخرج الخليفة راكبًا إلى المجلس مقدار عشر خطوات فيترجّل على بابه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون

---

(1) ظلّ أبو الميمون عبد المجيد وليًا لعهد المسلمين بعد خروجه من معتقله فى يوم السادس عشر من المحرم سنة ٥٢٦ هـ (وهو تاريخ وفاة أبى على الأفضل) الذى اتخذه عيدًا ، وحتى اليوم الثالث من ربيع الآخر من نفس السنة حيث بويع بالخلافة وتلقّب بالحافظ لدين الله ، يدل على ذلك دينار فريد ضرب فى الإسكندرية سنة ست وعشرين وخمسمائة أثناء هذه الفترة باسم (أبو الميمون عبد المجيد ولىّ عهد المسلمين) . راجع ، Rogers Bey , E.T., « Notices sur quelques pièces rares et inédites » , *BIE* 20 série n° 3 (1882) , pp. 32 - 33 ; Lane - Poole , S., *Catalogue of the collection of Arabic Coins preserved in the Khedieval Library at Cairo* (London 1897) , p. 195 n. 1269 , 1270).

وانظر نص سجل إمامة الحافظ عبد المجيد وهو صادر استنتاجًا فى ٣ ربيع الآخر سنة ٥٢٦ (كما عند ابن ميسر : أخبار ١١٧) عند القلقشندى : صبح ٩ : ٢٩١ - ٢٩٧ وكذلك ، الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٤٩ - ٢٦٠ والدراسة التحليلية ٧١ - ١٠٢ . أما المقريزى فى الاتعاظ فقد جعل صدور السجل وقراءته فى ٣ ربيع الأول من السنة نفسها .

(2) انظر فيما يلى ص ١٨٦ .

(3) الخَوَرْنَق كفَدَوْكَس . قصرٌ للنعمان الأكبر ، معرّب خورنكاه ، أى موضع الأكل (القاموس ١١٣٥) أو معرب خُرْنكاه أى موضع الشرب . (الجواليقى : المعرب ١٧٤) . ويستخدم هذا المصطلح فى الفنون بمعنى فتحات صغيرة توضع بها أوان زخرفية للزينة .

(4) الإيوان الكبير والشباك . انظر فيما يلى ص ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٠٦ . وكذلك المقدمة .

بين يديه صَفَّيْن إلى باب المجلس ، ثم يجعل قدامه كرسى الدَّعْوة وعليه غشاء قُرْقوبى وحواليه الأمراء الأعيان وأرباب الرُّتَب ، فيصعد قاضى القضاة ويخرج من كمه كرَّاسة مسطوحة[a] تتضمَّن فصولًا « كالفَرَج بعد الشِّدَّة »[1] بنَظْمٍ مليح يذكر فيه من أصابه من الأنبياء والصالحين والملوك شِدَّة وفَرَّج الله عنه واحدًا واحدًا[b] حتى يصل إلى صاحب هذا العيد[c] ، وتكون تلك[d] الكرَّاسة محمولة من ديوان الإنشاء . فإذا تكمَّلت[e] قراءتها نزل عن المنبر ودخل إلى الخليفة ولا يكون عنده من الثياب أجلّ مما لبسه [f]فى ذلك اليوم[f] ويكون قد حمل إلى القاضى قبل خطابته بدلة مميزة له فيلبسها[g] للخطابة ويوصَّل إليه بعد الخطابة خمسون دينارًا . [h]فينقضى ذلك اليوم بما فيه بركوبه عن المجلس وعوده إلى مكانه[h][2] .

[وَزَارَة الأمير يَانِس]

[كان يَانِس من غلمان الأَفْضَل الكبير شاهنشاه بن بدر الجمالى وتأمَّر فى الدولة وتقدَّم وتولّى الباب ، وهو أعظم رُتَب الأمراء[3] ، فلما اجتمع الأجناد على قتل الأفضل وقتلوه واجتمعوا وأخرجوا الحافظ – كما قدَّمنا

(a) بولاق : مسطحة . (b) بولاق : فواحدا . (c) بولاق : الحافظ . (d) بولاق : هذه . (e) بولاق : تكاملت . (f - f) ساقطة من بولاق . (g) بولاق : بدلة مميزة يلبسها . (h - h) زيادة من خزينة .

[1] من أشهر هذه الكتب « كتاب الفَرَج بعد الشدّة والضيقة » لأبى الحسن على بن محمد المدائنى و « كتاب الفَرَج بعد الشدّة » لأبى بكر عبد الله بن محمد المعروف بابن أبى الدنيا وآخر للقاضى أبى الحسين عمر بن محمد بن يوسف الأزدى ثم كتاب « الفَرَج بعد الشدّة » للقاضى أبى على المُحَسِّن بن على التَّنوخى المتوفى سنة ٣٨٤ . ولم تصل إلينا الكتب الثلاثة الأولى بينما وصل إلينا كتاب التنوخى وطبع أكثر من مرة أتمّها وأضبطها نشرة عبُّود الشالجى فى خمسة أجزاء (بيروت ، دار صادر ١٩٧٨) .

[2] المقريزى : الخطط ١ : ٤٩٠ – ٤٩١ .

[3] صاحب الباب . انظر فيما يلى ص ١٢٢ .

شرحه – جلس فى الشُّبَّاك فى منصب الخلافة وأنْعَم على الأربعين الذين قدَّمنا ذكرهم بمال كثير وشُكْر لهم . فقالوا : والله ما حرَّكنا على هذا إلّا الأمير السعيد يَانِس ، وكان مستوحشًا من الوزير أبى على بن الأفضل ، فجازاه بالوزارة فى الحال وأُخلَع عليه ولَقَّبه « أمير الجيوش سيف الإسلام » فأقام إلى ذى الحجة[١] من هذه [42 v] السنة][٢] .

قال صاحب كتاب « نُزْهَة المُقْلَتَيْن فى سيرة الدَّولتين » ما صيغته : كان الأمير يَانِس عاقلًا وله هَيْبَة ، وكان يتماسك فى الأمور ويحفظ القوانين و لم يُحْدث شيئًا ولا خرج عمَّا يعنيه[a] . فبلغه عن أستاذ من خاص الحافظ شيءٌ كرهه فقبض على الأستاذ من القصر بغير توقير للخليفة واعتقله فى خِزَانة البُنُود وضرب عنقه فى تلك الليلة . فاستوحش الحافظ منه وانتضى[b] وخشى من زيادة معناه فى ذلك ، وكانت غَلْطَة من يانس لم يقدر على استدراكها . فيقال إن الحافظ توصَّل إلى أن سَمَّه فى ماء المستراح فانفتح دُبُرُه واتَّسع حتى ما بقى يقدر على الجلوس لاستبقاء أمعاءٍ به . فعَنَّ للحافظ زيارته ليعجِّل عليه لاهتمامه بالحركة ومكارمة الخليفة ، فجاء إليه يقعد للخدمة فسقطت أمعاؤه فمات . [43 r] وخلَّف ولدين كفلهما الحافظ وأُحسن إليهما ، وكانا على كرامة عنده ، ومات الأكبر منهما فى أيام وزارة الصالح بن رُزِّيك[٣] .

(a) خطط : بعينه الخليفة له . (b) ساقطة من م والخطط .

[١] يتّفق هذا التاريخ مع ما أورده ابن ميسر من أن وفاته كانت فى ٢٦ ذى الحجة سنة ٥٢٦ (أخبار ١١٨ وكذلك هـ١٠٨) ، بينما يذكر ابن ظافر وابن أيبك أن وفاته كانت لليلتين خلت من ذى القعدة سنة ٥٢٦ (أخبار ٩٨ ، كنز الدرر ٦ : ٥٠٦) ويبدو أن هذا هو تاريخ اعتقاله .

[٢] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٤٢ ظ .

[٣] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٤٢ ظ : ٤٣ و ، وكذلك المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٤ والخطط ٢ : ١٧ .
وعن أخبار يانس راجع ، ابن ظافر : أخبار ٩٨ ، ابن ميسر : أخبار ١١٧ – ١١٨ ، ابن =

[ذِكْر خُرُوج الأمير حَسَن بن الحَافِظ]

قال [ابن الطُّوَيْر] : استمرّ الحافظ خليفة من سنة أربع وعشرين وخمسمائة إلى جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة . وكان له من الأولاد عِدَّة : سليمان ، وهو أكبرهم وأحبهم إليه ، وحَسَن وكان عاقًّا له ، ويوسف وجبريل ، هؤلاء قبل خلافته . ووِلِد له فى خلافته أبو منصور إسماعيل وخلفه بعد موته[1] .

[و] كان الحافظ[a] عَهَد إلى سليمان أكبر أولاده[2] وجعله يسدّ مكان الوزير ويستريح من مقاساة الوزراء الذين يجفون[b] عليه ويضايقونه فى أمره ونهيه ؛ فمات بعد ولايته العهد بشهرين ، فحزن عليه شهورًا ، وترشّح الأمير حسن تاليه فى العُمْر لولاية العهد ، وكان عاقًّا لأبيه الحافظ ، فلم يستصلحه لذلك ولا أجابه إليه بالجملة . فعظم ذلك على حسن المذكور ودعا لنفسه وكاتب الأمراء والراصل[c] وعوَّل على اعتقال أبيه الحافظ ليستبدّ بالأمر[d]

(a) عند ابن الفرات : الحافظ العبيدى . (b) النجوم : يحيفون . (c) كذا فى ابن الفرات وساقطة من النجوم . (d) النجوم : ليستبد هو بالأمر .

= الأثير : التاريخ ١٠ : ٦٧٣ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٨ ، ابن أيبك ، كنز الدرر ٦ : ٥٠٦ ، ساويرس : تاريخ البطاركة ٣ / ١ : ٢٨ ، المقريزى : الخطط ٢ : ١٦ - ١٧ والاتعاظ ٣ : ٧٣٧ والمقفى (خ . السليمية) ٢٤١ و ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤٠ .

[1] أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤١ . وسقط من هذه القائمة حيدرة الذى جعله الحافظ وَلِىّ العهد من بعده بعد وفاة سليمان ، ولم يرض أخوه حسن بذلك فكانت بينهما حروب استظهر فيها الحسن على أخيه وهرب حيدرة إلى أبيه ، واضطر الحافظ إلى تولية ابنه الحسن ولاية عهده . (ابن ميسر : أخبار ١١٨ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٩ - ١٥٠ والخطط ٢ : ١٧ - ١٨) .

وانظر نص سجل تولية حيدرة ، وهو صادر ترجيحًا فى أوائل رمضان سنة ٥٢٩ ، عند القلقشندى : صبح ٩ : ٣٧٧ - ٣٧٩ ونقله الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٢٦١ - ٢٦٥ والدراسة التحليلية ١٠٣ - ١٠٧ .

[2] يوجد نقش فى سوهاج باسم : « ولىّ عهد أمير المؤمنين ... سليمان ابن الإمام الحافظ لدين الله أمير المؤمنين ... » مؤرخ فى المحرم سنة تسع وعشرين وخمسمائة » . (Wiet , G., *RCEA* VIII p. 193 n° 3071)

وأطْمع الناس فيما يواصلهم به إذا تمَّ له الأمر ، فامتدت إليه الأعناق وكاتب الأمراء وكاتبوه . ثم عاودتهم عقولهم [58 r] بأن هذا لا يتم مع وجود أبيه وهو الخليفة ، فكاتبوا أباه بخلاف ذلك . فسيَّر أبوه تلك الكتب إليه ، وقال له : لا تعتقد أن معك أحدًا . فأوقع الأمير حسن بعِدَّة من الأمراء فقتلهم وأخذ ما فى آدُرِهم . وقصد أبوه إضعافه وصرفه عن جرأته بغير فَتْك بالأمراء . فَفَسَد أمره وافتقر إلى أبيه[1] .

وكان الأمير حسن سَيَّر بَهْرَام الأرمنى النصرانى حاشدًا له ليصل إليه بالأرْمَن ، وكان هذا بَهْرَام كبيرهم وأميرهم . فلما جرى لحسن مع الأمراء ما قدَّمنا شرحه ، لجأ إلى أبيه الحافظ فاحتفظ به وحرس عليه[2] . فلما علم من بقى من الأمراء ، وهو خائف منه ، اجتمعوا على طلبه من أبيه ليقتلوه فصاروا بين القصرين فاجتمع معهم من الفارس والراجل عشرة آلاف نفس فراسلهم الحافظ بليِّن الكلام وتقبيح مرادهم من قتل ولده ، وأنه قد زال عنهم أمره وأن ضمانه عليه فى أن لا يتصرَّف أبدًا ، ووعدهم بالزيادة فى الأرزاق والإقطاعات . فلم يقبلوا شيئًا من ذلك بوجه ؛ وقالوا : إما نحن وإما هو ؛ وإن لم نتحقَّق الراحة الأبدية منه وإلَّا فلا حاجة لنا بك أيضًا ونَخْلع طاعتك . [3] وأحضروا الأحطاب والنيران ليحرقوا القصر ويخرِّبوه ، وبالغوا فى الإقدام عليه . فلم يجد الخليفة من ينتصر به عليهم لأنهم أنصاره وأجناده الذين يستطيل بهم على غيرهم . فألجأته الضرورة إلى أن يستصبرهم ثلاثة أيام ليتروى فيما

---

(1) ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٥٧ ظ – ٥٨ و ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤١ – ٢٤٢ . وأورد المقريزى هذا الخبر بتفصيلات غنية لم نجد مصدرها (اتعاظ ٣ : ١٥٠ – ١٥١ ، ١٥٣ ، وانظر ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٨ – ٨٩ .

(2) ذكر المقريزى أن حسن كان قد نزل بالقصر الغربى ، فلما ضيَّق عليه الأمراء والأجناد لم يجد بُدًا من اللجوء إلى أبيه فحفر سردابًا بين القصرين ووصل إلى أبيه بالقصر الشرقى من تحت الأرض وتحصَّن بالقصر . (اتعاظ ٣ : ١٥٣) .

(3) من هنا يتفق نص المقريزى مع نص ابن الطُوَير كما نقله ابن الفرات وأبو المحاسن .

يعمل فى حق ولده ؛ فرأى أنه لا ينفكّ من هذه النازلة العظيمة التى لم ير مثلها إلّا أن يقتله مستورًا ويحسم مادة ما يتوجه من العسكر من المباينة ، وأنه لا يأمن هو على نفسه ، وأنه لابد من التصرُّف بهم وفيهم وأنهم لا ينفكُّون ٣ من المقام بين القصرين على هذا الأمر إلّا بعد إنجازه . وكان لخاصه طبيبان يهوديان يقال لأحدهما أبو منصور وللآخر ابن قِرْقَة . وكان ابن قِرْقَة خبيرًا بالاستعمالات ذكيًا ، فكان يتولّى لهم الاستعمالات بدار الدِّيباج[1] وخزائن ٦ السِّلاح والسروج[2] . فحضر إليه أبو منصور قبل ابن قِرْقَة ففاوضه فى عمل السُّقْيَة القاتلة فتحرَّج من ذلك وأنكر معرفته كل الإنكار [58 v] وحلف برأس الخليفة وبالتوراة أنه لم يقف قط على شىء من هذا ولا قرأه فى كتاب ولا ٩ غيره فعذره وتركه . ثم حضر له ابن قِرْقَة ففاوضه فى السُّقْيَة فقال : الساعة ، ولا ينقطع منها الجَسَد بل تفيض النفس لا غير ، فأحضرها فى يومه ؛ وأُلْزِم الحافظ ولده حسنًا بمن ندبه من الصقالبة فأجبروه على شربها فمات[3] ، وقيل للقوم سِرًّا : ١٢ قد كان ما أردتم فامضوا إلى أدركم[a] فلم يثقوا بذلك من قائله بل قالوا : يشاهده منّا من نَثِق به ، فأجابهم إلى ذلك . فاتفقوا على أمير معروف بالتشغيب والجرأة

(a) اتعاظ ونجوم : دوركم .

[1] دار الدِّيباج . هى فى الأصل دار الوزارة الفاطمية القديمة التى أنشأها الوزير يعقوب بن كِلِّس ، وظلت مكان سكن الوزراة إلى وقت قدوم بدر الجمالى فانتقل إلى دار أَسَّسَها بحارة بَرْجَوان . وأصبحت دار الوزارة القديمة الواقعة بحارة الوزيرية تعرف بدار الديباج حيث خصصت لعمل الحرير الديباج . فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس فى مكان دار الديباج المدرسة السيفية وما وراءها من المواضع بالقرب من الحمزاوى حاليًا . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٤ ، ٢ : ٣٦٨ ، أبو المحاسن : النجوم ٦ : ١٦ هـ٧ و ٢٨٠ هـ٤) .

[2] انظر المقريزى : الخطط ٢ : ٦٣ ، ٨١ .

وابن قِرْقَة هو أبو سعيد بن قِرْقَة الحكيم كان ماهرًا فى علم الطب والهندسة ونحو ذلك من العلوم . قبض عليه الخليفة الحافظ واعتقله فى خزانة البنود وقتله سنة ٥٢٩ بسبب تدبيره أمر السقية التى أودت بحياة ابنه الحسن . (الخطط ٢ : ٦٣) .

[3] فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ٥٢٩ . (المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٥٤) .

يقال له المعظم جلال الدين[a] محمد جَلَب راغب الآمرى ؛ فدخل إلى المكان الذى فيه القتيل فوجده ملقى مُسَجًّى وعليه ملاءة ، فكشف عن وجهه وأخرج من وسطه بارشينًا[b] فغرزه فى مواضع خطرة من جسده فلم يتحرك ، فتحقّق موته وعاد إلى القوم فأخبرهم بذلك فوثقوا به وتفرَّقوا[١] .

ولما ناساهم الحافظ هذا الفعل [59 r] سَيَّر من قبض على الطبيب ابن قِرْقَة صاحب السُّقْية فرماه فى خِزَانَة البُنود[١] ، وأمر بقتله وارتجاع جميع أملاكه وموجوده إلى الدِّيوان[٢] ، وهو الزُّقاق الذى كان يسكنه فُرُوخ شاه ويطل على الخليج الحاكمى قُبالة الغَزَالة[٤] وما فيه من الآدر والحمَّام[٥] هناك

(a) الاتعاظ : جلال الدولة . (b) الاتعاظ : سكينا .

(١) ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٥٨ ظ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤٣ وقارن المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٥٤ – ١٥٥ .

ويستكمل ابن الفرات الحديث بعد ذلك بنص مأخوذ من تاريخ يحيى بن أبى طىّ ثم يعود مرة ثانية إلى نص ابن الطُّوَيْر . وقد نقل المقريزى نص ابن الطُّوَيْر مع نص ابن أبى طىّ دون أن يشير إليهما مما يجعلنا نظن أنه اعتمد فى ذلك على نص ابن الفرات بالإضافة إلى نصوص أخرى .

(٢) انظر أعلاه ص ١٦هـ٣ .

(٣) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٥٥ .

(٤) الغَزَالة . انظر فيما يلى ص ١٠٣ .

(٥) دار وحمّام ابن قِرْقَة . أنشأهما أبو سعيد ابن قِرْقَة الحكيم وباعهما عندما صادره الحافظ سنة ٥٢٩ ، فابتاعهما منه أميرٌ يدعى علم السعداء ، ثم تغيّرت معالمهما . قال ابن عبد الظاهر : « دار ابن قِرْقَة هى الآن (نهاية القرن السابع) سكن الأمير صارم الدين المسعودى والى القاهرة بأول حارة زويلة من جهة باب الخوخة على يسرة السالك إلى داخل الحارة » وأضاف المقريزى : « وهذه الدار والحمام قد هدمتا وصار موضع الدار الجامع المعروف بجامع المغربى برأس سويقة الصاحب ... وآخر ما بقى منها هدمه الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر فى رمضان سنة أربع وتسعين وسبعمائة » . أما الحمام فقد عرفت فى الدولة الأيوبية بالأمير صارم الدين المسعودى المنسوب إليه سويقة المسعودى ، كانت تقع قبل أن تخرب غربى جامع ابن المغربى . (المقريزى : الخطط ٢ : ٦٣ ، ٨١ ، ٣٢٨) .

ويمكن أن نحدد هذا الموضع بالتقريب فى المكان الذى فتح فيه شارع السكة الجديدة من جهة الخليج .

مع ما وجد له ، وهذا الدَّرْب معروف بدرب ابن قِرْقَة بالقرب من باب الخُوخَة[١] .

٣ وأُنْعِم الحافظ على أبى منصور[٢] ، الطبيب الثانى الذى أنكر معرفة السُّقْية ، وجعله رئيسًا على اليهود وحصلت له نِعَمٌ ضخمة[٣] .

[تَجْرِيد العَسْكَر إلى عَسْقَلان]

٦ وكان صاحب الدِّيار المصرية[a] فى كل ستة شهور يجرِّد من العسكر المصرى إلى عَسْقَلان ما يتحققه من عَزَمات الفِرِنْج فى القِلَّة والكثرة مع مَنْ هو فيها مقيم من المركزية الكنانية[b] وغيرهم . فكانت القلة من الفرسان من ٩ ثلاثمائة إلى أربعمائة ، والكثرة من أربعمائة إلى خمسمائة إلى ستمائة ، ويُقَدِّم على كل مائة فارس أميرًا ويسلم لأمير المقدَّمين الخريطة ، وهذا اسم لحمل أوراق العرض من الديوان بالقاهرة المحروسة ليتَّفق مع والى عسقلان على عرضهم ١٢ بمقتضاها[١] . ويصدر التعريف من كاتب الجيش هناك إلى الديوان بالقاهرة[c]

(a) النجوم : وكان الحافظ واتعاظ : ومن محاسن ما يحكى عنه . (b) النجوم : المركزية والكنانية . (c) الاتعاظ : بالحضرة .

[١] باب الخُوخَة . أحد أبواب القاهرة المُطِلَّة على الخليج (راجع ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٦٢ ، ٣٨٠ ، ٢ : ٤٧ ، ١٠٩ ، ١٤٧ ، ٣٠٦ والسلوك ١ / ٢ : ٢١٥ ، ابن المأمون : أخبار ٣٧ هـ٢) . كان يقع فى وسط السور الغربى للقاهرة بين باب القنطرة شمالًا وباب سعادة جنوبًا بالقرب من الحارة الوزيرية جنوب شارع الأزهر الحالى .

[٢] أبو منصور صموئيل بن حَنَانْيا رئيس يهود مصر فى الفترة من ٥٢٩ إلى ٥٥٤ . (Mann , J., *The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs* , I, p. 255 ; Cohen , M., *Jewish Self - Government in Medieval Egypt* , Princeton 1980 , p. 253).

[٣] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٥٩ و ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤٤ .

[٤] انظر أعلاه ص ٣ .

بذلك ، ثم يُسَلَّم إليه مبلغٌ من المال لينفقه فيمن فاتته نفقة المعونة للسفر إلى
عسقلان لأن نقباء الطوائف[1] يجرِّدون الناس حضروا أو غابوا فى ضَمَانهم .
٣ فمن العسكر من يسافر من إقطاعه من غير حصول فى القاهرة ، ويأخذ هذا
صاحب الخريطة أوراقًا بمن سافر من إقطاعه ليوصل المعونة إليه . وكانت
للأمراء مائة دينار ، وللأجناد ثلاثون دينارًا ، وعلى النقباء الخروج من ذلك
٦ بالحساب الذى يصلح لوالى عَسْقَلان ومُقَدَّم المقدَّمين صاحب الخريطة .

فاتفق أن وصل كتاب والى عَسْقُلان أنه علم أن عند الفِرِنْج حركة ، فجرَّد
فى تلك المرة العُدَّة الوافرة من الأمراء والأجناد والأمير جَلَب راغب[2] ،
٩ الذى كان كشف صحة قتل حسن بن الحافظ بنفسه ، فسَيَّر إليه الحافظ مائة
دينار ، وهى علامة التجريد والاهتمام [59 v] بالسير ، فتجهز فى جملة الناس
المجردين وفى نفسه تلك الجناية التى قدَّمها عند الحافظ فى ولده . فجرَّد خمسة
١٢ من الأمراء وسُلِّمت الخريطة لأميرهم . وكان الحافظ ربما جلس لهم ليخدموه
بالوداع ويدعو لهم بالنصر والسلامة على العادة لتطييب قلوبهم ، فدخلوا إليه
ومثلوا لذلك بين يديه وانصرفوا إلى الأمير جَلَب راغب وهو يعرف له تلك
١٥ اليد البيضاء عنده . فقال الحافظ ، قولوا للأمير : ما وقوفك دون أصحابك !
أَلك حاجة ؟ فقال : يأمرنى مولاى بالكلام . فقال له : قل . قال :
يامولانا ، ليس على وجه الأرض خليفة ابن بنت رسول الله ﷺ غيرك ، وقد
١٨ كان الشيطان استزلنى فسفَّهت نفسى وأذنبت ذنبًا عظيمًا عفو مولانا أُوسَع
منه وأعظم . فقال له : قل ما تريد غير هذا فأنا غير مؤاخذ لك به . فقال :
يامولانا قد توهَّمت بل تحقَّقْت أنى ماض فى حالة السخط منك وقد آلَيْت
٢١ على نفسى أن أبذلها فى الجهاد ، فلعلى أموت شهيدًا فيُضيع ذلك سخط مولانا

---

[1] هذه إشارة هامة إلى وجود نقباء للطوائف وإن لم يكونوا من المهنيين (انظر أعلاه ص ٢٤) .
[2] انظر أعلاه ص ٤٠ .

علىّ . فقال له : أنت غنى[a] عن هذا الكلام وقد قلنا لك إنّا ماوَاخَذْناك ، فأى شىء تقصد ؟ قال : لا يُسَيِّرنى مولانا تبعًا لغيرى ، فقد سرت مرارًا كثيرة مقدمًا ، وأخشى أن يُظَنّ أن هذا التأخير للذنب الذى أنا معترف به . فقال : لا ، بل مُقَدَّمًا وصاحب الخريطة . وأمر بنقل الحال عن المقدم الذى كان تقرَّر للتقدمة والخريطة . وسُرَّ الأمير جَلَب راغب فى ذلك وأعطاه مائتى دينار وقال : استعن[b] بهذه . ولم يسمع عن حليم مثل هذا .

وكان الغالب على أخلاقه الحلم[١] .

[وَزَارَة بَهْرَام الأَرْمَنى]

كان الأمير حسن بن الحافظ العُبَيْدى قد أرسل بَهْرَام الأَرْمَنى[٢] النصرانى ليحشد له طائفة الأَرْمَن من الصعيد ، وكانوا يزيدون على ألفى فارس ، كلهم يقولون بقول بَهْرَام . وكان علامه بيديه[c] أهل بيته فى الأَرْمَن أنه متى وقف الرجل منهم وأرخى يديه غطَّتا ركبتيه . فلما سار بَهْرَام من القاهرة — كما

(a) فى اتعاظ : انته عن هذا الكلام . (b) فى النجوم : اتسع بهذه . (c) كلمة غير واضحة عند ابن الفرات .

(١) ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٥٩ و — ٥٩ ظ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤٤ — ٢٤٥ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٠ — ١٩١ .

(٢) راجع أخبار بَهْرَام الأَرْمَنى عند ابن ظافر : أخبار ٩٧ ، ابن الأثير : تاريخ ١١ : ٤٨ — ٤٩ ، ساويرس : تاريخ بطاركة الكنيسة ٣ / ١ : ٢٨ — ٣١ ، ابن ميسر : أخبار ١٢٢ — ١٢٥ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٩ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٥٠٧ ، ٥١٤ — ٥١٥ ، ٥١٨ ، المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٢٦٥ ظ — ٢٦٦ ظ ، الاتعاظ ٣ : ١٥٦ — ١٦١ ، Canard, M., « Un vizir chrétien à l'époque fatimide : l'arménien Bahrâm », *AIEO* XII (1954), pp. 84 - 113 ; id., « Notes sur les Arméniens en Egypte à l'époque fatimide » *AIEO* XIII (1955), pp. 143 - 147 ; id., *EI²*., art. *Bahrâm*, I, p. 968.

قدَّمنا شرحه – وقُتِل الأمير حسن بن الحافظ – كما قدّمنا شرحه – جرت [60 r] فِتْنَة بين الأجناد والسودان عندما قُتِل حَسَن بن الحافظ بالسم ، فقويَ فيها السودان على الأجناد ، فأخرجوهم من القاهرة . وكان السودان مع حَسَن دون الأجناد ، لأنهم الذين حملوا أباه على قتله[1] .

فلما جاء بَهْرام من الصَّعيد بالحَشْد وجد الأمر قد فات فى الأمير حسن المسموم بن الحافظ ، وقَبَضَ الأجناد على بَهْرام بظاهر القاهرة وأدخلوه وزيرًا للحافظ ، وقبل ذلك منهم لِيُشْغِل به ويُسْكِن الدهماء . وأُخْلَع عليه بهيئة الوزارة فى هذه السنة [٥٢٩] على كراهية منه .

وقيل لما تعَيَّن بَهْرَام المذكور للوزارة استشار الحافظ أهله وكبراء دولته فى أمره ، فكل منهم أشار عليه بأن لا يفعل فخالف جميعهم . وقيل له : إنه نصرانى فلا يرضاه المسلمون ، والثانى أن من شَرْط الوزير أن يرق مع الإمام المِنْبَر فى الأعياد ، والثالث أن القضاة هم نُوَّاب الوزراء من زمن أمير الجيوش . فقال الحافظ : إذا رضينا فمن الذى يخالفنا ، هو وزير السَّيْف ، وأما صعود المنبر فيستنيب القاضى عنه . فاستوزره والناس ينكرون عليه ، ولم يُرَدّ إليه شيئًا من الأمور الشرعية ، فلم يأت بشيء ولا دخل فى مُشْكل[2] .

[محاربة رِضْوَان الوزير بَهْرَام وتَوَلّيه الوَزَارَة]

كان الأمير رِضْوَان بن وَلَخْشِي صاحب الباب[3] ، ولم يكن فى الأمراء أشجع منه ، وكان بَهْرَام يخافه ، فقيل للوزير بَهْرام : إنه يهزأ بك فى قولك

---

[1] المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٥٥ – ١٥٦ .

[2] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٥٩ ظ – ٦٠ و . ويتفق نص ابن الطُّوَيْر مع نص ابن ميسر والنويرى والمقريزى (أخبار ١٢٣ ، نهاية ٢٦ : ٨٩ ، المقفى (مخ . السليمية) ٢٦٦ و ، الاتعاظ ٣ : ١٥٦) .

[3] مِثْل يانس ، أول وزير للحافظ بعد خروجه من المعتقل ، وانظر فيما يلى ص ١٢٢ .

وفعلك ، فسَيَّره الوزير بَهْرام إلى عَسْقَلان ليحفظها من الفِرِنْج . فلما وصلها وأقام بها وَجَدَ جماعة من طائفة الأَرْمَن يتواصلون فى البحر قاصدين الديار المصرية فناكدهم وأعادهم ، فعَظُم ذلك على الوزير بَهْرَام فصَرَفه عنها ٣
واستدعاه فولّاه الغَرْبِيَّة[1] فما لبث رِضْوان فى الغربية سوى ثلاثة أشهر حتى وصلت إليه كتب الأمراء بالقاهرة يستدعونه ، وفى جملة ماكتبوا له : إذا وَقَعَ [61 r] الوجه بالوجه وتقابل ، احمل المصاحف على الرِّماح فما يسعنا فى ٦
دين الإسلام إلّا نُصْرَة المسلمين . فحشد الأمير رِضْوان من العرب وغيرهم طائفة كثيرة زهاء ثلاثين ألف فارس وقدم إلى مصر لمحاربة الوزير بَهْرام ، فلما قرب الأمير رضوان من القاهرة وخرج الوزير بَهْرام والمصريون لقتاله ، رأى ٩
جُنْد المسلمين المصاحف على الرماح فالتجؤا جميعهم إلى الأمير رِضْوان . فلما رأى الوزير بَهْرام ذلك سيَّر [مَنْ] عرَّف الحافظ[2] . فخاف الحافظ عاقبة ذلك من الأمراء وغيرهم ، فأشار عليه أنه يتوجَّه إلى قوص ، « فإن بها أخاك البَاسَاك ١٢
تقيم عنده إلى حيث يدبّر أمرًا ، فإن الإسلام يغلبنى عليك » . فعاد الوزير بَهْرام إلى القاهرة وأخذ معه ماخَفَّ حمله ومضى طالبًا قُوص إلى أخيه الباساك والى قوص ، ليأخذه ويمضيا إلى أُسْوان فيملكاها ويتَّصل أمرهما بالنُّوبَة الذين ١٥
هم على مذهبه . هذا ما كان من أمر هؤلاء[3] .

أما ما كان من عَوَام القاهرة فإنه لما انفصل الوزير بَهْرام عن القاهرة نهبوا

---

(1) ابن ميسر : أخبار ١٢٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٥٨ .

(2) ساويرس بن المقفع : تاريخ ٣ / ١ : ٣٠ – ٣١ ، ابن ميسر : أخبار ١٢٥ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٥٩ .

(3) ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٦١ و ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٠ وانظر ، Garcin , J. Cl., *Un centre musulman de la Haute - Egypte médiévale. Qūṣ*, pp. 85 - 86.

منازل الأُرْمَن ، وكانوا قد نزلوا الحُسَيْنِيَّة وعَمَّروها آدرًا[١] ، ونهبوا كنيسة الزُّهْرى[٢] ونبشوا قبر أخى بهرام البَتْرك[٣] .

٣ ولما اتَّصَل بأهل قُوص ما جرى على الوزير بَهْرام من الأمير رِضْوان وشاع الأمر بانهزامه منه . ثار المسلمون بقُوص على أخيه الباساك وقتلوه ومَثَّلوا به وربطوا[a] به كلبًا ميتًا ورموه على مَزْبَلَة ونهبوا ماله ، وبعد يومين قدم عليهم

٦ بَهْرَام فى ألفى فارس من الأُرْمَن الرُّماة أقاربه وجنده فما أضافهم أحد ورأى أخاه على تلك الحالة ، فقتل بقُوص جماعة من أهلها بالسيف ونهبها ، وأراد الأُرْمَن تحريق البلد فمنعهم من ذلك وقال : أخى قد فات أمره والبلد لمولانا

٩ وما يزيدنا هذا عنده إلَّا إدبارًا ، وأُصْعَد إلى أُسْوان فامتنعت عليه بكنز الدَّولة وأهلها فعاد ونزل بالأديره[b] البيض [61v] من عمل إخميم وفارقه جماعة من أهله وعادوا إلى بلادهم وبقى هو هناك إلى أن كان ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(a) ابن الفرات : ويوبوا . (b) ابن الفرات : الديارة .

---

[١] الحُسَيْنِيَّة . إحدى حارات القاهرة التى اختطت خارج باب الفتوح تنسب إلى قائد القوّاد الحسين بن جوهر (أبو المكارم : تاريخ الأديرة : ١٦ — ١٧) سكنها فى أول الأمر طائفة عبيد الشّراء (اتعاظ ٣ : ٥٦ ، الخطط ٢ : ٢٠) إلى أن سكنها طائفة الأرمن فى القرن السادس . وفى زمن السلطان الملك الكامل الأيوبى نزل بها جماعة من الأشراف الحسينيين قدموا من مكة . وفى وقت تغلّب التتر على ممالك الشرق نزل بها مَنْ هاجر إلى مصر وعمروا بها المساكن ونزل بها أيضا أمراء الدولة والطائفة الأويراتية . (الخطط ٢ : ٢١ — ٢٢ ، القلقشندى ، صبح ٣ : ٣٥٥ وانظر Behrens - Abouseif , D., « The North - Eastern extensions of Cairo under the Mamluks » , *An . Isl* . XVII (1981) , pp. 160 - 165).

[٢] كنيسة الزُّهْرى . كانت ديرًا لرهبان الأرمن فى أرض الزُّهْرى غربى الخليج (ساويرس : تاريخ ٣ / ١ : ٣١ ، أبو المكارم : تاريخ الأديرة ٢ : ٦ — ١٠) فى الموقع الذى حفرت فيه البركة الناصرية بالقرب من قناطر السباع [السيدة زينب الحالية] فى الموضع الذى كان يعرف بحكر أقبغا ما بين السَّبع سقايات وبين قنطرة السَّد . هدمت وأحرقت فى واقعة الكنائس سنة ٧٢١ . (المقريزى : الخطط ٢ : ١٦٥ ، ٥١٢ والسلوك ٢ : ٢١٦ ، ٢١٩) .

[٣] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٦١ و ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٠ ، ١٦١ .

والبَاسَاك[١] أخوه هو صاحب القرية التى بقرب أُطْفِيح[٢] على شاطئ النيل المبارك . هذا ما كان من أمر هؤلاء .

وأما ما كان من الأمير رِضْوَان فإن بَهْرَام لما انهزم منه – كما قدَّمنا شرحه – دخل إلى القاهرة واحتفل الحافظ به وزاد فى تكرمته وأفاض عليه خِلَع الوزارة ونَعَتَه « بالأَفْضل »[٣] ونزل بدار الوزارة الكبرى[٤] وأنشئ له سِجِلّ ٣

---

[١] راجع أخبار الباساك عند ساويرس بن المقفع : تاريخ البطاركة ٣ / ١ : ٣١ ، ابن ميسر : أخبار ١٢٤ ، ١٢٥ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٩ – ٩٠ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦١ والمقفى (مخ . السليمية) ٢٦٦ ظ والخطط ١ : ٢٠٥ .

[٢] أُطْفِيح . من البلاد المصرية القديمة واقعة على الشاطئ الشرقى للنيل . كانت فى العصر الإسلامى قاعدة كورة الأطفيحية ، وكان يقال لها « الشرقية » لوقوع بلادها شرق النيل . وفى سنة ١٢٤٩ / ١٨٣٣ سميت مديرية شرق أطفيح إلى أن ألغيت سنة ١٢٥٧ / ١٨٤١ وأضيفت بلادها إلى مديرية الجيزة مع بقاء أطفيح قاعدة للمركز الذى يسمى باسمها . وفى سنة ١٨٩٨ نقل المركز من أطفيح إلى الصف باسم مركز الصف ، فأصبحت أطفيح إحدى بلاد مركز الصف بمديرية (محافظة) الجيزة . (من تعليقات محمد رمزى على النجوم الزاهرة ٥ : ٣١٧ هـ١ ، وانظر كذلك القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ٢٥ – ٢٦ ، ٣١) .

[٣] انظر المقدمة ص ٤٩* .

[٤] دار الوزارة الكبرى . كانت دارًا تعرف بدار القِبَاب تجاه القصر الشرقى من جهته البحرية يفصل بينهما رحبة باب العيد . جدَّدها الوزير الأفضل شاهنشاه فى تاريخ نجهله وسمَّاها « دار الوزارة الكبرى » ، ولكنه لم يقم بها طويلًا حيث أنشأ فى سنة ٥٠١ دارًا جنوب الفسطاط على شاطئ النيل تعرف بدار المُلْك نقل إليها دواوين الدولة ومجلس العطايا والأسمطة (انظر فيما يلى ص ١٦٩) . ولم تصبح دار الوزارة الكبرى مقرًا رسميًا لوزراء الدولة الفاطمية أرباب السيوف إلَّا بعد تولى الوزير المأمون البطائحى فى ذى الحجة سنة ٥١٥ . وبعد سقوط الدولة الفاطمية استمر سلاطين الأيوبيين يقيمون بها وأطلقوا عليها « الدار السلطانية » إلى أن انتقل الملك الكامل محمد إلى القلعة فى سنة ٦٠٤ وجعل الدار السلطانية منزلًا للرسل .

ويدلّ على موضعها اليوم المنطقة التى تحد من الغرب بشارع الجمالية ، ومن الجنوب والشرق بحارة المبيضة ، ومن الشمال عطفة الجوانية . ومن ضمن المبانى القائمة عليها خانقاه بيبرس الجاشنكير ومدرسة الجمالية والوكالة وقف السلحدار المعروفة بحوش عطا .

(راجع ، أسامة بن منقذ : الاعتبار ٤١ – ٤٢ ، عمارة اليمنى : النكت العصرية ٦٢ ، ٦٦ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٨ ، ٤٤٥ ، ٤٨٣ ، الاتعاظ ٣ : ٢٨٧ ، أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٢ ، على مبارك : الخطط ١ : ٤٦ ، Fu'ād Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 468 - 478).

الوزارة ، وكان مما قيل فى تقليده : « لأنك أَذْهَبْت عن الدَّوْلة عَارَها ، وأَمَطْت من طرق الهداية أَوْعَارَها ، واستَعَدْت ملابس سيادة كان قد دَنَّسَها مَنْ استعارها » وهذا الفصل لأبى القاسم بن الصَّيْرَفى ، وكان كاتبًا قديم المفخرة[1] .

وكان الوزير رِضْوان خفيف الرِّكاب سُنِّيًّا ، وكان أخوه الأمير ناصر الدين الأَوْحَد إبراهيم أثبت عقلًا منه ، وكان إماميًا .

ولما استقرَّ الوزير الأفضل رِضْوَان فى الوزارة[2] ثلاثة أيَّام سَيَّر أخاه الأمير ناصر الدين الأَوْحَد إبراهيم ، وهو الأكبر ، ومعه العسكر شرقًا وغربًا والأسطول بحرًا لطلب بَهْرَام الأرمنى ، الذى كان وزيرًا وبيده أمانًا له[3] وطائفة الأَرْمَن ، ليعود مكرَّمًا وطائفته على إقطاعاتهم[4] ، فوثق بَهْرَام بذلك وعاد صحبة الأمير ناصر الدين الأَوْحَد إبراهيم ، أخى الوزير رِضْوان ، فلما وصل قال له الحافظ : ما أرى لك أن تنزل فى مكان وحدك ، فإنك لا تأمن المتعنِّتين ، ولا نأمن عليك رِضْوان ، والأصلح أن تكون عندنا فى بعض منازل القصر ، وقد علمنا ما فعلته من تَرْك قتل أهل قُوص وتحريقها فما نجزيك عن ذلك إلَّا بخير . ونزل بمكان فى القصر[5] ، وكان يدخل إليه من يُقَدِّس به ويقوِّيه على رأيه إلى أن مات على دينه لعنه الله تعالى[6] .

---

(١) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٨٤ . وقارن ذلك بسجل تلقيب الأفضل الذى أورده القلقشندى : صبح ٨ : ٣٤٢ – ٤٦ وكذلك الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٣٢٩ – ٣٣٣ والدراسة المقارنة ١٤٤ – ١٥٠ . وعن ابن الصَّيْرَفى الكاتب راجع مقدمتى لكتاب « القانون فى ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة » لابن الصَّيْرَفى . (القاهرة الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠) وفيما يلى ص ٤٩ .

(٢) استوزر الأفضل رضوان بن وَلَخْشى يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ٥٣١ . (ابن ظافر : أخبار ٩٩) .

(٣) انظر نصّ الأمان الذى منحه الخليفة لبهرام الأرمنى وللأرمن عند القلقشندى : صبح ١٣ : ٣٢٥ – ٣٢٦ .

(٤) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦١ .

(٥) ذكر المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٨ أنه أُنزل فى دار بالقصر قريبة من « المُحَوَّل » القريب من سكن الحافظ . وكان يستحضره فى غالب الليالى يستشيره ويعمل برأيه .

(٦) بعد ذلك ينقل ابن الفرات عن ابن الأثير والرشيد بن الزبير .

وتطلَّع الوزير رِضْوان إلى تقدُّم أرباب المعارف سَيْفًا وقلمًا فأحسن إليهم وزاد فى أرزاقهم[١] .

وَوَجد نصرانيًا قد توصَّل إلى ديوان النَّظَر يقال له الأُخْرَم[٢] ، فى أيام الوزير بَهْرَام الأرمنى المقدَّم ذكره ، وبَذَل فى كل يوم ألف دينار خارجًا عن المؤن والغرامات ، وهو أوَّل من فَتَح هذا الباب ، فآذى المسلمين وتَسَلَّط عليهم ، فشَقَّ ذلك على الوزير رِضْوان فأراد هلاكه ، ففهم النصرانى عنه فتلافا [كذا] نفسه بالاستقالة ، فاستخدم عوَضًا منه بلا ضَمَان[٣] رجلًا يقال له المرتضى المُحَنَّك[٤] فقام بالأمر[٥] .

وأَمَرَ الوزير رِضْوان صاحب ديوان الإنْشَاء بإنشاء سِجِلّ يَقْدَح فى حقّ النَّصرانى الكاتب إكرامًا للمسلم ، وحابه اليهود معه لفيفًا[a] فتولَّى إنشاءه الشيخ أبو القاسم بن الصَّيْرَفى[٦] فأودعه آيات من الكتاب العزيز وأحاديث عن النبى ﷺ وفيه : « ومنعوا من إرْخاء الذَّوائب وركوب البغلات ، ولا يلبس أحدٌ منهم طَيْلَسان ، ويُظْهرون شدّ الزنانير المخالفة [62 v] لألوان

(a) غير واضحة بالأصل .

(١) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٥ .

(٢) انظر فيما يلى ص ٧٩ .

(٣) انظر فيما يلى ص ٨٠ .

(٤) القاضى المرتضى أبو عبد الله محمد بن الحسن الأطرابلسى المعروف بالمُحَنَّك ، تولَّى نظر الدَّواوين ووضع كتابًا فى « تاريخ خلفاء مصر » قطع فيه على الحافظ وتوفى سنة ٥٤٩ . (ابن ميسر : أخبار ١٣٧ ، ١٥٣ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٢٣) وهو من مصادر ابن ظافر : أخبار ٨٩ .

(٥) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٥ .

(٦) الشيخ أبو القاسم تاج الرئاسة على بن مُنْجِب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصَّيْرَفى صاحب ديوان الإنشاء الفاطمى وصاحب كتابى « قانون ديوان الرسائل » و « الإشارة إلى من نال الوزارة » توفى سنة ٥٤٢ . (ابن ميسر : أخبار ١٣٨ ، ياقوت : معجم الأدباء ١٥ : ٧٩ – ٨١ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٨٥ ، Gamâl el-Din el- Shayyâl , *EI²*., art. *Ibn al- Ṣayrafī* III, p. 956 - 57).

ثيابهم وحَظْر جوازهم على معابد المسلمين ركبانًا » ، فما رُئى فى أيامه يهودى ولا نصرانى يجوز على الجامع راكبًا ، وإذا اضطر إلى الجواز نزل وقاد دابّته[1] . وأمر أن لا تُتسلم الجِزْية منهم إلّا على مَسَاطِب وهم أسفلها ، ولا يُكنُّوا بأبى الحسن ولا بأبى الحسين ولا بأبى الطاهر . وقال المنشىء فى ذلك فصلًا مطبوعًا هو « لئلا يماثلوا المسلمين فيه ، وأن ذلك مما تأباه العِزّة . وتضحى منه الجسوم مُقْشَعِرَّة والقلوب مشمئزة ، وأن لا يُبَيِّضوا قبورهم إنكاسًا لهم فى كل المواطن لتبقى مُسَوَّدة الظواهر كما هى مُسَوَّدة البواطن »[2] . وحذا فى ذلك حَذْو السجل المنشأ فى أيام القادر بالله ، من الخلفاء العباسيين وكَذَّب فيه اليهود وادعاءهم الخط المكتوب عن النبى ﷺ بخط أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، فى الوصية بهم وبرفع الجِزْيَة عن الحَبَابِرة ، وأخذ منهم الجِزْيَة عما فات ، ثم وظّفت الجِزْيَة عليهم على قدر أحوالهم .

وفيها جَلَسَ الأفْضَل رِضْوان الوزير لاستخدام المسلمين فى المناصب التى كانت بيد النصارى ، فصَرَف أبا زكرى المنعوت بصنيعة الخلافة عن ديوان التحقيق[3] . وهذا الديوان أجلُّ الدَّواوين ، وهو يقابل على سائر دواوين المملكة . وكان مع أبى منصور محمد الأنصارى فى ديوان المَجْلِس[4] .

---

(1) ذكر ساويرس أن ابن وَلَخْشِى هو أول وزير أمر بعدم استخدام النصارى فى الدواوين الكبار ولا نُظّارًا ولا مشارفين . (تاريخ البطاركة ٣ / ١ : ٣١) .

(2) المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٥ .

ويضيف ساويرس أن رضوان ضاعف الجِزْيَة على النصارى وعلى اليهود وجعلها ثلاث طبقات : فعلى الأغنياء أربعة دنانير وسدس ، ومَنْ دونهم دينارين وقيراطين ، وأما بقية عامتهم فدينار واحد وثلث وربع وعليه ورقًا درهم .

واستخدم لذلك فى ديوان الجوالى رجلًا من شهود مصر يعرف بالقاضى المهذب ابن أبى البقاء . (تاريخ البطاركة ٣ / ١ : ٣١) .

(3) الشيخ صنيعة الخلافة أبو زكرى ابن يحيى بن بولس الكاتب النصرانى . (ساويرس : تاريخ ٣ / ١ : ٣١) .

(4) كذا بالأصل ! وهذا النص يذكر ابن الفرات أنه نقله عن الحافظ ابن الأثير وبيبرس الدوادار وهو غير موجود فى تاريخ ابن الأثير .

وكان من جملة الضُمَّان فى أموال الدولة هبة الله[a] بن عبد المحسن الشاعر ، فلما حوسب بين يدى الوزير رضوان وجده قد انكسر عليه مالٌ فى ضَمَانه ، فكتب إليه فى مجلسه : ٣

[الكامل]

أنا شَاعِرٌ وصنَاعَتى الأَدَبُ وضَمَانُ مِثْلى المالَ لا يجبُ
أنا مُسْتَمِيحكم ولَيْس على مَنْ جَاءَ يَطْلُب رِفْدكم طلبُ ٦
وإذا بَقى الباق علىَّ فما فى حَاصِلِى ورِقٌ ولا ذَهَبُ

فسامحه بما عليه[١] .

[رِضْوَان بن وَلَخشى يَسْتَفْتِى الفُقَهَاء فى خَلْع الحافِظ] ٩

وكان رِضْوان خفيفًا طائشًا لا يثبت ، فهمّ بخَلْع الحافظ وقال : ما هو بخليفةٍ ولا إمام ، وإنما هو كفيلٌ لغيره ، وذلك الغير لم يصحّ . وأحضر الفقيه ١٢

(a) الله : ساقطة من ف .

[١] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٦٢ ظ ، وهذا النص موجود بتمامه عند ابن ميسر : أخبار ١٢٩ والمقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٤ .

أبا الطَّاهر بن عَوْف[١] وابن أبى كامل فقيه الإمامية[٢] وابن سَلَامَة داعى الدُّعاة[٣] ، وفاوَضَهُم فى الخَلْع واستخلاف شخصٍ عيَّنه لهم ، وأَلْزَم كلًّا منهم أن يقول ما عنده . فقال ابن عَوْف : الخَلْع لا يجوز إلَّا بشروط تثبت شرعًا . وقال ابن أبى كامل : السلطان ، أبقاه الله ، يحملنى على أن أتكلَّم على غير مذهبى فى الإمامة . قال : لأجل أعلم مذهبك قال : مذهبى معلوم ، يعنى أن الإماميَّة لا يعتقدون حقَّ الخلافة فى بنى إسماعيل بن جعفر ، لموته فى حياة أبيه وانتقال الإمامة للحاضر من إخوته ، ولأنه لا ينبغى لمن لم تكن له إمامة أن يُخْلَع ؛ فخلص من هذا . وقال الدَّاعى : أنا داعى ومَوْئلى لهم ، وما يَصِحّ لى خَلْعُه ، فإنى أصير فيما مضى كأنِّى أدعو لغير مستحقّ ، فأكون قد كذَّبت نفسى ، فلا أُقْبَل الآن وأُستخصم بذلك ، ولا يُؤْثَر قولى فيما تريدون ، ولم تجر العادة على الفاطميين بخَلْعٍ حتى نأتى به . فقابله على هذا القول بالسَّبِّ وإقامته أقبح قيام . فقال الفقيه النحَّاس[٤] ، وكان حاضرًا ، كل عظيمة ، وحمله على خَلْع الحافظ . فبلغ ذلك المجلس الحافظ[٥] .

---

[١] الفقيه أبو الطاهر إسماعيل بن مكى بن إسماعيل بن عيسى بن عَوْف الزُّهرى ، ينتهى نسبه إلى الصحابى الجليل عبد الرحمٰن بن عوف ، كان شيخ المالكية فى مدينة الإسكندرية فى القرن السادس ، فقد ولد فى سنة ٤٨٥ وتوفى سنة ٥٨١ عن ست وتسعين سنة . وقد جعله الوزير رضوان بن ولخشى على تدريس المدرسة التى أنشأها بالإسكندرية سنة ٥٣٢ . (ابن ميسر : أخبار ١٣٠ ، عماد الدين الأصفهانى : البستان الجامع ١٤٥ ، الذهبى العبر ٤ : ٢٤٢ ، الصفدى : الوافى ٩ : ٢٢٨ ، ابن فرحون : الديباج المذهب ١ : ٢٩٢ – ٢٩٥ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٧ ، أبو المحاسن : النجوم ٦ : ١٠٠ ، السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ٤٥٢ – ٤٥٣) .

[٢] هبة الله بن عبد الله بن الحسن بن محمد ابن أبى كامل أحد القضاة الأربعة الذين عينهم أبو على الأفضل كتيفات سنة ٥٢٥ . (ابن ميسر : أخبار ١١٥) .

[٣] القاضى مكين الدولة الموفق فى الدين أبو الطاهر إسماعيل بن سلامة الأنصارى الجلجولى تولى القضاء والدعوة منذ سنة ٥٣٤ إلى سنة ٥٤٣ . حيث استمر على الدعوة فقط . (نفسه ١٣٢ ، ١٣٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٧٣ – ١٧٤ ، ١٨٦ ، المقفى (مخ . السليمية) ١٨١ ظ – ١٨٢ و ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ١٢١ – ١٢٣) .

[٤] الفقيه أبو محمد بن النحَّاس المصرى . (ابن خلكان : وفيات ٣ : ٣١٧) .

[٥] ابن الفرات : تاريخ ٢ : ٦٥ و ، ابن خلدون : تاريخ ٤ : ٧٣ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٦ – ١٦٧ والخطط ١ : ٣٥٧ س

[وَفَاةُ الخليفَة الحَافِظ]

[قال ابن الطُّوَيْر] : ومرض الخليفة مرضته التى توفى فيها ، فحُمِل إلى اللؤلؤة خارج القصر فأثخن فى المرض فمات بها [لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة] . وظهر من وصيته أن ولده أبا منصور إسماعيل ، وهو أصغر أولاده ، هو الخليفة من بعده مع وجود ولدين كاملين هما : أبو الحجاج يوسف ، وهو أبو الخليفة العَاضِد ، وأبو الأمانة جبريل . فعقدت عليه الخلافة من بعده ونُعِت « بالظَّافِر بأمر الله » ، وأن يستوزر له الأمير نجم الدين بن مَصَّال . انتهى كلام صاحب المقلتين[1] .

[خِلَافَةُ الظَّافر بأمر الله وانتقامه من ابنى الأنصارى]

وقال صاحب كتاب « المُقْلَتَيْن فى أخبار الدَّولتين »[2] : « ولمّا تمّ أمر الظَّافر ركب بزِىّ الخلافة وعاد إلى القصر ؛ ولم يقدّم شيئًا على آنتقامه من آبنى الأنصارى لِمَا كان يبلغه عنهما فى أيام والده الحافظ .

وخبرُ آبنى الأنصارىّ أنّهما كانا من جملة الكُتّاب ، وتوصّلا إلى الحافظ ، فآستخدمهما فى ديوان الجيش قصدًا لتمييزهما ؛ وهما غير قانعين بذلك ، لمَا يعلمانه من إقبال الحافظ عليهما ؛ فوثبا على السادة من رؤساء الدولة مثل الأجلّ الموفّق أبى الحجّاج يوسف كاتب دَسْت الخليفة ومشورته[3] ، ومن

= ١٦٧ والخطط ١ : ٣٥٧ س ٢٢ – ٢٣ .
وتحوى حوادث السنوات التالية سقط كبير فى نص ابن الفرات فيما يخص تاريخ مصر ، وهذه السنوات يمكن استدراكها من اتعاظ الحنفا .

(١) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ١٩ظ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٤٥ .

(٢) هذا النص الوصلى الوحيد المنسوب لابن الطُّوَيْر والذى لم يذكره ابن الفرات .

(٣) الموفّق أبو الحجّاج يوسف بن على بن الخلال صاحب ديوان الإنشاء توفى فى ٢٣ جمادى الآخرة سنة ٥٦٦ . (العماد الأصفهانى : خريدة القصر (قسم مصر) ١ : ٢٣٥ ، ابن ميسر : أخبار ١٥١ ، ابن خلكان : وفيات ٦ : ٢١٩ – ٢٢٥ ، ابن واصل : مفرج الكروب ١ : ٢٥٥هـ١ ، =

يليه مثل القاضى المرتضى المحنّك ، والخطير بن البوّاب[a] ؛ فتجرّأا على المذكورين وغيرهم من الأمراء مع قِلّة دُرْبة . فتتبّع القوم عوراتهما ، والخليفة
٣ الحافظ لا يزداد فيهما إلّا رغبة . ووقع لهما أمور قبيحة ، والقوم يُبلّغون الخليفة خبرهما شيئا بعد شىء ، وهو لا يلتفت إلى قولهم . ولازال آبنا الأنصارىّ حتى صار الأكبر شريكَ الأجلّ الموفّق فى ديوان المكاتبات ، ولكن خُصِّص الموفّق
٦ بالإنشاء جميعه . ولمّا تولّى آبن الأنصارىّ نصف الديوان نُعت « بالقاضى الأجلّ سناء الملك » ، بعد أن وصّاه الخليفة الحافظ أن يقنع مع الموفّق بالرتبة ويدع المباشرة ، ويخدِمَ الموفّق . وصبَر الأجلّ الموفّق على ذلك مراعاةً لخاطر
٩ الخليفة[1] . وأمّا آبن الأنصارى الصغير فإنّه تجنّد فتأمّر فى يوم ، وخُلِع عليه بالطَّوْق وما يلزم الأمريّة ، وصار أمير طوائف الأجناد . فقال الناس : هو الأمير الطارى ابن الأنصارى !. وبينا هم فى ذلك مرِض الخليفة الحافظ
١٢ ومات ، وآلت الخلافة لولده الظافر هذا[2] .

فنرجع لِمَا كنّا عليه من أمر الظافر مع ولدى الأنصارىّ المذكورين . فركب الخليفة الظافر بعد العشاء الآخرة بالشمع فى القصر[b] ، ووقف على باب الملك
١٥ بالإيوان المجاور للشبّاك ، وأحضر آبنى الأنصارىّ وآستدعى متولّى السِّتْر ، وهو صاحب العذاب[3] ، وأحضرت آلات العقوبة ، فضُرِب الأكبر بحضوره بالسِّياط

(a) فى النجوم : الخطيرى البواب . (b) فى النجوم : فى الشمع بالقصر .

= الذهبى : العبر ٤ : ١٩٤ ، السيوطى : حسن المحاضرة ١ : ٥٦٣ ، محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ٣٤٢ – ٣٥٨ ، الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ١١٣هـ[1]) .

[1] أضاف المقريزى فى الاتعاظ ، ربما نقلا عن ابن الطُّوَيْر ، أن الخليفة جدّد لابن الأنصارى الأكبر ديوانًا سمّاه « ديوان الترتيب » وجمع فيه مَنْ يخدم فى ترتيب الأعمال صفقة صفقه . (اتعاظ ٣ : ١٩٤ – ١٩٥) .

[2] أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٩٣ – ٢٩٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٤ .

[3] هذا نص هام يفيد أن صاحب السِّتْر هو فى نفس الوقت صاحب العَذاب . وذكر المقريزى أن عظيم الدولة الصقلبى كان صاحب الستر وحامل المظلة (خطط ٢ : ٤٤٩ س ١٨) مما يدل على إمكانية الجمع بين هذه الوظائف .

إلى أن قارب الهلاك ، وثنّى بأخيه كذلك ؛ وأمر بإخراجهما وقَطَع أيديهما وسلّ ألسنتهما من قَفيهما[a] وصُلِبا على بابَى زويلة الأوّل والثانى[1] زمانًا[2] .

[وَزَارَةُ ابن مَصّال وقَتله]

لما بويع الظّافِر بأمر الله خَلَع على الأمير نجم الدين أبو الفتح سليمان بن مَصّال بن محمد اللُّكّى[b] خِلْعَةَ الوزارة[3] على العادة واستوزره بوصية الحافظ بذلك فى اليوم الذى بويع فيه الظّافِرُ بأمر الله وَلقّبه « بالأَفْضَل[4] أمير الجيوش سَعْد المُلْك لَيْث الدَّوْلة » .

وكان ابن مَصّال المذكور عالمًا بأُصول الدين شيخًا ليّنًا متواضعًا ، فدبَّر الأمور أحسن تدبير وأقام فى الوزارة شهرين . فلما بلغ الأمير على بن

(a) فى م : ثم أخرجا وقطعت أيديهما وسُلّت ألسنتهما من أقفيتهما . (b) ف : المالكى والتصويب من المصادر .

[1] أى باب زُوَيْلَة الذى أقامه جوهر القائد والباب الذى استجده بدر الجمالى إلى الجنوب منه .

[2] أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٩٣ - ٢٩٥ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٣ - ١٩٤ ، وقارن ابن ميسر : أخبار ١٣٩ والمقريزى : المقفى (خ . السليمية) ١٨٢ و .

[3] نجم الدين أبو الفتح سليم (سليمان) ابن محمد بن مَصّال اللُّكّى المغربى نسبة إلى لُكّ ، بضم اللام وتشديد الكاف ، بلدة عند بَرْقة من أعمالها . (أسامة بن منقذ : الاعتبار ٣٠ - ٣١ ، ابن القلانسى : ذيل ٣٠٨ ، ابن الأثير : تاريخ ١١ : ١٤٢ ، ابن ميسر : أخبار ١٤١ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٦ - ٤١٧ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٥٢١ ، ٥٤٠ ، ٥٥٣ (وفيه أنه كان اعتبارًا من سنة ٥٣٩ ناظرًا فى الأمور (المصالح) من غير أن يطلق عليه اسم الوزارة) ، عماد الدين الأصفهانى : البستان الجامع ١٢٩ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٩٢ ، الصفدى : الوافى ١٥ : ٣٣٨ - ٣٣٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٣ والخطط ٢ : ٥ ، ٣٠ ، Canard , M., *EI²*., art. *Ibn Maṣāl* , III , p. 892).

[4] كذا عند ابن ظافر : أخبار ١٠٢ بينما ذكر ابن ميسر ١٤١ والنويرى : نهاية ٢٦ : ٩٢ أن لقبه هو « المُفَضَّل » .

السَّلَار[1] ، والى البحيرة والإسكندرية ، ولاية ابن مَصَال ، أنكر ذلك وحَشَد وخَرَج من الإسكندرية إلى الغربية ، واتَّفق هو وابن زوجته الأمير عبَّاس[2] ، والى الغربية ، وقصدا القاهرة . ولما علم الوزير ابن مَصَال قصدهما إياه ، طالع الظَّافِر بأمر الله بذلك ، فجلس بالإيوان وأحضر الأمراء ، فقال لهم ابن مَصَال : لا شك فى علمكم بما عوَّل عليه ابن السَّلار وعبَّاسٌ ، وأنا مملوك مولانا ومملوك الله من قبله ، ولما رضى بخدمتى هذا الخليفة الحاضر ما كان والله بمقدِّمة منى ولا طلب ، فما تقولون فى هذا ؟ والخليفة يسمع كلامه ولا يُنْكر عليه[3] .
فقال دُرِّى الحرون ، وهو [21 v] من رفقة ابن السَّلار : إن سُمِع منى ما أقول قلت . فقال له ابن مَصَال : قل . قال : مولانا صلوات الله عليه يَعْلم وأنت تَعْلَم أن ما فى الجماعة مَنْ يضرب فى وجه ابن السَّلار بسيف أولهم أنا ، فإن كان مولانا يقتل جميع أمرائه وأجناده فالأمر لله وله .

فلما سمع الظَّافر بأمر الله ذلك قام مُغْضَبًا وراسل ابن مَصَال بأن لنفسه ما يرى فيه الخيرة وهو يساعده . فرأى أن يخرج إلى الصَّعيد ليحتمى على ابن السَّلَار ويكون قبالته بحُكْم أنه ليس له به طاقةٌ لأن ابن مَصَال غريب .

ووصل ابن السَّلَار إلى القاهرة فى شعبان من هذه السنة[4] [٥٤٤] وفى نفسه جلوس الظَّافر بأمر الله فى حقّ ابن مَصَال ، وفى نفس الظَّافر بأمر الله أيضًا شىء من كونه ما يتفق عليه على قصده فيه وإقدام [دُرِّى] الحرون بما قاله فى مجلسه . فجلس إليه مضطرًا وخَلَع عليه الوزارة على العادة ونُعِت « بالعَادِل » وسكن دار الوزارة . وكان شديد البأس قوى الرأس ، فاتَّبع ابن مَصَال ، وكان قد خَرَج إلى البَهْنَسَا ، بعبَّاس ومعه العسكر ، فأدركه ومعه قوم

---

[1] عن ابن السَّلَار انظر فيما يلى ص ٥٨ .
[2] عن الأمير عبَّاس انظر فيما يلى ص ٦٦ .
[3] عاصر هذه الأحداث وحضرها بنفسه الأمير أسامة بن منقذ ورواها فى كتابه « الاعتبار » .
[4] الأربعاء خامس عشر شعبان . (المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٧) .

من اللَّواتيين والسُّودان ، فتحصَّنوا منه فى جامع دَلَاص[1] فامتنعوا عليه ، فحرق الجامع وحرّقهم فيه وهزم من كان ظاهرًا ، وأخذ ابن مَصَال فقتله وأدخل رأسه القاهرة وولده يحمله على رمح[2] . ٣

[وَزارةُ العَادِل بن السَّلَّار]

[الحُجَرِيَّة] .

كان الأمير أبو الحسن على بن السَّلَّار أحد الحُجَرِيَّة ، وكان والده رجلًا ٦ كُرْدِيًا زِرْزاريًا[3] قدم على الدولة المصرية فأُكْرِم وسُمِّى ضَيْف الدَّولة ،وأُخِذَ ابنه هذا وجُعِل فى « صِبْيَان الحُجَر » : وهم جماعة كانوا يكوَّنون فى جهات مفردة كل واحد منهم يُعَلَّم فنًّا من أنواع الحِرَف والعلوم التى تحتاج الدولة ٩ إليهامن الشجاعة والفروسية وغير ذلك . فإذا كبر منهم الصبى سُلِّم إليه سلاح كامل يكون عنده متى جرِّد لا يكون له عائق[a] . وهم على نَمَط داوية

(a) فى الخطط ١ : ٤٤٤ لا يكون له ما يمنعه .

(1) دَلَاص من أعمال البَهْنَسا غربى النيل ، وهى الآن من أعمال محافظة بنى سويف غربى النيل . (محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ٣ ص ١٥٩ - ١٦٠) .

(2) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٢١ و - ٢١ ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٦ - ١٩٧ بتفصيلات أكثر ، وقارن ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٣١١ ، ابن ظافر : أخبار ١٠٢ ، ابن الأثير : تاريخ ١١ : ١٤٢ ، ابن ميسر : أخبار ١٤٢ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٧ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٩٢ ، ابن أيبك ، كنز الدرر ٦ : ٥٥٢ - ٥٥٣ ، ساويرس ابن المقفع : تاريخ ٣ / ١ : ٤٣ - ٤٤ .

(3) ذكر ابن خلكان أنه رأى فى بعض تواريخ المصريين : أنه كان كرديًا زرزاريًا ، فلعله يقصد تاريخ ابن الطُّوَيْر . (وفيات ٣ : ٤١٦) فنص ابن خلكان يتفق فى كثير من ألفاظه مع نص ابن الطُّوَيْر .

الفرنج[1] فإذا ظَهرَ أثر الواحد منهم [22v] ونَبَغ فى شىء مما أخرج إليه صُيِّر أميرًا ووُلّى مكانًا[1] .

٣ [ابن السَّلار] .

نظيرٌ من هذا على بن السَّلَار[2] إقدامٌ وشجاعة وحَزْم وعزوف نفس عن اللهو والخلاعة . وتقلَّبت به الأحوال حتى ولى البحيرة والإسكندرية ، وصال ٦ على أقرانه وبذخ بأمواله ومال إلى مذهب أهل السُّنَّة وتقرَّب إليهم بذلك فمال إليه جمهور الناس .

ووصل وابن السَّلَار بالإسكندرية من إفريقية صبى يقال له عبَّاس بن أبى ٩ الفتوح بن يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصِّنْهاجى ومعه أمه واسمها بُلَّارة[4] . وبَلَغ ابن السَّلَار خبرها فأرسل إليها وخطبها لنفسه وتزوَّجها ، ونفق عليه ولدها لشهامته وذكائه ، فلما كبر ولَّاه الغربية ولَقَّبه « ركن الإسلام » .

---

[1] ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٤ ووردت فيه مصحفة الذؤابة .

والدَّاوية هم فرسان المعبد المعروفون بالـ Templers جماعة أسسها Hugh de Payns سنة ١١١٩م لحماية طريق الحجاج المسيحيين بين يافا والقدس ، ثم تحوّلوا هم وجماعة الاسبتارية Hospitaliers التى أسسها سنة ١٠٩٩ Blessed Gérard إلى هيئة حربية دينية . (المقريزى : السلوك ١ / ١ : ٦٨هـ[1] ، أبو شامة : الروضتين ١ : ٢٨٤هـ[1] ، أبو المحاسن : النجوم ٦ : ٣٣) .

[2] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٢٢ و - ٢٢ ظ .

[3] أبو الحسن على بن السَّلَار وقيل أبو منصور على بن إسحاق الملقب بالعادل وزير الظَّافر بأمر الله الفاطمى كان سُنّيًا شافعيًا ، وهو الذى بنى للحافظ المدرسة العادلية بالإسكندرية . (راجع ، ابن ظافر : أخبار ١٠٢ - ١٠٥ ، ابن ميسر : أخبار ١٤٢ - ١٤٣ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٦ - ٤١٩ ، السبكى : طبقات الشافعية ٦ : ٣٧ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٩٢ - ٩٣ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٥٥٢ - ٥٥٣ ، الصفدى : الوافى - خ ٢١ : ٥٦ظ - ٥٧ظ ، القلقشندى : صبح ١٣ : ٢٤٢ - ٢٤٣ ، المقريزى : الاتعاظ ٣ : ١٩٦ - ٢٠٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٨٨ - ٢٩٩ ، Wiet , G., *EI¹*., art. *al-ʿAdil b. al- Salâr* , I , p. 204) .

[4] انظر فيما يلى ص ٦٢ .

فلما بلغ ابن السَّلَّار وزارة ابن مَصَال لم يَرْض وزارته وخرج عن الإسكندرية إلى الغربية واتفق هو وعبَّاس وقصدا القاهرة ، وكان ما قدَّمنا شرحه .

ولما وصل الأمير سيف الدين أبو الحسن على بن السَّلَّار إلى القاهرة فى شعبان من هذه السنة ،وقيل فى شهر رجب من السنة الماضية سنة ثلاث وأربعين ، فجلس إليه الظَّافر بأمر الله مضطرًا وخَلَع عليه للوزارة على العادة وتلَقب « بالعادل سيف الدين ناصر الحق » وابتدأ بالنظر فى أمور الأجناد المعروفين بالنهضة والعزم ، فزاد فى أرزاقهم ، وتفقَّد خزائن الأسلحة وحَفظ النواميس وشَدّ من مذهب السُّنَّة . غير أنه فى نفسه وَحْشَة [23 r] من الظَّافر بأمر الله، فاحترز عليه، وانتدب رجالاً يركبون في ركابه بالزَّرَد والخُوَذ مقدار ستمائة رجل[1] وجعلهم نوبتين بزمامين كل يوم نوبة ، فأوهِم أن الخليفة خبَّأ له قومًا لاغتياله بالقصر . فنقل جلوس الظَّافر بأمر الله له من القاعة التى يُدْخَل فى دهاليزها المُظْلمة إلى الجلوس بالإيوان فى البَرَاح والسَّعَة ، ويدخل معه أولئك كلهم ، ويجلس له الظَّافر بأمر الله بالشُّبَّاك الظاهر بالإيوان[2] .

[ابن السَّلَّار وعبَّاس ونصْر]

كان سَيْفُ الدين على بن السَّلَّار المنعوت « بالملك العَادِل » وزير الظَّافر بأمر الله العبيدى صاحب الديار المصرية عظيمًا فى نفسه وكبره ، شديد الظُّلم والعسف والجرأة على سَفْك الدماء ؛ وكان مع هذا يبالغ فى خدمة الظَّافر بأمر الله ويُظْهِر الطاعة له مع ما بينهما من التنافر من غير إخلال ، ولا يقول إلَّا خيرًا غَيْبَةً وحضورًا ، فلم يدخل عليه من هذا الوجه إنكار ولا حُجَّة .

---

[1] ذكر ابن الفرات فى رواية أخرى أنه كان يقال لهم « صبيان الزَّرَد » . وانظر فيما يلى ص ١٦٥ .

[2] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٢٢ ظ - ٢٣ و ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٧ - ١٩٨ والخطط ٢ : ٣٠ .

وكان ابن زوجته الأمير عبَّاس بن أبى الفتوح الصَّنْهاجى يهديه ويوصيه بأمر الظَّافر بأمر الله . وكان عبَّاس قد تزوَّج ورُزِق ولدًا سمَّاه نَصْرًا ولَقَّبه ناصر الدين . وكان الوزير ابن السَّلَّار يحنو عليه ويعزه وهو فى دار جدته زوجة الوزير . فلما كبر ناصر الدين وتولَّى ابن السَّلَّار الوزارة – كما قدَّمنا شرحه – ولى نَصْر مصر بشفاعة جدته أم عبَّاس على كراهية منه ، وشَرَط عليه أن لا يعمل فى حق المصريين مُنْكرًا . وكانت فيه جرأة ، فاستدناه الظَّافر بأمر الله منه فلازمه وخَدَمه خدمة تامة ؛ فقال الوزير العادل للأمير عبَّاس لما أبلغه بهذا : قل لابنك نَصْرٍ يُقْصر من اجتماعه بالظَّافر فربما ينتج من شابين مالا ينبغى . وقال لأم عبَّاس : لا يدخل ابن ابنك نَصْرًا دارى إلَّا بإذنى ، فكأنه يوحى بأنه قاتله[1] . وقد كان الناس أمنوا فى أيامه من عدو ، فلو قدروا على فدائه بنفوسهم فعلوا[2] .

[حِصَارُ عَسْقَلَان]

واحتفل العادل بأمر عَسْقَلان [64 r] وسدّ خللها لتحققه أن الفِرِنْج قاصدوها ، وحمل إليها من الغلَّات والأسلحة شيئًا كثيرًا ، وفى أثناء ذلك قربت أخبار الفِرِنْج بمنازلة عَسْقَلان وجمعوا لها الخيل والرجال برًا وبحرًا . فأمر العادل بمسير العسكر إليها صحبة الأمير ركن الإسلام عبَّاس ، فحصره ظاهر بِلْبَيْس[3]

---

(١) المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٠٤ .

(٢) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٦٣ ظ – ٦٤ .

(٣) بِلْبَيْس . مدينة احتلت بفضل موقعها أهمية كبيرة فى العصر الإسلامى . استُمِدّ اسمها من الاسم القبطى Phelbés ، واختلف الكتاب العرب وترددوا فى نطقها وضبطوها بالإضافة إلى ذلك بُلْبَيْس وبِلْبِيس . ونظرًا لوقوعها على الطريق الطبيعى للغزو الخارجى فقد كان من نصيبها دائمًا أن تحاصرها الجيوش الغازية لمصر . كما أنها تقع أيضًا على طريق البريد . وظلت إلى وقت قريب عاصمة إقليم الشرقية إلى أن حلّت محلها فى القرن التاسع عشر مدينة الزقازيق . (راجع ، Wiet , G., *EI²*., art. *Bilbays* I, p. 1254).

وسَيَّر إليه الأجناد فى عشرة آلاف قوَّاس وعشرين ألف راجل ، وسيَّر ما يُحتاج إليه فى الشَّوانى[1] ولم يبْق إلَّا مسير العسكر ، وهو يختم آخر كل صلاة بالدعاء بأن لا يَقْضى الله أخذ عَسْقَلان فى أيَّامه فاستجاب الله منه . هذا ما كان من هؤلاء[2] .

[أُسَامَة بن مُنقِذ يُغرى عبَّاس بالوَزَارَة]

وأما ما كان من الأمير ركن الإسلام عبَّاس فإنه لما ورد إلى بِلْبَيْس - كما قدَّمنا شرحه - استصحب أُسَامَة بن مُرْشِد بن على بن مُقَلد بن نصر بن مُنْقذ الكنانى الملقَّب مؤيد الدولة مَجْد الدين لمكان اختصاصه به وحسن صحبته ، وصحبه أيضًا مُلْهِم وضِرْغام . وأقام عبَّاس على بلبيس حتى تجتمع إليه العساكر . فسَمَرت الجماعة ليلة فى خيمة الأمير عبَّاس فجرى فى غضون كلامهم ذكر مصر وطيبها وحُسْنها ولَذَّة المقام فيها . وتَشَعَّب الكلام فى ذلك فاشتاقها الأمير عبَّاس وتأنَّف من خروجه منها ، وذمّ العادل بن السَّلَّار فى كونه اختاره لذلك وماصنع معه من القبيح بإبعاده عنها وتوجهه للقاء العدو المخذول من الفِرِنْج ومقاساته البيكار[3] . فقال له مجد الدين مؤيد الدولة أسامة بن مُنقِذ : لو أردتَ كنتَ سلطانًا ، فضلة عن أن تعود إلى مصر . فقال له : وكيف لى بذلك ؟ قال : أنا أدلّك عليه ، هذا ولدك ناصر الدين [64 v] قد غلب على الظَّافر وتحكَّم فى نفسه واستحوذ على كُلِّيَّته وبينهما من المودَّة والاتحاد مالا هو خافٍ عن مخلوق[4] .

---

(1) الشَّوانى . انظر فيما يلى ص ٩٥ .

(2) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٦٣ ظ – ٦٤ و ، وانظر ابن ظافر : أخبار ١٠٣ .
وعن حصار عَسْقَلان راجع ، ابن القلانسى : ذيل ٣١٨ ، ابن الأثير : تاريخ ١١ : ١٨٨ – ١٨٩ ، Elisséeff , N., *Nûr ad- Dîn un grand prince musulman de Syrie au temps des Croisades (511 - 569 H / 1118 - 1174)* , Damas IFD 1967 , pp. 474 - 477.

(3) البيكار . ميدان الحرب .

(4) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٦٤ و – ٦٤ ظ وقارن ابن خلكان : الوفيات ٣ : ٢١٧ – ٢١٨ ، ابن ظافر : أخبار ١٠٣ .

وكان الظّافر بأمر الله صاحب مصر مائلًا إلى ناصر الدين بن عبَّاس مَيْلًا شديدًا ، مشتهرًا به اشتهارًا عظيمًا ، حتى كان يورد ويصدر برأيه[1] ، فأرسلَه إليه يسأله أن تكون أنت الوزير ، فإنه لا يخالفه ويوافق غَرَض الظّافر ، لأنه يكره ابن السَّلار الكراهة العظيمة ، ويكفيك ذلك أنه يتولى الوزارة إلى يومنا هذا ما اجتمع بالظافر ولا كلَّمه كلمة واحدة ولأ أجابه عن سؤال يسأله إيَّاه ؛ فإذا أجاب الظافر ولدك إلى ملتمسه دخل ولدك على ابن السَّلار على غَفْلة وَقَتَلَ به فى خلوته فإنه يتمكن من الدخول عليه ، فإذا قَتَلَ به ذهب دمه باطلًا هدْرًا ولم يكن مَنْ يسأل عنه ، وتحتوى حينئذ أنت على الوزارة . فصادف هذا القول من نفس عبَّاس أُذُنًا واعية وقلبًا فارغًا ، فاستدعى ولده الأمير ناصر الدين نَصْر وأوعز إليه بجميع ما يعتمده وأرسله من ليلته إلى مصر[2] .

[مَقْتَل الوَزير ابن السَّلار]

فسار حتى دخل القاهرة واجتمع بالظّافر بأمر الله وقرَّر معه جميع ما أراده من قَتْل ابن السَّلار وولاية أبيه ، فأجابه الظّافر إلى جميع ما أراده . فلما أصبح دخل فى وَسَط قائلة النهار على ابن السَّلار من باب الحَرَم – لأن امرأة ابن السَّلار وهى جدة نَصْر كما قدَّمنا شرحه – فوجده نائمًا ، وكان ابن السَّلار فى ذلك اليوم قد تعب لأنه جلس وأنفَق فى رجال الأسطول الذى أراد إرساله إلى عَسْقَلان . فلما كان وقت الظهر [65 r] قام إلى بيته وتناول طعامًا ونام ، ودخل عليه ناصر الدين بن عبَّاس من باب سر دار الوزارة ومعه عشرة

---

(1) ابن ظافر : أخبار ١٠٥ .

(2) نفسه ٣ : ٦٤ ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٠٤ . وعن العلاقة بين نصر والظّافر ، انظر أسامة : الاعتبار ٤١ – ٤٣ ، ابن الأثير : تاريخ ١١ : ١٩١ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٣٠٩ .

نفر وغلَّق باب النساء[1] وأخذ سيفه وقتله به وأخذ رأسه وجاء إلى باب القصر وأظهره فرُفِع إلى القصر بحبل[2] .

٣ وقيل كان للظَّافر بأمر الله عِدَّة غلمان نحو خمسمائة رجل يقال لهم « صِبْيَان الخَاصّ » ، ومنهم من هو أمير ، فاتصل بالعادل وزير الظَّافر أنهم تحالفوا عليه من غير رأى الظَّافر وحضر إليه مَنْ نَصَحَه ، فلما تحقق ذلك دافع عن نفسه ٦ بالحَوْطة على كبارهم وقَتَلَهم ، وتفرَّق الباقون فى البلاد . فكتب إلى الولاة بقتل من يقع منهم ، وصار متى ظَفر بأحد منهم قتله ، فما خاطبه الظَّافر فى ذلك بكلمة لأنه يقول : إن مولانا برىء من هذا ولم يرض به وما فعلت ٩ هذا إلَّا لذلك . وحصل فى نفس الظَّافر بسبب قضية صِبْيَان خَاصّه وما تم عليهم شىء ، فازداد بُغضه فى العادل بن السَّلَّار ؛ وفى نفس ابن السَّلَّار أيضًا حديث قيام الظَّافر فى حق الوزير ابن مَصَال – كما قدَّمنا شرحه[3] .

١٢ فلما طال أمر العادل على الظَّافر دخل عليه من جهة نَصْر بن عبَّاس وقرَّر معه قتله ووزارة أبيه بعده . فلما جهَّز العادل العساكر وسيَّرها صحبة الأمير عبَّاس لنُصْرة أهل عَسْقَلان وخرج إلى بِلْبِيس – كما قدَّمنا شرحه – وصلت ١٥ القاهرة من الأمراء والأجناد وناصر الدين نَصْر بن عبَّاس يعمل على قتل العادل ابن السَّلَّار ، وكان يصحبه من أولاد الأجناد عِدَّة ، فبلغه أن جدته أم عبَّاس

---

[1] أى باب الحرم السابق ذكره .

[2] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٦٤ ظ – ٦٥ و ، وقارن ابن ظافر : أخبار ١٠٣ ، ابن الأثير ١١ : ١٨٤ ، ابن ميسر : أخبار ١٤٧ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٩٣ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤٨٨ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٠٤ – ٢٠٥ .

والنص التالى لذلك غير واضح إذا كان لابن الطُّوَيْر أو من مصدر آخر ولكنه يتفق مع نص المقريزى فى الاتعاظ وهو ينقل عن ابن الطُّوَيْر مع خلطه بمصادر أخرى .

[3] نفسه ٣ : ٦٥ و ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٩٨ – ١٩٩ .

وعن صبيان الخاص راجع ، ابن ميسر : أخبار ١٤٣ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٩٣ وانظر فيما يلى ص ١٢٤ .

دخلت الحمّام يومًا فجاء إلى باب السِّر [65 v] فسأل عنها فوجدها فى
الحمام كما قيل ، فسأل عن العادل فقيل له مُقَيِّلٌ نائمٌ فى المجلس ، فدخل وما
٣ قدّامه مانع ، فوجده نائمًا فضربه بالسيف ضربة خائف فى رجله فثار وأبصره
وقال : إلى أين ياكُلَيْب ؟ فخرج أستاذ العادل ، فقال له العادل : ويْلَك ،
الساعة رأيت نَصْر الملعون وضربنى هذه الضربة وأنا نائم فشد عليه . وأما
٦ نَصْر فخرج إلى أصحابه فقالوا : ما عملت ؟ فقال : ضربته فى رجله وثار
فانهزمت ، فقالوا له : قتلت نفسك وأباك وقتلتنا ، أُدْخل بنا إليه ، فدخلوا
وهو يكلّم الأستاذ ، فانهزم فقتلوه وأخذوا رأسه ، وأحضرها نَصْر إلى الخليفة الظّافر
٩ بأمر الله فشاع الخبر[1] .

قُتِل العادل بن السَّلّار على فراشه يوم الخميس سادس شهر الله المحرم من
شهور هذه السنة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة بدار الوزارة بالقاهرة المحروسة .
١٢ وقيل قتل فى يوم الثانى عشر من المحرم الشهر المذكور . وذهب ابن السَّلّار
ولم ينتطح فى قتله عنزان . وكان ممدّحًا ، وقد مدحه أبو على المغربى بقصيدة
أوّلها فى الظّافر ، وكان هذا عادة الشعراء .

١٥ [الرمل]

يا إمامَ الحَقّ قد أُوسِعْتَنا   منْك بالعادل عَدْلًا وتُقَى
القَنَا تهتزُّ منه خِيفَةً   والظَّنابرُ عُدِمْنَه فوقـا

١٨ ولما بلغ أصحاب العادل بن السَّلّار قتله تجمّعوا وشغبوا وخرجوا إلى ظاهر
القاهرة ، وأركب إليهم الظّافر ونَصْر من يقبض عليهم فحموا أنفسهم ، ثم
استقرّت الحال على النزول [66 r] لهم على الرضا والعَفْو عن ذنوبهم
٢١ وإجرائهم على عادتهم فى أرزاقهم ، فلم يثقوا إلى ذلك ، ورحلوا تحت الليل

---

[1] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٦٥ و – ٦٥ ظ وانظر المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٠٥ .

قاصدين الشام . وكره مَنْ بمصر من أهل السنة قتل العادل بن السَّلار وأعظموا ذلك ، ثم خافوا من الظَّافر بأمر الله وعبّاس وولده ، وزال العادل كأن لم يكن ، فسبحان من لا يحول ولا يزول ملكه .

ولما قُتِل العادل بن السَّلار المذكور لم يجسر أحدٌ من الناس يتكلَّم بكلمة سوى نائحة يقال لها خُسْرُوان ، لأنها كانت قد مَهَرت فى صناعتها وصارت كالقارب المنشىء ، فتَذْكُر فى نُوَاحِها الوقائع ، فقالت فيه مراثيا طَرِبَ عليه الأدباء والشعراء وهو :

[مجزوء الرمل]

يــا قَتِيــلَ الغَفْلَــة ... يــا شَهِيــد الــدَّار
يا شَبِيه ذى النُّورَيْـ ... ـن صَاحِبَ المُخْتار

وبَلَغَ الفِرنْج المُحَاصِرين عَسْقَلان قَتْلُ العادل بن السَّلار قبل وصول خبره إلى أهل عَسْقَلان وهى محصورة ، فقويت شوكة الفِرنْج وقالوا لأهل عَسْقَلان : سُلْطانكم قَتَلَه ابنُه فأنتم لمن تقاتلون ؟ وصحّ الخبر لأهل عَسْقَلان فضعفت قوَّتهم وآيَسُوا من النجدة فأخذها الفِرنْج الأُخْذَة المشهورة فى هذه السنة كما قدّمنا شرحه والله أعلم[1].

---

(1) هذا الخبر الطويل يشك فى أنه لابن الطُّوَير ولكنه يتّفق مرة أخرى مع ما أورده المقريزى فى الاتعاظ . ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٦٥ و – ٦٦ و ، المقريزى : الاتعاظ ٣ : ٢٠٥ – ٢٠٦ ، وراجع كذلك ابن القلانسى : ذيل ٣١٩ – ٣٢٠ ، ابن ميسر : أخبار ١٤٦ – ١٤٧ ، ابن ظافر : أخبار ١٠٢ – ١٠٣ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٨ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٩٣ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٥٥٣ – ٥٥٤ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٢٩٥ وهو تلخيص مخل لابن الطُّوَير .

وقد بَرَّأ أسامة بن منقذ نفسه من التورط فى أمر قتل العادل بن السَّلار وأورد رواية مخالفة للرواية الشائعة فى المصادر العربية (الاعتبار ٤١ – ٤٢ ، أبو شامة : الروضتين ١ : ٢٢٦ – ٢٢٧) .

وراجع كذلك ، Elisséeff , N., *op. cit.*, p. 477 - 481 ; Lewis , B., EI^2., art. ʿAsqalân I, p. 732 - 733.

[عبَّاس يتوَلَّى الوزارة]

لمَّا قُتِل العادل بن السَّلَّار وجرى ما قدَّمنا شرحه طَيَّر الأمير ناصر الدين نَصْر بن الأمير ركن الإسلام عبَّاس طَيْرًا إلى أبيه بما جرى . فَدَخل الأمير عبَّاس إلى القاهرة من وقته واجتمع بالظَّافر بأمر الله ، فأكرمه وخَلَع عليه وولَّاه الوزارة [66 v] بالديار المصرية عِوَضًا عن العادل بن السَّلَّار ، ولُقِّب العبَّاس « بسَيْف الدين الأَفْضَل أمير الجيوش رُكْن الإسلام »[1] . وازداد الوزير عبَّاس فى إكرام أسامة بن مُنْقِذ وباشر الوزارة وحَزَم الأمور وأَكْرَم الأمراء وأَحْسَن إلى الأجناد لينسيهم العادل بن السَّلَّار . واستمر ولده على مخالطة الظَّافر بأمر الله ، فاشتغل الظَّافر عن كل أحد بابن عبَّاس وكان ما سيُذْكر إن شاء الله تعالى[2] .

---

[1] واجع أخبار عبَّاس عند ، أسامة بن منقذ : الاعتبار ٤١ - ٥٢ ، ابن ظافر : أخبار ١٠٥ - ١٠٧ ، ابن الأثير : تاريخ ١١ : ١٤٢ ، ابن ميسر : أخبار ١٤٦ - ١٥٠ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤١٧ - ٤١٨ ، أبى شامة : الروضتين ١ : ٢٤٥ - ٢٤٧ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٥٥٤ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٩٣ - ٩٥ ، الصفدى : الوافى ١٦ : ٦٤٦ - ٦٤٨ ، المقريزى : المقفى (خ . باريس) ٢١ و - ٢١ ظ ، الخطط ٢ : ٥٥ - ٥٦ ، الاتعاظ ٣ : ٢٠٦ - ٢١٦ ، أبى المحاسن : النجوم ٥ : ٢٩٦ - ٢٩٧ ، ٣٠٦ - ٣١٠ ، Stern , S. M., *EI²*., art. *ʿAbbâs b. Abîʾl - Futûh* I, p. 9 - 10.
وجاءت ألقابه فى منشور موجَّه إلى رهبان جبل سيناء مؤرخ فى سنة ٥٤٨ « السيد الأجل الأفضل أمير الجيوش سيف الإسلام ناصر الإمام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين أبو الفضل العبَّاس الظَّافرى » (Stern , S. M., *Fatimid Decrees* , pp. 65 - 69) ، بينما وردت فى أحد السجلات التى أوردها القلقشندى « السَّيِّد الأَجَلّ العَادِل ناصر الدين الأَجَلّ المُظَفَّر المُقَدَّم الأمين سَيْف الإمام ركن الإسلام أشْرَف الأنام فخر الملوك مقدم الجيوش ذى الفضائل خليل أمير المؤمنين أبى الفضائل عبَّاس الظَّافرى العادلى » (صبح ١٠ : ٤٢٢) .
وكانت علامته فى الكتب زمن وزارته . « الحمد لله وبه أثق » . (أبو شامة : الروضتين ١ : ٢٤٧) .

[2] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٦٦ و - ٦٦ ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٠٦ .

[مَقْتَل الظَّافِر بأمْرِ الله]

وقال صاحب كتاب [نُزْهَة المُقْلَتَيْن][a] فى [أخبار الدَّوْلتين][a] ما صيغته : [79 v] لما ولى عبَّاس الوزارة بَاشَر وحَزَم الأمور وأكرم الأمراء وأحسن إلى الأجناد لينسيهم العادل . واستمر ولده على مخالطة الخليفة ، فاشتغل الخليفة عن كل أحد بابن عبَّاس هذا ، وأبوه يكره خُلْطته للخليفة ، وانتهى الخليفة معه إلى أن يَخْرُج من قصره لزيارة ابن عبَّاس بداره التى بالسُّيوفيين[1] بحيث لا يعلم عبَّاس ذلك ، فلما علمه استوحش من الخليفة لجرأة ابنه ، وتوهَّم أنه ربما يحمله الخليفة عليه ؛ فقال عبَّاس لابنه سرًّا : قد أكثرت من ملازمة الخليفة حتى تحدَّث الناس فى حَقِّك معه بما أزعج باطنى وربما يتناقل الناس ذلك ويصل إلى أعدائنا منه مالا يزول منهم عنه ، وأخذته حِدَّة الشباب فقال : أيرضيك قَتْله ، فقال : أزِل التهمة عنك كيف شئت . فخرج الخليفة ليلة إلى نَصْر بن عبَّاس فقتله بالجماعة الذين قتل بهم ابن السَّلار وأُسْتاذَيْن كانا معه وطمرهم فى بئر هناك[2] .

(a) بياض فى ابن الفرات .

---

[1] كانت هذه الدار فى أول الدولة الفاطمية دارًا لجبر بن القاسم متولى الشرطة السفلى فى زمن المعز لدين الله ، ثم سكنها فى مطلع القرن السادس الوزير المأمون البطائحى فعرفت به ثم سكنها نصر بن عبّاس المذكور . (ابن ميسر : أخبار ١٤٧ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٢٣٧ ، ٣ : ٤٩٣ ، ابن أيبك : كنز ٦ : ٥٦٤ ، الصفدى : الوافى ٩ : ١٥١ ، المقريزى : اتعاظ ١ : ٢١٦ والخطط ١ : ٣٧٤ ، ٤٦٢ ، ٢ : ٣٦٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٣٠٧ ، ٣١٠) . وعن التغييرات التى طرأت على هذه الدار وتحديد موضعها انظر أعلاه ص ١١ وفيما يلى ص ٢١١ .

[2] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٧٩ و – ٧٩ ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٠٦ وقارن أسامة بن منقذ : الاعتبار ٤٢ – ٤٣ ، ابن القلانسى : ذيل ٣٢٩ – ٣٣٠ ، ابن ظافر : أخبار ١٠٥ ، ابن الأثير : تاريخ ١١ : ١٩١ – ١٩٢ ، أبا شامة : الروضتين ١ : ٢٤٤ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٢٣٧ – ٢٣٨ ، ٤١٧ ، ابن أيبك : كنز ٦ : ٥٥٧ – ٥٥٨ ، الصفدى : الوافى ٩ : ١٥١ – ١٥٢ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٣٠ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٢٨٨ – ٢٩٣ .

فلما أصبح عبَّاس ، ركب إلى القصر للسلام ودخل إلى « مَقْطَع الوزارة »[١] من غير استدعاء فأطال جلوسه ولم يجلس الخليفة له ، فاستدعى زمام القصر[a] وقال له : إن كان لمولانا ما يَشْغَله عنَّا فى هذا اليوم عُدْنا إليه فى الغد . فمضى الأستاذ وهو حائرٌ فيما يعمل[b] ، فدخل على[c] أخَوَى الخليفة يوسف وجبريل ، وهما رجلان أحدهما مُكْتهل وأخبرهما بالقِصَّة ؛ وما كان عندهما من خروج أخيهما البارحة إلى دار ابن عبَّاس خبرٌ ولا اطَّلعا عليه إلَّا فى تلك الساعة ؛ فما شَكَّا فى أن أخاهما قتل[d] وقالا للزمام . هبنا اعتذرنا اليوم [80r] هل يتم لك هذا مع الزَّمان ؟ فقال : ما تأمرانى به ؟ قالا : تَصْدُقُه وتُحَاقِقه[e] . فعاد إليه وقال له : ثَمَّ سِرٌّ أُلْقيه إليك بحضور الأمراء والأسْتَاذِين ؛ فقال : ماثمَّ إلَّا الجهر . قال : إن الخليفة خرج البارحة لزيارة ولدك فلم يعد بغير العادة . فقال : تكذب ياعبد السوء ! وإنما أنت مبايعٌ أخَوَيْه يوسف وجبريل اللذين حَسَدَاه على الخلافة فاغتالاه ، واتفقتم على هذا القول . قال : معاذ الله ! قال : فأين هما ؟ فخرجا إليه ومعهما ابن عمّ لهما اسمه صالح بن الحسن المسموم بن الحافظ . فلما حضروا[f] قال لهم : أين الخليفة ؟ فقالوا بخبث[g] : يعلم ابنك ناصر الدين . قال : لا ، قالوا : بلى ! وهذا بهتانٌ منك لأن بَيْعَة أخينا فى أعناقنا ، وهؤلاء الأمراء الحاضرون يعلمون ذلك وإننا فى طاعته بوصيّة أبينا[h] ، وأقاموا[i] الحُجَّة عليه ، فكذّبهم[j] وأمر غلمانه بقتلهم الثلاثة[k] فى دارهم[٢] .

(a) م : زمام القصر مفلحًا . (b) فى النجوم : وقد فقد الخليفة . (c) النجوم : إلى . (d) م : فلم يشكا حينئذ أنه قتل ، النجوم : فى قتل أخيهما . (e) فى النجوم بعد ذلك جملة اعتراضية . (f) م : فقال : حضرا . (g) م : بخبث ، النجوم : حيث . (h) النجوم : والدنا . (i) النجوم : وأقاما . (j) النجوم : فكذبهما . (k) النجوم : بقتل الثلاثة .

---

(١) مَقْطع الوزارة . انظر فيما يلى ص ١٦١ .

(٢) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٧٩ ظ – ٨٠ و ، المقريزى . اتعاظ ٣ : ٢١٣ – ٢١٤ ، أبو المحاسن : النجوم ٥ : ٣٠٧ – ٣٠٨ ، وقارن ، ابن القلانسى : ذيل ٣٢٩ ، ابن ظافر : أخبار ١٠٦ ، ابن الأثير : تاريخ ١١ : ١٩٢ ، أبا شامة :=

[الفَائِزُ بنَصْر الله]

وكان للظَّافر ولدٌ اسمه عيسى وعمره خمس سنين، وقيل: كان عمره يومئذ سنتان وقيل: ثلاث سنين. فاستدعى الوزير عبَّاس زمام القصر وقال له: ائتني بولد مولانا وهو يبكى ويُظْهر التوجُّع . فأتى بولد الظَّافر فأخذه عبَّاس منه وحمله على كتفه وقبَّله وقال : قَتَل الله قاتل [80 v] أبيك ؛ فاستجيبت الدعوة فيه وفي ولده ، كما سنذكره إن شاء الله تعالى[1] .

وخرج الوزير إلى قاعة البَحْر[2] ، وقد اجتمع إليها أَرْبابُ الدولة والأمراء ، فقال للناس : هذا ولد مولاكم وقد قَتَل أباه أعمامُه وقَتَلْتهم به كما

= الروضتين ١ : ٢٤٤ – ٢٤٥ ، ابن ميسر : أخبار ١٤٨ ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٢٣٨ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٩٤ ، ابن أيبك : كنز ٦ : ٥٦٣ – ٥٦٤ ، الصفدى : الوافى ٩ : ١٥٢ ، ١٦ : ٦٤٧ .

ويورد ابن الفرات بعد ذلك رواية أخرى عن مقتل أخوى الظَّافر .

وأضاف أبو المحاسن ، فى موضع آخر ، تعليقًا على رواية ابن الطُّوَيْر مانصّه . « وقول هذا عندى فى قتل الخليفة الظَّافر أثْبَت الأقاويل . وبكلامه أيضًا يُعْرَف جميع ما ذكرناه فى أمره من أقوال المؤرّخين ، فإنه ساق أمره على جليته من غير إدخال شىء معه » . (النجوم ٥ : ٢٩٦) .

ويصف لنا الأمير أسامة بن منقذ الذى حضر بنفسه وشاهد هذه الأحداث ، ما جرى على إخوة الظَّافر بقوله : « ونحن فى الرّواق جلوس ، وفى القصر أكثر من ألف رجل من المصريين فما راعنا إلّا فوج قد خرج من المجلس إلى القاعة وصوت السيوف على إنسان ، فقلت لغلام لى أرمنى : ابصر من هذا المقتول ؟ فمضى ثم عاد وقال : ماهؤلاء مسلمون . هذا مولاى أبو الأمانة – يعنى الأمير جبريل – قد قتلوه وواحد قد شقّ بطنه يجذب مصارينه . ثم خرج عبَّاس وقد أخذ رأس الأمير يوسف تحت إبطه ورأسه مكشوف وقد ضربه بسيف والدم يفور منه . وأبو البقاء ابن أخيه مع نصر بن عبَّاس ، فأدخلاهما فى خزانة فى القصر وقتلوهما . وفى القصر ألف سيف مجرَّد . وكان ذلك اليوم من أشدّ الأيّام التى مرَّت بى لما جرى فيه من البغى القبيح الذى ينكره الله تعالى وجميع الخلق » . (الاعتبار ٤٤) .

[1] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٨٠و – ٨٠ ظ .

[2] قاعة البحر . « هى إحدى القاعات التى جرت عادة الخليفة العبيدى أن يكون جالسًا فيها » . (ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٧٨و) . وربما المقصود هو المُحَوَّل الواقع خلف باب البحر ، أحد أبواب القصر الغربية . كما كان فى دار الوزارة قاعة تعرف أيضًا بقاعة البحر . (عمارة اليمنى : النكت العصرية ٦٢ ، ١٠٠) .

ترون والواجب إخلاص الطاعة لهذا الطفل . فقالوا بأجمعهم : سَمْعًا وطاعة وصاحوا صيحة واحدة ارتاع الطفل لها وزَلّ عقله . وحكى أنه بال على كتف الوزير عبَّاس ، ورأى الجماعة ما خرج منه سائلًا على صدر عبَّاس ، واختَلّ الفائز من تلك الصيحة حتى صار يَصْرَع فى كل وقت ويَخْتَلِج[1] .

ثم لقَّب الوزير عبَّاس عيسى بن الظَّافر « بالفَائِز بنَصْر الله » واستخلف له من تَخشى جانبه وسلَّمه إلى زمام القصر وسيَّره إلى أمه وقيل جدّته ، وفرَّق الوزير عبَّاس فى الناس مال البيعة وخرج إلى داره ودبَّر الأمور وانفرد بالتصرُّف ولم يبق على يده يد . وكان ما سنذكره إن شاء الله تعالى[2] .

[هُروبُ عبَّاس وقُدُوم طَلَائِع بن رُزِّيك]

[3]وأما ما كان من أهل القصر ، فإنهم لما كثرت الأقاويل ووقع الناس على الخبر الصحيح ، واستوحشوا قَتْل الظَّافر وأهله ناحوا نواحًا خفيًا ، وأخذوا فى إعمال الحيلة فى قتل الوزير عبَّاس وابنه نَصْر ، وكاتبوا طَلَائِع بن رُزِّيك الأرمنى ، وكان إذ ذاك والى الأُشْمُونَيْن والبَهْنَسَا[4] ، وهى ولاية جليلة لقربها من القاهرة ، وقَصُّوا عليه ما جرى وسألوه الانتصار لمولاه الظَّافر ولهم

---

(1) يورد ابن الفرات بعد ذلك رواية أخرى فى مبايعة ابن الظَّافر .

(2) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٨٠ ظ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢١٤ وقارن . ابن ظافر : أخبار ١٠٨ .

(3) يورد ابن الفرات قبل ذلك مقدمة مَلخّصة لما سبق من أحداث .

(4) اختلفت المصادر فى تعيين ولاية طلائع ابن رزّيك عندما استنجد به أهل القصر فيذكر ابن ظافر وأبو المحاسن أنه كان والى منية بنى خصيب . (أخبار ١٠٨ ، النجوم ٥ : ٣٠٩) ، بينما يذكر ابن ميسر والنويرى أنه كان على الأعمال الأسيوطية (أخبار ١٤٩ ، نهاية ٢٦ : ٩٥) . وتَرَدَّد أبو المحاسن فى تحديد اسم الولاية فى موضعين آخرين فذكر مرة أنها كانت الأُشْمُونَيْن والبَهْنَسَا (النجوم ٥ : ٢٩٧) . ومرة أخرى أنه كان يتولى قوص وأسوان والصعيد (النجوم ٥ : ٢٩٢) . وانظر المقريزى : الخطط ١ : ٣٥٧ و ٢ : ٣٠ ، ٥٦ ، Garcin , J. Cl., *An. Isl.* IX (1970) pp. 99-108.

والخروج على الوزير عبّاس وأن يقتله أو يُبْعده عن الولاية ، وقطعوا شعور النساء وصيَّروها طىّ الكتاب وسوَّدوا الكتاب . فلما وقف الأمير طَلَائع بن رُزِّيك على الكتاب وفهم معناه ، أطْلَع مَنْ حوله من الأمراء والأجناد عليه ٣ وتحدَّث معهم فى المعنى ، فأجابوه إلى الخروج معه ، واستمال جَمْعًا من العرب وتوجَّه إلى القاهرة ومعه جَمْعٌ عظيمٌ من العربان ، وساروا قاصدين القاهرة وقد لبسوا السواد ، فتجلجل عبَّاس وتفرَّق الناس عنه ، وخرج جميع ٦ من بالقاهرة [81 v] من الأمراء والأجناد والسودان للقاء ابن رُزِّيك ، فغُلِّقت القاهرة[1] .

وانشغل الناس بهذه القضية فلم يَقْدر على الفرار ، فيقال إنه رُمِىَ من طاق ٩ ببعض الشوارع وهو جائز فيه بهاون ، وفى يوم آخر بقِدْر مملوّة طعامًا حارًا ؛ فقال : ما بقى بعد هذا شىء ، وهو يُدَبِّر كيف يخرج وأين يسلك . فأشار عليه بعض أصحابه بتحريق القاهرة ويخرج منها فلم يَفْعَل وقال : يكفى ما ١٢ جرى[2] .

---

(1) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٨١ و – ٨١ ظ وقارن ابن القلانسى : ذيل ٣٢٠ ، ابن ظافر : أخبار ١٠٨ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٤٩٢ ، ابن سعيد : النجوم ٩١ ، ابن أيبك : كنز ٦ : ٥٦٧ .

(2) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٨١ ظ وقارن المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢١٦ ، أبا المحاسن : نجوم ٥ : ٢٩٧ .

وروى أسامة بن منقذ ، الذى حضر هذه الأحداث ، تفصيل ما تم بقوله : « فلما خرج [أى عبّاس] من داره متوجهًا إلى لقاء ابن رُزِّيك خامر عليه الجُنْد وغلّقوا أبواب القاهرة ، ووقع القتال بيننا وبينهم فى الشوارع والأزِقَّة : خيّالتهم تقاتلنا فى الطريق ورَجّالتهم يرموننا بالنشاب والحجارة من على السطوحات ، والنساء والصبيان يرموننا بالحجارة من الطاقات . ودام بيننا وبينهم القتال من ضحى النهار إلى العصر . فاستظهر عليهم عبّاس . وفتحوا أبواب القاهرة وانهزموا . ولحقهم عبّاس إلى أرض مصر فقُتِل منهم مَنْ قتل وعاد إلى داره وأمره ونهيه . وأمر بإحراق البَرْقيّة لأنها مَجْمَع دور الأجناد . فتلطَّفت الأمر معه وقلت : يا مولاى ، إذا وقعت النار أحْرَقَت ما تريد وما لا تريد وبَعَلْت عن أن تطفئها ، ورددت رأيه عن ذلك » . (الاعتبار ٤٥ – ٤٦) .

فلما قرب طَلَائِع بن رُزِّيك إلى القصر خرج عبَّاس وولده نصر من القاهرة ومعهما كل ما يملكانه من مال وسلاح وما قدرا عليه من حواصل الدولة ، وتبعهما أُسَامَة بن مُنْقِذ لأنه هو الذى أشار عليهما بقَتْل العادل بن السَّلَّار الوزير والظَّافر العبيدى ، وخرج معهم جماعة يسيرة من أتباعهم وقصدوا طريق الشام على أَيْلَة[١] ... وخرج مَنْ بالقاهرة من الأجناد والسودان إلى فارس المسلمين أبى الغارات طَلَائِع بن رُزِّيك . هذا ما كان من هؤلاء[٢] .

أما ما كان من الصَّالح بن رزِّيك فإنه لما خرج إليه الأجناد والسودان والأمراء ولاقوه ، دَخَل القاهرة بغير قتال ولا ممانعة ، وما قدَّم شيئًا على النزول بدار الوزير عبَّاس المعروفة بدار المأمون البَطَائِحى ، التى هى الآن مدرسة للطائفة الحَنَفِيَّة المعروفة بالسُّيوفية . ولما نزل الصالح بدار عبَّاس استحضر الخادم الصغير الذى كان مع الظَّافر ساعة قتله فسأله عن الموضع الذى دُفِن فيه الظَّافر ومَنْ معه من المقتولين وبكى وبكى الناس معه وناح الناس كلهم جَهْرًا ، ووضع الظَّافر فى تابوت وحملوه وقَطَع له الشعور . وانتشر البكاء والنواح فى البلد ومشى الصَّالح بن رُزِّيك شاقًا ثيابه حافيًا والخلق قُدَّام الجنازة إلى موضع الدَّفْن وهو فى تُرْبَة آبائه[٣] وهى المعروفة فى قصرهم[٤] .

---

[١] وذلك فى ١٤ ربيع الأول سنة ٥٤٩ . ويورد ابن الفرات بعد ذلك رواية أخرى فى هروب عبَّاس ومن معه . وعن أَيْلَة وهى العَقَبة الحالية الواقعة شمال خليج العقبة على الحدود بين مصر والأردن انظر ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ١ ص ١٣٦ ، Glidden , H. W., *EI²*., art. *Ayla* I, p. 807.

[٢] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٨١ ظ وقارن ابن القلانسى : ذيل ٣٢٩ – ٣٣٠ ، ابن ظافر : أخبار ١٠٨ – ١٠٩ ، ابن ميسر : أخبار ١٥٠ ، أبا شامة : الروضتين ١ : ٢٤٣ ، ٢٤٦ – ٢٤٧ ، ابن أيبك : كنز ٦ : ٥٦٧ – ٥٦٨ ، المقريزى : المقفى (مخ . باريس) ٢٢و ، اتعاظ ٣ : ٢١٧ ، ٢٢٠ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٣١٠ – ٣١١ . وقد وصف أسامة ابن منقذ بتفصيل الطريق الذى سلكه مع عباس ومن معهم إلى الشام (الاعتبار ٤٦ – ٥١) ونقله عنه أبو شامة فى الروضتين .

[٣] هى تُرْبَة الأئمة المعروفة بتربة الزَّعْفران كانت تقع فى الركن الجنوبى الغربى للقصر الفاطمى الكبير ويُدْخَل إليها من باب القصر المعروف بباب تربة الزَّعْفران . وموضع هذا الباب اليوم مدخل وكالة القطن بسكة البادستان بخان الخليلى . أما التربة نفسها فكانت حيث المدرسة البديرية خلف المدارس الصالحية النجمية . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٧ ، ٤٣٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٣٦ ، Fu'âd Sayyid , A., *op. cit.*, pp. 328 - 334).

[٤] ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٨١ ظ وقارن ، ابن ظافر : أخبار ١٠٥ ، ١٠٦ ، =

وتكَفَّل الصالح بالصغير المدعو بالفائز ودبَّر أحواله وتولى وزارته واستقل بالأمور .

وكانت ولاية الصَّالِح طَلائع بن رُزِّيك للوزارة بالديار المصرية[١] فى التاسع عشر من شهر ربيع الأول من سنة تسع وأربعين وخمسمائة هذه السنة[٢] .

وأما ما كان من أمر الوزير عبَّاس ومَنْ معه ، فإن أخت الظافر العبيدى[٣] كاتبت فِرِنْج عَسْقَلان بسَبْبِه وشَرَطَت لهم مالًا جزيلًا لسَبْبِه إذا قضوا عليه أو قتلوه ، فخرجوا عليه فصادفوه فتواقعوا وقتلوا عبَّاسًا وأخذوا ماله وولده وانهزم بعض أصحابه إلى الشام وفيهم أسامة بن مُنْقذ فسَلموا . وسَيَّر الفِرِنْج نصر بن عبَّاس إلى القاهرة تحت الحَوْطة فى قفصٍ حديد . فلما وصل تسلَّم رسولهم ما شَرَطَت لهم أخت الظَّافر من المال[٤] .

= ابن ميسر : أخبار ١٥٠ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢١٧ - ٢١٨ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٣١٠ .

(١) ذكر ابن ميسر أن الفائز خَلَع على طلائع بن رزِّيك بالمُوَشَّح والعِقْد وعلى ولده وإخوته وحاشيته . وقرئ سِجِلّه بالوزارة ، وهو من إنشاء المُوَفَّق أبى الحجّاج يوسف بن على الخَلَّال ، ونعت فيه « بالملك الصَّالح » . (أخبار ١٥٠ - ١٥١ وما ذكر من مراجع والمقريزى : اتعاظ ٣ : ٢١٨) . وانظر نصّ هذا السجل الذى صدر استفتاحًا يوم الخميس الرابع من شهر ربيع الآخر سنة ٥٤٩ عند السيوطى : حسن المحاضرة ٢ : ٢٠٥ - ٢١٤ (عنه الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ٣٣٧ - ٣٥٠) وقارن ابن ميسر : أخبار ١٥٠ - ١٥١ وكذلك Wiet , G. *RCEA* VIII , p. 282 - 283 n° 3189 ; IX , p. 21 - 22 n° 3231 ; Stern , S . M., *Fatimid Decrees* pp. 70 - 79).

(٢) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٨١ ظ .

(٣) عند ابن ميسر : عمة الظافر .

(٤) ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٨٢ و وقارن ، ابن ظافر : أخبار ١٠٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٢٠ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٣١٠ .

الدّواوين

[وكانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله إلى مصر ونزل
٣ بقصره فى القاهرة محلها بدار الإمارة من جوار الجامع الطولونى[١] . فلما
مات المعز وقَلَّد العزيز بالله الوزارة ليعقوب بن كِلِّس نَقَل الدواوين إلى داره ،
فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته إلى القصر ، فلم تزل به إلى أن استبدَّ
٦ الأفضل بن أمير الجيوش وعمَّر دار المُلْك بمصر[٢] فنقل إليها الدواوين ، فلما
قُتِل عادت من بعده إلى القصر ، ومازالت هناك حتى زالت الدولة][٣] .

دِيوانُ المَجْلِس

٩ قال ابن الطُّوَير : ديوان المَجْلِس هو أصل الدَّواوين قديمًا ، وفيه علوم[a]
الدولة بأجمعها ، وفيه عِدَّة كُتَّاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده مُعين أو

(a) صبح : معالم .

---

[١] دار الإمارة الطولونية . أنشأها الأمير أحمد بن طولون عندما بنى الجامع فى سنة ٢٥٩ وجعلها فى الجهة القبلية للجامع . كان يخرج منها إلى الجامع من باب فى حداره القبلى يؤدى إلى المقصورة بجوار المحراب والمنبر . وظلَّت هذه الدار قائمة إلى عصر الدولة الفاطمية حيث جعلت بها دواوين الدولة إلى أن نقلها الوزير يعقوب بن كِلِّس إلى داره بحارة الوزيرية بالقاهرة . ثم خربت هذه الدار فيما خرب من القطائع والعسكر فى زمن الشدة المستنصرية . (راجع ، ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢١ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٣٣١ – ٣٣٢ ، المقريزى الخطط ١ : ٣١٥ ، ٢ : ٩١ ، ٢٦٩ ، أبا المحاسن : النجوم ٣ : ١٥ – ١٦ ، Salmon , G., *Etudes sur la topographie du Caire* pp. 28 - 34 ; Fu'ād Sayyid , A., *La capitale de l'Egypte à l'époque fatimide* pp. 60 - 61.

وعن نقل الفاطميين للدواوين إليها فى المحرم سنة ثلاث وستين وثلاثمائة انظر ، ابن ميسر : أخبار ١٦٣ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٦٩ والاتعاظ ١ : ١٤٥ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة ١٢٧ (عن ابن زولاق : سيرة المعز لدين الله) .

[٢] دار المُلْك . انظر فيما يلى ص ١٦٩ .

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٧ .

معينان . وصاحب هذا الديوان هو المتحدِّث فى الإقْطَاعات ويُلْحق بديوان النَّظَر ويُخْلَع عليه ويُنشأ له السِّجِلّ[a] وله المَرْتَبة والمَسْنَد والدَّواة والحاجب إلى غير ذلك . ٣

قال : ذكر خِدَمِهم الخاصة المتَّصِلة بهم . فأوَّلها دَفْتَر المَجْلِس وصاحبه من الأستاذين المحَنَّكين ، ثم يتولّاه أجلّ كُتَّاب الدولة يكون مترشحًا لرأس الدواوين[b] ويتضمَّن ذلك الدَّفْتر وله مكان ديوان بالقصر الباطن من الإنعام ٦ فى العطايا والظاهر من الرسوم المفرَّقة[c] فى غُرَّة السنة والضحايا والمُرَتَّب من الكُسْوات للأولاد والأقارب والجهات وأرباب الرُّتَب على اختلاف الطبقات ، ومايرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا وما يُرسَل إليهم من ٩ الملاطفات ومقادير الصلات للمترسلين بالمكاتبات وما يخرج من الأكْفان لمن يموت من أرباب الجهات المحترمات . ثم يضبط ما يُنْفَق فى الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت ، فالغُرَّة[d] المُنْعم بها فى أوَّل العام من ١٢ الدنانير والرُّبَاعِيَّة والقراريط تقرب من ثلاثة آلاف دينار ، وثَمَن الضحايا يقرب[e] من ألفى دينار ، وما يُنْفَق فى دار الفِطْرَة فيما يفرَّق على الناس سبعة آلاف دينار ، وما يُنفق فى دار الطِّراز للاستعمالات الخاص وغيرها فى ١٥ كل سنة عشرة آلاف دينار ، وما يُنْفق فى مهمّ فَتْح الخليج غير المطاعم ألفا دينار ، وما يُنْفَق فى شهر رمضان فى سِماطِه ثلاثة آلاف دينار ، وما يُنْفق فى سِماطَى الفِطْر والنَحْر أربعة آلاف دينار ، وهذا خارج عما يُطلق للناس ١٨ أصنافًا من خزائنه من المآكل والمشارب والمواصل به[f] من الهبات ، وما تخرج به الخطوط من التشريفات والمُسَامحَات ، وما يُطلق من الأهْراء من الغلَّات حتى لا يفوتهم علم شىء من هذه المُطْلَقات . ٢١

(a) صبح : ويخلع عليه وينشأ له سجل بذلك لاحق بديوان النظر . (b) صبح : ممن يكون مترشحا لأن يكون رأس الدواوين . (c) فى بولاق : المعروفة والمثبت من ليدن . (d) الخطط : الصرَّة والمثبت عن ليدن . (e) ليدن : ما يقرب . (f) بولاق : والمواصلة .

وفى هذه الخِدْمة كاتب مستقل بين يدى صاحب ديوانه الأصل[a] ومعه كاتبان آخران لتنزيل ذلك فى الدفتر ، والدَّفْتَر عبارة عن جرائد مسطوحات ٣ ينزل ذلك فيها فى أوقاته من غير فوات .

[الإستِيمار] .

قال : وإذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدَّم بعمل الاستيمار[1] لتلك ٦ السنة تمام ذى الحجة منها ، فيجتمع كُتَّاب ديوان الرَّواتِب عند متوليه وتحمل العروض إليه ، فإذا تحرَّرت نسخة التحرير بُيِّضت بعد أن يستدعى من المجلس أوراق بالإدْرار الذى يُقبض بغير خرج ، وفى الإدْرار ماهو مستقر بالوجهين ٩ فيضاف هذا المبلغ بجهاته إلى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت الاستيمار[b] شىء من كل ما تقرَّر شرحه ويعلم مقداره عَيْنًا ووَرِقًا وغَلَّة وغير ذلك ، فيحرَّر ذلك كله بأسماء المرتزقين وأولهم الوزير ومن يلوذ ١٢ به وعلى ذلك إلى أن ينتهى الجميع إلى أرباب الضوْ[c] ، فإذا تكمَّل استدعى له من خِزانة الفَرْش وطاء[2] حرير لشدّه وشرَّابة لمسكه[d] ، إما خضراء أو حمراء ، ويُعْمل له صدرٌ من الكلام اللائق بما بعده ، وهذا كله خارج عن[e]

(a) بولاق : الأصلى . (b) الخطط : لا يفوت من الاستيمار . (c) خزينة : القصر وش : الضر . (d) ف : لشده ، A : لشكه . (e) ف : خارج عما تقدم ذكره من .

---

[1] الإستيمار . هو السجل الحكومى الذى يشتمل على أرزاق ذوى الأقلام وغيرهم من أرباب المناصب فى الدولة مياوَمَة ومُشاهَرَة ومُسَانَهَة من الرواتب من مبلغ عَيْن وغَلّة . (المقريزى : الخطط ٢ : ٢٢٤ وانظر كذلك ابن المأمون : أخبار ٥٩ ، ٧٠ ، ابن أيبك : كنز ٦ : ٢٩١ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٨ والاتعاظ ٢ : ١١٢ والسلوك ١ : ٨٥٠ ، ٢ : ٧٣٨) .

[2] وِطَاء جـ . أوطية . (انظر فيما يلى ص ١٣٠) .

الكُسْوات المطلقة لأربابها والرسوم المعدة فى الغُرَّة فى أوّل كل سنة[a] ، وما يُحمل من دار الفِطْرة من الأصناف برسم عيد الفِطْر ، وعما يشهد به دَفْتَر المجلس من العطايا الخافية والرسوم . قال صاحب كتاب «نُزهَة المُقْلَتَيْن فى سيرة الدَّولتين »[b] : وقد انعقد مرة وأنا أتولَّى ديوان الرَّواتب فى ذلك الوقت[c] [١]على ما مبلغه نيف ومائة ألف دينار أو[d] قريب من مائتى ألف دينار[e] ، ومن القمح والشعير عشرة آلاف أردب[١] فإذا أفرغ من مسكه[f] فى الشرَّابة حمل إلى صاحب ديوان النَّظَر إن كان ، وإلَّا لصاحب[g] ديوان المجلس[٢] ليعرضه على الخليفة ، إن كان – يعنى مستبدًا – أو الوزير لاستقبال المحرّم من السنة الآتية فى أوقات معلومة ، فيتأخر فى العرض وربما يستوعب المحرّم ليحيط العلم بما فيه . فإذا كمل العرض أُخرج إلى الديوان وقد شُطِبَ على بعضه ، وكانوا يتحرَّجون من الإقامات على مال الدولة التى لا أُصل لها وعلى غير متوفر ويتنجزّها أربابها بالمستقبلات[h] على الخلفاء والوزراء ويُنْقَص قوم للاستكثار ، ويُزاد قوم للاستحقاق ويُصْرَف قوم ويُستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء فى ذلك الوقت . ثم يخرج[i] فيُسَلَّم لرب هذا الديوان فيحمل الأمر على ما شطب عليه[j] ، وعلامة الإطلاق خروجه من العرض .

وقيل : إنه عُمِل مدَّة فى أيام المستنصر بالله[k] ، فلما استؤذن على عرضه قال : هل وقَّع أحدٌ بما فيه غيرنا ؟ قيل له : مَعَاذ الله يا مولانا ما تمَّ إنعامٌ

(a) العبارة المثبتة من خزينة . (b) هذه العبارة من ف . (c) من ف . (d) ش : و . (e) ف و ش : درهم . (f) ف : شكة . (g) بولاق : فلصاحب . (h) ف : التنقيلات . (i) ساقطة من بولاق . (j) ف : فيه . (k) ف : المستنصر بالله العبيدى .

(١-١) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩١ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٤٨ .

(٢) هذا النص يفيد بأن ديوان المَجْلِس كان يقوم مقام ديوان النَّظَر فى حالة عدم وجوده .

إلَّا لك ولا رِزْقٌ إلَّا من الله على يديك[a] ، فقال : ما يُنْقَض ما خرج[b] به أمرنا ولا خطُّنا وما صرفناه فى دولتنا بإذننا . وتقدَّم إلى ولىّ الدولة ابن خَيْران[c][١] ، كاتب الإنشاء ، بإمضائه للناس من غير عرض ، وحمل الأمر على حكمه ووقَّع عن الخليفة بظاهره[d] : « الفَقْر مُرَّ المَذاق ، والحَاجَةُ تُذِلُّ الأعْناق ، وحِرَاسَةُ النِّعَم بإدْرار الأرزاق ، فلْيُجْرَوْا على رسومهم فى الإطلاق ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ باقٍ ﴾ »[٢] [الآية ٩٦ سورة النحل] .

ووُقِّع فى خلافة الحافظ لدين الله على آستيمار الروَّاتب مانصه : « أمير المؤمنين لا يستكثر فى ذات الله كثيرًا لإعطاء ولا يُكَدِّره بالتأخير له والتسويف والإبطاء . ولما انتهى إليه ما أرباب الرواتب عليه من القَلَق للامتناع من إيجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم ، شملهم برحمته ورأفته ، وآمَّنهم مما كانوا وجلين من مخافته ، وجَعَل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدًا للإنعام والمَنّ وتهنئة بصَدَقة لا تُتْبَع بالأذى والمَنّ . فليُعْتَمد فى ديوان الجيوش المنصورة إجراء ما تضمَّنت هذه الأوراق ذكرهم على ما أُلِفوه وعهِدوه

(a) ف : من الله إلَّا على يديك . (b) ساقطة من بولاق وف والمثبت من A . (c) بولاق وف : جيران . (d) ساقطة من ف .

(١) ولى الدولة أبو محمد أحمد بن على بن أحمد بن خَيْران . تولى ديوان الإنشاء بعد أبيه للخليفة الظاهر سنة ٤١٤ ثم للمستنصر . وتوفى بعد سنة ٤٤٣ ، فقد ذكر ابن القلانسى أنه كتب سجل تقليد الوزير أبى محمد اليازورى فى ذى القعدة من هذه السنة . (المسبحى : أخبار ١ : ٣١ و ٢ : ٤٤ – ٤٦ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٨٠ و ٨٥ ، ياقوت : معجم الأدباء ٤ : ٥ – ١٣ ، ابن سعيد : النجوم ٦٨ و ٢٤٤ – ٢٤٨ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ٣٨٢ و ٧ : ٣١ ، الصفدى : الوافى ٧ : ٢٣٤ – ٢٣٦ (وفيهما أن وفاته كانت فى رمضان سنة ٤٣١) ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٥٤ ، محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ٣٢٣ – ٣٢٥ ، الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية ١٣٨ هـ ١) .

(٢) ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٥٠ – ١٥١ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٨ واتعاظ ٣ : ٣٤٣ .

من رواتبهم وإيجابها على سياقها لكافتهم من غير تأوُّل ولا تعنُّت ولا استدراك ولا تعقُّب ، وليجروا فى تسبيباتهم على عادتهم لا ينقض من أمرهم ما كان مبرمًا ، ولا يُنسخ من رسمهم ما كان محكمًا ، كَرَمًا من أمير المؤمنين وفعلًا ٣ مبرورًا ، وعملًا بما أُخْبَر به عزَّ وجلّ فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُم لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُم جزآءً وَلَا شُكُورًا ﴾ [الآية ٩ سورة الإنسان] وليُنسخ فى جميع ٦ الدَّواوين بالحضرة إن شاء الله تعالى »[١] .

دِيوَانُ النَّظَر

قال ابن الطُّوَير : أما دواوين الأموال فإن أجَلَّها من يتولَّى النَّظر عليهم[٢] وله العَزْل والولاية[a] ، ومن يده عَرْض الأوراق[b] فى أوقات معروفة على ٩ الخليفة أو[c] الوزير ، ولم يُر فيه نصْرانى إلَّا الأُخْرَم[٣] ولم يَتوصَّل إليه إلَّا

(a) صبح : الولاية والعزل . (b) صبح : الأرزاق . (c) صبح : و .

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٨ .

[٢] كان النَّظر فى الدَّواوين فى العصر الفاطمى الثانى يقع مقام الوزارة فى العصر الأول ، فبعد اعتقال الوزير أبى البركات الحسين ابن محمد الجَرْجَرَائى سنة ٤٤١ ، نظر بعده فى الدواوين عميد الدولة [الملك] زين الكفاة أبو الفضل صاعد بن مسعود ، وجُعِل كَوَاسِطَة إلى أن صُرِف فى المحرم سنة ٤٤٢ . (ابن ميسر : أخبار ١٠ ، ابن الصيرفى : الإشارة ٧٣ ، ابن ظافر : أخبار ٧٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٥٦ والاتعاظ ٢ : ٢١٠) . ومن بين الذين تولوا « ديوان النَّظَر » فى الخلافة الحافظية الشريف معتمد الدولة على بن جعفر بن غسَّان المعروف بابن أبى القسَّاف الذى تولى نظر الدواوين فى سنة ٥٢٧ (ابن ميسر : أخبار ١١٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٨) والموفق أبو الكرم محمد بن معصوم التِّنِّيسى الذى أعيد إليه نظر الدواوين والأتراك والخزائن فى جمادى الأولى سنة ٥٤٠ ثم صرف فى سنة ٥٤٢ بالقاضى المرتضى أبى عبد الله محمد بن الحسين الطرابلسى المعروف بالمُحَنَّك . (أبو صالح : تاريخ ٤١ ، ابن ميسر : أخبار ١٣٦ و ١٣٧ ، المقريزى : اتعاظ٣ : ١٨٠ ، ١٨٢ والمقفى (خ . ليدن) ٣ : ١٤١ و ، وانظر الهامش التالى .

[٣] اختلفت المصادر فى ذكر الاسم الصحيح لهذا الشخص . فقد ورد اسمه فى المصادر الإسلامية بالصيغة التالية : صنيعة الخلافة أبو الكرم الأُخْرَم (أو الأكرم) بن =

بالضَّمان[1] ؛ وله الاعتقال بكل مكان يتعلّق بنوّاب الدولة ، وله الجلوس بالمرتبة والمَسْنَد ، وبين يديه حاجبٌ من أمراء الدولة ، وتخْرج له الدواة من خزانة الخليفة[a] بغير كرسى ، وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث

(a) من خزانة الخليفة : ساقطة من بولاق و ف .

= أبى زكريا النصرانى . (ابن ظافر والنابلسى والمقريزى) . بينما جاء فى « تاريخ الكنائس والأديرة » لأبى المكارم (وعنه على مبارك) بالصيغة التالية : الشيخ الرئيس صنيعة الخلافة أبو ذكرى يحيى المعروف بالأكرم بن الشيخ السعيد أبو المكارم هبة الله بن مينا المعروف بابن بولس . (أبو المكارم : تاريخ الكنائس ٢ ، على مبارك : الخطط ٦ : ٧٤) . وبينما يذكر المؤرخون المسلمون أنه تولى نظر الدّواوين فى مدة وزارة بَهْرَام الأرمنى (٥٢٩ – ٥٣١) ثم صرفه رِضْوَان بن وَلَخْشى فى سنة ٥٣٢ بالمرتضى أبى عبد الله محمد بن الحسن الطرابلسى المُحَنَّك بغير ضمان ، إلى أن أعاده الخليفة الحافظ فى سنة ٥٣٣ بعد عزل رضوان ، وظلّ إلى أن نقم عليه الخليفة وقتله بعد ذلك بيسير . (ابن ظافر : أخبار ٩٩ ، النابلسى : تجريد سيف الهمة ١٤٢ – ١٤٣ (نص ملىء بالتفصيلات) ، ابن ميسر : أخبار ١٤٠ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٦ والاتعاظ ٣ : ١٦٥ و ١٨٤ – ١٨٥ و ١٨٩) فإن المؤتمن أبا المكارم سعد الله يحدّد أنه تولى « ديوان التحقيق » ثم بعده « ديوان النظر على جميع الدواوين » فى سنة ٥٣٠ ومابعدها « بين صرّف واستخدام متردد فيه إلى آخر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وبلغ من الرئاسة مبلغًا خطيرًا » . (تاريخ الكنائس ٢ ، على مبارك : الخطط ٦ : ٧٤) .

[1] الضَّمان : نظام مالى غير شرعى أشبه بنظام الالتزام ، يلتزم بموجبه الضامن بدفع مقدار معين عن كل جهة يُضَمَّنها مقدمًا ثم يُطلب بذلك المقدار فإن زادت الجهة فله وإن نقصت فعليه . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٦) . وكان نظام الضمان سائدًا فى زمن الفاطميين منذ وصولهم إلى مصر وورثه عنهم الأيوبيون . فبعد وفاة الوزير يعقوب بن كِلّس ، ضمن الخليفة العزيز بالله أموال الدولة بجماعة من المستخدمين ، فضمن على بن عمر المعروف بالعَدَّاس مال الدولة والنفقات سنة ٣٨١ ثم حوسب بعد انقضاء السنة على دخلها وخرجها . (ابن الصيرفى : الإشارة ٥٤ ، ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٢٢٩) . كذلك كان من جملة الضُّمّان فى أموال الدولة هبة الله بن عبد المحسن الشاعر ، فلما عُرِض حسابه فى سنة ٥٣١ وُجِد قد انكسر عليه فى ضمانه فسامحه الوزير ابن وَلَخْشى مما عليه من الباقى . (ابن ميسر : أخبار ١٢٩ ، ابن الفرات : تاريخ ٣ : ٦٣ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٤) . وكانت تَولية الدواوين ، كما يذكر ابن مَمّاتى ، تتم بثلاثة أوجه : بالأمان أو ببَذْل أو بضَمان . وفى حالة الضمان كان إذا تأخّر من مال الضمان شىء لزم الضامن القيام به ، فإن بقى له فى ذمة المعاملين مال كان للسلطان أن يقبل الحوالة عليهم بعد اعترافهم أو لا يقبل ، وله أن يطالبه بما فى =

على طلب الأموال ومطالبة أرباب البدول[a] ، ولا يُعْتَرَض فيما يقصده من أحد من الدولة[١]

دِيوَانُ التَّحْقيق ٣

[قال ابن الطُّوَيْر] : هو ديوان مقتضاه ، المقابلة على الدَّواوين[١] ، وكان لا يتولَّاه إلَّا كاتب خبير وله الخِلَع والمرتبة والحاجب ويُلحق برأس الديوان[b] – يعنى متولِّى ديوان النَّظَر[c] – ويفتقر إليه فى أكثر الأوقات[٢] . ٦

(a) المثبت من ف وفى بولاق : الدولة واتعاظ الضمانات . (b) صبح : الدواوين . (c) الخطط : متولى النظر .

= ذِمَّته ويعود متولى الديوان بالضمان بالطلب على من كان الباقى عنده . (ابن مماتى : قوانين الدواوين ٢٩٨ – ٣٠٠) . وانظر كذلك ، المقريزى : الخطط ١ : ٨٣ – ٨٤ ، البرّاوى : حالة مصر الاقتصادية ٣٢٢ – ٣٢٣ ، Rabie , H., *The Financial System of Egypt* , pp. 136 - 137، حسن الباشا : الفنون والوظائف ٧٢٥ – ٧٢٦ .

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٠ – ٤٠١ وكذلك ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤١ – ١٤٢ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٣٨ .

[٢] ديوان التحقيق . هذا الديوان جدَّده الوزير الأفضل بن بدر الجمالى فى سنة ٥٠١ واستخدم فيه أبا البركات يُحَنَّا بن أبى اللَّيْث النصرانى ، الذى جمع بينه وبين ديوان المجلس بعد وفاة متوليه ابن الأسقف فى مطلع القرن السادس ، وظلّ متوليًا له إلى أن قتل فى سنة ٥٢٨ (كما عند أبى صالح الأرمنى والنويرى) وخلفه فى رئاسة الديوان الشريف معتمد الدولة على بن جعفر بن غَسَّان المعروف بابن العسَّاف (المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٤٨) . وقد استمر هذا الديوان طوال العصر الفاطمى يتولَّاه ، فى أغلب الظن النصارى ، (مثل صنيعة الخلافة أبو ذكرى يحيى المعروف بالأَكْرَم [الأَخْرَم] الذى تولَّاه فى سنة ٥٣٠) إلى أن ألغاه صلاح الدين الأيوبى ، ثم أعاده السلطان الملك الكامل محمد فى سنة ٦٢٤ ثم أبطله فى سنة ٦٢٦ . (ابن المأمون : أخبار ٩ ، ١١ ، ٢١ ، ٥٣ ، ٦٥ ، أبو صالح : تاريخ ٦٤ ، ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٣ / ١ : ٢٦ ، ابن ميسر : أخبار ٧٧ ، ١٠٨ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨١ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٧ ، ٤٠١ والاتعاظ ٣ : ٣٩ ، ٧٥ ، ١٢٦ ، ١٤٨) . ويبدو مما ورد عند ابن المأمون والمقريزى أن ديوان التحقيق كان يضاف أحيانا إلى ديوان المجلس أو يُجْمَعا لشخص واحد . وانظر أعلاه ص ٥٠ .

[٣] ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٢ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٣٨ والخطط ١ : ٤٠١ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٩ .

دِيوَانُ الجُيُوش والرَّوَاتب[١]

قال ابن الطُّوَيْر : أما الخِدْمَة فى ديوان الجيُوش[a][١] فتنقسم قسمين : الأول ، « ديوان الجَيْش » وفيه مُسْتَوْفٍ[٣] أصيل ولا يكون إلَّا مُسْلمًا ، وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدى الخليفة داخل عَتَبَة باب المَجْلِس[٤] ، وله الطَّرَّاحَة والمَسْنَد وبين يديه الحاجب ، وترد عليه أمور الأجناد وله العَرْض والحلى والثياب . ولهذا الديوان خازنان برسم رَفْع الشواهد . وإذا عرض أحد

(a) كذا عند ابن الفرات والمقريزى فى الخطط ، أما فى الاتعاظ وصبح فوردت : ديوان الجيش .

[١] عن ديوان الجيش والإدارة المالية للجيش الفاطمى فى النصف الثانى للدولة الفاطمية راجع ، المخزومى : المنهاج فى علم خراج مصر ٦٨ – ٧٢ ، المقريزى : الخطط ١ : ٩٤ ، Cahen , Cl., « L'administration financière de l'armée fatimide d'après Makhzûmî » , *JESHO* XV (1972) pp. 163 - 182 . أما عن تكوين الجيش الفاطمى وإدارته فى العصر الفاطمى الأول فراجع ، Beshir , B. I., « Fatimid Military Organization » , *Der Islam* 55 (1978) , pp. 37 - 56 ; Lev , Y., « The Fatimid Army A. H. 358 - 427 / 968 - 1036 C. E.: Military and Social Aspects » , *Asian and African Studies* XIV (1980), pp. 165 - 192 ; id., « Army , Regime and Society in Fatimid Egypt , 358 - 487 / 968 - 1094 » , *IJMES* XIX (1987) , pp. 337 - 366.

[٢] من بين الذين تولَّوا ديوان الجيش فى العصر الفاطمى ثقة الملك أبو العلاء صاعد بن مُفَرِّج الذى كان « صاحب ديوان الجيش » فى مطلع القرن السادس وأخذ عنه ابن الصَّيْرَفى صناعة الترسُّل قبل انتقاله إلى ديوان الإنشاء . (ابن ميسر : أخبار ١٣٨ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٨٥) .

[٣] المُسْتَوْفى . عرفت هذه الوظيفة فى النصف الثانى للدولة الفاطمية ، فابن الطُّوَيْر يحدِّثنا عن مستوفى ديوان الجيش ومستوفى ديوان الكُرَاع . ولا ندرى من أين استمد الفاطميون هذه الوظيفة التى كانت معروفة فى الدولة العباسية ، كما عرفها كذلك الغزنويون والسلاجقة الذين انتقلت منهم إلى الأتابكة والأيوبيين ، ثم انتقلت من الأيوبيين إلى المماليك (الباشا : الفنون والوظائف ١٠٨٤ – ١٠٨٩) .

[٤] انظر فيما يلى ص ٩٦ – ٩٧ .

الأجناد ورضى به عرض دوابه فلا يُثبت له إلّا الفَرَس الجَيِّد من ذكور الخيل وإناثها ، ولا يترك لأحد منهم بِرْذَون ولا بَغْل وإن كان عندهم البَرَاذين والبِغَال ، وليس لهم تغيير أحد من الأجناد إلّا بمرسوم وكذلك إقطاعهم . ٣
ويكون بين يدى هذا المستوفى نُقباء الأمراء ينهون إليه متجدِّدات الأجناد من الحياة والموت والمرض والصحة . وكان قد فسح للأجناد فى مقايضة بعضهم بعضًا فى الإقطاع بالتوقيعات بغير علامة ، بل بتخريج صاحب ديوان المَجْلِس . ٦
ومن هذا الديوان تُعْمَل أوراق أرباب الجِرايات ، وما كان لأمير ، وإن علا قدره ، بلدٌ مُقَوَّر[1] إلّا نادرًا[2] .

وأما القسم الثانى من هذا الديوان فهو « ديوان الرَّواتب » ويشتمل على ٩ أسماء كل مرتزق فى الدولة[a] وجار وجراية[b] . وفيه كاتب[3] أصيل بطرَّاحة وفيه من المعينين والمبيِّضين نحو عشرة أنفس . والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار مَنْ هو مستمر ، ومباشرة مَنْ استجَدَّ ، وموت مَنْ مات ١٢ ليوجب استحقاقه على النظام المستقيم . وفى هذا الدِّيوان عِدَّة عروض :

العَرْضُ الأول : يشتمل على راتب الوزير وهو فى الشهر خمسة آلاف دينار ، ومَنْ يليه من وَلَدٍ وأخٍ من ثلاثمائة دينار إلى مائتى دينار ، ولم يُقَرَّر لولد وزير خمسمائة ١٥ دينار سوى شُجَاع بن شاور المنعوت بالكامل ، ثم حواشيهم على مقتضى عِدَّتهم من خمسمائة إلى أربعمائة إلى ثلاثمائة خارجًا عن الإقطاعات .

(a) زيادة من ليدن . (b) بولاق : وجارية .

---

[1] البلاد المُقَوَّرة . مصطلح يُطلَق على الأماكن والأراضى المُشْبِعَة التى لا نبات فيها . (ابن المأمون : أخبار ١٠ س ٤ ، طرخان : النظم الإقطاعية ٥٠٥) .

[2] ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٣ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٠١ والاتعاظ ٣ : ٣٣٩ .

[3] ذكر أبو صالح الأرمنى : تاريخ ٣٣ ، ٤٣ أن الشيخ السعيد أبا الفخر كان « كاتب الرواتب » فى الخلافة الحافظية .

العَرْضُ الثانى : حَوَاشى[a] الخليفة وأوّلهم الأُسْتاذون المُحَنَّكون على رُتَبِهم ، وجوارى خِدَمهم لا يباشرها سواهم . فزِمَامُ القصر ، وصاحبُ بيت المال ، وحاملُ الرِّسالة ، وصاحبُ الدَّفْتر ، وشادُّ التاج ، وزِمَام الأشْراف الأقارب ، وصاحب المَجْلِس لكل واحد منهم مائة دينار فى كل شهر ، ومَنْ دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له فى كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدَّتهم على ألف نفس ، ولطبيبَى الخاص لكل واحد خمسون دينارًا ، ولمن دونهما من الأطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير .

العَرْضُ الثالث : يتضمَّن أرباب الرُّتَب بحضرة الخليفة . فأوّله كاتب الدَّسْت الشريف وجاريه مائة وخمسون دينارًا ، ولكل واحد من كتَّابه ثلاثون دينارًا ، [b]ثم متولى مجالسة الخليفة والخدمة الدقيقة فى المظالم وجاريه مائة دينار[b] ، ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون دينارًا ، ثم حامل السيف وحامل الرُّمْح لكل منهما سبعون دينارًا ، وبقية الأزِمَّة على العساكر والسودان من خمسين إلى أربعين دينارًا إلى ثلاثين دينارًا .

العَرْضُ الرابع : يشتمل على المستقر لقاضى القضاة ومن يلى قاضى القضاة مائة دينار[1] ، وداعى الدُّعاة مائة دينار ، ولكل من قُرَّاء الحَضْرَة عشرون دينارًا إلى خمسة عشر إلى عشرة ، [c]ولخُطَباء الجوامع من عشرين دينارًا إلى عشرة ، وللشعراء من عشرين دينارًا إلى عشرة دنانير[c] .

العَرْضُ الخامس : يشتمل على أرباب الدَّواوين ومن يجرى مَجْراهم وأوّلهم

(a) صبح : فيه حواشى . (b-b) ساقطة من بولاق والمثبت من خزينة . (c-c) ساقطة من صبح .

---

[1] ذكر ناصرى خسرو ، الذى زار مصر بين سنتى ٤٣٩ - ٤٤٤ ، أن قاضى القضاة كان يتقاضى ألفى دينار مغربى فى الشهر ، وكان مرتب كل قاض على قدر مرتبته وذلك حتى لا يطمع القضاة فى أموال الناس أو يظلمونهم . (سفرنامة ١٠٩) .

من يتولّى ديوان النَّظَر وجاريه سبعون دينارًا ، وديوان التحقيق جاريه خمسون دينارًا ، وديوان المَجْلِس أربعون دينارًا ، وصاحب دَفْتَر المجلس خمسة وثلاثون دينارًا وكاتبه خمسة دنانير ، وديوان الجيوش وجاريه أربعون دينارًا ، والمُوَقِّع بالقَلَم الجليل ثلاثون دينارًا ، ولجميع أصحاب الدَّواوين الجارى فيها المعاملات لكل واحد عشرون دينارًا ، ولكل معين من عشرة دنانير إلى سبعة إلى خمسة دنانير .

العَرْضُ السادس : يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر ، لكل واحد من المستخدمين فى ولاية القاهرة وولاية مصر فى الشهر خمسون دينارًا ، والحُمَاة بالأَهْرَاء والمُنَاخات والجَوَالى والبساتين والأملاك وغيرها لكل منهم من عشرين دينارًا إلى خمسة عشر إلى عشرة إلى خمسة دنانير .

العَرْضُ السابع : الفَرَّاشون بالقصور برَسْم خدمتها وتنظيفها خارجًا وداخلًا ونَصْب الستائر المحتاج إليها وخِدْمة المناظر الخارجة عن القصر ، فمنهم خاص برَسْم خدمة الخليفة وعِدَّتهم خمسة عشر رجلًا ، منهم صاحب المائدة وحامى المطابخ من ثلاثين دينارًا إلى ما حولها ولهم رسوم متميزة ويُقَرَّبون من الخليفة فى الأَسْمِطَة التى يجلس عليها ، ويليهم الرشاشون داخل القصر وخارجه ولهم عُرَفاء ويتولى أمرهم أستاذ من خواص الخليفة وعِدَّتهم نحو الثلاثمائة رجل وجاريهم من عشرة دنانير إلى خمسة دنانير .

العَرْضُ الثامن : صبيان الرِّكاب وعدَّتهم تزيد على ألفى رجل ومقدموهم أصحاب ركاب الخليفة وعدَّتهم إثنا عشر مقدمًا ، منهم مقدَّم المقدَّمين وهو صاحب الرِّكاب اليمين ، ولكل من هؤلاء المقدَّمين فى كل شهر خمسون دينارًا ولهم نقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقرَّرون جوقًا على قدر جواريهم: جوقة لكل منهم خمسة عشر دينارًا ، وجوقة لكل منهم عشرة دنانير ، وجوقة لكل منهم خمسة دنانير . ومنهم من يُنْتَدَب فى الخِدَم السلطانية ويكون لهم نصيبٌ فى الأعمال التى يدخلونها وهم الذين يحملون الملحقات لركوب الخليفة فى المواسم وغيرها[1] .

---

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٠١ - ٤٠٢ والاتعاظ ٣ : ٣٣٩ - ٣٤٢ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٣ - ١٤٥ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩١ و ٥٢١ - ٥٢٣ .

دِيوَانُ الإقْطَاع

أَمّا ديوانُ الإقْطَاع فلا يُعْمَل فيه إلَّا ما يُقْطَع للأجْنَادِ ، وليس لهم تنزيل حِلْيَة جندى ولا شِيَة دابته . فإذا خَلَت ناحية من ضامِن أو كانت محلولة ورسم إقطاعها ، عمل من ديوان المَجْلِس ، المقدّم ذكره أنه أصل الدواوين ، ارتفاعها[1] لأربع سنين ، سنتين لغاية رخائها وسنتين لغاية جَدْبها بالتنقيب عن ذلك ، ثم يُجْمَع هذا الارتفاع لهذه المدة . ويعتمد أسعار ما بيع فيها من الغَلَّات وغيرها . فإذا اجتمع من ذلك مبلغ معلوم أُخذ ربعه ، وإذا أراد ضَامِنٌ أن يَضْمَن[2] ناحية كانت مُقْطَعَة عمل فى معدلها كذلك على أصل عَبْرَتها[3] بربعه وما يريده على هذا النحو من البذل[4] .

أما العُرْبان فيقال لإقطاعهم فى أطراف البلاد وغيرها « الاعْتِداد » ، وهو على كل ألف دينار مائة دينار[5] .

---

(1) الارتفاع . هو الضريبة الأساسية (الخراج) فيما يتعلق بالأراضى الزراعية . ونستطيع أن نميز بين نوعين من الارتفاع فى طريقة الدفع : « المُسْتَخْرَج عَيْنا » و « المُتَحَصَّل غِلالًا » . ويسمى المُتَحَصَّل غِلالًا عادة « خراج المُنَاجَزَة » وأحيانًا « خراج المُشَاطَرَة » . أما مايدفع عينًا فينقسم إلى ثلاثة أنواع : المال الهِلالى والمَرَاعى والمال الخَرَاجى . (النابلسى : تاريخ الفيوم وبلاده ١١٦ – ١١٧ ، Cahen , Cl., « Le régime des impôts dans le Fayyum ayyubide » , *Arabica* III (1956) , pp. 13 - 17 .

(2) الضَّمَان . انظر أعلاه ص ٨٠ .

(3) العَبْرَة . كلمة اصطلاحية تعنى مقدار المربوط من الضريبة المالية على كل إقطاع من الأرض . أبو المحاسن : النجوم ٩ : ٥٣ هـ ١ ، (Cahen Cl., *op. cit.*, pp. 12 - 13).

(4) عن الإقطاع فى مصر فى العصر الفاطمى راجع ، المقريزى : الخطط ١ : ٨٥ س ٣٤ – ٨٦ ، ومقال Cahen المذكور فى ص ٨٢ .

(5) ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٧ – ١٤٨ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٩ وقد سقط الحديث عن ديوان الإقطاع عند المقريزى فى الاتعاظ والخطط وانظر المخزومى : المنهاج ٦٩ – ٧٢ .

دِيوَانُ الإنشَاء والمُكَاتبات

قال ابن الطُّوَيْر فى ترتيب الدولة الفاطمية : وكان هذا المنصِب [متولى ديوان الإنشاء] لا يتولّاه فى الدولة الفاطمية إلّا أَجَلُّ كُتّاب البلاغة ، ويُخاطَب بالأجلّ ، وإليه تُسَلَّم المكاتبة واردة مختومة فيَعْرِضها على الخليفة من يده ؛ وهو الذى يأمر بتنزيلها والإجابة عنها وربما بات عند الخليفة ليالى ؛ وهذا أمرٌ لا يصل إليه غيره .

قال : وهو أوّل أرباب الإقطاعات فى الكِسوة والرسوم والملاطفات ، ولا سبيل أن يدخل إلى ديوانه أحدٌ ولا يجتمع بأحد من كتابه إلّا الخواص ؛ وله حاجبٌ من الأمراء الشيوخ[١] ، وله فى مجلسه المرتبة العظيمة والمَخادّ والمَسنَد والدَّواة العظيمة الشأن ؛ ويحمل دواته أستاذ من خواصّ الخليفة عند حضوره إلى مجلس الخلافة[٢] .

قال ابن الطُّوَيْر : وكانوا يُلَقّبونه فى الدولة الفاطمية بالديار المصرية كاتب الدَّست[٣] .

التَّوْقيعُ بالقَلَم الدَّقيق فى المَظَالِم

ولابد للخليفة من جليس يُذاكِرهُ ما يحتاج إلى علمه من كتاب الله الكريم وتجويد الخط ومعرفة الأحاديث وأخبار الأنبياء والخلفاء . فهو يجتمع به أكثر

---

(١) ابن الصيرفى : قانون ديوان الرسائل ٢٠ .

(٢) القلقشندى : صبح ١ : ١٠٢ وانظر كذلك ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٠ – ١٤١ ، صبح ٣ : ٤٨٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٢ والاتعاظ ٣ : ٣٣٧ – ٣٣٨ .

(٣) نفسه ١ : ١٠٣ وضوء الصبح المسفر ٤١ . وراجع مقدمتى لكتاب « القانون فى ديوان الرسائل والإشارة إلى من نال الوزارة » لابن الصَّيْرَفى . (القاهرة . الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠) .

أيام الأسبوع ومعه[a] أستاذ من المُحَنَّكين مُؤَهَّل لذلك فيكون الأستاذ ثالثهما . فيقرأ على الخليفة ملخص مُلَح السِّيَر ويكرّر عليه ذكر مكارم الأخلاق ، وله بذلك رتبة عظيمة تُلْحق برتبة كاتب الدَّست[b] ، ويكون صحبته للجلوس دواة محلّاة . فإذا فرغ من المجالسة ألقى فى الدواة كَاغِد فيه[c] عشرة دنانير وقِرْطاس فيه ثلاثة مثاقيل ندّ مثلث خاص لِيَتَبَخَّر به عند دخوله على الخليفة ثانى دفعة[d] . وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق ، على ما تقدّم[e] ، وله أيضًا طُرَّاحة ومَسْنَد وفرَّاش يقدِّم إليه مايُوَقِّع عليه ، وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل إليه[f] أحد إلَّا بإذن ، وهو يلى صاحب ديوان المكاتبات فى الرسوم والكساوى وغيرها[1] .

التَّوْقِيع بالقَلَم الجَلِيل

وهى رُتْبَة جليلة ويقال لها « الخِدْمَة الصُّغْرَىٰ »[g] . ولمتوليها الطُّرَّاحة والمَسْنَد بغير حاجب ، بل ويُنْدب له الفرَّاش لترتيب ما يوَقِّع عليه . ولا يوقِّع الخليفة عليه بيده إذا كان وزيره صاحب سيف إلَّا فى أربعة مواضع : إذا رُفِعَت إليه قِصَّة وَقَّع عليها « يُعْتَمَد ذلك إن شاء الله تعالى »[h] ، أو كتب بجانبها الأيمن « يُوَقَّع بذلك » ، فيخرج إلى صاحب ديوان المَجْلِس دون غيره فيوقع عليها[i] جليلًا [j]ويُخلّى مكان العَلَامة[j] ، ويدخل بها إلى الخليفة ثانيًا فيضع

(a) ساقطة من ابن الفرات . (b) عند ابن الفرات : ملحق بديوان المكاتبات . (c) فى الانعاظ : كاغدة فيها . (d) فى بولاق واتعاظ : مرة . (e) فى الانعاظ : كما تقدم وساقطة من بولاق . (f) ابن الفرات : عليه . (g) فى صبح وف : الخدمة الصغيرة . (h) الله تعالى ساقطة من الانعاظ . (i) ساقطة من الانعاظ . (j-j) زيادة من بولاق .

[1] ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٢ والاتعاظ ٣ : ٣٣٨ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٧ . والنص المثبت التزم بألفاظ ابن الفرات والخطط .

علامته عليها . وكانت علامتهم كلهم « الحمد لله رب العالمين »[1] ، ثم يخرج بها فتثبت فى الدواوين .

---

[1] العَلامة . مصطلح خاص كان يُطلق على ما يكتبه الخليفة بيده على الرسائل أو الأوامر أو السجلّات أو التوقيعات الصادرة عنه . ولا تصدر هذه الوثائق ، على اختلاف أنواعها ، إلّا بعد كتابة هذه العلامة . وكان كل خليفة أو سلطان أو ملك يتّخذ لنفسه مصطلحًا خاصًا ليكون علامته . وهذه العلامة هى التى تطوّرت فى أواخر العصر المملوكى وفى العصر العثمانى وأصبحت تعرف « بالطُغْراء » . (المقريزى : السلوك ١ : ٣٤٤ هـ١ ، ابن واصل : مفرج ١ : ١٧٣ هـ٣ ، ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ٤٣ – ٤٤ هـ١ ، القلقشندى : صبح ١٣ : ١٦٢ – ١٦٦) .

ويؤكد ما ذكره ابن الطُوَيْر من أن علامة جميع الخلفاء الفاطميين كانت « الحمد لله رب العالمين » نص مماثل للقلقشندى ، لم أتمكن من تحديد مصدره ، اقتبسه على بك بهجت فى هامش قانون ديوان الرسائل لابن الصيرفى ١٠٩ ، وكذلك نص « السجلات المستنصرية » وما أورده يحيى بن سعيد الأنطاكى فى تاريخه ٢٣١ ، ٢٣٣ و أبو شامة فى الروضتين ١ : ١٢٨ ، وما جاء فى رسالة « الهداية الآمرية » (فى مجموعة الوثائق الفاطمية) ٢١٥ . ويذكر المؤرخ ابن حمّاد أنه شاهد سجلات صادرة عن المستعلى بن المستنصر وعليها علامته « الحمد لله على آلائه » (أخبار ملوك بنى عبيد ٦٠) . ويرى شتيرن أن العلامة التى شاهدها ابن حماد ليست صادرة عن الخليفة وإنما عن وزيره الأفضل بن بدر الجمالى ، فهى تتفق مع علامة الوزراء التى وصلت إلينا عن الوزير الجرجرائى فيذكر ابن الصيرفى وابن خلكان إن القاضى أبا عبد الله القضاعى كان يُعَلّم عنه « الحمد لله شكرًا لنِعْمَتِه » (الإشارة ٦٩ ، وفيات ٣ : ٤٠١ ، Stern , S. M., *Fatimid Decrees* , p. 130) . بينما كانت علامة الوزير عبّاس « الحمد لله وبه أثق » (الروضتين ١ : ٢٤٧) . وكان لنساء البلاط الفاطمى أيضًا علامتهن ، فكانت علامة السيدة أم المستنصر والسيدة أخت المستنصر « الحمد لله ولىّ كل نِعْمَة » (السجلات المستنصرية رقم ٢٨ و ٥١ و ٥٢) أما علامة السيدة أم المستعلى فكانت « الحمد لله على نِعَمِه » (السجلات رقم ٣٥) . وكان لكبار الموظفين أيضًا علامتهم مثل القاضى هبة الله بن ميسر الذى كان يكتب « الحمد لله على نعمه » . (ابن ميسر : أخبار ١٢٨ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٣) وكذلك الموظفين من أهل الذمة فكانت علامة أبى نصر ابن عبدون المعروف بابن العدّاس متولى ديوان الشام فى خلافة الحاكم « الحمد لله على ما يستحق » (أبو صالح : تاريخ ٥١) .

ولم تكن العلامة توجد على رأس السجل أو المنشور ولا مباشرة بعد البسملة وإنما كانت تأتى بعد السطر الأول من النص . (Stern , S. M., op. cit., pp. 127 - 135 وانظر صورة أنموذج فى ملاحق الكتاب) .

وكان الخليفة يُوَقِّع فى المُسَامَحَة[١] والتَسْوِيغ[٢] والتَحْبِيس[a][٣] : « قد أنعَمْنا بذلك » و « قد أمضينا ذلك » . وكان إذا أراد أن يَعْلَم ذلك الشىء الذى أنهى وقَّع « ليخرج الحال فى ذلك » . فإذا أُحْضِر إليه إخراج الحال عَلَّم عليه . فإن كان ثَمَّ وزير صاحب سيف وَقَّع الخليفة بخطه : « وزيرنا السيد الأجَلّ (وذكر نعته المعروف به)[b] أمتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك إن شاء الله تعالى » ، فيكتب الوزير تحت خط الخليفة « يُمْتَثَل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه » . وإن كان لا يحسن الكتابة كتب « يُمْتَثَل » ويثبت فى الدَّواوين[٤] على ماتقدم .

وآخر القوم طَلَائع بن رُزِّيك قَلَّد النَّظَر فى المظالم لولده بعده وأنشأ له سِجِلًّا يذكر فيه : « وقد قلَّدك أميرُ المؤمنين النَّظَر فى المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم »[٥] ووزر بعد أبيه[٦] .

(a) فى اتعاظ : أو كان يوقع فى مسامحة أو تسويغ أو تحبيس . (b) فى الاتعاظ : واللقب المعروف به .

---

[١] المُسَامَحَة جـ . مُسَامَحَات . المقصود المسامحة ببواق الخراج عند نقل حساب الدولة من الهلالى إلى الخراجى . (ابن المأمون : أخبار ٢٨ ، المقريزى الخطط ١ : ٨٣ ، ٨٦ والاتعاظ ٢ : ١١٤ ، ٣ : ٨٠ - ٨١ ، ١٠٤ (وفيها نص منشور بمسامحة كافة سكان الرِّباع السلطانية بالقاهرة ومصر ... بأجرة شهر رمضان سنة ٥١٧) ، وقارن ابن ميسر : أخبار ٥٣ والاتعاظ ٢ : ٣٢٩ ، ٣ : ٢٥٣ والخطط ١ : ٣٨٢ حيث يذكر إطلاق بدر الجمالى الخراج للمزارعين ثلاث سنوات وهو أشبه بالمسامحة) . وقارن القلقشندى : صبح ١٣ : ٢٣ ، وعمارة اليمنى : النكت العصرية ٥٣ .

[٢] التَسْوِيغ جـ . تسويغات (مولَّدة) . الإذن فى تناول الاستحقاق من جهة معيَّنة تيسيرًا وتسويلًا على الأخذ . (القاموس ١٠١٢ هـ١) .

[٣] التحبيس . هو الأمر بوَقْف أرض أو عقار للصرف من عائده على عمارة أو مؤسسة دينية أو اجتماعية .

[٤] المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٢ - ١٤٣ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٧ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٣٩ . وقد وفِّقْت هذه الفقرة والتى قبلها من هذه المصادر مجتمعة ، لأنها إما ناقصة فى بعضها أو مصطلحاتها غير تامة فى بعضها الآخر .

[٥] انظر نص هذا السجل عند القلقشندى : صبح ١٠ : ٣٢٥ - ٣٣٧ .

[٦] ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٦ .

الخِدْمَةُ فى ديوان الصَّعيد الأعْلَى والأدْنَى[١]

وليس فيه سوى ذلك . وفيه عِدَّة كُتَّاب فروع ، وهى مقسومة فى الاستيفاء بينهم[a] ، وعليهم عمل التَّذاكر[٢] بطلب ما تأخَّر من الحساب . ويترجمها صاحب هذا الدِّيوان بخطه ، ويحملها إلى صاحب الدِّيوان الكبير فيوقِّع عليها بالاسترفاع ، ويُنْتدب لها من الحُجَّاب أو غيرهم مَنْ يراه ، ويُرَتَّب له فيها مياومة[b] يأخذها من المستخدمين مُدّة مقامه عندهم ويحضرها نسخًا للدواوين الأصول[٣] .

الخِدْمَةُ فى ديوان أسْفَل الأرض

وهو لما يلى ديار مصر من بحرى[c] القاهرة إلى البحر الملح خلا الثُّغُور ، وحُكْمه فى طلب الحساب والاستيفاء على ما تقدَّم[٤] .

(a) ش : والاستيفاء مقسوم بينهم . (b) ف وش : موائمة . (c) ش : بحرى .

---

[١] أورد القلقشندى نص سجل بتولى ديوان الاستيفاء على الأعمال القبلية وما جمع إليه ، جاء فيه أنه « من أجَلّ الدواوين قدرًا وأنبهها ذكرًا وأرفعها شأنًا وأشمخها مكانًا » . (صبح ١٠ : ٤٦٣ - ٤٦٥) . وكذلك نسخة سجل بالحكم بقُوص ومشارفة أعمال الصعيد . (صبح ١٠ : ٤٥١ - ٥٢) . ومن بين الذين تولوا مشارفة الصعيد الأعلى القاضى الرشيد بن الزبير (ابن المأمون : أخبار ٣٢) .

[٢] تَذْكِرَة جـ . تَذاكِر . المقصود بها ، كما يتضح من اسمها ، التذْكِرَة بشئ . وعادة ما كانت تُضَمَّن جُمَل الأموال التى يسافر بها الرسول ليعود إليها إن أغفل شيئًا أو نسيه ، أو تكون حجة فيما يورده ويُصْدره . (على بن خلف . مواد البيان ٦٣٢ ، القلقشندى : صبح ١٣ : ٧٩) .

[٣] ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٨ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩١ وانظر المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٤٢ .

[٤] نفسه ، نفسه ، نفسه . ومن بين الذين تولوا هذا الديوان فى الأيام الأفضلية أبو اليُمْن وزير بن عبد المسيح (أبو صالح : تاريخ ٨٥ ، ساويرس بن المقفع : تاريخ ٢ / ٣ : ٢٤٨) .

الخِدْمَةُ فى ديوان الثُّغُور

وتجرى فى الإسكندرية ودِمْيَاط ونَسْتَروه والبُرُلُّس والفَرَما ، وحُكْمه فى هذه المعاملات واسترفاع الحساب والكُتَّاب على ما شُرِح[1] .

الخِدْمَةُ فى ديوان الجَوَالى[2] والمَوَاريث الحَشْرية[3]

ولا يتعلَّق بشىء غير هاتين المعاملتين ، ولا يتولَّاها إلَّا عَدْل وفيه جماعة من الكُتَّاب وحاله على ما تقدَّم ذكره[4] .

---

(١) نفسه ، نفسه ، نفسه . وانظر نسخة سجل بولاية ثغر عند القلقشندى : صبح ١٠ : ٤٤٢ – ٤٤٥ . وحدَّد المقريزى الثغور بأنها : دِمْياط وتِنِّيس ورَشيد وعَيْذاب وأَسْوان والإسكندرية وهى أعظمها إذ كان بها عِدَّة جهات منها الخُمْس والمَتْجَر . (الخطط ١ : ١٠٩) . وانظر كذلك ، صفاء حافظ عبد الفتاح : الموانئ والثغور المصرية من الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى (القاهرة ١٩٨٦) .

(٢) الجَوَالى . مصطلح أُطلق منذ بداية الإسلام على ما يؤخذ من أهل الذمه كضريبة مقرَّرة على رقابهم فى كل سنة . والاسم الأكثر شيوعًا له هو « الجِزْيَة » وهى واجبة على أهل الذمة الأحرار البالغين دون النساء والصبيان والرهبان والعبيد والمجانين ، واختلف فى الشيخ الفانى والفقراء الذين لاكسب لهم . (أبو صالح : تاريخ ٢٩ ، ابن مماتى : قوانين ٣١٧ – ٣١٨ ، النويرى : نهاية الأرب ٨ : ٢٣٤ – ٢٤٥ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ١٠٧ ، قاسم عبده قاسم : أهل الذمة فى مصر العصور الوسطى ٣١ – ٣٥ ، Cahen, Cl., *Le régime des impôts* pp. 21 - 22 ; id., *Arabica* IX (1962), pp. 76 - 78 ; id., *EI²*., art. *Djawâlî* II, p. 502 et art. *Djizya* II, pp. 573 - 76).

وأورد القلقشندى نص سجل بمُشارَفة الجَوالى بالصَّعيد الأدنى والأشمونين (صبح ١٠ : ٤٦٢ – ٤٦٣) ، ونسخة سجل بالنيابة فى الحكم والأحباس والجوالى بثغر دِمْياط (نفسه ١٠ : ٤٥٢ – ٤٥٣) . وذكر ساويرس بن المقفع أن الوزير الأفضل بن وَلَخشى استخدم فى « ديوان الجَوالى » سنة ٥٣١ رجلًا من شهود مصر يعرف بالقاضى المهذب بن أبى البقاء . (تاريخ البطاركة ٣/١ : ٣١).

(٣) المَوَاريث الحَشْرية . هى مال من يموت وليس له وارث خاص بقرابة أو نكاح أو ولاء ، أو الباقى بعد الفَرْض من مال مَنْ يموت وله وارث أو فَرْض لا يستغرق جميع المال ولا عاصب له . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٠ وانظر كذلك ، النابلسى : لمع القوانين المضية ٥٤ ، ابن مماتى : قوانين ٣١٩ – ٣٢٥) . وراجع نسخة منشور بمُشارَفة المواريث الحشرية والفروض الحُكْمية عند القلقشندى : صبح ١٠ : ٤٦٦ .

وعن نظام الميراث عند الفاطميين انظر ، المقريزى : الاتعاظ ١ : ١٠٥ ، ٣ : ٨٨ – ٩٢ ومقال فيظى Fyzee, A. A. A., « The Fatimid Law of Inheritance », *SI* IX (1958), pp. 61 - 69.

(٤) ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٩ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٢ وقارن =

الخِدْمَةُ فى ديوانَى الخَرَاجى والهِلَالى

وتجرى فيه[a] الرِّباع[١] والمكوس ، وكان ديوان الأبواب من حقوقه بالصِّناعة للصادرين والواردين عليه[b] حوالات أكثر المرتزقين كما تقدَّم[٢] . ٣

الخِدْمَةُ فى ديوان الكُرَاع

وفيه مُعامَلة الاصْطَبْلات وما فيها من الدَّواب الخاص وغيرها وبغال الرَّمَل[٣] والجمال[c] ، وبالتقديرات فيه يُطْلَق من الأهْرَاء والمُناخات جرايات ٦

(a) ش : فيها . (b) ش : وعليه . (c) صبح : والبغال والجمال .

= المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٤٢ .

[١] رَبْع جـ . رِبَاع . هى المساكن المشتركة التى تؤجَر لأكثر من مستأجر . وقد عرف هذا النوع من المساكن فى الفسطاط ابتداء من القرن الرابع . وحسب مالدينا من معلومات فإن أوّل من أشار صراحة إلى الرِّبَاع فى العصر الفاطمى هو المَخزومى (المنهاج ٤٤) ، ولكن ناصر خسرو قبله بنحو قرن أشار إلى أن للسلطان (الخليفة) فى القاهرة ومصر ثمانية ألف « بيت » يؤجرها ويحصِّل أجرتها كل شهر . (سفرنامة ٨٩) . وقد استخدم ناصر خسرو كلمة « بيت » للإشارة إلى « الرَّبْع » . وقد أُطلق على هذه البيوت التى كان يؤجرها الخليفة فى السجلات الرسمية « الرِّباع السلطانية » (القلقشندى : صبح ١٠ : ٤٥٠ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٠٤) . وكان إيجار هذه الرِّباع يستحق ، تبعًا لما أورده ناصر خسرو والمخزومى ، مُشاهرة على حسب السنة الهلالية . وحَفظ لنا المخزومى نصًا بالغ الأهمية يشرح بالتفصيل ما يتعلَّق « بالرِّباع السلطانية » (المنهاج ٤٤ – ٤٥) .

وكان يوجد موظف مختص بالإشراف على الرِّباع يسمى « متولى حماية الرِّباع السلطانية » كان يُعيَّن بناءً على اقتراح من الوزير ، وقد تحدَّدت مهامّه فى سجل توليته بأن عليه « أن يتعهَّدها بالطَّوَاف فيها ، وأن يحافظ على حراسة غيرها ، ويتناول أجرها ، ورمُّ مالعله يُسْتَرَمّ منها ويتشعَّث ، والعكوف على ذلك بحيث لا يتوقَّف فيه أمرٌ ولا يتريَّث ، وحَمْل مال ارتفاعها إلى بيت المال المعمور بعد ما يُصْرف فى مصالحها ويُطْلَق فيما يثبُت به عليها » . (صبح ١٠ : ٤٥٠) .

[٢] ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٩ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٢ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٤٢ .

[٣] الرَّمَل . الخطوط فى قوائم البقرة الوحشية =

مستخدميها وعلوفاتها ، [a]وحمير المَرَمّة[b][1] برسم[c] العمائر ورباع الديوان والإنفاق فى عدد ذلك وآلاته وعلوفات الأَفْيِلَة والزراريف[2] والوحوش

٣ وجميع من يخدمها[a] . وفيه كاتبان[d] أصل ومستوفى ومعينان[3] .

ديوانُ الجِهَاد

قال ابن الطُّوَيْر : الخِدْمَة فى ديوان الجِهَاد ويقال له « ديوان

٦ العَمَائِر »[4] ، وكان محله بصناعة الإنشاء[5] بمصر للأسطول والمراكب الحاملة للغَلّات السلطانية والأحطاب وغيرها ، وكانت تزيد على خمسين عُشَاريًا ويليها عشرون ديماسًا[6] ، منها عشرة برسم خاص[e] الخليفة أيام الخليج وغيرها ،

٩ ولكل منها رئيس ونواتى لا يبرحون ، يُنْفَق فيهم من مال هذا الديوان ، وبقية العُشَارِيات الدواميس برسم ولاة الأعمال المميزة ، فهى تُجَرّد لهم ويُنفق فى رؤسائها ورجالها أينما كانوا من مال هذا الديوان[f] ، وتقيم مع أحدهم مدّة

١٢ مقامه ، فإذا صُرِف عاد فيه وخرج المتولّى الجديد فى العُشَارى المرسى بالصناعة

(a-a) هذه العبارة ساقطة من ش وموجودة فى ف . (b) صبح : دواب المرمة . (c) صبح : المرصدة . (d) ش : كاتب . (e) ليدن : خاص برسم . (f) ابن الفرات : الموضع .

= مخالفة لسائر لونها . (القاموس ١٣٠٢) .

[1] المَرَمّة . شفة كل ذى ظِلْف . (القاموس ١٤٤١) .

[2] هذا الجمع غير موجود فى كتب اللغة وقد نقله كذلك أيضًا القلقشندى عن ابن الطُّوَيْر .

[3] ابن الفرات . تاريخ ٤ / ١ : ١٤٩ ، القلقشندى : صبح ٣:٤٩٢ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٤٢ .

[4] استحدث هذا الديوان الوزير رضوان بن ولخشى فى ذى القعدة سنة ٥٣١ . (ابن ميسر : أخبار ١٢٨ - ١٢٩ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٦٣) .

[5] ذكر ابن مماتى أن صناعة العمائر كانت تسمى صناعة الإنشاء (قوانين ٣٤٠) . وانظر نسخة تقليد الإمارة على الجهاد عند القلقشندى : صبح ١٠ : ٤٠٦ - ٤١٦ .

[6] انظر فيما يلى ص ٢٠١ .

ولا يخرج إلَّا بتوقيع بإطلاقه والإنفاق فيه . وللمُشارفين بالأعمال عُشَاريات دون هذه . وفى هذا الديوان برسم خدمة ما يجرى فى الأساطيل نائبان من قِبَل مقدَّم الأسطول ، وفيه من الحواصل لعمارة المراكب شىء كثير[a] . وإذا لم يف ارتفاعه بما يحتاج إليه استُدْعِىَ له من بيت المال ما يَسُدُّ خَلَله[1] .

قال : وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالأساطيل والأجناد ومواصلة إنشاء المراكب بمصر والإسكندرية ودِمْياط من الشَّوَانى الحربية[2] والشَّلَنْديات[3] والمُسَطَّحات[4] [وإنفاذها][b] إلى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل : صُور وعَكَّا وعَسْقَلان . [c]وكانت جريدة قواد الأسطول فى آخر أمرهم تزيد على خمسة آلاف مُدَوَّنة[c] منهم عشرة أعيان [d]يقال لهم « القُوَّاد » واحدهم « قائد »[d]،

(a) ابن الفرات : عظيم . (b) زيادة يستقيم بها المعنى . (c-c) المثبت من بولاق ٢ : ١٩٣ . (d-d) زيادة من بولاق ٢ : ١٩٣ .

(١) ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٠ وساقط من مخطوطة خزينة ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٢ .

(٢) شينى جـ . شَوَانى (ويقال أيضًا شانى أو شينية أو شونة) : السفينة الحربية الكبيرة وكانت تطلق عليها أحيانًا أسماء معينة مثل « الغراب » الذى ذكر ابن مَمَّاتى أنه كان يجدف بمائة وأربعين مجدافًا وفيه المقاتلة والجذافون . (قوانين ٣٤٠) . وذكر الزبيدى أنها لغة مصرية (تاج العروس) . (راجع لتفصيلات أكثر ، درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم ٨٣ - ٨٥ وما ذكر من مراجع) .

(٣) الشَّلَنْدى جـ . شَلَنْديات . مركب مُسَقَّف تقاتل الغزاة على ظهره ، وجدافون يجدفون تحتهم (ابن مماتى : قوانين ٣٤٠) وهذا النوع من المراكب الحربية التى استعملت فى البحر المتوسط عرفه أولًا الروم البيزنطيون ثم انتقل إلى الدولة الإسلامية . (راجع ، النخيلى : المرجع السابق ٧٨ - ٨١) .

(٤) مُسَطَّح جـ . مُسَطَّحات . نوع من السفن الحربية الكبيرة شبيه بالشَّلَنْدى (ابن مماتى : قوانين ٣٤٠) ويدل على ضخامته ما ذكره ابن شدَّاد من أن هذا النوع من المراكب كان يسع خمسمائة راكب أو يزيد (النوادر السلطانية ١٩٦) . وكان المسلمون والفرنج على السواء يستخدمون هذا النوع من المراكب فى العصور الوسطى . (النخيلى : المرجع السابق ١٤١ - ١٤٣) .

وانظر المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣١٥ وقارن ، الخطط ٢ : ١٩٧ س ١٥ - ٢١ .

تصل جامكية كل منهم إلى عشرين دينارًا إلى خمسة عشر ثم إلى عشرة دنانير ثم إلى ثمانية ثم إلى دينارين وهى أقلُّها . ولهم إقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيها[a] من النَّطْرُون ، فيصل دينارهم بالمناسبة إلى نصف دينار وحواليه . ويُعَيَّن من هؤلاء القوَّاد ٣ العشرة من يقع الإجماع عليه لرياسة الأسطول المتوجّه للغزو[b] فيكون معه المقدم[c] والفانوس[d] وكلهم يهتدون به ويقلعون بإقلاعه ويَرسون بإرسائه .

ويقدَّم على الأسطول أمير[e] كبير من أعيان الأمراء وأقواهم نفسًا[f] ٦ وجنانًا ، ويتولّى النفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير ، فإذا أراد النفقة فيما تعيّن عليه[g] من عدّة المراكب السائرة – [h]وكانت فى أيام المعز لدين الله تزيد على ستمائة قطعة – وآخر ما صارت إليه فى آخر الدولة نحو ٩ الثمانين شينى[h] وعشر مُسَطَّحات وعشر حمّالات[i] [h]فما تقصر عن مائة قطعة[h] ، فيتقدَّم إلى النقباء بإحضار الرجال وهم يهيئون من أرباب المعايش ، ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة فيدخل إليها ، ولهم المُشَاهَرة ١٢ والجرايات المُستَقِرَّة[j] مدة أيام السفر ، وهم معروفون عند عشرين نقيبًا ولا يعترض أحدٌ أحدًا[k] إلَّا من رغب فى ذلك من نفسه . فإذا اجتمعت العدة المغلقة للمراكب المطلوبة فى [h]تلك السنة[h] أعْلَم [h]النقباء المُقَدَّم فأعلم بذلك ١٥ الوزير فطالع الوزير الخليفة بالحال[h] فقرّر يوم النفقة[l] ، فحضر الوزير [m]بالاستدعاء من [h]ديوان الإنشاء[h] على العادة فيجلس الخليفة على هيئته فى مجلسه ويجلس الوزير[m] فى مكانه ، ويحضر صاحبا ديوان الجيش وهما : ١٨ [h]المستوفى والكاتب ، والمستوفى[h] هو أميزهما فيجلس من داخل عَتَبة

(a) من ٢ : ١٩٣ وفى الخطط : فيه . (b) خزينة : أسطول الغزو . (c) ساقطة من بولاق . (d) فى ٢ : ١٩٣ : القاوش . (e) ساقطة من خزينة . (f) ساقطة من بولاق وفى صبح : جأشا . (g) ساقطة من خزينة ومن بولاق والمثبت من ٢ : ١٩٣ .
(h-h) المثبت من ٢ : ١٩٣ وفى ١ : ٤٨٣ وصبح : تزيد على خمسة وسبعين . (i) المثبت من صبح وفى الخطط : عشرة مسطحات وعشرة حمالة . (j) بولاق : المتقررة . (k) ساقطة من خزينة . (l) بولاق : وقرر يوم للنفقة . (m-m) هذه العبارة ساقطة من خزينة .

المجلس ، وهذه رتبة له يتميّز بها[a] ، ويجلس بجانبه تحت العتبة على حُصُر مفروشة بالقاعة كاتب الجيش الأصل[b] ولا يخلو المستوفى أن يكون عَدْلًا أو من أعيان الكُتّاب المسلمين[c] ، وأما كاتب الجيش فيهودى فى الأغلب . ٣
ويُفرش أمام المجلس أنطاع[1] تُصَبّ عليها الدراهم ويحضر الوزّانون ببيت المال لذلك . فإذا تهيأ الإنفاق أُدْخِل القابضون مائة مائة فيقفون فى آخر الوقوف بين يدى الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة ، وتكون أسماؤهم قد ٦ رُتِّبت فى الأوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة . فيستدعى مستوفى الجيش من تلك الأوراق المتفق عليها[d] واحدًا واحدًا ، فإذا خرج اسمه عَبَر من الجانب الذى هو فيه إلى الجانب الخال ، فإذا تكمّلت عشرة رجال وَزَن الوزّانون لهم النفقة ٩ وكانت لكل واحد خمسة دنانير صرف كل دينار ستة وثلاثون درهمًا فيسلمها لهم[e] النقيب وتكتب بيده وباسمه وتمضى النفقة كذلك إلى آخرها . فإذا تمّ ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانقضى ذلك الجمع [f]فيحمل ١٢ من عند الخليفة مائدة[f] يقال لها « غداء الوزير » وهى سبع مخفيات[g] أوساط إحداها بلحم دجاج وفُستُق والبقية من شواء وهى مكمورة بالأزهار[i] فيكون ذلك[h] عدة أيام متوالية مرة ومتفرقة قريبًا من بعضها بعضًا مرة[j] . ١٥

فإذا تكمّلت النفقة وتجهّزت المراكب وتهيأت للسفر ، ركب الخليفة

(a) بولاق : مميزة . (b) هذه العبارة مثبتة من ٢ : ١٩٣ . (c) فى ٢ : ١٩٣ : وشرط هذا المستوفى أن يكون عدلا ومن أعيان الكتاب ويسمى اليوم فى زماننا ناظر الجيش . (d) ساقطة من بولاق . (e) بولاق : فيتسلمها . (f-f) فى ٢ : ١٩٣ : فيحمل إلى الوزير من القصر مائدة . (g) فى الخطط : مجنفات والمثبت من هامش خزينة حيث كتب المقريزى : لعله مخفيات . (h) بولاق : فتكون هذه . (i) A الأدهان . (j) النص المثبت من خزينة .

---

[1] النِّطْع (بالكسر والفتح وبالتحريك) جـ . أنطاع ونطوع . بساط من الأديم أى من الجلد الأحمر المدبوغ . (القاموس ٩٩١ و ١٣٨٩) .

والوزير إلى ساحل النيل[a] بالمقس[١] ، وكان هناك على شاطىء البحر بالجامع منظرة[٢] يجلس فيها الخليفة برسم وداع الأسطول[b] ولقائه إذا عاد . فإذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القُوَّاد بالمراكب من مصر إلى هناك للحركات فى البحر بين يديه وهى مُزَيَّنة بأسلحتها ولبوسها وفيها المَنْجَنِيقَات تلعب فتنحدر وتقلع بالمجاديف[c] كما يُفعل فى لقاء العدو بالبحر المالح[d] .

ثم[e] يحضر بين يدى الخليفة « المُقَدَّم » و « الرَّئيس » فيوصيهما ويدعو للجماعة بالسلامة والنصر[f] ، ويُعطى المُقَدَّم مائة دينار والرئيس عشرين دينارًا . وينحدر الأسطول[g] إلى دِمْياط فيخرج إلى البحر المالح[d] فيكون له ببلاد العدو هيبة وصيت[h] . فإذا وقع لهم مركب وكسبوه لا يسألون عمَّا فيه سوى الشخوص الكبار والصغار والنساء والسلاح وما كان سوى ذلك كان للأسطول[i][٣] .

(a) من ٢ : ١٩٣ . (b) فى بولاق : برسم وداعه ، يعنى الأسطول . (c) ساقطة من بولاق . (d) بولاق وصبح : الملح . (e) من خزينة . (f) بولاق : بالنصرة والسلامة . (g) من ٢ : ١٩٣ وفى صبح المراكب . (h) صبح : الصيت والسمعة . (i) النص المثبت هنا وفيما بعد من خزينة دون الإشارة إلى الفروق لكثرتها .

[١] إلى هنا ينتهى نص بولاق ١ : ٤٨٢ - ٤٨٣ واستكمل بقية النص عند الحديث على منظرة المقس ١ : ٤٨٠ - ٤٨١ بينما النص متّصل فى مخطوطة خزينة .

[٢] منظرة المَقْس . كانت بجوار جامع المقس الذى أنشأه الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ (المقريزى : الخطط ٢ : ٢٨٣) والذى أطلقت عليه العامة فيما بعد جامع المقسى والذى عرف فى العصر الحديث باسم جامع أولاد عنان . وكانت المنظرة تقع بحرى هذا الجامع وتطل على النيل الذى كان يمر من هناك فى ذلك الوقت . (نفسه ١ : ٤٨٠) . ويدل على موضع هذا الجامع اليوم الجامع الضخم الكائن فى ميدان رمسيس .

وذكر ابن المأمون ركوب الخليفة الآمر إلى جامع المقس وجلوسه بهذه المنظرة سنة ٥١٧ لوداع الأسطول الذاهب للقاء الفرنج بعد ورود كتاب صاحبى دمشق وحلب يحثونه على غزو الفرنج . (أخبار ٦٩ ، الخطط ١ : ٤٨٠) .

[٣] القلقشندى : صبح ٣ : ٥١٩ - ٥٢٠ . وأضاف : « وكان لهم أيضًا أسطول بعَيْذاب يُتَلَقَّى به الكارم فيما بين عَيْذاب =

واتّفق مرّة أن قُدِّم عليه الأمير سيف الملك الجمل فكسب بُطْسَة[a][1] عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص ، فامتنعت عليهم بالقتال على ما خلفه بعد وصولهم ، وأخذها الأسطول بعد أن قتل منهم نحوًا من مائتين[b] وعشرين ٣
رجلًا وأحضروهم إلى القاهرة ، ففرح الخليفة بذلك وركب إلى المَقْس وجلس بالمَنْظَرة [c]للقائهم وأطلقوا الأسْرَى بين يديه تحت المنظرة[c] من جانب البر ، فاستدعيت الجمال لركوبهم ، وشُقّ بهم القاهرة ومصر [d]فما ٦
وجدت فى الحال جمال كعدتهم[d] . فركبوا الرجال منهم كل اثنين على جمل ظهرًا لظهر . وعاد الخليفة إلى القصر [d]وما كفاه نظره لهم فى المنظرة فرحًا بهم[d] ، فجلس فى إحدى مناظر القصر لنظرهم فى جوازهم . فلما عادوا من مصر ٩
صاروا بهم إلى المُناخات فصَحّ منهم ألف رجل فانضافوا إلى من فيه . وأما النساء والصبيان فإنه أدخل بهم إلى القصر بعد أن حمل للوزير منهم نصيب وافر ، ويأخذ البقية الجهات والأقارب يستخدمونهن ويعلمونهن الصنائع . وأما ١٢
الصبيان الصغار فيأخذهم الأستاذون فيربونهم ويعلمونهم الخط والرماية [d]ويموت أكثرهم لتغيير العادات[d] فمن هؤلاء « التَرَابِى » من كبر وانتشا تميَّز فى

(a) بولاق بطشة . (b) بولاق : مائة . (c-c) ساقطة من خزينة . (d-d) زيادة من خزينة .

= وسَوَاكِن وما حولها ، خوفًا على مراكب الكارم من قوم كانوا بجزائر بحر القُلْزُم هناك يعترضون المراكب ، فيحميهم الأسطول منهم ، وكان عِدّة هذا الأسطول خمسة مراكب ، ثم صارت إلى ثلاثة . وكان والى قوص هو المتولى لأمر هذا الأسطول ، وربما تولاه أمير من الباب ، ويحمل إليه من خزائن السلاح ما يكفيه » .

[1] بُطْسَة أو بَطْسَة ويقال أحيانًا بَطْشة وتجمع على بَطْسَات وبُطس . تعنى مركب للحرب أو للتجارة بلغة الأسبان . وهى سفينة عظيمة الحجم كثيرة القلوع ، وقد يصل عدد القلوع فى البُطْسَة الواحدة إلى أربعين قلعًا وكانت تختص بشحن الغلال والأقوات والمِيَر والإمدادات الحربية . (ابن واصل : مفرج الكروب ٢ : ٧٧ هـ ، النخيلى : المرجع السابق ١٤ – ١٧) . وواضح من النص أنها كانت تحمل عددًا كبيرًا من الرجال قد يصل أحيانًا إلى ألفين وخمسمائة (ابن واصل : مفرج ٢ : ١١٣ – ١١٤) .

الرماية والمعارف ، فصار أميرًا من « صبيان خاص الخليفة » منهم : غلام الله وباتكين وشومان وميمون وتروس القصريان[١] . ومن استريب به منهم ونُبّه عليه بقوة أو خبرية على المسلمين إذا وقعوا لهم ، والشيخ الذى لا يستطيع الحركة ولا يُنتفع به أُمْضى حكم السيف فيه بمكان يقال له « بِئْر المَنَامَة » فى الخراب قريب مصر[٢] . ولم يُسْمَع على الدولة قط أنها فَادَت أسيرًا بمال ولا أسير مثله . قال : وهذه الحال فى كل سنة آخذة فى الزيادة لا النقص . وقُدّم عليه مرة أميرٌ يقال له حرب بن فوز ، صاحب الحاجب لؤلؤ ، فكسب بَطْسَة حصَّل منها أحياء خمسمائة رجل فاعتمد فيها ذلك[a][٣] .

دِيوَانُ الأَحْبَاس

قال ابن الطُّوَيْر : الخِدْمَة فى ديوان الأُحْباس[٤] . وهو أوْفَر[b] الدواوين مباشرة ، ولا يخدم فيه إلّا أعيان كُتّاب المسلمين من الشهود المعدّلين بحكم أنها معاملة دينية ، وفيها عِدَّة مدبّرين[c] ينوبون عن أرباب هذه الخِدَم فى

(a) النص المثبت هو نص مخطوطة خزينة . (b) صبح : أوكد . (c) صبح وابن الفرات : مدراء .

(١) أسماء هؤلاء الأعلام غير واضحة وموجودة فقط فى مخطوطة خزينة وساقطة من بولاق .

(٢) يغلب أن يكون فى المنطقة المعروفة بعمل فوق شمال شرق الفسطاط .

(٣) النص المثبت من المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٣ و ٢ : ١٩٣ ومخطوطة خزينة ، وقارن مع القلقشندى : صبح ٣ : ٥١٩ .

(٤) لم تكن الأَحْباس تعرف قديمًا إلّا فى الرِّباع وما يجرى مجراها من المبانى . أما الأراضى فلم يكن السَّلَف يتعرضون لها ، حتى إن أحمد ابن طولون لما بنى جامعه ومارستانه وسقايته حَبَس عليها أحباسًا كثيرة كلها من الرِّباع ونحوها بمصر ولم يتعرض إلى شىء من أراضى مصر البَتّة . أما أبو بكر محمد الماذرانى فقد حبس بركة الحَبَش وأسيوط وغيرها على الحرمين وعلى جهات برّ أخرى . فلما قدمت الدولة الفاطمية إلى مصر بطَل تحبيس البلاد وصار قاضى القضاة يتولى أمر الأحباس من الرِّباع ، وإليه أمر الجوامع والمشاهد . وصار

إيجاب أرزاقهم من ديوان الرَّواتب وينجزون لهم الخروج بإطلاق أرزاقهم ، ولا يوجب لأحد من هؤلاء خرج إلَّا بعد حضور ورقة التعريف من جهة مُشَارف الجوامع والمساجد باستمرار خدمته ذلك الشهر جميعه ، ومن تأخَّر تعريفه تأخَّر الإيجاب له ، وإن تمادى ذلك استبدل به أو توفَّر ما بإسمه لمصلحة أخرى خلا جوارى المَشَاهِد[١] فإنها لا توفَّر ولكنها تُنْقل من مقصر إلى ملازم . وكان يُطْلَق لكل مَشْهَد خمسون درهمًا فى الشهر برسم الماء لزوّارها ، ويجرى من[a] معاملة سواق السبيل بالقرافة والنفقة عليها من ارتفاعه فلا تخلو المصانع ولا الأحواض من الماء أبدًا ولا يعترض أحد من الانتفاع به .

وكان فيه كاتبان ومعينان[٢] لنظم الاستيمارات ، ويورد فى استيماره كل ما فى الرِّقاع والرَّواتب ، وما يجبى له من جهات كل من الوجهين القبلى والبحرى[٣] .

الخِدْمَة فى الطِّرَاز الشَّرِيف

قال ابن الطُّوَيْر : الخدمة فى الطِّرَاز وينعت بالطِّراز الشريف[٤] ولا

(a) ابن الفرات : فى .

= للأحباس ديوان مفرد . (المقريزى الخطط ٢ : ٢٩٤ – ٢٩٥ وراجع ، محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٤٨ – ٥٩) .

[١] المَشَاهِد . انظر فيما يلى ص ١٦٨ .

[٢] المقريزى : الخطط ٢ : ٢٩٥ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٩ – ١٥٠ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٠ . وأورد ابن الفرات بعد ذلك الحديث عن الاستيمار (انظر أعلاه ص ٧٦ – ٧٩) .

[٣] هذه العبارة من صبح الأعشى فقط .

[٤] الطِّراز . كلمة فارسية مُعَرَّبة تعنى فى الأصل المُدَبَّج (البرودرى) أو المُوَشَّى أو المُزَرْكَش ، ثم أصبح يقصد بها بعد ذلك ملابس الخليفة الرسمية وأصبحت رمزًا من رموز السيادة ، فمتى تولَّى الإمام أو سُمِّى ولىّ العهد =

يتولّاه إلّا أعيان المستخدمين من أرباب العمائم أو[a] السيوف ، وله اختصاصٌ بالخليفة دون كافة المستخدمين ، ومقامه بدِمْياط وتنّيس وغيرهما وجاريه أمْيَز الجوارى ، وبين يديه من المندوبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات ٣

(a) بولاق : و .

= « نُقِش اسمه على الطِّراز » ، وتُطلق كذلك على ملابس كبار الشخصيات المطرزة وعلى الأخص المزدانة بشرائط الكتابة المزركشة . وتطلق أخيرًا على الدار التى تُصنّع هذه الملابس وهذه المنسوجات . (Bahgat , ᶜA., « Les manufactures d'étoffes en Egypte au Moyen Age » , *BIE* (1903) pp. 351 - 361 ; Grohmann , A., *EI*[1]., art. *Ṭirâz* IV , pp. 825 - 834 , Suppl . pp. 266 - 68 ; Serjeant , R. B., *Islamic Textiles* , Beirut 1972 , pp. 138 - 160 , 261 - 262 ; Marzouk , M. ᶜAb., « The Tirâz Institution in Mediaeval Egypt » in *Studies in Islamic Arts and Architecture in Honour of K. A. C. Creswell* , London 1965 , pp. 157 - 162).

وكانت العادة فى الدولة الإسلامية أن يصحب سجل تولية كبار رجال الدولة منحهم خِلْعَة أو أكثر على سبيل التشريف ، كما كانوا يمنحون على الأقل خِلْعَة فى كل مناسبة أو عيد على مدار السنة . وكانت هذه الخِلَع تصنع عادة ، فى العصر الفاطمى ، فى دار الطِّراز بدمياط وتِنّيس وشَطًا وغيرها ، والقماش الشائع استخدامه فى عملها هو عادة ما يُطلق عليه الدَّبيقى (نسبة إلى مدينة دَبِيق من ضواحى دمياط الحالية ، وكانت تقع هى وشَطًا وتونة فى الموضع الذى غمرته بحيرة المَنْزَلة الآن) . وتبعًا لما وصل إلينا من المنسوجات الفاطمية فيمكننا التمييز بين نوعين من دور الطِّراز : طراز الخاصة حيث كانت تعمل ملابس الخليفة وخواصه . Combe , E., & Wiet , G., *RCEA* n°.) 1852 , 1886 , 1899 , 1924 , 1957 , 2013 , 2023 . 2045 , 2053 , 2055) وطراز العامة حيث كانت تعمل ملابس بقية رجال الدولة (*Ibid.*, n°. 2041 , 2048 , 2056) .

راجع كذلك ، Wiet , G., « Un nouveau tissu fatimide », *Orientalia* V (1936), pp. 388 ; Kühnel , E. & Bellénger , L., *Catalogue of Dated Tiraz Fabrics in the Textile Museum* , Washington 1952; Marzuk, M. ᶜAbd al - ᶜAziz, « Four Dated Tiraz Fabrics of the Fatimid Kalif al - Zâhir », *Kunst des Orients* II (1955), pp. 45- 51; El- Habib, Mustafa , « Notes sur un Tiraz au nom de Abil- Mansûr al - ᶜAzîz bil - Lâh , le Fatimide (365 - 386 H. / 975 - 996 ap. J. C.)», *La Revue du Louvre* 23° année (1973) , pp. 299 - 302 ; Lombard , M., *Les Textiles dans le Monde musulman du VII au XII siècle* (Etudes d'Economie Médiéval III), Paris 1978, pp. 164- 166; Bierman , I., *Art and Politics : The Impact of Fatimid Uses of Tiraz Fabrics* , Ph. D. Dissertation , The Univ. of Chicago 1980.

بالقُرَى وله عُشَارى دِيمَاس مجرَّد معه وثلاثة مراكب من الدُّكَّاسات[١] ولها رؤساء ونواتية لا يبرحون ، ونفقاتهم جارية من مال الديوان .

٣ فإذا وصل بالاستعمالات الخاصة التى منها المِظَلَّه وبدلتها والبَدَنَة واللِّباس الخاص الجُمَعِىّ وغيره لُقِىَ[a] بكرامة عظيمة وقُدِّم[b] له دابة من مراكيب الخليفة لاتزال تحته حتى يعود إلى خدمته . وينزل فى « الغَزَالة »[٢] على ٦ شاطىء الخليج ، وكانت من المناظر السلطانية ، [c]وجَدَّدها شُجاع بن شاور[c] . ولو[d] كان لصاحب الطِّراز فى القاهرة عشرة دور لا[e] يُمَكَّن من نزوله إلّا بالغَزَالة . وتجرى عليه الضيافة كالغرباء الواردين على الدولة ٩ فيمثل[f] بين يدى الخليفة بعد حَمْل الأَسْفاط المشدودة على تلك الكساوى العظيمة ، ويعرض جميع ما معه وهو يُنَبِّه على شىء فشىء بيد فَرَّاشى الخاص فى دار الخليفة[g] ومكان سكنه ، ولهذا حُرْمة عظيمة ولا سيما إذا وافق ١٢ استعماله غرضهم . فإذا انقضى عَرْض ذلك بالمدرج الذى يحضره سلم

(a) بولاق : هيىء . (b) بولاق وليدن : ندب . (c) ساقطة من خزينة . (d) بولاق : وإن . (e) خزينة : فلا . (f) بولاق : فيتمثل . (g) الواو ساقطة من بولاق وليدن .

[١] دُكَّاسة جـ . دُكَّاسات : ولم يرد هذا المصطلح فى أى مصدر سوى ما ذكره ابن الطُّوَيْر هنا . ويبدو من وصفه أنه يدل على نوع من المراكب النيلية المخصصة لاستخدام كبار رجال الدولة فى العصر الفاطمى .

[٢] منظرة الغزالة . أحد مناظر الفاطميين المطلة على الخليج ، كانت بجوار منظرة اللؤلؤة فى مقابل حمام ابن قِرْقَة . كانت فى أول الأمر سكنًا للأمير أبى القاسم بن المستنصر والد الخليفة الحافظ ، ثم سكنها أبو الحسن ابن أبى أسامة كاتب الدَّسْت ، ثم صارت تخصص – ابتداء من العقد الثانى للقرن السادس – لنزول من يتولى الخدمة فى الطراز عند حضوره إلى القاهرة . وأصبح موضعها فى زمن المقريزى رَبْعٌ يعرف بِرَبْع غَزَالة إلى جانب قنطرة الموسكى فى حدِّها الشرق . (ابن المأمون : أخبار ٩٨ و ١٠٠ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٩ ، على مبارك : الخطط ٣ : ٢٧٠) . وهو يعادل الآن المنطقة الواقعة شمال تقاطع شارع الأزهر مع شارع بور سعيد .

لمستخدم خزائن[a] الكُسْوات[١] وخلع عليه بين يدى الخليفة باطنًا ، ولا يخلع على أحدٍ كذلك سواه ، ثم ينكفىء إلى مكانه .

٣ وله فى بعض الأوقات التى لا يتَّسع له [فيها] الانفصال « نائبٌ » يصل عنه بذلك غير غريب منه ، ولا يمكن أن يكون إلّا ولدًا أو أخًا فإن الرتبة عظيمة . والمطلق له من الجامكية فى الشهر سبعون دينارًا ، ولهذا النائب
٦ عشرون دينارًا لأنه يتولّى ذلك[b] عنه إذا وصل بنفسه ، ويقوم إذا غاب فى الاستعمال مقامه .

ومن أدواته أنه إذا عبأ ذلك فى الأسْفاط استدعى والى ذلك المكان ليشاهده
٩ عند ذلك ، ويكون الناس كلهم قيامًا لحلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة فى مجلس دار الطِّراز ، وهو جالس فى مرتبته والوالى واقف على رأسه خدمة لذلك . وهذا من رسوم خدمته وميزتها[٢] .

١٢ قال [ابن الطُّوَيْر] : ومبلغ ما يُنْفق فى دار الطِّراز للاستعمالات الخاص وغيرها فى كل سنة عشرة آلاف دينار ، وذلك من خزائن الكُسْوات[٣] .

(a) من خزينة . (b) من خزينة .

---

[١] انظر فيما يلى ص ١٢٨ .

[٢] المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٩ – ٤٧٠ .
وانظر كذلك ابن مماتى : قوانين الدواوين ٣٣٠ – ٣٣١ ، محمد عبد العزيز مرزوق : الزخرفة المنسوجة ٤٦ – ٤٩ ونقل سرجنت هذه الفقرة إلى الإنجليزية فى كتابه Serjeant, R. B., *Islamic Textile* p. 152.

[٣] المقريزى : الخطط (خ . خزينة) ٦٣ ظ .

أربابُ الوظائفِ بالدّولةِ الفاطِميّة

أرْبابُ الأقْلام

الـوَزَارَة

٣

[اعلم أن أكثر وزرائهم فى ابتداء دولتهم إلى أثناء خلافة المُسْتَنْصر كانوا من أرْباب الأقْلام : تارة وزارة تامة وتارة وَسَاطَة ، وهى رُتْبَةٌ دون الوزارة ؛ وممن اشتهر من وزرائهم أرباب الأقلام] فيما ذكره ابن الطُّوَير : يعقوب بن كِلّس وزير العزيز ، والحسن بن على بن عبد الرحمٰن[a] اليازورى وزير المستنصر ، وأبو سَعْد التُسْتَرى ، والجَرْجَرَائى ، وابن أبى كُدَيْنة ، وأبو الطاهر أحمد بن بابْشَاذ صاحب « المُقَدِّمَة فى النحو » ، ووزير الوزراء على بن فَلَاح ، والمَغْربى وزير المستنصر وهو آخر مَنْ وَزَر لهم من أصحاب الأقلام ، وعليه قَدِم أمير الجيوش بدرٌ الجمالى فَوَزَر للمستنصر[1] ... ؛ وربما تخلَّل تلك المدة الأولى فى الوَسَاطة أرباب السيوف كبَرْجَوان الخادم ، وقائد القوَّاد الحُسَيْن ابن جَوْهر ، وثقة ثقات السيف والقلم علىّ بن صالح ، كلهم فى أيام الحاكم . وربما وَلِىَ الوَسَاطة بعض النَّصَارى كعيسى بن نَسْطورس فى أيام العزيز ، ومنصور بن عبدون المُلَقَّب بالكافى ، وزُرْعَة بن نَسْطورس الملَقَّب بالشَّافى كلاهما فى أيام الحاكم ، وربما كان الأمر شورى فى أهل المروءات[b][2] .

٦ ٩ ١٢ ١٥

(a) فى صبح : الحسن بن عبد الله . (b) فى صبح : المروادى .

---

[1] كان الوزير عندما قدم بدر الجمالى هو الحسن بن ثقة الدولة على بن أسعد بن أبى كُدَيْنة . (ابن الصيرفى : الإشارة ٨٩ – ٩٠) .

[2] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٥ – ٤٨٦ وقارن المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ وانظر المقدمة ، وابن الصيرفى : الإشارة .

قال ابن الطُّوَيْر : وكان من زىّ هؤلاء الوزراء أنهم يلبسون المناديل الطبقيات ، "يعنى العمائم بالأحناك تحت حلوقهم مثل العُدُول" الآن ، وينفردون بلبس ثياب قِصَار[b] يقال لها « الدَّرَاريع »[١] واحدها « دُرَّاعَة »[c] ، وهى مشقوقة أمام وجهه إلى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعرى . ومنهم مَنْ تكون أزراره من ذهب مُشَبَّك ، ومنهم مَنْ تكون أزراره لؤلؤ ، وهذه عَلامة الوَزَارة . وتحمل له الدَّواة المحلاة بالذهب ، ويقف بين يديه الحجَّاب ، وأمره نافذٌ فى أرباب السيوف من الأجناد وأرباب الأقلام ، وكان آخرهم الوزير ابن المغربى[٢] الذى قَدِمَ عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عَكَّا ووَزَر للمستنصر وزير سيف ولم يتقدَّمه فى ذلك أحد[٣] .

(a-a) العبارة المثبتة من خزينة . (b) كلمة غير واضحة فى ليدن وساقطة من ميونخ وخزينة .
(c) ميونخ : مدرعة .

---

[١] دُرَّاعة جـ . دَرَاريع . هى اللباس المعروف بالجُبَّة أو الفَرَجِيَّة وهى من خصائص لباس المشايخ وأرباب العمائم فى العصور المتأخـــرة . (Mayer , L. A., *Mamluk* Costume , Genève 1952 , p. 15 - 16).

[٢] الوزير أبو الفرج محمد بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين المغربى أحد أفراد أسرة لعبت دورًا كبيرًا فى الحياتين السياسية والأدبية فى العراق ومصر فى القرنين الرابع والخامس . تولى الوزارة أول مرة فى ربيع الأول سنة ٤٥٠ عوضًا عن أبى الفرج عبد الله بن محمد البابلى إلى أن صرف فى سنة ٤٥٢ . وهو أول من اقترح تولية الوزراء إذا صرفوا بعض الدواوين ، فقد كان الوزراء إذا صرفوا قبل ذلك لم يُستخدموا ، فوَلِىَ ديوان الإنشاء وهو الذى ساعد الخليفة المستنصر فى استدعاء بدر الجمالى وهو يتولى ديوان الإنشاء ، أما الوزير الذى قدم عليه بدر الجمالى فهو ابن أبى كدينة . (ابن الصيرفى : الإشارة ٨٣ – ٨٥ ، ابن ميسر : أخبار ١٨ ، ٢٢ ، ٢٥ ، ٣٤ ، ٤٧ ، ٥٥ ، المقريزى : الخطط ٢ : ١٥٨ والاتعاظ ٢ : ٢٥١ ، المناوى : الوزارة فى العصر الفاطمى ٢٥٨ ، محمد كريم إبراهيم : بنو المغربى ودورهم السياسى والإدارى خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين (رسالة ماجستير مقدمة لكلية الآداب – جامعة بغداد ١٩٧٦) ٣٢٦ – ٣٥٠) .

[٣] المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٦ .

أُرْبَابُ العَمَائِم

قَاضِى القُضَاة

أما قاضى القُضَاة فله النَّظَر فى الأحكام الشرعية ، فلما صارت الوزارة ٣
إلى أرباب السيوف كان [الوزير] يُقلِّد القضاة نيابة عنه ، وإن لم يكن ثَمّ
وزيرٌ رب سيف كان تقليده من الخليفة . والقاضى أجلّ أرباب العمائم وأرباب
الأقلام رتبة ، وتارة يكون داعى الدعاة ، وتارة تُفْرد الدعوة عنه ، ولا يخرج ٦
شيء من الأمور الدينية عنه . ويجلس فى يومى الثلاثاء والسبت بزيادة جامع
عمرو بن العاص بمصر[1] ، وله طُرَّاحة ومَسْنَد حرير ، فلما ولى ابن أبى
عقيل[2] القضاء ودخل إلى المجلس ووجد المَرْتَبَة أمر برَفعها وجلس على ٩
طُرَّاحات السامان فاستمر هذا الرَّسْم . ويجلس الشهود حواليه يَمْنَة ويَسْرَة
بحسب تاريخ عدالتهم ، قال ابن الطُّوَيْر : حتى يجلس الشاب المتقدّم التعديل
أعلى من الشيخ المتأخر التعديل . وبين يديه خمسة من الحُجَّاب : إثنان بين ١٢
يديه واثنان على باب المقصورة وواحد يُنفِذ الخصوم إليه . وله أربعة من المُوَقِّعين
بين يديه إثنان يقابلان اثنين . وله كرسى الدَّواة ، وهى دواة محلّاة بالفِضَّة تُحْمَل
إليه من خزائن القصور ، ولها حاملٌ بجامكية فى الشهر على الدولة . ١٥

ويقدَّم له من الاصْطَبْلات ، برسم ركوبه ، على الدَّوام بَغْلَةٌ شهباء وهو
مخصوص بهذا اللون من البغال دون أرباب الدولة ، وعليها من خزانة السُّروج

---

[1] قارن ، ناصر خسرو : سفرنامة ١٠٢ ، المقريزى : إغاثة الأمة ١٨ والمقفى (مخ . السليمية) ٣٦٢ ظ . والزيادة المقصودة هى الزيادة البحرية الشرقية . (الخطط ٢ : ٢٥٣ س ٢٤) وكان لهذه الزيادة بابان أحدهما بسورها يؤدى منها إلى سوق النحّاسين ، والثانى يؤدى منها إلى الجامع ؛ وكان سقف هذه الزيادة محمولًا على ١٥ عمودًا . (محمود أحمد : جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ٩٣ - ٩٤) .

[2] انظر فيما يلى ص ١٨٠ .

مركب ثقيل وسرج برادفتين من الفِضَّة ومكان الجلد حرير . وتأتيه فى المواسم الأَطْوَاق وتُخْلَع عليه الخِلَع المُذْهَبَة بلا طَبْل ولا بوق إلَّا إذا كان قد ولى ٣ الحُكْم والدَّعْوة ، فإن للدعوة فى خِلَعِها الطبل والبوق والبنود الخاص ، وهى نظير البُنُود التى يُشَرَّف بها الوزير صاحب السيف . وإذا كان للحُكْم خاصة كان حواليه القُرَّاء رجَّالة وبين يديه المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة أو الخليفة ٦ والوزير ، إن كان ثم وزير صاحب سيف . ويحمل بنُوَّاب الباب والحجَّاب ولا يتقدَّم عليه أحد أو يحتمى عليه فى محضر هو حاضره من رب سيف وقلم ، ولا يحضر لا مِلَاك ولا جَنَازَة إلَّا بإذن . ولا سبيل إلى قيامه لأحد وهو فى ٩ مجلس الحُكْم ، ولا يعدَّل شاهد إلَّا بأمره ، فلا تثبت إذا أُذِن له فى إنشائها لأحد حتى يزكّيه عشرون عدلًا من عدول البلد بين مصر والقاهرة ويرضاه الشهود كلهم .

١٢ وقد كان جرى ذلك فى أيام الأَفْضَل بن أمير الجيوش فى رجل يقال له على الفارسى . فإن كان فى الدولة وزير سيف لا يخاطب حينئذ من يتولى الحكم بقاضى القضاة فإنه من نعوت الوزير . ويجلس [القاضى] بالقصر فى يومى ١٥ الاثنين والخميس أول النهار للسلام على الخليفة ، ونوّابه لا يفترون عن الأحكام ، ويحضر إليه وكيل بيت المال[١] .

قال ابن الطُّوَيْر : وكان له – يعنى قاضى القضاة فى الدولة – النظر فى ١٨ دار الضَّرب لضَبْط ما يضرب من الدنانير لسبب كان متقدّما[a] وهو : إنه

(a) فى صبح : قال ابن الطوير ، فى الكلام على ترتيب الدولة الفاطمية بالديار المصرية فى سياقه الكلام على وظيفة قضاء القضاة : وسبب خلوص الذهب بالديار المصرية ما حكى أن ...

---

[١] المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٣٦ – ٣٣٧ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٣٧ – ١٣٨ وقارن الخطط ١ : ٤٠٣ – ٤٠٤ وصبح الأعشى ٣ : ٤٨٢ .

نُقِل عن ابن طولون أنه كان له إلمامٌ بعَيْن شَمْس مكان الحجارة التى يسمونها المسال ، وأن يد فرسه ساخت يومًا فى أرض صَلْدة فعجب من ذلك وأمر بحفر ذلك المكان فوجد الخبيئة المشهورة وهى فى قبو عظيم فيه خمسة نَوَاويس ، ٣
فكشفها فوجد فى الأوسط منها ميتا فى عسل نحل[a] على صدره لوحٌ لطيف من ذهب فيه كتابة لا تُعْرَف ، وكل من النواويس مملوء بالسبائك الذهب ،
فنقل ذلك ودفن الميت وأخذ اللوح فما وجد من يحله ، فقيل : إن بدَيْر العَرَبَة راهبًا ٦
شيخًا معمرًا وقد كان يُعْنى بهذا ، فأمر بإحضاره فقيل : إنه ما ينهض فاستدعى رجلًا من عدول مصر يقال له ابن عَمْروس قد فتح له اللَّوْح ، وندب
معه قومًا . فمضى إلى مكان الراهب فلطف به وأطلعه على سبب حضوره إليه . ٩
فلما وقف على اللوح قال ، نعم هذا يقول : أنا أكبر الملوك وذهبى أخلصُ الذهب . فسطر هذا وعاد إلى أحمد بن طولون . فلما علم ذلك قال : قبَّح
الله من يكون هذا الكافر من أكبرَ منه ولا[b] ذهبه أخلص من ذهبه . ١٢
فاستدعى أهل الخبرة لاستخلاص الذهب ، وأقام دار الضرب فكان يتولّاها بنفسه ، ويحصل إليه ما يعلَّق منها فى النار بختمه ويفتحه ويتحرى العيار ، فإذا
صحّ له أمر بضربه دنانير . ولم يزل على ذلك حتى مات ، فاعتمد ابنه خمارويه ١٥
ذلك بعده . فلما انتقلت البلاد إلى الخلفاء ، لم يسعهم مباشرة هذه الأمور بأنفسهم فسندوها إلى قاضى القضاة ، فكان القاضى يحضر التعليق بنفسه ويختم عليه
ويحضر للموعد الآخر لفتحه[1] . وكان القاضى لا يُصْرف إذا وُلّى إلّا بجُنْحَة ، ١٨
وكانت السلطنة لا تمكّن أحدًا يحتال على الشرع ، ومن جنح إلى ذلك أُدِّب .

(a) صبح : مُصَبَّرا فى عسل . (b) صبح : أو .

---

[1] هذه الفقرة ساقطة من بولاق ومخطوطات الخطط وموجودة فقط فى مخطوطة خزينة . ونقلها كذلك ابن الفرات فى الملخص الذى نقله عن ابن الطُّوَيْر وذكر فيه ترتيب الدولة الفاطمية (ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٣٨ - ١٣٩) وهى غير موجودة فيما نقله المقريزى فى الاتعاظ عن ابن الطُّوَيْر حول نفس الموضوع ، وأوردها القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦١ - ٤٦٢ فى حديثه عن الذهب الذى يضرب فى دار الضرب .

دَاعِى الدُّعَاة

قال ابن الطُّوَيْر : وأما داعى الدُّعاة فإنه يلى قاضى القضاة فى الرتبة[a]
٣ ويتزيًّا بزيه فى اللباس وغيره ، ووصفه[b] أنه يكون عالمًا بجميع مذاهب أهل
البيت ، يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه إلى مذهبهم ، وبين
يديه من نقباء المؤمنين[c] إثنا عشر نقيبًا ، وله نُوَّاب كنُوَّاب الحُكْم فى سائر
٦ البلاد ، ويحضر إليه فقهاء الدولة ، ولهم مكان يقال له « دار العِلْم »[1]
ولجماعة منهم على التصدُّر[d] بها أرزاق واسعة . وكان الفقهاء منهم يتفقون

(a) خزينة : فإنه يليه فى الرتبة ، يعنى يلى قاضى القضاة فى رتبته . (b) خزينة وابن الفرات : ووضعه . (c) بولاق : المعلمين . (d) بولاق : التصدير .

---

[1] دار العِلْم . كانت تعرف فى الأصل باسم « دار الحِكْمَة » أنشأها الخليفة الحاكم بأمر الله وافتتحت يوم السبت العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلاثمائة فى الجهة البحرية للقصر الصغير الغربى ملاصقة له . وكان يُدْخل إليها من أحد أبوابه المعروف بباب التبَّانين الذى عرف فيما بعد بقبو الخُرُنْفُش فى مقابلة الجامع الأقمر الآن . ولا تفيدنا المصادر فى معرفة متى تحوّل اسمها إلى « دار العِلْم » ، وأغلب الظن أن ذلك حدث بعد أن تولاها داعى الدعاة المؤيد فى الدين هبة الله الشيرازى فى سنة ٤٥٠ والذى دُفِن بها عند وفاته سنة ٤٧٠ . ولا نعرف أى شيء عن الدور الذى لعبته « دار الحِكْمة » وبعد ذلك « دار العِلْم » منذ عهد الخليفة الحاكم وإلى سنة ٥١٣ عندما جرت نَوْبَة الفُصَّار فى زمن الوزير الأفضل شاهنشاه الذى أبطل بسببها دار العِلْم .

وفى ربيع الأول سنة ٥١٧ أعاد الوزير المأمون البطائحى فتح دار العِلْم بأمر الخليفة الآمر ، ولكنه امتنع عن إقامتها فى موضعها القديم وأقامها مكان دار كانت فى ظهر خزانة الدَّرَق بالقرب من باب تربة الزَّعْفران – أحد أبواب القصر الفاطمى الكبير الجنوبية . وقد زال موضعها بعد زوال الدولة الفاطمية وأصبح يقوم فى موضعها فى زمن المقريزى دار كبيرة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبًا من خان الخليلى بخط الزراكشة العتيق . (ابن ميسر : أخبار ٩٥ – ٩٦ وما ذكر من مصادر وانظر كذلك . Eche , Y., *Les bibliothèques arabes publiques et sémi - publiques en Mésopotamie , en Syrie et en Egypte au moyen âge*, pp. 74 - 97).

على دَفْتَر يقال له « مَجْلس الحِكْمَة »[١] يقرأ[a] فى كل يوم اثنين وخميس ويُحْضَر مبيضًا إلى داعى الدعاة فينفذه إليهم ويأخذه منهم ويدخل به إلى الخليفة فى هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه إن أمْكَن ويأخذ علامته بظاهره ، ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين فى مكانين : للرجال على كرسى الدعوة بالإيوان الكبير ، وللنساء بمجلس الداعى ، وكان من أعظم المبانى وأوسعها . فإذا فَرَغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا إليه لتقبيل يديه فيمسح

(a) من الاتعاظ .

[١] مجالس الحِكْمَة أو الحِكَم . هى المجالس التى كان يعدها ويلقيها مرتين فى الأسبوع داعى الدعاة باسم الخليفة على المؤمنين سواء فى المُحَوَّل (وهو مجلس الدَّاعى بالقصر - المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٠ - ٣٩١) أو على كرسى الدَّعْوة بالإيوان الكبير أو فى الجامع الأزهر . وقد جاء فى سجل أورده على بن خلف فى « مواد البيان » بالدعوة للدولة والمشايعة لها والموافقة على مذهبها ، أمْر الخليفة إلى الداعى يقول : « واتْلُ مجالس الحِكَم التى تخرج إليك فى الحضرة على المؤمنين والمؤمنات والمستجيبين والمستجيبات فى قصور الخلافة الزاهرة والمسجد الجامع بالمعزية القاهرة » ... « واقبض ما يحمله المؤمنون لك من الزكاة والنجوى والأخْمَاس والقُرُبات وما يجرى هذا المجرى » . (مواد البيان ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، القلقشندى : صبح ١٠ : ٤٣٧ ، ٤٣٨) .

وكانت هذه المجالس من مفردات الدولة الفاطمية وأبطلها السلطان صلاح الدين فى سنة ٥٦٦ ضمن خطَّة الإصلاح السنى التى بدأها فى هذه السنة . (المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٢٠) .

ومن أشهر هذه المجالس « المَجَالِس المُؤَيدية » وهى ثمانمائة مجلس ألقاها المؤيد فى الدين هبة الله الشِّيرازى داعى الدُّعاة فى فترة توليه الدعوة بين سنتى ٤٥٠ و ٤٧٠ ، نُشِر المائة مجلس الأولى منها فى لاهور بباكستان سنة ١٩٧٨ ثم نَشَر مصطفى غالب ثلاثمائة مجلس منها فى بيروت - دار الأندلس ١٩٨٢ - ١٩٨٤ ، وكذلك « المجالس المستنصرية » للداعى الموسوم بعلم الإسلام ثقة الإمام عبد الحكيم بن وهب المليجى والمنسوبة خطأً إلى بدر الجمالى ، وقد نشرها محمد كامل حسين فى القاهرة - دار الفكر العربى ١٩٤٦ . وراجع نماذج لهذه المجالس عند محمد كامل حسين : فى أدب مصر الفاطمية ٥٤ - ٦٢ ، أما كتاب « المجالس والمسايرات » للقاضى النعمان بن حَيُّون (تونس ١٩٧٨) فهو أشبه بتقرير عن المجالس التى كان يحضرها الخليفة المعز . (راجع Madelung , W., *EI²*., art *Madjlis* IV, p. 1029).

على رؤسهم بمكان العلامة[١] – أعنى خط الخليفة – وله أُخذ النَجْوَى[٢] من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لا سيما الصَّعيد ، ومبلغها ثلاثة دراهم وثُلْث ، فيجتمع من ذلك شيء كثير يحمله إلى الخليفة من يده[a] بينه وبينه وأمانته فى ذلك مع الله تعالى ، فيفرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه وللنقباء معه[b] . وفى الإسماعيلية المموِّلين مَنْ يحمل ثلاثة وثلاثين دينارًا وثلثى دينار على حكم النَجْوَى وصحبة ذلك رُقْعَة مكتوبة باسمه فيتميَّز فى المُحَوَّل فيخرج له عليها خط الخليفة « بارَك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك » فيدّخر ذلك ويُفَاخر[c] به .

وكانت هذه الخِدْمَة متعلِّقة بقوم يقال لهم بنو عبد القَوى[٣] أبًا عن جد آخرهم الجليس ، [d]وكان الأفضل بن أمير الجيوش نفاهم إلى المغرب ، فوُلِد الجليس بالمغرب وربى به ، وكان يميل إلى مذهب أهل السنة ، ووَلِىَ القضاء مع الدعوة وأدركه أسد الدين شيركوه وأكرمه وجعله واسطةً عند الخليفة العاضد ، وكان قد حَجَر على العاضد ، ولولاه لم يبق فى الخزائن شيء لكرمه وكأنه علم أنه آخر الخلفاء[d][٤] .

(a) بولاق : بيده . (b) ساقطة من بولاق . (c) بولاق : ويتفاخر . (d-d) هذه العبارة أكثر اختصارًا فى خزينة ولكنها تحمل نفس المعنى وأضاف إليها المقريزى : « ووظيفة داعى الدعاة لا أعرفها فى دولة من الدول إلّا فى دولة الخلفاء الفاطميين بمصر خاصة » .

---

[١] عن العَلامَة انظر أعلاه ص ٨٩ .

[٢] النجوى . اتخذها الإسماعيليون من قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَـٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ﴾ [الآية ١٢ سورة المجادلة] .

[٣] انظر فيما يلى ص ١٢٧ .

[٤] المقريزى : الخطط ١ : ٣٩١ وقارن الاتعاظ ٣ : ٣٣٧ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٣٩ – ١٤٠ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٣ .

نِقابَة الأَشْرَاف الطَّالِبيين

أما نقيب الأَشْراف[١] فيُعَيَّن من هذه الطائفة وأجلّهم سمعة . وكان نقيبهم قد توفى فى أيام الأَفْضَل الوزير فخرج أمره إلى النقباء ، وعِدّتهم على ما تقرَّر إثنا عشر ، بأن يرفعوا ورقه[a] بأسماء شيوخ القوم . فلما رُفعت إليه قال : هل بقى أحدٌ ؟ قالوا : رجلٌ واحد وهو أَسَنُّهم . فسأل[b] عن سبب التأخير ، فقيل إن به بَرَصًا ؛ فقال : هذا هو النقيب ، وما يقال له ؟ قالوا : أبو إسماعيل . فأحضره وأَخْلَع عليه للنقابة وله فى الخَلْع الطَّبْل والبُوق والبُنُود مثل الأمراء ، فقيل للأَفْضَل : لِمَ هذا ؟ فقال : هذه النقابة يحضر[c] إلى متوليها الأبكار وغير الأبكار والأرامل ومن أولادهم من[d] هو مستحسن ، فيكون أمره مقصورًا على تنفيذ أمورهم ظاهرًا وباطنًا ، وربما يقوم منه[e] فى السر قلب من يحضر إليه فتحصل نزاهة على نزاهة .

ولهذه النِّقابة ميزة ، ولصاحبها النَّظَر فى أمور هذه الطائفة ومنع من يدخل فيهم من الأدعياء . وهم مُنَزَّلون عنده فى جريدة ، ونظيرها فى ديوان الرَّواتب ،

(a) ساقطة من ش . (b) فى ش : قال . (c) فى ش : تحضر . (d) فى ش : من أولادهم ومن . (e) ساقطة من ش .

---

[١] هذا نوعٌ من شرف الدم أوجده الإسلام فى آل بيت رسول الله ﷺ ، فكان كل من الطالبيين والعباسيين أو العلويين يخاطب بالشريف ، وكان لهم منذ العهد الأول للإسلام نقيب بتولى أمورهم .

وكان نقيب الطالبيين (الأشراف) فى مصر فى أول عهد الفاطميين هو أبو عبد الله محمد بن على بن إبراهيم الرَّسّى ، وقد أورد المُسَبِّحى نص السجل الذى أصدره الخليفة الظَّاهر لإعزاز دين الله فى جمادى الأول سنة ٤١٤ إليه بإمضاء أمره كنقيب نقباء الطالبيين وتمكينه من التصرف فى مصالحهم . (المسبحى : أخبار ٦ – ٩ وانظر كذلك ابن ميسر : أخبار ٩٠ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ٧٣ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ١٣٣ ، ١٤٨ ، ١٦١ ، ٢٤١) .

كذلك أورد القلقشندى نص تقليد بنقابة العلويين لا يُعْلَم تاريخه (صبح ١٠ : ٣٩٧ – ٤٠١) وعَهْد إلى شريف لا يعلم تاريخه أيضًا . (صبح ١٠ : ٣٩٦ – ٣٩٧) .

فمن مات وَضَعه ، ومن وُلِد أثْبَتَه بعد علم صحة الولادة بقرائن الأحوال .
وإذا ارتاب بأحدٍ أخذه بإثبات ذلك[a] بمن يوثق به من جيرانه ، ثم ينزل فى وقته
فى الجريدة المقدّم ذكرها . ولهم أوقافٌ : ربَاع[1] وغيرها والنصف من بِرْكَة ٣
الحَبَش[b][2] والنصف الثانى للأقارب[3] ، وبَلْقس[c][4] مضافة إلى الفريقين ؛
ووُقِفَت عليهم بأجمعهم فى أيام الصالح [طلائع] بن رُزِّيك للمقيمين بمصر

(a) صبح : نسبه . (b) فى ش : الجيش . (c) ساقطة من ش .

---

[1] عن الرِّباع انظر أعلاه ص ٩٣ .

[2] بركة الحَبَش . كانت تقع جنوب مدينة الفسطاط فيما بين النيل والجبل . عرفت ، كما يذكر ابن دقماق والمقريزى ، « ببركة المَعَافِر و بركة حِمْيَر وباصطبل قرة واصطبل قامش وبركة الأشراف وهو الاسم الذى اشتهرت به . (الانتصار ٤ : ٥٥ ، الخطط ٢ : ١٥٢) . وعُرِفَت ببركة الأشراف ، دون شك ، بعد أن استولى عليها الصالح طلائع بن رُزِّيك (٥٤٩ - ٥٥٦) وأوقفها على السادة الأشراف . (الانتصار ٤ : ٥٦) .

ولم تكن هذه البركة عميقة فيها ماء راكد بالمعنى المفهوم الآن من لفظ بركة ، وإنما كانت تطلق ، كما يقول محمد رمزى ، على حوض من الأراضى الزراعية التى يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنويًا بواسطة خليج بنى وائل ، الذى كان يستمد ماءه من النيل جنوبى الفسطاط ، فكانت الأرض وقت أن يغمرها الماء تشبه البرك ولهذا سميت بركة . وبعد انصراف الماء عنها فى أعقاب الفيضان تنكشف أرضها ولا تحتاج إلى الحَرْث للينها . (النجوم الزاهرة ٦ : ٣٨٢) يؤكد ذلك ما ذكره ابن سعيد المغربى يقول : وعاينت من هذه البِرْكة أيام فيض النيل عليها أبهج منظر ، ثم زرتها أيام غاض معظم الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط والكتان تفتن الناظر . (المغرب ١٠ ، الخطط ٢ : ١٥٥ وراجع أمية بن أبى الصلت : الرسالة المصرية ٢٠ - ٢١) .

[3] أى الأشراف الأقارب وهم أهل البيت الفاطمى . وقد أورد القلقشندى نص تقليد بزم الأقارب ، وهو التقدمة على أقارب الخليفة . (صبح ١٠ : ٣٩٤) .

[4] بَلْقس الأشراف . قرية قديمة ذكرها ابن ممّاتى ضمن أعمال الشرقية (قوانين ١١٠ س ٢) وذكرها ابن الجيعان ضمن أعمال القليوبية (التحفة السنية ٦ س ٢١) ، وسمّاها المقريزى فى السلوك ١ : ٨٦٤ - ٨٦٥ بَلْقس الأشراف . هى الآن من بين قرى محافظة القليوبية شمالى بهتيم وهى تابعة لمركز قليوب وكانت قبلًا من قرى مركز شبرا الخيمة . (على مبارك ، الخطط ٩ : ٧٩ - ٨٠ ، محمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ٢ ج ١ ص ٥٥) .

أما تسميتها باسم بَلْقس الأشراف فيرجع إلى أن الصالح طلائع بن رُزِّيك (٥٤٩ - ٥٥٦) أوقفها على جماعات من الأشراف على أن =

والقاهرة من أولاد الحسن والحسين بن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنهم . والرِّباع مختصَّة بالطالبيين ، ولهذه المعاملة ديوان ومُشَارِفٌ وعامل .
وللنقيب نائب عنه ملازم الديوان . ويُحَصِّل[a] ما يستخرج من المال فى ٣
صندوق تحت يد المُشارف . وكان لا يُندب لهذا الديوان إلَّا العدول الشيوخ ليشاركوا النقيب فى مباشرة النساء وغير ذلك . ولا يُقْطَع أمر ولا تُؤْجر إجارة
ولا تُعْمر عمارة إلَّا بعد موافقة شيوخ هذه الطائفة ، ويُكْرِم شيوخهم ويتودَّد ٦
إلى شبانهم[b] ، وله تثقيف من سفَّه نفسه ويردعه عن أذية غيره باللوم والهيبة والأدب الخفيف إن احتاج إليه .

فإذا اجتمع[c] لهم حاصل من وجوه ارتفاع وقفهم أُنْفِقَه فيهم فتارة فى ٩
الديوان ، لأن الرجال يقبضون لمن تحت حوطتهم من النساء، ويحضر النفقة صاحب ديوان مجلس الرَّواتب .

وعلى النقيب أن يعود مَرْضاهم ويسعى فى حاجاتهم ويُشَيِّع[d] جنائزهم ١٢
كواحد منهم ، وله مَزِيَّةِ النقابة لا غير وله عشرون دينارًا، ولمشارف الديوان عشرة دنانير ، ولنائب النقابة ثمانية دنانير وللعامل خمسة دنانير[1] .

المُحْتَسِب ١٥

[كانت دِكَّة الحِسْبَة فى مدة الخلفاء الفاطميين بمكان مفرد تعرف به ، وموضعها الآن فيما بين المكان المعروف بالأبازِرَة والمكان المعروف بمَكْسَر

---

a) فى ش : ويجعل . b) فى ش : شأنهم . c) ش : ارتفع . (d) صبح : حوائجهم ويمشى فى .

= يكون ثلثاها على الأشراف الحسنيين والحسينيين ، وسبع قراريط منها على أشراف المدينة النبوية وجعل منها قيراطًا على بنى معصوم إمام مشهد على رضى الله عنه . (ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٤٥ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٩٤) .

(١) ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٥ - ١٤٦ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨١ - ٤٨٢ .

الحَطَب بجوار سوق القَصَّارين ولم تزل هناك إلى آخر وقت][١] .

قال ابن الطُّوَيْر : وأما الحِسْبَة فإن من تُسْنَد إليه لا يكون إلّا من وجوه
٣ المسلمين وأعيان المعدِّلين ، لأنها خِدْمَة دينية[٢] . وله استخدام النوَّاب عنه
بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنوَّاب الحُكْم ، وله جلوس[a] بجامعى
القاهرة ومصر يومًا بعد يوم ، ويطوف نوَّابه على أرباب الحِرَف والمعايش
٦ وغيرها ، ويأمر نوَّابه بالخَتْم على قدور الهَرَّاسين ونَظَر لحمهم ومعرفة من جزَّاره
وكذلك الطبَّاخين ، ويتتبَّعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ، ويلزمون
رؤساء المراكب أن لا يحملوا أكثر من حدّ[b] السلامة ، وكذلك مع
٩ الحمَّالين على البهائم ، ويأخذون[c] السقَّائين بتغطية الرَّوايا بالأكسية . ولهم
عِيَارٌ وهو أربعة وعشرون دلوًا كل دلو أربعون رطلًا ، وأن يلبسوا السَّراويلات
القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى زُرْق ، وينذرون معلمى المكاتب بأن لا
١٢ يضربوا الصِّبيان ضربًا مبرحًا ولا فى مَقْتَل ، وكذلك معلِّمى العَوْم بتحذيرهم

(a) بولاق : الجلوس . (b) بولاق : وسق . (c) بولاق : ويأخذون .

---

(١) هذا النص من مخطوطة خزينة ١٣٢ و . وورد عوضًا عنه فى الخطط : « وكان بجوار حبس المعونة دكّة الحسبة ومكانها اليوم يعرف بالأبازرة ومَكْسَر الحَطَب بجوار سوق القصَّارين والفحَّامين » (الخطط ١ : ٤٦٣) .

وفى العصر المماليكى عرف الموضع بخُط دِكّة الحسبة قال المقريزى : ويعرف اليوم بمكسر الحطب وفيه سوق الأبازرة وهو فيما بين البندقانيين والمحمودية وفيه عدّة أسواق ودور . (الخطط ٢ : ٣٦) . وهو يعادل اليوم المكان الواقع بين جامع الأشرف (عند شارع القائد جوهر) والمكان القائم عليه الأن جامع الغورى وما وراءه تجاه الجنوب .

(٢) عن وظيفة المحتسب فى العصر الفاطمى راجع ، المسبحى : أخبار مصر ١٣ – ١٤ و ١٥ – ١٦ و ٧٢ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٨ ، المقريزى : إغاثة الأمة ١٣ – ١٤ واتعاظ الحنفا ١ : ١٢٠ ، ٢ : ١٣٥ و ١٦٤ و ١٦٥ ، سهام مصطفى أبو زيد : الحسبة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى النهاية العصر المملوكى (القاهرة ١٩٨٦) ٧٢ – ٧٨ .

من التغرير بأولاد الناس وينقبون[a] على من يكون سيء المعاملة فينهونه بالرَّدْع والأدب ، وينظرون المكاييل والموازين .

وللمُحْتَسِب[b] النَّظَر فى دار العِيَار ويُخْلَع عليه ويُقْرأ سِجِلّه بمصر والقاهرة على المنبر ، ولا يحال بينه وبين مصلحة إذا رآها ، والولاة تشدّ منه[c] إذا احتاج إلى ذلك . وجاريه ثلاثون دينارًا فى كل شهر[1] .

وَكَالَةُ بَيْت المَال

[كانت هذه الوَكالة لا تُسْنَد إلّا لذوى الهَيْبَة من شيوخ العدول ، ويفوَّض إليه عن الخليفة بيعُ ما يرى بيعه من كل صنف يملك ويجوز التصرف فيه شرعًا ، وعتْق المماليك ، وتزويج الإماء ، وتضمين ما يقتضى الضَّمان ، وابتياعُ ما يرى ابتياعه ، وإنشاء ما يرى إنشاءه من البناء والمراكب وغير ذلك مما يحتاج إليه فى التصرف عن الخليفة][2] .

النَّـائِــبُ

قال ابن الطُّوَيْر : الخِدْمة فى النيابة وهى خدمة يقال لمن يتولّاها « النَّائِب » وتسمى « بالنِّيابَة الشَّريفة » . وهى نيابة عن صاحب الباب ومقتضاها أنها

(a) بولاق : ويقفون . (b) خزينة : وله . (c) بولاق : معه .

---

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٣ - ٤٦٤ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٦ - ١٤٧ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٣ وأضاف : « ورأيت فى بعض سجلاتهم إضافة الحسبة بمصر والقاهرة إلى صاحبى الشرطة بهما أحيانًا » ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٤٢ .

[2] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٣ - ٤٨٤ .

مميزة ويتولّاها أعيانُ العدول وأربابُ العمائم ويُنعت أبدًا « بعَدِىّ المُلْك » ، وهو يتلقى الرُّسُل الواصلين من الدولة ، ومعه نُوَّابُ الباب فى خدمته ، ٣ ويحفظهم ويُنْزلهم فى الأماكن المعدَّة لهم ويقدِّمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب يمينًا ويسارًا ، ويتولَّى افتقادهم والحَثَّ على ضيافتهم ، ولا يُمَكِّن من التقصير فى حقوقهم ، واجتماع الناس بهم والاطلاع على ما جاؤا فيه ٦ أو مَنْ ينقل الأخبار إليهم[١] .

وقال فى مَوْضِعٍ آخر[a] : ذكر الخِدمة المعروفة بالنيابة للقاء المُتَرَسِّلين[b] . وهى خدمة جليلة يقال لمتوليها « النائب » وينعت « بعَدِىّ ٩ المُلْك » ، وهو ينوب عن صاحب الباب فى لقاء الرُّسُل الوافدين على مسافة وإنزال كل واحد فى دار تَصْلُح له ، ويقيم له من يقوم بخدمته . وله نظير فى « دار الضِّيافة ، [c]وهو المسمى الآن بالمِهْمِنْدار[c] ، ويُرَتِّب ما يحتاجون إليه ١٢ ولا يُمَكِّن أحدًا من الاجتماع بهم ، ويذكِّر صاحب الباب بهم ويبالغ فى نَجاز ما وصلوا فيه . وهو الذى يُسَلِّم[d] بهم أبدًا عند الخليفة والوزير ، وينفذ بهم ويستأذن عليهم ، ويدخُل الرسول وصاحب الباب قابضٌ على يده اليمنى ١٥ والنائب بيده اليسرى ، فيحفظ مايقولون وما يقال لهم ، ويجتهد فى انفصالهم على أحسن الوجوه ، وبين يديه من الفرَّاشين المقدَّم ذكرهم عدّة لإعانته . وإذا غاب أقام عنه نائبًا إلى أن يعود . وله من الجارى خمسون دينارًا فى كل شهر وفى ١٨ اليوم نصف قنطار خبز ، وقد يَهْدى إليه المُتَرِسِّلون طُرَفًا فلا يتناولها إلّا بإذن[٢] .

(a) فى بولاق وصبح : قال ابن الطوير . (b) بولاق وليدن : المرسلين . (c-c) من صبح وفى الخطط : وهى تسمى اليوم بمهمندار . (d) الخطط : سلم .

---

[١] أورد المقريزى هذا النص فى مخطوطة خزينة تحت عنوان « ذكر رتبة متولى دار الضيافة فى أيام الخلفاء » ولم يذكره فى حديثه على دار الضيافة . وهو يختلف قليلًا عن النص الوارد فى مخطوطات الخطط والمثبت بعد ذلك .

[٢] المقريزى : الخطط ١ : ٤٦١ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٤٧ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٤٢ والخطط ١ : ٤٠٣ .

[وفى هذه الدولة التركية يقال لمتولى هذه الوظيفة مِهْمِنْدار ، ولا يليها عندهم إلّا صاحب سيف من الأمراء العشراوات . وكانت فى الدولة الفاطمية ، على ما ذكره ابن الطُّوَيْر ، لا يليها إلّا أعيان العدول وأرباب العمائم ، وينعت أبدًا « بعَدِيّ المُلْك » . وأصل هذه الكلمة بالفارسية ماه مندار[a] ومعناها : [b]متلقى الضيوف[b]][1] .

القُرَّاء

[وكان لهم قُرَّاء يقرءون بحضرة الخليفة فى مجالسه وركوبه فى المواكب وغير ذلك ، وكان يقال لهم « قُرَّاءُ الحَضْرَة » يزيدون فى العدة على عشرة نَفَرٍ ، وكانوا يأتون فى قراءتهم فى المجالس ومواكب الركوب بآيات مناسبة للحال بأدنى ملابسة ، قد أُلِفُوا ذلك وصار سهلَ الاستحضار عليهم . وكان ذلك يقع منهم موقع الاستحسان عند الخليفة والحاضرين ، حتى إنه يحكى أن بعض الخلفاء غَضِب على أميرٍ فأمر باعتقاله ؛ فقرأ قارئ : ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴾ [الآية ١٩٩ سورة الأعراف] فاستحسن ذلك وأطلقه . إلّا أنهم كانوا ربما أتوا بآيات إذا روعى قَصْدُهم فيها أخرجت القرآن عن معناه : كما يحكى أنه لما استوْزَر المستنصر بدر الجمالى قرأ قارئهم : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ ﴾ [الآية ١٢٣ سورة آل عمران] [فقال المستنصر : لو أتمَّها ضَرَبْت عنقه][2] . ولما استوزر الحافظ رِضْوان قرأ قارئهم : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ ﴾ [الآية ٢١ سورة التوبة] إلى غير ذلك من الوقائع][3] .

(a) بولاق : مهمندار . (b-b) ساقطة من ميونخ .

---

[1] الخطط : ١ : ٤٦١ . [2] من ابن ميسر : أخبار ٤٠ . [3] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨٤ – ٤٨٥ .

أَرْبَابُ السُّيُوف

الوَزَارَة

٣ اعلم أن الدَّولة كانت إذا خَلت من وزيرٍ صاحب سيفٍ يتغلَّب عليها فإنَّه يجلس صاحبُ الباب فى باب القصر المعروف بباب الذَّهَب[١] ، وهو أحد أبواب القصر ، ويقف بين يَدَيْه الحجَّاب والنقباء ، وينادى منادٍ : يا أرباب ٦ الظُّلامات ، فيحضر إليه أرباب الحوائج . [a]فمن كانت ظلامته مشافهة ، أرسلت إلى الولاة والقضاة[a] . فيسيِّر إلى ذلك كتابًا بكشف ظُلاماته . فإن كان مع المتظلِّم قِصَّة أخذها منه الحاجب ، فإذا اجتمع معه عِدَّةٌ دفعها إلى الموقِّع ٩ بالقلم الدقيق فيوقِّع عليها ، ثم تحمل منه إلى الموقِّع بالقلم الجليل ليبسط ما أشار إليه الموقِّع بالقلم الدقيق . فإذا تكاملت ، حُمِلت فى خريطة إلى الخليفة فوقَّع عليها ، ثم أخرجت فى الخريطة إلى الحاجب فيقف بها على باب القصر ويسلم ١٢ لكل أحد توقيعه .

فإن كان فى الدولة وزيرٌ صاحب سيف ، فإنه يجلس يومين فى كل أسبوع فى مكانٍ مُعَدّ فى القصر ، ويجلس قبالته قاضى القضاة وعن جانبيه شاهدان ١٥ معتبران ، ويجلس فى جانب الوزير الموقِّع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان

(a-a) هذه العبارة مثبتة من ابن الفرات .

---

(١) باب الذَّهَب . وهو الباب الرئيسى للقصر الفاطمى الكبير المؤدى إلى قاعة الذَّهَب (انظر فيما يلى ص ١٨٦) وكان يفتح فى الواجهة الغربية للقصر المطلة على بين القصرين . ويحدد موضعه اليوم بالتقريب بقايا المدرسة الظاهرية التى ضاعت معالمها مع فتح شارع بيت القاضى بعد سنة ١٢٩٠ / ١٨٧٣ . (راجع ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٢ ، المسبحى : أخبار مصر ١٩ وأضف إلى ما ذكرته من مراجع هناك Fu'âd Sayyid, A., *La capitale de l'Egypte à l'époque fatimide* pp. 269 - 279).

المال ، وبين يديه صاحب المال وإسْفِهْسَلار العساكر ، وبين أيديهما النوَّاب والحُجَّاب على طبقاتهم[١] .

[زِىُّ الوَزِير صَاحِبِ السَّيف] . ٣

قال ابن الطُّوَيْر : وخُلِعَ عليه ، يعنى على أمير الجيوش بدر الجمالى[a] ، بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق ، و زيد له الحَنَك مع الذؤابة المرخاة والطَيْلَسان المُقَوَّر ، زى قاضى القضاة[٢] – [قال المؤلِّف[b] : وهذه الخِلَع ٦ تشابه خِلَع الوزراء وأرباب الأقلام فى زمننا هذا – غير أنه لقصور أحوال أرباب الدولة ، جعل عِوَض العقد الجوهر الذى كان للوزير ويُفك بخمسة آلاف مثقال ذهبًا ، قلادة من عَنْبر مغشوش يقال لها « العَنْبَرِيَّة » ويتميَّز بها الوزير ٩ خاصة ، ويلبس أيضًا الطَيْلَسَان المُقَوَّر ويسمى اليوم بالطَّرْحَة – ويشاركه فيها جميع أرباب العمائم إذا خُلِع عليهم ، فإنه تكون خِلَعهم بالطَّرْحة . وترك أيضًا اليوم من خِلْعة الوزير وغيره الذؤابة المرخاة وهى « العَذَبة » ، وصارت الآن ١٢ من زىّ القضاة فقط وهَجَرها الوزراء . ويشبه ، والله أعلم ، أن يكون وضعها فى الدولة الفاطمية للوزير فى خِلَعِه إشارة إلى أنه كبير أرباب السيوف والأقلام ، فإنه كان مع ذلك يتقلَّد بالسيف . وكذلك تُرِكَ فى الدولة التركية ١٥ من خِلَع الوزارة تقليد السيف ، لأنه لا حكم له على أرباب السيوف . ولما قام الأفضل بن أمير الجيوش خُلِع أيضًا عليه بالسيف والطيلسان المقوَّر ، وبعد

(a) فى خزينة : قال ابن الطوير فى وزارة أمير الجيوش . (b) من خزينة .

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٢ – ٤٠٣ والاتعاظ ٣ : ٣٣٥ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٣٥ – ١٣٦ .

[٢] حفظ لنا أبو شامة وصفًا تفصيليًا لخِلْعَة الوزارة التى خَلَع بها الخليفة العاضد على الناصر صلاح الدين . (الروضتين ١ : ٤٣٩) .

الأفضل لم يُخْلع على أحدٍ من الوزراء. كذلك إلى أن قدم طلائع بن رُزِّيك ولُقِّب « بالملك الصالح » عندما خُلِع عليه للوزارة وجعل فى خلعته السيف

٣ والطيلسان المقوَّر][1] .

صَاحِبُ البَاب

وهى ثانى رتبة الوزارة[2] ، و [صاحبها][a] من الأمراء المُطَوَّقين[3] . قال

٦ ابن الطُّوَيْر : وكان يقال لها الوزارة الصغرى – وصاحبها فى المعنى يقرب من النائب الكافل فى زماننا[4] – وهو الذى ينظر فى المظالم إذا لم يكن وزيرٌ صاحبُ سيف ، فإن كان ثَمَّ وزيرٌ صاحب سيف ، كان هو الذى يجلس

٩ للمظالم بنفسه ، وصاحبُ الباب من جملة مَنْ يقف فى خِدْمته[5] .

وينعت [صاحب الباب] أولًا « بالمُعَظَّم » وأول من خدم بها المعظم خُمَرْتاش[6] فى أيام الخليفة الحافظ ، وكان من العقلاء ، وناب عن الحافظ فى

(a) زيادة لتوضيح المعنى .

---

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٠ .

(2) القلقشندى : صبح ٣ : ٣٧٩ .

(3) المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٣٦ .

(4) عن وظيفة النائب الكافل أو كافل الممالك الإسلامية راجع ، ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ٥٥ – ٥٦ ، القلقشندى : صبح ٤ : ١٦ – ١٨ و ٥ : ٤٥٣ – ٤٥٤ و ١١ : ١٣٤ ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢١٤ – ٢١٥ ، وانظر كذلك ، ليلى عبد الجواد إسماعيل : « نائب السلطنة فى القاهرة فى عصر دولة المماليك البحرية » ، المؤرخ المصرى ١(يناير ١٩٨٨) ١٥٩ – ٢٢٥) .

(5) القلقشندى : صبح ٣ : ٣٧٩ وانظر فيما يلى دوره فى موكب أول العام .

(6) هو الأمير المعظم أبو المُظَفَّر خُمَارْتاش الحافظى صاحب باب الإمام الحافظ لدين الله ، توفى فى سنة ٥٤٠ . (ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٢٨٢ ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٣٦) . ويبدو أنه تولى هذا المنصب بعد أن استغنى الحافظ عن اتخاذ الوزراء فى أعقاب هرب رضوان بن وَلَخْشى .

مرضه ، فلما عوفى أراده على الوزارة فامتنع ، وله نائب يقال له « النائب »[١] .

الإسْفِهسِلارية

٣

قال ابن الطُّوَير : وصاحبها زِمَام كلّ زِمَام ، وإليه أمر الأجناد والتحدُّث فيهم ، وفى خدمته وفى خدمة الباب تقف الحُجَّاب على اختلاف طبقاتهم[٢] .

حَامِلُ المِظَلَّة

٦

[فى المواسم العِظَام : كركوب رأس العام ونحوه . وهى من الوظائف العِظَام ، وصاحبها يُسَمَّى « حَامِل المِظَلَّة » ، وهو أمير جليل ، وله عندهم التقدّم والرفعة ، لحمل ما يعلو رأس الخليفة][٣] .

٩

حَامِلُ سَيْف الخليفَة

[فى المواكب التى تحمل فيها المظلة][٤] .

حَامِلُ رُمْحِ الخليفَة

١٢

[فى المواكب التى تحمل فيها المِظَلَّة ، وهو رمح صغير يحمل مع الخليفة فى المواكب][٥] .

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٣ ، ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٣٦ - ١٣٧ ، وانظر أعلاه ص ١١٧ .

(٢) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٩ .

(٣) نفسه ٣ : ٤٧٩ .

(٤) نفسه ٣ : ٤٧٩ ، المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٢٩٨ و - ٢٩٨ ظ وفيما يلى ص ١٥٩ .

(٥) نفسه ٣ : ٤٧٩ .

صِبْيَانُ الرِّكاب الخاصّ

[[الذين يحملون السِّلاح] حَوْل الخليفة فى المواكب . وأصحاب هذه الوظيفة يُعَبَّر عنهم لزيهم بالرِّكابية وبِصبْيان الرِّكاب الخاص أيضًا ، وهم الذين يُعَبَّر عنهم فى زماننا بالسِّلاح دارية والطَّبَرْدارية ، وكانت عدّتهم تزيد على ألفى رجل ، ولهم إثنا عَشرَ مقدَّمًا ، وهم أصحاب ركاب الخليفة ، ولهم نُقَبَاءٌ موكَّلون بمعرفتهم ، والأكابر من هؤلاء الرِّكابية تندب فى الأشغال السلطانية ، وإذا دخلوا عملًا كان لهم فيه الصِّيتُ المرتفع][1] .

[ثم والى القاهرة ووالى الفُسْطاط][2] .

النُّوَّاب و الوُلَاة

وأما [رُتَب خِدَم الأمراء أرباب السُّيوف] بالأعمال فمن يُسْنَد إليه ولاية عَسْقَلان ثم ولاية قُوص ثم ولاية الشَّرقية ثم ولاية الغَرْبية ثم ولاية الإسكندرية[3] وهؤلاء يُخْلَع عليهم « بالبَدْنَة »[4] من خِزانة الكُسْوات[a] ،

(a) صبح : الكسوة .

---

[1] نفسه ٣ : ٤٨٠ وانظر أعلاه ص ٨٥ .

[2] نفسه ٣ : ٤٨٠ .

[3] هذا التقسيم الإدارى لولايات مصر إلى أربع ولايات كبيرة (قُوص والشَّرقية والغَرْبية والإسكندرية) بالإضافة إلى ولايتى القاهرة والفسطاط يرجع إلى الإصلاحات الإدارية التى قام بها بدر الجمالى نحو سنة ٤٧٢ / ١٠٧٩ والتى جعلت وزير السيف هو السلطان الفعلى للدولة . (انظر المقدمة) .

[4] البَدْنَة . ثوب من ثياب الخليفة ، كان يصنع بطراز تِنّيس ، « لا يدخل فيه من الغزل سداء ولحمة غير أوقيتين وينسج باقيه بالذهب بصناعة محكمة لا تحوج إلى تفصيل ولا خياطة تبلغ قيمته ألف دينار » . (المقريزى : الخطط ١ : ١٧٧ س ٣١ – ٣٢ وفيما يلى ص ١٩٨) .

وهو ما تبرَّك من لباس الخليفة يوم فَتْح الخليج[١] . وكان ذلك لمن يتولَّى هذه الجهات قبل فتح صُور وعَكًّا ودِمَشْق ، وآخر من وليها أميرٌ يقال له [الأمير المؤيد حِصْن الدولة أبو تراب حَيْدَرة بن] مِنْزو[a] ، ويقال احترق جامعها فعمرَّه فى أيامه[٢] .

وصِقِلِّيَّة وكان واليها أميرٌ يقال له شَيْخُ الدولة ابن لُؤْلُؤ[٣] وعاش إلى أيَّام الأفْضَل بن أمير الجيوش .

وكانت الرَّمْلَة ولايتهم المميَّزة التى لا يطمع فيها كل أمير[b] .

وهؤلاء أربابُ الأطْوَاق، ثم القَصَب والعَمَّاريات ، وهى الأعلام المشروح شكلها فى حواصل خزانة التَّجَمُّل[٤] وبينهم تفاوت تكرار الخدم ومباشرة الولايات ، وزِىّ الطَّوائف الذين يترشحون لذلك من الأماثل . ويقال : إنما الدولة كانت تَسْنِد ذلك إلى أرباب الشجاعة والنَّجْدة ، ولهذا دخل فيها أخلاط الناس من الأرْمَن والروم وغيرهم وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهى[٥] .

° ° °

(a) ش : منذور . (b) كذا فى ابن الفرات .

[١] انظر فيما يلى ص ١٩٨ والقلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٤ .

[٢] كان ذلك فى عام ٤٥٦ ، راجع ، ساويرس بن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٢ / ٣ : ١٧٨ ، ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ٩٦ - ٩٧ ، ابن ميسر : أخبار ٢٩ ، الصفدى : الوافى ١٣ : ٢٢٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٨١ .

[٣] عند المقريزى : اتعاظ ٢ : ٢٢٢ أن صمصام الدولة بن لؤلؤ ، هو الذى أخرج بنى أبى الحسين من صقلية ، وربما كان شيخ الدولة هذا أخا له أو أحد أبنائه .

[٤] انظر فيما يلى ص ١٣٥ .

[٥] ابن الفرات : تاريخ ٤ / ١ : ١٣٦ - ١٣٧ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٣٦ .

الخزائن

[وكانت بالقصر الكبير عِدَّة خَزَائن منها : خِزَانة الكُتُب ، وخِزَانة البُنُود ، وخَزائن السِّلَاح ، وخَزَائِن الدَّرَق ، وخَزائن السُّروج ، وخِزَانة الفَرْش ، وخِزَانة الكُسْوات ، وخَزَائن الأدم ، وخَزَائن الشَّراب ، وخِزَانة التَّوابل ، وخَزائن الخِيَم ، ودَار التعبئة ، وخَزائن دار أُفْتكِين ، ودار الفِطْرَة ، ودار العِلْم ، وخِزَانة الجَوْهر والطِّيب . وكان الخليفة يمضى إلى موضع من هذه الخزائن وفى كل خزانة دِكَّة عليها طَرَّاحة ولها فَرَّاش يخدمها وينظِّفها طول السنة وله جارٍ فى كل شهر فيطوفها كلها فى السنة][1] .

خِزانةُ الكُتُب

قال ابن الطُّوَيْر : كانت[2] فى أحد مجالس البيمارِسْتَان[a] اليوم – يعنى المارستان العتيق – فيجىء الخليفة[b] راكبًا ويدخل إليها[c] ويترجَّل على الدِّكَّة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر إليه من يتولَّاها ، وكان فى ذلك الوقت الجليس

(a) الخطط : المارستان . (b) ساقطة من خزينة . (c) زيادة من خزينة .

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٨ .

[2] عن هذه الخزانة التى أنشأها الخليفة العزيز بالله وكانت تعد من أعظم المكتبات فى العصور الوسطى . راجع ، المسبحى : نصوص ضائعة ١٧ ، الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٦٢ ، أبو شامة : الروضتين ١ : ٥٠٧ و ٥٠٨ ، ابن واصل : مفرج الكروب ١ : ٢٠٣ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ٢٩٤ – ٢٩٥ ، ٣ : ٣٣١ والخطط ١ : ٤٠٨ – ٤٠٩ ، القلقشندى : صبح ١ : ٤٦٧ و ٣ : ٤٧١ – ٤٧٢ ، زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ٢٧ – ٣٤ ، Khoury, R. G., « Une description fantastique des fonds de la Bibliothèque Royale *Hizânat al - Kutub* au Caire, sous le règne du calife fatimide al - ʿAzīz bi - llâh (365 - 86 / 975 -97) » in *Proceedings of the Ninth Congress of the Union Européenne des Arabisants et Islamisants*, Leiden - Brill 1981, pp. 123 - 140.

ابن عبد القوى[١] ، فيُحْضر إليه المَصَاحِف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب ، فإن عنَّ له [a]أَخذ شيئًا منها للمطالعة[a] ثم يعيده بعد ذلك . ٣

وتحتوى هذه الخزانة على عِدَّة رفوف فى دور ذلك المجلس العظيم ، والرفوف مقطَّعة بحواجز ، وعلى كل حاجز بابٌ مُتْقَن بمفصَّلات وقِفْل ، وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مائتى[b] ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجرَّدَات ، ٦ فمنها فى الفِقْه على سائر المذاهب ، والنَّحْو ، واللُّغة ، وكتب الحديث النبوى[c] ، والتواريخ وسِيَر الملوك ، والنجامة ، والروحانيات ، والكيمياء من كل صنف ، النُّسخة والعشرة[d] ، ومنها النواقص التى ما تُمِّمَت ؛ كل ذلك ٩ تترجمه ورقة[e] مُلْصَقة على باب كل خِزَانة[f] وما فيها ، والمصاحف الكريمة فى كل مكان فيها فوقها[g] . وفيها من الدُّرُوج بِخَطّ ابن مُقْلَة ومن يليه ومن يماثله[h] كابن البَوَّاب وغيره . ١٢

وهى التى[i] تولَّى بيعها ابن صَوْرَة[٢] فى أيام الملك الناصر صلاح الدين . فإذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها ، وفيها ناسخان وفرَّاشان :

(a-a) فى بولاق وليدن : أخذ شىء منها أخذه . (b) بولاق وليدن وميونيخ : مائة . (c) من خزينة . (d) من خزينة وفى بولاق وبقية النسخ : من كل صنف النسخ . (e) بولاق وليدن : بورقة مترجمة . (f) بولاق وليدن : على كل باب خزانة . (g) بولاق وليدن وميونخ : وما فيها من المصاحف الكريمة فى مكان فوقها . (h) بولاق وليدن وميونخ : نظائره . (i) من خزينة .

---

(١) الجليس بن عبد القوى هو آخر أفراد أسرة بنى عبد القوى ، الذين تولوا الدعوة للفاطميين ، أدركه أسد الدين شيركوه سنة ٥٦٤ / ١١٦٨ . (انظر أعلاه ص ١١٢ والمقريزى : اتعاظ ٣ : ٣٠٤) .

(٢) ذكر ساويرس بن المقفع أن الذى أقيم أمينًا على بيع الكتب أمير يدعى محمد بن محمد ابن ذي الرئاستين بن بنان . (تاريخ البطاركة ٣ / ٢ : ٦٧) .

صاحب المرتبة وآخر ، فيعطى الشاهد عشرين دينارًا ويخرج إلى غيرها ، [a]وكان الجليس يوثر بذلك ولا يعترضه[a][١] .

٣ خزائن الكُسْوات

قال ابن الطُّوَيْر : الخِدْمَة فى خزائن الكُسْوات ولها رتبة عظيمة فى المباشرات[٢] ، وهما خزانتان : [b]ظاهرة وباطنة[b] ، فالظاهرة يتولَّاها خاصة ٦ أكبر حواشى الخليفة إما أستاذ أو غيره ، وفيها من الحواصل ما يدل على إسباغ نِعَم الله تعالى على من يشاء من خَلْقه من الملابس الشروب والخاص الدَّبيقى الملوَّنة : رجالية ونسائية ، والدِّيباج الملوَّنة والسِّقْلاطون ، وإليها يحمل ما ٩ يستعمل فى دار الطِّراز بتِنِّيس ودِمْياط والإسكندرية[٣] من خاص المستعمل[c] بها . وبها صاحب المَقَصّ وهو مقدَّم الخيَّاطين ، ولأصحابه مكان لخياطتهم ، والتفصيل يُعْمل على مقدار الأوامر وما تدعو الحاجة إليه[٤] .

(a) من خزينة . (b-b) زيادة من B . (c) صبح : مستعملات الخاص .

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٩ .
وأضاف المقريزى بعد ذلك نصًا هامًا نقلًا عن ابن أبى طى عن مضمون المكتبة وقيمته ، وأورد كذلك أبو شامة نصًا هامًا عن بيع كتب هذه الخزانة نقلًا عن العماد الكاتب . (الروضتين ١ : ٦٨٦ – ٦٨٧) .

[٢] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٠ .

[٣] انظر أعلاه ص ١٠٢ .

[٤] من بين الذين تولوا خزائن الكسوة شهاب الدولة دُرّى المعروف بالصغير المُظَفَّرى غلام المُظَفَّر بن أمير الجيوش بدر الجمالى ، كان أرمنيًا وأسلم وصار من المتشددين فى مذهب الإمامية . تولى خزانة الكسوة فى زمن الخليفة الحافظ ، وبنى فى سنة ٥٣٣ مسجدًا يعرف باسمه فى القرافة الكبرى فى رحبة الأَهْوب . أورد ذلك المقريزى نقلًا عن الشريف محمد بن أسعد الجوَّانى من كتابه « النُّقَط لمعجم ما أُشْكِل من الخطط » . (المقريزى : الخطط ٢ : ٨١ ، ٤٤٨ – ٤٤٩) .

ثم يِنْقَل إلى خِزانة[a] الكُسْوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة[١] ، وتتولّاها امرأة تُنْعت « بزَيْن الخُزّان » أبدًا ، [b]وكانت هذه رومية فى عصرنا[b] ، وبين يديها ثلاثون جارية ، فلا يُغيِّر الخليفة أبدًا ثيابه إلّا عندها . ولباسه خافيًا الثياب الدارية وسعة أكمامها سعة نصف أكمام الظاهرة . وليس فى جهة من جهاته ثياب أصلًا ولا يلبس إلّا من هذه الخِزَانة .

وكان برسم هذه الخِزَانة بستان من أملاك الخليفة على شاطىء الخليج يُعْنى أبدًا فيه بالنسْرين[c] والياسمين ، فيحمل فى كل يوم منه شىء فى الصيف والشتاء لا ينقطع البتَّة برسم الثياب والصناديق ، فإذا كان أوان التفرقة الصيفية أو الشتوية شدّ لمن تقدَّم ذكره من أولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرَّواتب والرسوم من كل صنف شَدَّة[٢] على ترتيب مفروض لهم[d] من شُقَق[٣] الدِّيباج المُلَوَّن والسِّقْلاطون[٤] والشروب[d][٥] إلى السوسى

(a) ليدن : خزائن . (b-b) زيادة من خزينة . (c) فى كل النسخ : النسرين .
(d) زيادة من A .

[١] كان الخليفة يتوصَّل إلى خزانة الكسوة الخاص ، بعد عَوْدِه من ركوب أول العام ، عن طريق باب الذَّهب مرورًا بالدِّهاليز الطوال . (ابن المأمون ٥٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٦) التى يبدو أنها كانت من ملحقات قاعة الذّهب التى تؤدّى إليها الدِّهاليز التى يفتح عليها باب الذّهب .

[٢] شَدَّة جـ . شَدَّات . مجموعة أشياء من صنف واحد مجموعة معًا فى بُقْجَة أو إناء كبير حسب نوعها . (Dozy , Suppl . Dict . Ar. I, 736) . وذكر ابن الطوير فيما يلى ص ١٧٠ أن الشَّدَّة هى الفَوَّارة ، وانظر كذلك ص ١٤٥ .

[٣] شُقَّة جـ . شُقَق . أى قطعة من القماش وتخصص ، فيقال : شُقَّة كِتّان وشُقَّة دِيباج ... إلخ (Ibid., I, 773) . والديباج أو البروكار نسيج مُقَصَّب بخيوط الحرير والذهب .

[٤] السِّقْلاطون . نوع من قماش الحرير المغشى بخيوط الذهب . وهو من المنسوجات التى اشتهرت به فى الأصل بلاد الروم ، وانتقل إلى مصر فى زمن خلافة العزيز بالله فى أعقاب الصلح الذى عقده مع الروم سنة ٣٧٧ . (Ibid ., I, 663 ; Serjeant , R. B., op. cit. pp. 259 ، مرزوق : الزخرفة المنسوجة ٥٤) .

[٥] الشَّرْب جـ . شروب . ما رَقّ من الكِتّان . ويرى دوزى أن هذا المصطلح كما ورد فى المصادر يدل على نوع من الحرير (Ibid., I, 740 ; Ibid., p. 269).

والإسكندرانى على مقدار الفصول من الزمان ما يقرب من مائتى شدّة ، فالخواص فى العَرَاضى[1] الدَّبيقى ودونهم فى أَوْطيه[2] حرير ودونهم فى فُوَط[3] إسكندرية ، ويدخل فى ذلك كُتَّاب ديوان الإنشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكُتَّاب على مقدارهم ، وذلك يخرج من الجوارى فى الشهر المُطْلَقات[4] .

خِزانَةُ الشَّراب

قال ابن الطُّوَيْر : خِزَانةُ الشَّراب وهى أحد مجالسه أيضًا – يعنى القاعة التى هى الآن المارستان العتيق . فإذا جلس الخليفة على السرير عَرَض عليه ما فيها حاميها ، وهو من كبار الأستاذين ، وشاهدها فيُحْضر إليه فرّاشوها بين يدى

(١) عَرضى جـ . عراضى . ورد هذا المصطلح فى مواضع كثيرة عند ابن المأمون وابن الطُّوَيْر والمقريزى وأبى المحاسن بأكثر من معنى ، فيرد أحيانًا بالصيغة التالية : « عرضى مذهب » ، « عرضى لفافة للتخت » ، « عرضى دبيقى » (فيما يلى ص ١٥٨ ، ابن المأمون : أخبار ٤٦ ، ٥٠) وفى هذه الأمثلة يعنى المصطلح أحيانًا قطعة من الملابس قد تكون على شكل وشاح . وفى مواضع أخرى ينطبق هذا المصطلح على نوع من الأغطية المنسوجة لتغطية الأطباق والأوانى مثل : « كان يعمل فى الطراز للولائم التى تتخذ برسم تغطية الصوانى عدة من عراضى دبيقى ، ثم قوّارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى ... » (نفسه ٧٣ ، الخطط ١ : ٤٧١) أو « ثلاجى وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى دبيقى » (نفسه ٨٣ ، نفسه ١ : ٤٥٢ ، ٤٩٢) . وفى أحيان أخرى يعنى المصطلح نوعًا من المناطق أو أغطية الرأس مثل : « بأوساطهم العراضى الدبيقى المقصورة » (نفسه ٧٦، نفسه ١: ٤٧٣ س ٣٠). وتبعًا لما ورد فى نص ابن الطوير ، فإن مصطلح العراضى الدبيقى والأوطية الحرير والفوط الإسكندرية ، كما جاءت فى النص ، تحمل معنى متقارب . (راجع ، Canard , M., *La Procession du nouvel an* , p. 383 n. 74).

(٢) وِطَاء جـ . أوطية . فى القاموس الوِطاء ككتاب وسحاب خلاف الغطاء (القاموس ٧٠) . ويمكن أن تكون شيئًا أشبه بالمخاد تقدم عليه الخلع من باب التشريف .

(٣) فُوطَة جـ . فُوَط . نوع من القماش القطنى يصلح لاستخدامات مختلفة ، ويلف بها فى العادة . (Dozy , *op. cit.*, I, 297) ، وانظر ابن المأمون : أخبار ٦٧) .

(٤) المقريزى : الخطط ١ : ٤١٣ وقارن ابن المأمون : أخبار ٤٨ – ٥٥ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٢ ، زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ٣٥ – ٣٩، مرزوق : الزخرفة المنسوجة ٤٩ – ٥٣ .

مستخدميها من عيون الأصناف الغالية من المعاجين العجيبة فى السَّكَارج[a][١] الصينى والطَّيافير[٢] الخَلَنْج[٣] ، فيذوق ذلك شاهدها بحضرته ويستخبر عن أحوالها بحضور أطباء الخاص . وفيها من الآلات والأزيار الصينى والبَرَانى[٤] ٣
عدَّة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين ، وأصناف الأدوية من الراوند الصينى وما يجرى مجراه مما لا يقدر أحدٌ على مثله إلَّا هناك وما يدخل فى الأدوية من آلات العطر إلى غير[b] ذلك ، ويسأل عن الدرياق الفاروق ، ويأمرهم ٦
بتحصيل أصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع فعل[b] الحاصل منه ، ويؤكد فى ذلك تأكيدًا عظيمًا ، ويستأذن على ما يُطْلق منها بِرِقاع أطباء الخاص للجهات وحواشى القصر ، فيأذن فى ذلك ويعطى الحامى للتفرقة فى الجماعة ثلاثين ٩
دينارًا[٥] .

خِزانـةُ السُّرُوج

قال ابن الطُّوَيْر : خزانة السروج تحتوى من الملك[c] على ما لا تحتوى ١٢
عليه مملكة من الممالك ، وهى قاعة كبيرة [بالقصر][d] بدورها مصطبة

(a) زيادة من ليدن . (b) ساقطة من بولاق . (c) زيادة من خزينة . (d) زيادة من صبح .

(١) السُّكُرُّجَة وتجمع على سكارج . فارسى معرَّب أشبه بالجفنة أو القصْعَة . (الجواليقى : المعرب ٧٥ ، ٢٤٥ ، الرشيد بن الزبير : الذخائر والتحف ٢٦٠ ، Dozy , *op. cit.*, I, 668).

(٢) طيفور ويجمع على طيافر وطيـافير وطوافير . تكرر استخدام هذا المصطلح بكثرة فى المصادر الفاطمية وعلى الأخص عند ابن المأمون وابن الطُّوَيْر بأكثر من معنى ، فهو يدل أحيانًا على الإناء الكبير أو الصحن المُقَعَّر وأحيانًا أخرى على مائدة تحمل عددًا من الآنية . (ابن المأمون : أخبار ٦٦ ، ٦٧ ، ٧٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٤ ، ابن الطوير فيما يلى ص ١٤٤ ، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٧ وانظر أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٣ ، Dozy , *op. cit.*, II, 48).

(٣) الخَلَنْج . فارسى معرب ، شجر يُتَّخذ من خشبه الأوانى ، وأصل معناه : المتنوع الألوان . (الجواليقى : المعرب ١٨٤ ، Dozy , *op. cit.*, I, 400) وانظر فيما يلى ص ١٥٧ .

(٤) بَرْنِيَّة جـ . برانى . إناء من خزف . (القاموس ١٥٢٢) . وفى الخطط : البرانى .

(٥) المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٠ وقارن ابن المأمون : أخبار ٩٠، القلقشندى: صبح ٣: ٤٧٢.

علوها ذراعان ومجالسها كذلك ، وعلى تلك المصطبة متكآت مُخَلَّصة الجانبين ، على كل متكأ ثلاثة سروج متطابقة ، وفوقه فى الحائط وَتَد مدهون مضروب فى الحائط قبل تبييضه ، وهو بارزٌ بروزًا بمتكأ عليه المركبات[a] الحلى على لُجُم تلك السروج الثلاثة من الذَّهب خاصة أو الفِضَّة خاصة أو الذَّهَب والفضَّة . وقلائدها وأطواقها لأعناق الخيل ، وهى لخاص الخليفة وأرباب الرُّتَب ما يزيد على ألف سرج . ومنها لِجَام هو الخاصّ ، ومنها الوَسَط ، ومنها الدون ، وهى خيار غيرها برسم العوارى لأرباب الرتب والخدم . ومنها ما هو قريب من الخاص فيكون عند المستخدم بشَدَّاده الدائم وجاريه على الخليفة مادام مستخدمًا والعَلَف مطلق من الأهْرَاء .

وأما الصَّاغَة فإن فيها منهم ومن المركِّبين والخَرَّازين عددًا جمًا دائمين لا يفترون عن العمل ، وكل مجلس مضبوط بعدد متكآته وما عليها من السُّروج والأوتاد واللُّجُم ، وكل مجلس كذلك فى العرض عند مستخدميه فلا يختل عليهم منها شيء ، وكذلك وَسَط قاعتها بعدَّة متوالية أيضًا . والشَّدادون مطلوبون بالنقائص منها أيام المواسم ، وهم يحضرونها أو قيمتها فيعوض[b] ويركب ، ويحضر إليها الخليفة ويطوفها من غير جلوس ويعطى حاميها للتفرقة فى المستخدمين عشرين دينارًا . ويقال إن الحافظ لدين الله عَرَضَت له فيها حاجة فجاء إليها مع الحامى فوجد الشاهد غير حاضر وختمه عليها ، فرجع إلى مكانه وقال : لا يفك ختم العدل إلَّا هو ونحن نعود فى وقت حضوره[1] .

(a) الخطط : متكئا على المركبات . (b) بولاق : فيعرض .

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤١٨ وقارن ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٣ ، زكى محمد حسن : كنوز الفاطميين ٥٩ – ٦١ .

خِزَانةُ الفَرْش

قال ابن الطُّوَيْر : خِزَانَة الفَرْش وهى قريبة من باب الملك[a] يحضر إليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها ، وينظر ما فيها ، ويستخبر عن أحوالها ويأمر بإدامة الاستعمال . وكان من حقوقها استعمال السَّامان فى أماكن خارجها بالقاهرة ومصر . ويعطى مستخدمها خمسة عشر دينارًا ، يعنى يوم يطوف فيها الخليفة[1] .

خِزَانةُ السِّلاح

قال ابن الطُّوَيْر : خِزَانَة السِّلاح ويدخل إليها ، يعنى الخليفة ، ويطوفها قبل جلوسه على السرير هناك ، ويتأمَّل حَواصِلها من الكَزَاغَنْدات[2] المدفونة بالزَّرَد المغشاة بالديباج المحكمة الصَّنْعَة ، والجَوَاشِن[3] المبطنة المذهبة[b] ، والزَّرَدِيَّات السَّابلة برؤسها وقلساتها[c] ، والخُوَذ المحلاة بالفضة ، وكذلك

(a) صبح : دار الملك . (b) ساقطة من خزينة . (c) ساقطة من بولاق .

(1) نفسه ١ : ٤١٧ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٣ ، زكى محمد حسن : كنوز ٥٢ – ٥٣ ، ونقل سرجنت هذه الفقرة إلى الإنجليزية فى كتابة Serjeant , R. B., *Islamic Textiles* p. 159.

(2) كَزَاغَنْد ج . كزاغندات . لفظ فارسى الأصل معناه المعطف القصير الذى يُلبس فوق الزَّرَدِيَّة ، وكان يصنع من القطن أو الحرير المبطن المُنَجَّد . (Dozy , *op. cit* , II, 470 ، المقريزى : السلوك ١ : ٢٥٣ هـ ٤ ، ابن واصل : مفرج ٢ : ٤٤ هـ ٥) . وعند الطَّرَسُوسى أن الكازغندات مما استخرجه مُوَلَّدو الأعراب ، وهى زَرَدِيَّات دفاع يلبس عليها ثياب قد بُسِط فوقها مُشاقة الحرير والمصطكا وتُكْسا بالثياب الديباج أو غيرها وتخاط عليها وتُحسَّن بالتثبيت بالحرير وغيره . (Cahen , Cl., *Un traité d'armurerie* p. 116).

(3) الجَوْشَن جـ . جَوَاشِن . الدرع . (*Ibid.*, p. 116).

أكثر الزَّرَديات والسيوف على اختلافها من العربيات والقلجوريات[١]، والرِّماح القنا، والقُنْطاريات[٢] المدهونة والمذهبة، والأسِنَّة البرصانية[a][٣] والقِسِيّ [b]لرماية اليد المنسوبة إلى صُنَّاعها[b] مثل الخطوط المنسوبة إلى أربابها. فيحضر إليه منها ما يجذبه ويتأمَّل النُّشاب، وكانت نصوله مثلثة الأركان على اختلافها، ثم قِسِيّ الرجل والركاب، وقسِيّ اللولب الذى زنة نَصْله خمسة أرطال بالمصرى[c]، ويرمى من كل سهم منها بسهم[c] بين يديه فينظر كيف مجراه، والنشاب الذى يقال له الجراد، وطوله شِبْر، يرمى به عن قسِيّ فى مجارى معمولة برسمه فلا يدرى به الفارس أو الراجل إلَّا وقد نفذ لهم[d].

فإذا فرغ من نظر ذلك كله خرج إلى[e] خِزانة الدَّرَق[٤]، وهى خارج القصر[f] قال ابن الطُّوَيْر: وكانت فى المكان الذى هو خان مسرور الآن، وهى برسم الاستعمالات للأساطيل من الكبورة الخرجية والخوذ الجلودية إلى غير ذلك، فيعطى مستخدمها خمسة وعشرين دينارًا ويخلع على متقدم الاستعمالات جوكانية مزندة حريرًا وعمامة لطيفة[٥].

(a) صبح: العظيمة. (b-b) صبح: المخبورة المنسوبة إلى أفاضل الصناع. (c) ساقطة من بولاق. (d) زيادة من A. (e) بولاق: من. (f) زيادة من خزينة.

---

[١] القلجوريات. لعل أصلها من قَلْج التركية بمعنى سيف. (زكى حسن: كنوز ٥٧).

[٢] القُنْطاريات. انظر فيما يلى ص ١٥١.

[٣] لعلها الخرصانية من الخِرْص بمعنى السنان والرمح اللطيف القصير يتخذ من خشب منحوت (القاموس ٧٩٥، Dozy, *op. cit.*, I, 362، زكى حسن: كنوز ٥٧ هـ).

[٤] كانت خزانة الدَّرَق فى عصر الدولة الفاطمية تقع مقابل باب الزُّهُومة، أحد أبواب القصر الفاطمى، كان موضعه فى آخر ركن القصر الجنوبى الغربى ويدل على موضعه اليوم باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية (المقريزى: الخطط ١: ٤٣٥. انظر فيما يلى ص ١٨٧).

[٥] المقريزى: الخطط ١: ٤١٧ - ٤١٨ و ٢: ٩٢ وقارن القلقشندى: صبح ٣: ٤٧٣، زكى حسن: كنوز ٥٤ - ٥٨.

خِزَانَةُ التَجَمُّل

وهى خِزَانَة فيها أنواع من السِّلَاح يخرج منها للوزير والأمراء فى المواكب الألوية والقَصَب الفِضَّة والعَمَّاريات وغيرها . قال ابن الطُّوَير : هى من حقوق ٣
خزائن السِّلَاح[1] .

حَوَاصِلُ المَوَاشِى

الإصْطَبْلات ٦

[وهى حَوَاصل الخيول والبِغَال وما فى معناها][2] . قال ابن الطُّوَير : وكان لهم اصطبلان أحدهما يعرف بالطَّارِمَة[3] يقابل قصر الشُّوك[a] ، والآخر

(a) خزينة : المجاور للمشهد الحسينى الآن .

---

[1] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٤ وانظر فيما يلى ص ١٤٩ .

[2] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٤ .

[3] الطَّارِمَة . أعجمى معرب بمعنى بيت من خشب . (الجواليقى : المعرب ٢٧٢) أو بناء مستدير مُقَبَّب ، (Dozy , *op. cit.*, II, 42).

وكان اصْطَبْل الطَّارِمَة يقع جنوب شرق القصر الكبير فى مواجهة باب الدَّيْلم ، أحد أبواب القصر ، وإلى الشرق من السبْع خُوَخ ويشرف عليه قصر الشوك والقصر النافعى . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٤ ، ٢ : ٣٥) وعرف بذلك لأنه كانت فيه طارمة يجلس الخليفة تحتها (نفسه ٢ : ٣٥) . وكان يقع فى نفس الوقت على يمين الجامع الأزهر ففى خلال العصر الفاطمى لم يكن يوجد بين رحبة الجامع الأزهر ورحبة قصر الشوك سوى اصطبل الطارمة هذا . (نفسه ٢ : ٤٧) . وقد زال الاصطبل نهائيا من موضعه فى القرن السابع وأصبح حارة كبيرة فيها عدة من المساكن وبه سوق وحمام ومساجد وتعرف بخط اصطبل الطارمة . (نفسه ٢ : ٣٥) .

وقبل بناء اصطبل الطارمة كان الخلفاء يجلسون على السرير بالطارمة فى الميدان المجاور للبستان الكافورى (اتعاظ ٢ : ١٤) . =

بحارة زُوَيْلَة(١) يعرف بالجِمَّيزَة(٢) . وكان يكون[a] للخليفة الحاضر ما يقرب من الألف[b] رأس ، فى كل اصطبل النصف من ذلك ، منها ما هو برسم الخاص ومنها ما يخرج برسم العَوَارى لأرباب الرُّتَب والمستخدمين دائمًا ، ومنها ما يخرج [c]أيام المواسم[c] وهى التغييرات [d]المتقدّم ذكر إرسالها[d] لأرباب الرُّتَب والخِدَم .

والمرتب لكل اصْطَبْلٍ منها لكل ثلاثة أرؤس « سَائِسٌ » واحد ملازم ، ولكل واحد منها « شَدَّادٌ » برسم تسييرها ، وفى كل اصطبل بئر بساقية تدور إلى أحواض ، ومخازن فيها للشعير والأقراط اليابسة المحمولة من البلاد إليها . ولكل عشرين رجلًا من السوَّاس « عَرِيف » يلتزم دركهم بالضَّمَان لأنهم الذين يتسلَّمون من خزائن السُّروج المَرْكبات بالحُلِى ويعيدونها إليها ، كما تقدَّم

(a) زيادة من ليدن . (b) بولاق : ألف . (c-c) خزينة : للمواسم . (d-d) خزينة : المقدم ذكرها .

= وبحدد موضع اصطبل الطارمة اليوم المكان الواقع شرق الباب الأخضر ، وهو الباب الشرقى لجامع الحسين ، بينه وبين شارع أم الغُلام .

(١) حارة زُوَيْلَة . نسبة إلى قبيلة زويلة التى نزلت بها ، كانت من أكبر حارات القاهرة ولم تزل تعرف بحارة زويلة ثم غلب عليها اسم حارة اليهود . فالمقريزى يذكر أن المدرسة العاشورية ، الواقعة فى حارة زويلة ، كانت فى زقاق لا يسكنه إلّا اليهود ومن يقرب منهم فى النسب . (المقريزى : الخطط ٢ : ٤ ، ٣٦٨) . وأصبح موضع هذه الحارة سكنًا لليهود حتى العصر الحديث ، فجومار يذكر أن حارة اليهود فى آخر القرن الثامن عشر كانت تمتد من حد المارستان شرقا إلى قنطرة الموسكى غربا . (جومار : وصف مدينة القاهرة ٢٠٣) . ويدل على موضع هذه الحارة المنطقة التى نحد اليوم من الشمال بشارع الخرنفش ومن الغرب بشارع زويلة ومن الجنوب بشارع الصقالبة ومن الشرق بحارة اليهود القرائين وحارة خميس العدس . (على مبارك : الخطط ٣ : ٥ ، ٢٧ – ٢٨ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٥٢ هـ ٢) .

(٢) اصْطَبْل الجِمَّيزَة . كان يقع بين القصر الصغير وحارة زويلة من جهة باب القصر المعروف بباب الساباط . وعرف بذلك بسبب شجرة جِمَّيز كبيرة كانت تقوم فى وسطه ، وبجوارها كانت توجد بئر زويلة التى كانت تمد الإصطبل بالماء . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٤ و ٢ : ٣١) .

ذكره فى خَزَائِـن السُّروج[١] . ولكـل مـن الاصطبـلين « رَائِضٌ » كأميرآخور[٢] ، ولهما ميرة وجَامَكِيَّة متَّسعة ، وللعُرَفاء على السُّوَّاس ميزة وللجماعات الجرايات من القمح أو[a] الخبز خارجًا عن الجامكيات . ٣

فإذا بقى إلى أيام المواسم التى يركب فيها الخليفة بالمظلَّة مدَّة أسبوع ، [b]أخرج إلى كل رائض فى الاصطبل[b] مع أستاذٍ مظلَّة دبيقى مركبَّة على قُنْطارية[٣] مدهونة ، ويختصر الرَّائِض على ما يركبه الخليفة إما فرسين أو ٦ ثلاثة ، وعليها المركبات الحلى التى يركبهاالخليفة ، فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السرج ، ويركب الأستاذ بَغْلة بمظلة[c] ويحمل تلك المظلة ويسير فى بَرَاح الإصطبل ، وفيه سعة عظيمة ، مارًّا وعائدًا وحولها البوق والطبل ، ٩ فيكرِّر ذلك عدَّة دفعات فى كل يوم مدَّة ذلك الأُسبوع ليستقرّ ما يركبه الخليفة من الدَّواب على ذلك ، ولا ينفر[d] منه فى حال الركوب عليه . فيعمل كذلك فى كل اصطبل من الاصطبلين والدَّواب والبغلة التى تتهيأ[e] هى التى ١٢ يركبها الخليفة وصاحب المظلّة يوم الموسم ولا يختل ذلك . ويقال إنه ماراثت قط دابَّة ولا بالت والخليفة راكبها ، ولا بغلة صاحب المِظَلَّة أيضًا إلى حين نزولهما عنهما[٤] . ١٥

(a) بولاق : و . (b-b) خزينة : أخرج كل رائض فى الاصطبلين . (c) بولاق : مظلة . (d) خزينة : ولا يستغربه فى حال الركوب عليه فينفر منه . (e) خزينة وليدن : رتبها .

---

[١] انظر أعلاه ص ١٣٢ .

[٢] عن الأميرآخور وهو الذى يتحدَّث عن اصطبل السلطان أو الأمير ويتولى أمر ما فيه من الخيل والإبل فى العصر المملوكى (راجع ، القلقشندى : صبح ٥ : ٤٦١ ، حسن الباشا : الفنون والوظائف ١٧٤ – ١٨١) .

[٣] انظر فيما يلى ص ١٥١ .

[٤] المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٤ – ٤٤٥ وقارن ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٤ – ٤٧٥ .

....[1]

وبما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانًا أُدْهَم قَطُّ ، ولا يَرَوْنَ إضافته إلى
٣ دوابهم بالاصطبلات[2] .

[المُناخـات

وهى حَوَاصل الجمال ، وكان لهم من الجمال الكثيرة بالمُناخات وعُدَدِها
٦ الفائقة ما يقصر عنه الحدّ][3] .

حَوَاصِلُ الغِلَال

الأَهْرَاء السُّلْطَانية

٩ [وكانت أَهْرَاءُ الغِلَال السلطانية فى دولة الخلفاء الفاطميين حيث
المواضع التى فيها الآن خِزَانة شَمَائل[4] وماوراءها إلى قرب الحارة

---

(1) أورد المقريزى الحديث عن الشُّون متصلًا بالحديث عن الاصطبلات ، وقد أفردته بعد ذلك .

(2) المقريـزى : الخطـط ١ : ٤٤٥ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٥ .

(3) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٥ .

(4) خِزَانة شَمَائِل . كانت سجنًا فى عصر المماليك يقع بجوار باب زويلة على يَسْرة من دَخَل منه بجوار السور . وهى نسبة إلى الأمير علم الدين شمائل والى القاهرة فى أيام الملك الكامل محمد الأيوبى . (ابن واصل : مفرج ٤ : ١٩ - ٢٠) . يقول المقريزى : « وكانت من أشنع السجون وأقبحها منظرًا يحبس فيها من وَجَب عليه القتل أو القطع من السُّرّاق وقُطَّاع الطريق ومن يريد السلطان إهلاكه من المماليك » . وظلَّت كذلك إلى أن هدمها الملك المؤيد شيخ المحمودى فى يوم الأحد العاشر من شهر ربيع الأول سنة ثمان عشرة وثمانمائة وأدخلها فى جملة ما هدمه من الدور التى أقام فى أماكنها مدرسته الواقعة إلى اليوم داخل باب زويلة . وكان موضع الخزانة فى القسم الجنوبى من الجامع بجوار سور القاهرة الجنوبى . وقد استعاض الملك المؤيد عن خزانة شمائل ببناء سجن آخر فى الجهة الشمالية من القاهرة =

الوزيرية[١]][٢] قال ابن الطُّوَيْر : وأما الأَهْرَاء فإنها كانت فى عِدَّة أماكن بالقاهرة هى اليوم إصطبلات ومُنَاخات ، وكانت تحتوى على ثلاثمائة ألف أردب من الغلّات وأكثر من ذلك وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغداى[a] وآخر الغول وآخر القرافة ، ولها الحُماة من الأمراء ، والمُشارفون[b] من العدول ، والمراكب واصلة إليها بأصناف الغلات إلى ساحل مصر وساحل المَقْس ، والحمَّالون يحملون ذلك إليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية وأكثر ذلك من الوجه القبلى . ومنها إطلاق الأقوات لأرباب الرُّتَب والخِدَم وأرباب الصَّدَقات وأرباب الجوامع والمساجد وجِرَايات العبيد[c] السودان بتعريفات المجرمين[c] وما يُنفق فى الطواحين المعلقة[c] برسم خاص الخليفة ؛ وهى طواحين مداراتها[d] سفل وطواحينها علو حتى لا تقارب زِبْل الدَّواب[٣] ، ويُحمل دقيقها الخاص وما يختص بالجهات فى خرائط من شُقَق حَلَبِيَّة .

ومن الأَهْراء[e] تخرج جرايات رجال الأسطول وفيها ما هو قديم فيقطع بالمساحى ويخلط فى بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين ، وجرايات

(a) خزينة : بغداد . (b) بولاق : المشارفين . (c) ساقطة من الخطط . (d) بولاق : مدارها والمثبت من صبح . (e) خزينة : ومنها .

= بجوار باب الفتوح سمى « بالمَقْشَرَة » . (المقريزى : الخطط ٢ : ١٨٨ ، ٣٢٨ والسلوك ٤ : ١٥٣ ، ٣٨٦ ، ٤٢١ ، العينى : السيف المهند ٢٧٢ ، أبو المحاسن : النجوم ١٤ : ٣١ ، ٤٦ ، ابن إياس : بدائع الزهور ٢ : ٢٠) .

(١) حارة الوزيرية . منسوبة إلى الوزير يعقوب بن كِلِّس . وكانت فى زمن الدولة الفاطمية حارة كبيرة تقع فيما بين شارع الأزهر شمالًا الآن وشارع درب سعادة غربًا وشارع بيبرس الخياط شرقا وحارة الجودرية جنوبًا . (المقريزى : الخطط ٢ : ٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٥١) .

(٢) النص فى خزينة : « كانت الأهراء قديمًا فى زمان الخلفاء وما بعدها أيضًا داخل باب زويلة الكبير موضع السجن المعروف الآن بخزانة شمائل وما جاوره » . وهذا النص يدل على أن المقريزى كتب هذا الجزء قبل عام ٨١٨ وهو العام الذى بدئ فيه بهدم الخزانة .

(٣) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٦ .

السودان ، ومنها ما يستدعى بدار الضِّيافة لأخباز الرسل ومن يتبعهم ، وما يعمل من القمح برسم الكعك لزاد الأسطول فلا يفتر مستخدموها من دخل وخرج ولهم جامكيات[a] مميزة وجرايات برسم أقواتهم والشعير برسم دوابهم[b] وما يقبض من الواصلين بالغلات[c] إلّا ما يماثل العيون المختومة معهم وإلّا ذرّى وطلب العجز بالنسبة[١] .

شُوَنُ الغِلَال

قال [ابن الطُّوَير] : وكان فى الساحل بطريق مصر من القاهرة ، فى البساتين اليوم المنسوبة إلى ملك صارم الدين خَطلُبا[d][٢] ، شونتان مملوءتان تبنًا معبئًا[e] كتعبئته فى المراكب كالجبلين الشاهقين ، ولهما مستخدمون : حام ومُشَارف وعامل بجامكية جيدة تصل بذلك المراكب التَّبانة المؤهَّلة له من موظف الأتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل إليه فى أيام النيل . ولها رؤساء وأمرها جار فى ديوان[f] العمائر بالصناعة[٣] والإنفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الأواسى الديوانية وعوامل بساتين الملك . وإذا جرى بين[g] المستخدمين خلف فى تقليل[h] الشِّنّف التِّبن[٤] عن حدها[h] المعتبر[i] عادوا إلى قبضه

(a) من خزينة وفى الخطط : جامكية . (b) الخطط : وشعير لدوابهم . (c) الخطط : الغلال . (d) بولاق : حللبا . (e) بولاق وليدن : معبئتان . (f) خزينة : أبواب . (g) خزينة : من . (h) ساقطة من الخطط . (i) ميونخ : المعين .

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٤ – ٤٦٥ وانظر ابن المأمون : أخبار ٩٥ – ٩٦ .

[٢] المقصود هنا ساحل الخليج فبستان صارم الدين خَطلُبا أقيم فى موضع الحارة المنصورية التى خرّبها صلاح الدين ، وكانت سكنًا للسودان فى أعقاب واقعة العبيد . وكانت تقع إلى جانب الباب الجديد (الذى بناه الحاكم بأمر الله خارج باب زويلة) عند رأس الحارة المنتجبية فيما بينها وبين الهلالية ، وحُكِر بستان خَطلُبا فى الأيام الظاهرية . وكانت الحارة المنصورية تمتد جنوبًا إلى بركة الفيل قريبًا من صليبة ابن طولون . (المقريزى : الخطط ٢ : ١٩ – ٢٠ و ١٢٠) .

[٣] انظر أعلاه ص ٩٤ .

[٤] شِنْف جـ . أشناف . ضرب من الحبال على هيئة كيس كبير يستخدم فى نقل القش والتبن . (Dozy , op. cit , I , 792).

بالوزن فيكون الشَّنَف التِّبن ثلاثمائة وستين رطلًا بالمصرى نقيًا ، إذا أنفقوا دريسًا قد تغيَّرت صُوَر قَتّه كان عن القَتَّة اثنا عشر رطلًا ونصف . ولم يزل ذلك كذلك إلى آخر وقت[١] . ٣

حَوَاصِلُ البِضَاعَة

المُنَاخُ السَّعِيد بالعُطُوفِيَّة[a]

[وكان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحُجَر[٢] . المُنَاخ ، وهو موضع برسم طواحين القمح التى تطحن جرايات القصور ، وبرسم مخازن الأخشاب والحديد ونحو ذلك][٣] . ٦

قال ابن الطُّوَيْر : وأما المُناخات ففيها من الحواصل أيضًا مالا يحصره إلّا القلم من الأخشاب والحديد والطواحين النجدية والغشيمة ، وآلات الأساطيل من الأسلحة المعمولة بيد الفِرِنْج القاطنين فيه ، والقِنَّب والكِتَّان والمنجنيقات المعدَّة والطواحين الدائرة برسم الجرايات المقدم ذكرها ، والزُّفْت فى المخازن الذى عَلَتْه[b] الأتربة فلا ينقطع إلّا بالمعاول . قال : وقد أدْرَكْت هذه الدولة – يعنى دولة بنى أيُّوب – منه شيئًا كثيرًا فى هذا المكان انْتُفِع به ، ٩ ١٢

(a) من خزينة . (b) بولاق وليدن : عليه .

---

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٥ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٥ .

(٢) هذا الموضع يعادل اليوم المنطقة الواقعة ظهر خانقاه بيبرس الجاشنكير الواقعة فى شارع باب النصر ، وامتدادها شمالًا حتى حارة العطوفية داخل باب النصر على يسار الداخل منه .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٤ .

وإليها يأوى الفِرِنج فى بيوت بَرَسْمهم ، وكانت عِدَّتهم كثيرة ، ففيهم[a] من الجزَّارين والنَّجارين[b] والدهَّانين والفرَّانين[c] والخيَّاطين والفَعَلَة من العجَّانين والطحَّانين فى تلك الطواحين والفرَّانين فى أفران الجِرَايات . وفى هذا المكان مادّة أكثر أهل[d] الدولة . وحاميه أمير من الأمراء ومُشَارِفه عدلٌ[e] من العدول ، وفيه أيضًا شاهد النفقات ، وعاملٌ يتولى التنفيذ مع المُشَارف ، وعاملٌ برسم نَظْم الحساب من تعليقاتهما بجارٍ غير جواريهم لأن أوقاتهم مستغرقة فى مباشرة الإطلاقات وغيرها والله أعلم . وذكر ابن الطُّوَيْر[f] أن المأمون بن البَطَائِحى استجد طَوَاحين برسم الرَّواتب[1] .

خزَائِنُ دار أفْتكِين

قال ابن الطُّوَيْر : وكانت لهم دارٌ كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين ، الأمير[g] الذى وافق نِزَار بن المستنصر بالإسكندرية[2] ، جعلوها برسم الخَزْن ، فقيل : خزائن دار أفتكين[3] . وتحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول

(a) بولاق وليدن : ففيه . (b) الخطط : النجارين والجزارين . (c) الخطط : الخبازين . (d) ساقطة من خزينة . (e) ساقطة من بولاق . (f) خزينة : ابن عبد الظاهر . (g) زيادة من خزينة .

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٤ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٥ .

(2) عن أفتكين والى الإسكندرية وموافقته لنزار الابن الأكبر للمستنصر فى أعقاب وفاة المستنصر وتولية الأفضل للمستعلى الابن الأصغر للمستنصر راجع ، ابن ميسر : أخبار ٦٠ – ٦٣ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٧٢ – ٧٣ ، المقريزى : المقفى (خ . السليمية) ٢٠٨ ظ – ٢٠٩ و ، الاتعاظ ٣ : ١٢ – ١٥ ، الخطط ١ : ٤٢٣ .

(3) كانت دار أفتكين موضع دار القاضى الفاضل بدرب ملوخية بجوار المدرسة =

من الإسكندرية وغيرها ، وجميع القلوب المأكولة من الفُستُق وغيره والأعسال على اختلاف أصنافها ، والسكر والقند والشيرج والزيت ، فيخرج من هذه الخَزَائن بيد حاميها ، وهو من الأستاذين المميَّزين ، ومُشَارِفها ، وهو من المعدَّلين ، راتب المطابخ خاصًا وعامًا ليوم أو لأيَّام يَتَّفِق عليها[a] المستخدمون ، ثم لأرباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم فى كل شهر من أرباب الرُّتب حتى لا يخرج عمَّا يحتاجونه منها[b] إلَّا اللحم والخضروات وهى أبدًا معمورة بذلك[١] .

دَارُ الفِطْرَة

[كانت دار الفِطْرَة خارج القصر قبالة باب الدَّيْلَم الذى يُدْخَل منه إلى مشهد الحسين وإلى القصر بناها المأمون بن البطائحى الوزير فى أيام الآمر بأحكام الله][٢] .

قال المرتضى أبو محمد بن الطُّوَيْر : دارُ الفِطْرَة خارج القصر[c] قُبالة باب

(a) بولاق : ينفق منها . (b) ليدن : فيها . (c) بعد ذلك فى الخطط : بناها العزيز بالله ، وهو أوّل من بناها وقرّر فيها ما يعمل مما يحمل إلى الناس فى العيد . ويبدو أن هذه العبارة لابن عبد الظاهر وليست لابن الطوير .

= الفاضلية . (الخطط ١ : ٤٢٣ ، ٢ : ٣٨ ، ٣٦٦) . ودرب ملوخية هو الذى يعرف اليوم باسم حارة قصر الشوك المتفرعة من شارع قصر الشوك بالجمالية .

(١) المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٢ .

(٢) مخطوطة خزينة ٦٨ ظ .

وأوّل من رتَّب الفِطْرَة فى عيد الفِطْر الخليفة العزيز بالله ، وكانت تعمل وتُفرَّق بالإيوان ، ثم نُقلت فى عِدَّة أماكن آخرها دار المُلْك بفسطاط مصر فى وزارة الأفضل فى مطلع القرن السادس إلى أن بنى لها الوزير المأمون البطائحى الدار المذكورة فى النص فى خلافة الآمر بأحكام الله . (راجع ، القلقشندى : صبح ٣ : ٣٥٤ ، ٤٧٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٦ ، أبا المحاسن : النجوم ٤ : ١٢٢) .

ويحدَّد موقعها اليوم مجموعة المبانى الواقعة بين شارع الباب الأخضر وشارع أم الغلام بالجمالية .

الدَّيْلَم من القصر الذى يُدْخل منه إلى المَشْهَد الحُسَيْنى . ويكون مبدأ الاستعمال فيها تحصيل جميع أصنافها من السكر والعسل والقلوب والزَّعْفَران والطِّيب والدقيق لاستقبال النصف الثانى من شهر رجب كل سنة ليلًا ونهارًا[١] من الخُشْكَنَانج[a][٢] والبَسَنْدود وأصناف الفانيد الذى يقال له كعب الغزال والبَزْماورد[٣] والمُفَسْتَق وهو شوابير ومثال الصَّنج . والمستخدمون يرفعون ذلك[b] فى أماكن وسيعة مصونة فيحصل منه فى الحاصل شىءٌ عظيمٌ هائلٌ بيد مائة صانع . و[c] للحلاويين مقدَّم وللخُشْكَانيين آخر ، ثم يُنْدَب لها فَرَّاش لحمل طَيَافير[٤] التفرقة على أرباب الرُّسُوم خارجًا عمن هو مرتَّب لخدمتها من الفَرَّاشين الذين يحفظون رسومها ومواعينها الحاصلة بالدائم وعدَّتهم خمسة . فيحضر إليها الخليفة والوزير معه ، ولا يصحبه فى غيرها من الخزائن[d] لأنها خارج القصر ، وكل ما فيها[e] للتفرقة ، فيجلس على سريره

(a) فى مخطوطة خزينة : خشكنان . (b) الخطط : إلى . (c) الواو ساقطة من الخطط . (d) ساقطة من خزينة . (e) الخطط : وكلها .

---

(١) انظر فيما يلى ص ٢١٣ .

(٢) الخُشْكَنَانج ويقال أحيانًا الخُشْكنان . فارسى معرب ، هو دقيق الحِنْطة إذا عجن بشيرج . (الجواليقى : المعرب ١٨٢) . وصفة عمله أن يؤخذ الدقيق السميذ الفائق ويجعل على كل رطل ثلاثة أواق شيرج ويعجن عجنًا قويًا ويترك حتى يختمر ، ثم يقرص مستطيلًا ويجعل فى وسط كل واحدة بمقدارها من اللوز والسكر المدقوق المعجون بماء الورد المطيب ، وليكن اللوز مثل نصف السكر ، ثم تجمع على العادة وتخبز فى الفرن وترفع . (البغدادى : كتاب الطبيخ ، الموصل ١٩٣٤ ، ٧٨) .

(٣) البَزْمَاوَرْد ويقال له أيضًا الزُّماوَرْد ، معرَّب ، وهو الرقاق الملفوف باللحم . (المعرب ٢٢١) وصفة عمله أن يؤخذ الشواء الحار الذى قد فتر وهجه ويقطع ويجعل عليه ورق النعنع ويسير من خل وليمون مملوح ولب جوز ويرش عليه يسير ماء ورد ويُدَق بالساطور دقًّا نعيمًا ولا يزال يسقى خلًّا إلى أن يشربه جيدًا . ويؤخذ الخبز السميذ الفائق الملبب فيخرج لبابه ثم يحشى من ذلك الشواء حشوًا جيدًا ويقطع بالسكين قطعا متوسطة مستطيلة . ويؤخذ مركن فخار يبل بالماء وينشف ويرش فيه ماء ورد ثم يفرش فيه نعنع طرى ويعبى فيه بعضه فوق بعض ثم يغطى أيضًا بشىء من النعنع ويترك ساعة ويستعمل ، ويؤكل أيضًا باتنا فيكون طيبا . (البغدادى : كتاب الطبيخ ٥٩) .

(٤) طَيْفُور جـ . طَيَافير . (انظر أعلاه ص ١٣١).

بها ويجلس الوزير على كرسى مُلَيَّن كعادته[a] فى النصف الثانى من شهر رمضان ويدخل معه قوم من الخواص ، ثم يُشاهِد ما فيها من تلك الحَوَاصِل المعمولة المعبأة مثل الجبال من كل صنف ، فيفرّقها من ربع قنطار إلى عشرة أرطال إلى رطل واحد وهو أقلّها ، ثم ينصرف الخليفة[b] والوزير بعد أن يُنعم على مستخدميها بستين دينارًا . ثم يُحْضَر إلى حاميها ومُشارفها الأدعية المعمولة المُخْرَجة من دفتر المجلس كل دَعْو لفريق ، فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من أرباب الرسوم من هذا الصنف إلَّا واسمه وارد فى دَعْوٍ من تلك الأُدعية . وينِدب صاحب الديوان الكبير الكُتَّاب المسلمين فى الدواوين فيسيرهم إلى مستخدميها فيسلم كل كاتب دَعْوا أو دعوين أو ثلاثة على كثرة ما تحتويه وقِلّته ، ويؤمر بالتفرقة من ذلك اليوم فيقدّمون أبدًا مائتى طيفور من العال والوَسَط والدون ، فيحملها الفرَّاشون بِرِقَاع من كُتَّاب الأدعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دنا ، وينزل اسم الفرَّاش أمام اسمه بالدعو و[c] عَرِيفه حتى لا يضيع منها شىء ولا يختلط . ولايزال الفرَّاشون يخرجون بالطيافير ملأى ويدخلون بها فارغة ، فبمقدار ما تحمل المائة الأولى عبثت المائة الثانية ، فلا يفتر ذلك طول التفرقة . فأجلّ الطيافير ما عدد خُشْكنانجه مائة حَبَّة ثم إلى خمس وسبعين[d] ، ويكون على صاحب المائدة طرحة فوق قَوَّارته[1] ثم إلى خمسين ثم إلى ثلاث وثلاثين ثم إلى خمس

(a) الخطط : على عادته . (b) ساقطة من خزينة . (c) بولاق : أو . (d) الخطط : إلى سبعين وخمسين .

(1) قَوّارة جـ . قوّارات . ما قُوِّر من الثوب وغيره أو يُخص بالأديم ، وما قَطَعْت من جوانب الشىء (القاموس ٦٠٠) . قال أبو الفدا : « ولأصحاب جغرافيا اصطلاح فى تعريف البحور فيقولون : يمتد كالقوّارة وكالشابورة وكالطيلسان ونحو ذلك » (تقويم البلدان ١٩ س ٩) . وكانت القوّارات تستخدم فى تغطية الصوانى ، يقول ابن المأمون : كان يستعمل فى الطِّراز للولائم « التى تتخذ برسم تغطية الصوانى عدة من عَرَاضى ديبقى ، ثم قوّارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى مَفْتح كل قَوّارة منهن دون أربعة =

وعشرين ثم إلى عشرين ، ونسبة منثور كل واحد على عدد خُشْكنانجه ، ثم
العبيد السودان بغير طَيَافير كل طائفة يتسلَّمه لها عُرَفاؤها فى أفراد الخوص لكل طائفة
٣ على مقدارها الثلاثة الأفراد والخمسة والسبعة إلى العشرة ، فلا يزال الوزن
كذلك إلى أن ينقضى شهر رمضان ولا يفوت أحدًا شىء من ذلك ويتهاده
الناس فى جميع الإقليم . قال : وما يُنْفق فى دار الفِطْرَة فيما يُفَرَّق على الناس
٦ منها سبعة آلاف دينار[1] .

= أشبار ، (أخبار مصر ٧٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٢) . وانظر أعلاه ص ١٣٠ وفيما يلى ص ١٧٠ ، ٢٠٢ .

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٢٥ – ٤٢٦ والنص المثبت هنا التزم بألفاظ مخطوطة خزينة ، وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٥٢٥ .

الفصل الخامس

الركوب في المواكب العظام

رُكُوبُ أوَّل العَام[1]

[التحضير للموكب][2]

قال ابن الطُّوَيْر : فإذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من كل سنة انتصب كلٌّ من المستخدَمين بالأماكن التى يأتى ذكرها لإخراج آلات الموكب من ٣ ٦

---

(1) هذا الفصل والفصل التالى مما انفرد به ابن الطُّوَيْر ، فكل ما نعرفه عن ركوب الخلفاء الفاطميين فى المواكب العظام والمواكب المختصرة وكذلك جلوس الخلفاء فى مجلس الملك والأسْمِطَة التى كانت تُمَدّ فى قاعة الذَّهَب فى المواسم والأعياد المختلفة ندين به إلى ابن الطُّوَيْر .
وقد تنبَّه إلى أهمية ما أورده ابن الطُّوَيْر عن ركوب الخلفاء فى موسم أول العام ، وحفظه لنا مؤرخو القرن التاسع ، المستشرق الروسى إنسترونزف فنقل إلى الروسية ما كتبه ابن الطُّوَيْر عن ركوب أول العام اعتمادًا على المقريزى مع الاسترشاد بما ورد عند أبى المحاسن والقلقشندى (الذى لم يكن قد نشر بعد وإن وجدت له ترجمة ألمانية) مع مقدمة وتعليقات فى غاية الأهمية Inostrantsev, K. A., Toryestvenii Viezd Fatimidiskikh Khalifov in *Zap. Vost. Otdyel. Imp. Russ. Arkheol. Obshcestva*, XVII (St- Petersbourg 1905).
ونظرًا لعدم تيسر الرجوع إلى ما كتبه إنسترونزف فقد نقل ماريوس كانار كلام ابن الطُّوَيْر إلى الفرنسية مذيِّلًا بتعليقات المستشرق الروسى وملاحظات كانار الشخصية . (Canard, M., « La procession du nouvel an chez les Fatimides », *AIEO* X (1952), pp. 364 - 395. ، وقد استفدت كثيرًا من عملهما فى نشر ما يتعلّق بركوب أول العام .

(2) هذا وصف نموذجى لترتيب الموكب فى آخر الدولة الفاطمية . وللأسف فإننا لا نعرف إذا كان الفاطميون قد عرفوا الاحتفال بهذا اليوم على هذا الترتيب فى أول دولتهم أم لا ؛ فمخطوطة « أخبار مصر » للمُسَبِّحى ، والتى نشرتها فى سنة ١٩٧٨ ، يوجد بها سقط ضاع معه حوادث أول المحرم سنة ٤١٥ فلم نتعرف على كيفية الاحتفال بركوب أول العام فى هذا الوقت المتقدم ، إلّا أن المقريزى ذكر فى حوادث سنة ٣٩٠ (فى أغلب الظن نقلًا عن المُسَبِّحى) أن الخليفة الحاكم ظهر فى أول المحرم ودخل الناس فهنئوه بالعام (اتعاظ ٢ : ٢٥) ولاشك أن ذلك كان من عادة القوم ، وأخذ يتكرَّر فى الأعوام التالية .
أما أول إشارة تقابلنا فى المصادر عن ركوب الخلفاء فى موسم أول العام وما كان يصحبها من استعدادات ، فقد وردت عند ابن المأمون فى حوادث سنة ٥١٧ ولكن بدون التفصيلات =

الأسلحة وغيرها . فيخرج من خزائن الأسلحة ما يحمله صبيان الركاب[١] حول الخليفة من السلاح وهو : الصماصيم المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدبة[a][٢] لغيرهم[b] ، والدبابيس الملبسة[c] بالكيمخت[٣] الأحمر والأسود ٣ ورؤسها مدورة مضرسة أيضًا[b] ، واللتوت[٤] كذلك ، ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضًا ، وآلات يقال لها المستوفيات وهى عمد حديد من طول ذراعين مربعة الأشكال بمقابض مدورة فى أيديهم بعدة معلومة من كل صنف فيتسلمها ٦ نقباؤهم فى [d]ضمانهم وعليهم إعادتها إلى الخزائن بعد تقضى الخدمة بها[٥] .

ويخرج لطائفة من العبيد الأقوياء السودان الشباب ويقال لهم « أرباب السلاح الصغير »[e] ، وهم ثلاثمائة عبد ، لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة ٩ تحتها جلب فضة كل اثنتين فى شرابة ، وثلاثمائة درقة بكوابج[f][٦] فضة

(a) ساقطة من النجوم وفى خزينة : المجذوبة . (b) ساقطة من بولاق . (c) ساقطة من ليدن ومبوخ . (d) بولاق : وهى فى . (e) الخطط : الصفر والتصويب من خزينة والنجوم . (f) بولاق : بكوامخ .

= الغنية التى ذكرها ابن الطوير . (أخبار ٥٨ – ٥٩) .

[١] صبيان الركاب . كان عددهم فى الدولة الفاطمية يزيد على ألفى رجل ولهم إثنا عشر مقدم هم أصحاب ركاب الخليفة منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب اليمين ولكل من هؤلاء المقدمين فى كل شهر خمسون دينارًا . (انظر أعلاه ص ٨٥ ، ١٢٤) .

[٢] استند استرونزف على كلمة السيوف المحدبة ليقرر أن الصمصام يعنى سيفًا مستقيمًا بالمقابلة بالسيف المحدب . وأضاف أن كلمة « مكان » فى النص تعنى أنه لا هؤلاء الصبيان ، فى مناسبات أخرى ، ولا غيرهم أيا كان عملهم كان يتمتع بميزة حمل هذه السيـوف .

(Canard , M., *op. cit.*, p. 368 n. 14) .

[٣] الكيمخت . ضرب من الجلود المدبوغة كان يستخدم فى عمل الدروع والجواشين (Dozy , *op. cit.*, II, 515 ; Cahen , Cl., *Un traité d'armurerie* pp. 114 , 116 . 117) .

[٤] اللتوت جمع لت . فارسى معرب وهو القدوم والفأس العظيمة . (Cahen , Cl., *op. cit.*, p. 117) .

[٥] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٠ .

[٦] الكوابج . عن الكلمة التركية göbek بمعنى سرة أى أن فى وسطها جلبة أو زخرفة محدبة أو مقعرة . (Canard , M., *op. cit.*, p. 370 n. 18).

يتسلَّم ذلك عرفاؤهم على ما تقدَّم ، فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودَرَقَة[١] .

ثم يخرج من خزانة التَّجمُّل ، وهى من حقوق خَزَائن السِّلاح[٢] ، القَصَب[a] الفضة برسم تشريف الوزير والأمراء أرباب الرُّتَب وأزِمَّة العساكر والطوائف من الفارس والراجل ، وهى رِمَاح مُلَبَّسة بأنابيب الفِضَّة المنقوشة بالذهب إلَّا ذراعين منها فيشد فى ذلك الخالى من الأنابيب عِدَّة من المَعَاجِر[٣] الشَّرْب[٤] الملوَّنة وتترك أطرافها المرقومة مُسْبَلة كالسَّنَاجِق[b][٥] وبرؤسها رَمَامِين[٦] منفوخة فضة مذهبة وأهِلَّة مجوَّفة كذلك ، وفيها جلاجل لها حِسٌّ إذا تحرَّكت ، وتكون عدَّتها ما يقرب من مائة .

ومن العَمَّاريات[٧] ، وهى شبه الكجاوات[c][٨] من الدِّيباج الأحمر ، وهو

(a) نجوم وصبح : القضب . (b) بولاق : الصناجق . (c) بولاق : الكخاوات وصبح : الكنجاوات .

---

[١] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٠ .

[٢] نفسه ٣ : ٤٧٤ .

[٣] المِعجَر كمِنبر جـ . مَعَاجِر . ثوب يلف به (القاموس ٥٦٠) وفى اللسان ٦ : ٢١٨ أنه ثوب تعتجر به المرأة أصغر من الرداء وأكبر من المَقْنَعَة . وقد استخدمه ابن المأمون (أخبار ٥٠) بهذا المعنى عند حديثه على ملابس إحدى نساء الخليفة . والمعجر كذلك ضرب من ثياب اليمن (اللسان والقاموس) .

[٤] الشَّرْب جـ . شروب : انظر أعلاه ص ١٢٩ .

[٥] سَنْجَق جـ . سناجق : والسنجق باللغة التركية معناه الطعن ، سميت الراية بذلك لأنها تكون فى أعلى الرمح . (القلقشندى : صبح ٢ : ١٣٤ ، Deny , J., EI¹., art. Sanjaq IV , 154).

[٦] رُمَّان جـ . رمامين . الفاكهة المعروفة .

[٧] عَمَّارية جـ . عمَّاريات . الهودج يجلس فيه . (ناصر خسرو : سفرنامة ٩٤ ، ٩٦ ، Dozy , op. cit., II , 171 - 172).

[٨] الكجاوات لفظ فارسى بمعنى المحمل أو المَحَفَّة .

أجلّها ، والأصفر والقُرقُوبى والسِّقْلاطون[١] مبطَّنة مضبوطة بزنانير[٢] حرير ، وعلى دائر التربيع منها مناطق بكَوَابِج[a] فضة مسمورة فى جلد نظير عدد القصب فيسير من القصب عشرة ومن العَمَّاريات مثلها من الحمر خاصة للوزير[b][٣] .

ويخرج للوزير خاصة لواءان على رمحين طويلين مُلَبَّسين بمثل تلك الأنابيب ونفس اللواء ملفوف غير منشور ، وهذا التشريف يسير أمام الوزير وهو للأمراء من ورائهم ، ثم يسير للأمراء أرباب الرُّتَب فى الخِدَم وأولهم صاحب الباب ، وهو أجَلُّهم ، خمس[c] قصبات وخمس عَمَّاريات ، ويرسل[d] لإسْفِهْسَلار العساكر أربع قصبات وأربع عَمَّاريات من عِدَّة ألوان ، ومَنْ سواهما من الأمراء على قدر[d] طبقاتهم ثلاث قصبات وثلاث عَمَّاريات ، واثنتان واثنتان ، وواحدة وواحدة .

ثم يخرج من البُنُود الخاص الدَّبيقى المرقوم الملوّن عشرة برماح ملبَّسة بالأنابيب وعلى رؤسها الرَّمَامينُ والأهِلَّة للوزير خاصّة ، ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبَّسة ورؤسها ورمامينها من نحاس مجوَّف مطلى

(a) بولاق : بكوابج . (b) زيادة من خزينة . (c) فى النجوم : عشر . (d) ساقطة من خزينة .

---

[١] القُرْقُوبى . نسيج ينسب إلى مدينة قُرْقُوب بالقرب من تُسْتر فى خوزستان كانت من أكبر مراكز النسيج فى العصر الإسلامى . (Serjeant , R. B., *op. cit.*, p. 45). وعن السقلاطون انظر أعلاه ص ١٢٩ .

[٢] زنار جـ . زنانير . يرى إنسترونزف أنها تعنى أربطة جانبية فى مقابل المناطق التى تمسك الهودج دائر ما يدور .

[٣] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٠ – ٧١ .

بالذهب فتكون هذه أمام الأمراء المذكورين من تسعة إلى سبعة[a] إلى خمسة .

ثم يخرج لقوم يقال لهم السَّبْرْبَرِيَّة[b][1] سلاحٌ كل قطعة طول سبعة[a] أذرع[c] برأسها طلعة مصقولة وهى من خشب القُنْطاريات[2] داخلة فى الطلعة وعقبها حديد مدوّر السُّفْل[d] ، وهى فى كف حاملها الأيمن وهو يفتلها فيه فَتْلًا متدارك الدوران[3] ، وفى يده اليسرى نُشَّابة كبيرة يخطِر بها وعدّتها ستون مع ستين رجلًا يسيرون رجَّالة فى الموكب يَمْنة ويَسْرة .

ثم يخرج من النَّقَّارات حمل عشرين[e] بغلًا على كل بغل ثلاث[f] ، مثل نقّارات الكوسات بغير كوسات ، يقال لها طُبُول حَلَب[g] يتسلّمها صنّاعها ويسيرون فى الموكب اثنين اثنين[h] ولها حِسٌّ مستحسن[4] ، وكان لها ميزة عندهم فى التشريف .

ثم يخرج لقوم متطوّعين بغير جار ولا جراية ، تقرب عدّتهم من مائة

(a-a) ساقطة من الخطط والمثبت من خزينة وصبح والنجوم . (b) صبح : السربرية .
(c) النجوم : ثلاثة أذرع . (d) بولاق وليدن : أسفل . (e) النجوم : خمسين .
(f) النجوم : خمس . (g) ساقطة من الخطط ومثبتة من خزينة . (h) النجوم : ثلاثا .

[1] وردت هذه الكلمة فى صبح ٣ : ٤٧٠ السربرية خطأ والعبارة كلها ساقطة من الخطط ومثبتة من مخطوطة خزينة . والسَّبْرْبَرِيَّة نسبة إلى السَّبْرْبَرات وهى جنس من الرِّماح . جاء فى كتاب « تبصرة أرباب الألباب » أن طولها خمسة أذرع وأسنتها عراض طوال يكون عرضها سعة الفتر وطولها دراع وأكثر . (Cahen , Cl. *Un traité d'armurerie* p. 11).

[2] القُنْطاريات من اليونانية Kontarion ، جنس من الرماح يصنع من الخشب الزان والشوح ليست بالطويلة ، اشتهر بصنعها بنو الأصفر ومن جانسهم من الروم وأسنتها قصار عراض كهيئة البلطية وما جرى مجراها . (Cahen , Cl., *op. cit.*, p. 11 ، أبو شامة : الروضتين ١ : ٤٦٠ ، ابن واصل : مفرج ١ : ١٨٣ Dozy , *op. cit.*, II, 421).

[3] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٠ .

[4] نفسه ٣ : ٤٧١ .

رجل لكل واحد دَرَقَة من دَرَق اللَّمْط[١] ، وهى واسعة ، وسَيْف ، ويسيرون أيضًا رجَّالة فى الموكب[٢] . هذه[a] وظيفة خَزَائِن السِّلاح .

٣ ثم يحضر حامى خَزَائِن السُّروج ، وهو من الأستاذين المُحَنَّكين ، إليها مع مُشَارِفها ، وهو من الشُّهود المعدَّلين ، فيُخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلى ما هو برسم ركوبه وما يجنب فى موكبه مائة سرج ، منها ٦ سبعون على سبعين حصانًا ومنها ثلاثون على بغال وبغلات[b] ، كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب وفِضَّة أو من ذهب مُنَزَّل فيه المينا ، أو من فِضَّة مُنَزَّلَة بالمينا ، وروادفها وقَرَابيسها[٣] من نسبتها . ومنها ما هو مرصَّع ٩ بالجواهر الفائقة وفى أعناقها الأطواق الذهب وقلائد العنبر ، وربما يكون فى أيدى وأرجل أكثرها[c] خلاخل مسطوحة دائرة عليها ، ومكان الجلد من السروج الديباج الأحمر والأصفر وغيرهما من الألوان والسِّقْلاطون المنقوش بألوان ١٢ الحرير ، قيمة كل دابة وما عليها من العدّة ألف دينار ، فيُشَرِّف الوزير من هذه بعشرة خُصِيصْن[d] لركوبه وأولاده وإخوته ومن يعزّ عليه من أقاربه ، ويسلم ذلك لعُرَفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التى هى ثابتة فيها ١٥ بعلاماتها فى أماكنها وأعدادها ، وعدد كل مَرْكَب منقوش عليه مثل أول وثان وثالث إلى آخرها كما هو مسطور فى الجرائد فيُعَرِّف[e] بذلك قطعة قطعة ويسلمها العُرَفاء للشدَّادين لضمانهم[f] بضمان عرفائهم إلى أن تعود وعليهم ١٨ غرامة ما نقص منها وإعادتها بِرُمَّتها .

(a) فى كل النسخ : هذا وفى النجوم : هذا ما يخرج من خزائن السلاح . (b) بولاق وليدن : على ثلاثين بغلة . (c) خزينة : أيديها وأرجلها . (d) بولاق وليدن : حصن والمثبت من خزينة . (e) ليدن : يفرق . (f) ساقطة من الخطط والمثبت من خزينة .

---

(١) اللَّمْط . أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب ، ينسب إليها الدرق لأنهم ينقعون الجلود فى الحليب سنة ، فيعملونها فينبو عنها السيف القاطع . (القاموس ٨٨٦) .

(٢) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٠ .

(٣) انظر فيما يلى ص ١٦٤ .

ثم يُخْرج من الخزانة المذكورة لأرباب الدَّواوين المرتبين فى الخِدَم على مقاديرهم مركَّبات أيضًا من الحلى دون ما تقدَّم ذكره ما يقرب عدَّته من ثلاثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال يتسلمها العُرَفاء المقدَّم ذكرهم على الوجه المذكور ، ويُنْتَدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب الخِدَم سيفًا وقلمًا فيُعَرِّف كل شدَّاد صاحبه فيحضر إليه بالقاهرة ومصر سَحَر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم من دينار إلى نصف دينار إلى ثُلْث دينار .

[يَوْمُ عَرْض الخَيْل]

فإذا تكامل[a] هذا الأمر وتسَلَّم أيضًا الجمَّالون بالمُنَاخات أغْشِية العَمَّاريات ، [b]وتكون إزاحة العِلَّة فى ذلك كله[b] إلى آخر الثامن والعشرين من ذى الحجة ، وأصبَح اليوم التاسع والعشرون ، وهو سلخه على رأى القوم ، عَزَم الخليفة على الجلوس فى الشُّبَّاك[1] لعَرْض دوابه الخاص المقدّم ذكرها ويقال له « يوم عرض الخيل »[c] ؛ فيُستَدْعَى الوزير بصاحب الرِّسَالة ، وهو من كبار الأستاذين المُحَنَّكين وفصحائهم وعقلائهم ومحصليهم ، فيمضى إلى استدعائه فى هيئة المسرعين على حصان دِهْرَاج[d][2] امتثالًا لأمر الخليفة بالإسراع على خلاف حركته المعتادة ، فإذا عاد مَثَل بين يدى الخليفة وأعلمه باستدعاء الوزير [e]فيخرج من مكانه راكبًا فى القصر[e] — ولا يركب أحدٌ فى

(a) ليدن : انكمل . (b-b) بولاق وليدن : ويكون إزاحة فى ذلك كله . (c) خزينة : الدواب . (d) خزينة وليدن : رهواج . (e-e) بولاق وليدن : فيخرج راكبا من مكانه فى القصر .

---

(1) الشُّبَّاك . انظر المقدمة ص ٩٧* — ٩٨* . (2) الدُّهْرَجة . السير السريع ، وحصان دهراج أى سريع السير . (القاموس ٢٤٢) .

القصر إلّا الخليفة(١) – فينزل فى السَّهْدِلّا[a] بدِهْلِيز باب المُلْك الذى فيه الشُّبَّاك(٢) وعليه من ظاهره للناس سترٌ ، فيقف من جانبه الأيمن زِمامُ القصر ومن جانبه الأيسر صاحب بيت المال ، وهما من الأستاذين المُحَنَّكين . فيركب الوزير من داره وبين يديه الأمراء ، فإذا وصل إلى باب القصر ترجَّل الأمراء وهو راكب ، ويكون دخوله فى هذا اليوم من باب العيد(٣) ولا يزال راكبًا إلى أوَّل باب من الدَّهاليز الطوال(٤) فينزل هناك ويمشى فيها وحواليه حاشيته وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه ، فيصل إلى الشُّبَّاك فيجد تحته كرسيًا كبيرًا من كراسى السكين[b](٥) الحديد فيجلس عليه ورجلاه تطأ الأرض ، فإذا استوى جالسًا رفع كل أستاذ الستر من جانبه فيرى الخليفة جالسًا فى المرتبة الهائلة ، فيقف ويُسَلِّم ويخدم بيده إلى الأرض ثلاث[c] مرَّات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس ، ويستفتح القرَّاء بالقراءة قبل كل شىء بآيات لائقة بذلك المكان[d] مقدار نصف ساعة ثم يُسَلِّم الأمراء

(a) بولاق : السدلا . (b) بولاق وليدن وميونخ : البلق . (c) النجوم : خمس . (d) بولاق وليدن : الحال .

---

(١) انظر فيما يلى ص ٢١٠ واستثنى من ذلك الناصر صلاح الدين ، فقد كان يدخل إلى العاضد فى القصر راكبًا . (أبو شامة : الروضتين ١ : ٤٤٠) .

(٢) لا شك أن « غرض الخيل » كان يتم فى فناء داخلى للقصر الشرقى الكبير بالقرب من « دِهْليز باب الملك » حيث كانت توجد « السَّهْدِلّا » و « الشُّبَّاك » ، يتوصَّل إليه من باب العيد .

وعن « السَّهْدِلّا » و « الشُّبَّاك » انظر المقدمة ص ٩٦* – ٩٩* .

(٣) باب العيد . انظر فيما يلى ص ١٧٨ .

(٤) الدُّهاليز الطوال . هى دون شك ما أسماه غليوم أسقف صور ، كما نقل كلامه إلى الفرنسية جستاف شلمبرجيه : « longues et étroites allées voûtées tout à fait obscures » ، « دهاليز طويلة وضيِّقة مقبَّبة حالكة الظلام ، لا يستطيع الإنسان أن يتبين فيها شيئًا » . (انظر المقدمة ص ٩٣* ، ابن المأمون : أخبار ٥٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٦) .

(٥) السكين . هذه الكلمة ساقطة من صبح والنجوم ووردت فى بولاق : البلق . والكلمتين غير ذات دلالة .

ويُشْرَع فى عرض [a]تلك الدواب[a] الخاص المقدَّم ذكرها دابة دابة وهى تقاد[b] كالعرائس بأيدى شَدَّاديها إلى أن يكتمل عرضها ، فيقرأ القُرَّاء لختم ذلك الجلوس ، ويرخى الأستاذان السترين[c] ، فيقوم[d] الوزير ويدخل إليه ٣
ويُقَبِّل يديه ورجليه وينصرف عنه خارجًا إلى داره ، فيركب من مكان نزوله والأمراء بين يديه لوداعه إلى داره ركبانًا ومشاة إلى قرب المكان ، و [e]ينقضى هذا الأمر[e][1] . ٦

[آلات المَوْكِب][2]

[التَّــاج] .

فإذا صلَّى الخليفة الظهر ، بعد انفضاض ما تقدَّم ، جَلَس لعَرْض ما يلبسه ٩
فى غد[f] تلك الليلة وهو « يَوْمُ اسْتِفْتَاح[g] العَام » بخزائن الكُسْوات الخاصة[3] ويكون لباسه فيه البياض غير المُــوَشَّح فيعين على مِنْديل[4] خــاص

(a-a) بولاق وليدن ومبوغ : الخيل والبغال . (b) بولاق وليدن ومبوغ : هادئة . (c) بولاق : الستر . (d) بولاق وليّدن ومبوغ : فيقدم . (e-e) ساقطة من ليدن . (f) فى الخطط : عيد والمثبت من خزينة . (g) الخطط : افتتاح .

[1] المقريزى : الخطـط ١ : ٤٤٦ - ٤٤٨ .

[2] استخرج القلقشندى من هذا العرض الفصل الذى أفرده لذكر الآلات الموكبية : (صبح ٣ : ٤٦٨ - ٤٧١) وكذلك التعريف بأهم وظائف الأستاذين المُحَنَّكين وغير المُحَنَّكين .

[3] انظر أعلاه ص ١٢٩ .

[4] المِنْديل ـ آلة قديمة للملوك ، فقد حكى أنه كان للوزير الأفضل بن بدر الجمالى مائة بَدْلة معلقة على أوتاد من ذهب ، على كل بَدْلة منها مِنْديل من لونها . (القلقشندى : صبح ٢ : ١٣٢) . ولم يكن التاج الفاطمى تاجًا بمعنى الكلمة بل كان عمامة ضخمة يلفها موظف مختص شَدَّة غريبة مفردة ذات شكل منفوخ ذى استطالة يزينها فى وسطها الجوهرة المعروفة باليتيمة =

وبَذْلة[١] ، فأما المِنْديل فيُسَلَّم لشَادّ التاج الشريف ، ويقال لها[a] « شَدَّة الوَقّار » ، وهو من الأستاذين المُحَنَّكين ، وله مَيْزة لمماسه ما يعلو تاج الخليفة
٣ فيشدها شَدَّة غريبة لا يعرفها سواه شكل الإهْلِيلَجة ، ثم يحضر إليه « اليَتِيمَة »[٢] ، وهى جوهرة عظيمة لا يُعْرف لها قيمة ، فتُنْظم هى وحواليها دونها[b] من الجواهر[٣] وهى موضوعة فى « الحَافِر » ، وهو شكل الهِلَال[c]
٦ من ياقوت أحمر ليس له مثال فى الدنيا[٤] ، فينظم على خِرْقة حرير أحسن وضع فيخيطها شادُّ التاج بخياطة خفية[d] ممكنة فتكون بأعلا جبهة الخليفة . ويقال : إن زنة الجوهرة سبعة دراهم ، وزنة الحَافِر أحد عشر مثقالًا وبدائرها
٩ قَصَب[e] زمرد ذُبَابى له قدر عظيم[٥] .

(a) بولاق : له والنجوم : يقال له شد الوقار . (b) بولاق : مادونها . (c) خزينة : الهلالين . (d) الخطط والنجوم : خفيفة . (e) الخطط : قصبة .

= وفى أوائل عهد الدولة الفاطمية بمصر لم تكن عمامة الخليفة (التاج) بهذا الشكل ، فالمسبحى يحدثنا عن استخدام الخليفة لعدد من العمائم المختلفة الأنواع (أخبار ١٤٧) . كما يحدثنا ناصر خسرو عن استخدام الخليفة للعمامة أثناء حديثه على احتفال فتح الخليج (سفرنامة ٩٦) كما يذكر أبو صالح الأرمنى عند وصفه لفتح الخليج أن الخليفة المستنصر كان متوجًا أثناءه بمنديل الجوهر والمظلة منشورة عليه وهو فى ... [كذا] جالس فوق دكة الوقار . (تاريخ ٣٢) . كذلك فإن ابن الطُّوَيْر عند حديثه على احتفال فتح الخليج اكتفى فقط باستخدام كلمة المنديل أو شَدَّة الوقار (فيما يلى ص ١٧١) .
أما ابن المأمون فقد ذكر أن شَدَّة الوقار هى المنديل بالشَدَّة العربية التى ينفرد الخليفة بلباسها فى الأعياد والمواسم خاصة لا على الدوام ، وكانت تُرصّع بغالى الياقوت والزمرد والجوهر ، وعند لباسها تخفق لها الأعلام ويُتَجَنَّب الكلام ويهاب . (أخبار ٤١ و ٧٥) وانظر كذلك Canard , M., *Le cérémonial fatimide* pp. 390 - 392.

[١] انظر وصفا لعدد من بدل الخليفة عند ابن المأمون : أخبار ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٥ .

[٢] ذكر صاحب الذخائر والتحف ١٧٧ درة أخرى معروفة باليتيمة كانت عند مسلم بن عبد الله العراقى وباعها إلى الخليفة الرشيد العباسى بسبعين ألف دينار !

[٣] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٨ .

[٤] انتقل الفص الحافر ، وهو من ياقوت أحمر وزنه سبعة دراهم ، إلى الخلفاء الفاطميين بمصر من بنى العباس . (الذخائر والتحف ١٩٣) .

[٥] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٨ و ٤٦٩ .

[المِظَلَّة] .

ثم يؤمر بشَدّ المِظَلَّة التى تُشَاكل تلك البِذْلَة المحضرة بين يديه معها وهى مناسبة للثياب[1] ، ولها عندهم جلالة لكونها تعلو رأس الخليفة . وهى إثنا ٣
عشر شَوْزَكًا[a] عرض سُفْل كل شَوْزَك شبر ، وطوله ثلاثة أذرع وثلث ، وآخر الشَّوْزَك[a] من فوق دقيق جدًا فيجتمع مابين[b] الشَّوَازِك[a] فى رأس
عمودها بدائرة ، وهو قُنطارية[2] من الزَّان ملَبَّسة بأنابيب الذهب ، وفى آخر ٦
أنبوبة تلى[c] الرأس من جسمه فَلَكة بارزة مقدار عرض إبهام تَشُدّ[d] آخر الشَّوَازِك فى حَلْقة من ذهب وتنزل شنقًا[e] فى رأس الرُّمح[3] وهو مفروض
فتلقى تلك الفَلكة فتمنع المِظَلَّة من الحدور فى العمود المذكور[f] ، ولها ٩
أضلاع من خشب الخَلَنْج[4] مربعات مكسوة بورق[g] الذهب على عدد الشوازك[a] خفاف فى الوزن طولها طول الشَّوَازِك[a] ، وفيها خطاطيف لطاف
وحِلَق يُمْسك بعضُها بعضًا ، وهى تنضم وتنفتح على طريقة شوكات الكيزان ، ١٢
ولها رأس شبه الرُّمَّانة وتعلوه رمَّانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان ، ولها رفرف دائر يفتحها من نسبتها عرضه أكثر من شبر ونصف وسفل

(a) بولاق : شوركا . (b) خزينة : فيجمع بين . (c) صبح : تلتى . (d) خزينة : فيشد . (e) بولاق : ويترك متسعا ، ليدن : ويترك سبعا . (f) خزينة : المذكور . (g) الخطط : وزن .

---

[1] أكّد ابن الطوير (فيما يلى ص ١٧٧) أنه كان من شرط المظلة عند الفاطميين أن تكون لون الثياب التى يلبسها الخليفة فى الموكب ، لا تخالف ذلك .

ويبدو أن هذا تقليدٌ استجد فى القرن السادس ، فالمُسَبِّحى فى مطلع القرن الخامس يذكر فى أكثر من موضع أن المظلة كانت تخالف لون ثياب الخليفة (أخبار ٦٢ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٨٠) وكانت دائمًا مظلة مذهبة مثقل . وانظر كذلك ناصرى خسرو : سفرنامة ٩٦ ، Canard , M., *op. cit.*, p. 389 n. 3.

[2] قنطارية . انظر أعلاه ص ١٥١ .

[3] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٩ .

[4] الخَلَنْج . انظر أعلاه ص ١٣١ .

الرُّمَّانة فاصل يكون مقداره ثلاث[a] أصابع ، فإذا أُدخلت الحَلقَة الذهب الجامعة لآخر شوازك المِظَلَّة فى رأس العمود ركبت الرُّمَّانة عليها ولُفّت فى عَرَضى[b] دبيقى مذهب فلا يكشفها منه إلّا حاملها عند تسليمها إليه أوّل وقت الركوب .

[لِوَاءا الحَمْد] .

ثم يؤمر بشد لِوَاءَى الحَمْد المختصين بالخليفة وهما رُمْحان طويلان ملبَّسان بمثل أنابيب عمود المِظَلَّة إلى حد أسنّتهما[c] ، وهما من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب ، وهما غير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمحين فيشدان ليخرجا بخروج المظلة إلى أميرين من حاشية الخليفة برسم حملهما[١] .

[الرَّايات] .

وتُخْرَج إحدى وعشرين راية لطافًا من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تخالف ألوانها من غيره ونصُّ كتابتها ﴿ نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴾ [الآية ١٣ سورة الصف] على رماح مقومة من القَنَا المنتقى طولُ كلِّ راية ذراعان فى عرض ذراع و نصف فى كل واحدة ثلاث طرازات[d][٢] فتُسَلَّم لأحد وعشرين رجلًا من فرسان صِبْيَان الخاص[٣] ، ولهم بشارة عوده[e] سالمًا أحد[f] وعشرين دينارًا[٤] .

(a) مجموع : ست . (b) بولاق : عرض . (c) خزينة : نقشهما ، بولاق : نصفهما ، والمثبت من صبح . (d) خزينة : طُرادات . (e) الخطط : عود الخليفة . (f) ساقطة من بولاق .

[١] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٩ .

[٢] أى شريط من الكتابة .

[٣] صِبْيَان الخاص . « أولاد الأجناد والأمراء وعبيد الدولة » كان إذا مات الرجل منهم وله أولاد حملوا إلى حضرة الخلافة ويودعوا فى أماكن مخصوصة ، ويؤخذ فى تعليمهم الفروسية ويقال لهم « صبيان الخاص » . (ابن ميسر : أخبار ١٤٣ ، المقريزى : الاتعاظ ٣ : ١٩٩ وأسامة بن منقذ : الاعتبار ٣٢) . وهم فى ذلك أشبه بصبيان الحجر .

[٤] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٠ .

[الرُّمْحان] .

ثم يخرج رُمْحان رؤسهما أَهِلَّة من ذهب صامتة فى كل واحد سُبُعٌ من ديباج أحمر وأصفر وفى فمه طارةٌ مستديرة يدخل فيها الريح[a] فينتفخان[b] فيظهر شكلهما ٣ ويتسلمهما أيضًا[c] فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات[١] .

[السَّيْف الخاص] .

ثم يخرج السَّيف الخاص وهو من صاعقة وقعت على مايقال ، وحِلْيته ذهب ٦ مرصَّع بالجواهر[d] فى خريطة مرقومة بالذَّهب لا يظهر إلَّا رأسه ليسلم إلى حامله [e]مع خروج المِظَلَّة أيضًا[e] ، وهو أمير عظيم القدر[٢] . وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار ، وهو أكبر حامل . ٩

[الرُّمح] .

ثم يخرج الرُّمْح[٣] ، وهو رمح لطيف فى غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب[٤] ، ودَرَقَة بكوابج[f] ذهب فيها سعة منسوبة إلى ١٢ حَمْزَة بن عبد المطلب ، رضى الله عنه ، فى غشاء من حرير لتخرج إلى حاملها وهو أمير مُمَيَّز . ولهذه الخدمة وصاحبها[g] عندهم جلالة .

(a) صبح : الرمح . (b) خطط وبخوم وصبح : فينفتحان . (c) ساقطة من ليدن . (d) الخطط والنجوم : جلبته ذهب مرصعة بالجوهر . (e-e) ساقطة من بولاق . (f) بولاق : بكوابخ . (g) ساقطة من ليدن .

---

(١) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٠ .
(٢) قارن المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٢٩٨ و – ٢٩٨ ظ .
(٣) لاشك أن المقصود بذلك هو ما يعرف « بالرمح الشريف » الذى كان يُحْمَل وراء الموكب . (ابن المأمون : أخبار ٥٣ س ١٢) .
(٤) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٩ .

[طَرِيقُ المَوْكِب]

ثم يُعلم[a] الناس بطريق الموكب ، وسلوكه لا يتعدَّى دورتين إحداهما كبرى والأخرى صغرى . أما الكبرى فمن القصر إلى باب النصر مارًا إلى حوض عِزّ الملك نبا ومسجده هناك[1] وهو أقصاها ، ثم ينعطف على يساره طالبًا[b] باب الفُتُوح إلى القصر . والأخرى إذا خرج من باب النَّصْر سار حافًا بالسور ودخل من باب الفُتُوح . فيُعْلَم الناس بسلوك إحداهما فيسيرون إذا ركب الخليفة فيها من غير تبديل للموكب ولا تشويش ولا اختلال . فلا يصبح الصبح من يوم الركوب إلَّا وقد اجتمع مَنْ بالقاهرة ومصر من أرباب الرُّتب وأرباب التغييرات[c] من أرباب السُّيوف والأقْلام قيامًا بين القصرين ، وكان مراحًا واسعًا خاليًا من البناء الذى فيه اليوم ، فيسع القوم لانتظار ركوب الخليفة .

[الاستِعْداد للمَوكِب]

ويبَكِّر الأمراء إلى الوزير إلى داره فيركب إلى القصر من غير استدعاء ، لأنها خدمة لازمة للخليفة ، فيسير أمامه تشريفه المقدَّم ذكره والأمراء بين يديه ركبانًا ومشاة ، وأمامه أولاده وإخوته وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حَنَك وهو فى أُهْبَة[d] عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل وهو بالحَنَك ويتقلَّد[e] بالسَّيف

(a) الخطط : تشعر . (b) ليدن : طالبا إلى . (c) بولاق : التميزات . (d) بولاق ونجوم : أُبهة . (e) خزينة : والمنديل والحنك والتقلد .

---

[1] يرى إنسترونزف أن المقصود هو مسجد تِبْر وأن سبب مرور الموكب بهذا الموضع هو أن العلوى إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسين مدفون هناك (Canard , M., *op. cit.*, p. 386 n. 84). وهذا غير صحيح فمسجد تِبْر بعيد جدًا عن باب النصر إذ يقع فى المَطَرِيَّة ، وهى من ضواحى القاهرة الحالية ، ولم أتعرف على موضع هذا المسجد الذى لم يرد ذكره فى أى مصدر آخر بخلاف ابن الطوير . فالمقريزى لم يذكره إلّا من خلال نص ابن الطُوَيْر هذا.

المذهب . فإذا وصل القصر ترجّل قبله أهله فى أخصّ مكان لا تصل الأمراء إليه ، ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين إلى دِهْليز يقال له « دِهْليز العَمُود » فيترجَّل على مَصْطَبَة هناك ويمشى بقية الدَّهاليز إلى القاعة ، فيدخل « مَقْطَع الوزارة » هو وأولاده وإخوته وخواص حواشيه[a] ، ويجلس الأمراء بالقاعة على دِكَكٍ معدَّة لذلك مكسوة فى الصيف بالحُصْر السامان وفى الشتاء بالبُسُط الجَهْرَمِيَّة[١] المحفورة[٢] . ٦

فإذا أُدْخلت الدَّابة لركوب الخليفة وأُسْندت إلى الكرسى الذى يركب عليها منه من باب المَجْلِس[b] ، أُخرجت المِظَلَّة إلى حاملها فيكشفها مما هى ملفوفة فيه غير مُطْنَبَة[c] ، فيتسلَّمها بإعانة أربعة من الصَّقالبة برَسْم خدمتها ، فيركزها فى آلة حديد مُتَّخِذَةً شكل القرن المصطخب[d] وهو مشدود فى ركاب حاملها الأيمن بقوة وتأكيد بعقبها[e] ، فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف ، ولم يُذْكر قط أنها اضطربت فى ريح عاصف . ثم يخرج السيف فيتسلمه حامله ، فإذا تسلَّمه أُرْخيت ذُؤَابَته ما دام حاملًا له . ثم تخرج الدَّوَاة فتُسَلَّم لحاملها ، وهو من الأستاذين المُحَنَّكين ، وكان الوزراء حملوها لقوم من الشُّهود المُعَدَّلين ، وهى الدَّواة التى كانت من أعاجيب الزمان ، ١٥

(a) الخطط : حاشيته . (b) بولاق : الذى يركب عليه من باب المجلس . (c) الخطط : مطوبة . (d) ساقطة من الخطط وموجودة فى خزينة ونجوم وصبح ولم أعرف ما المقصود بها . (e) من خزينة .

(١) الجَهْرَمِيَّة . ثيابٌ منسوبة من نحو البُسُط ، أو هى من الكتان . (القاموس ١٤٠٩) .

(٢) تقدم لنا هذه الفقرة وصفًا من الأوصاف القليلة للطبوغرافية الداخلية للقصر الفاطمى الكبير . وقد أعاد ابن الطُّوَيْر ذكر « دهليز العمود » و « مَقْطَع الوزارة » دون تفصيلات إيضاحية فيما يلى ص ١٦٢ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ . ويبدو أن « مقطع الوزارة » هو « مجلس الوزارة » أو المكان الذى خُصِّص للوزير فى المجلس العام بقاعة الذهب ، والذى ذكره ابن المأمون والمقريزى . (أخبار ٤٨ و ٨٨ ، اتعاظ ٣ : ٢١٣ وقارن صبح الأعشى ٣ : ٤٩٥ ، أبا المحاسن : النجوم ٥ : ٣٠٧ وفيما سبق ص ٦٨ ، وفيما يلى ص ٢٠٦ .

وهى فى نفسها من الذهب وحليتها مَرْجان وهى ملفوفة فى منديل شَرَب بياض مذهب[١] ؛ وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة الذى صُنِعَت حلية المرجان فى وقته ، وهذا من أغرب ما يكون ، يذكر ذلك فى بيتين وهما[٢] :

[الطويل]

أُلِينَ لداودَ الحديدُ كرامـةً فقدر منه[a] السرد كيف يُريد
وَلَانَ لك المَرْجَان وهو حجارةٌ وَمقْطَعه[b] صعْب المرام شديد

[المَوْكب]

فيخرج الوزير ومن كان معه من « المَقْطَع »[٣] وينضم إليه الأمراء ويقفون إلى جانب الدابة[c] ، فيرفع صاحب المجلس السِّتْر فيخرج مَنْ كان عند الخليفة للخدمة منهم وفى إثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حالها فى لباسه الثياب المعروضة عليه والمنديل الحامل لليتيمة بأعلى جبهته ، وهو مُحَنَّك مرخى الذؤابة مما يلى جانبه الأيسر ، ويتقلَّد السيف العربى[d] ، وبيده « قضيبُ المُلْك » ، وهو طول شبر ونصف من عود مكسو بالذهب المرصَّع بالدُّرّ والجَوْهَر[٤] ، فيُسَلِّم على الوزير قوم مرتَّبون لذلك وعلى أهله وعلى الأمراء بعدهم .

(a) النجوم : فقدره ق . (b) النجوم : على أنه . (c) الخطط : الراية . (d) الخطط : المغربى .

[١] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٨ .
[٢] هذه الدواة عُمِلت من قطعة مرجان « عزيزة الوقوع خطرة المقدار » أهداها الوزير الأفضل بن بدر الجمالى ضمن مجموعة من الهدايا فى يوم خميس العَدَس سنة ٥٠٢ للخليفة الآمر فعُمِلت منها دواة قطعة واحدة . والبيتان للشاعر أحمد بن منصور . (ابن أيبك : كنز الدرر ٦ : ٤٧٣) .
[٣] انظر أعلاه ، وفيما يلى ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ والمقدمة .
[٤] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٦٨ .

ثم يخرج أولئك أولًا فأولًا ، والوزير يخرج بعد الأمراء ، فيركب ويقف قُبالةَ باب القصر بهيئته ، ويخرج الخليفة [راكبًا][a] وحواليه الأستاذون ، ودابته ماشية على بُسط مفروشة خيفة من زلقها على الرُّخام[١] ، فإذا قارب الباب وظهر وجهه ، ضرب رجل ببوق لطيف من ذهب معوجّ الرأس يقال له « الغَرِيبة »[b][٢] بصوت عجيب يخالف أصوات البوقات ، فإذا سمع ذلك ضربت الأبواق فى الموكب ونُشِرَت المِظَلّة وبرز الخليفة من الباب ، ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الأستاذين المُحَنَّكين وغيرهم من أرباب الرُّتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة ، وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المِظَلّة وهو يبالغ أن لا يزول عنه ظلُّها ، ثم يكتنف الخليفة مقدموا صِبْيان الرِّكاب ، منهم اثنان فى جانبى الشَّكيمتين[c] ، واثنان فى عنق الدابة من الجانبين ، واثنان فى ركابيه ، فالأيمن مقدَّم المقدمين وهو صاحب المقرعة التى يناولها ويتناولها ، وهو المؤدِّى عن الخليفة مدّة ركوبه الأوامر والنواهى .

ويسير الموكب بالحَثّ فأوله فروع الأمراء وأولادهم وأخلاط بعض العسكر إلى الأماثل إلى أرباب القصب إلى أرباب الأطواق إلى الأستاذين

(a) زيادة من صبح . (b) فى النجوم : العربانة . (c) بولاق : اثنان فى الشكيمة .

---

[١] هذه العبارة توضح أن أرضية القصر كانت مبلَّطة بالرخام ، وهو ما يؤكده وصف غوليوم أسقف صور Guillaume de Tyr ، كما نقله جستاف شلمبرجيه إلى الفرنسية ، فهو يصف من بين أجزاء القصر « فناءً مكشوفًا تحيط به أروقة ذات أعمدة ، وأرضيته مرصوفة بأنواع من الرخام متعددة الألوان » ، « Une vaste cour découverte qu'entouraient de magnifiques protiques à colonnades, cour toute pavée de marbres de diverses couleurs». (Schlumberger, G., *Campagnes du Roi Amaury de Jérusalem en Egypte au XII, Paris 1906, pp. 118 - 119).*

[٢] فى النجوم : « العربانة » وفى صبح والخطط : « الغريبة » واستخدم ابن المأمون قبل ابن الطُّوَيْر ، نفس المصطلح كذلك . (أخبار ٤٣ س ١٦ ، ٧٦ س ١٤ ، ٨٦ س ٨) وربما عرفت بذلك لغرابة فى شكلها أو صوتها .

المُحَنَّكين إلى حاملى اللواءين من الجانبين ، إلى حامل الدَّواة وهى بينه وبين قَرَبُوس السَّرج[١] ، إلى صاحب السَّيف ، وهما فى الجانب الأيسر ، كل واحد .
٣ فمن تقدَّم ذكره بين عشرة إلى عشرين من أصحابه ، ويحجبه أهل الوزير المقدم ذكرهم من الجانب الأيمن بعد الأستاذين المُحَنَّكين .

ثم يأتى الخليفة وحواليه « صِبْيان الرِّكاب » المذكور تفرقة السلاح فيهم ،
٦ وهم أكثر من ألف رجل ، وعليهم المناديل الطبقيات ، وهم متقلدون بالسيوف وأوساطهم مشدودة بمناديل ، وفى أيديهم السلاح مشهور ، وهم من جانبى الخليفة كالجناحين المادين ، وبينهما فرجة لوجه الدَّابة ليس فيها أحد ، وبالقرب
٩ من رأسها الصقلبيان الحاملان « للمِذَبَّتَيْن » ، وهما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره[٢] ، وهو سائر على تُؤَدة ورفق .

وفى طول الموكب من أوَّله إلى آخره « والى القاهرة » مارًّا وعائدًا لفَسْح
١٢ الطرقات وتسيير[a] الركبان ، فيلقى فى عوده الإسْفِهْسَلار كذلك مارًّا وعائدًا لحَثّ [b]الناس و[b] الأجناد فى الحركة ، والإنكار على المزاحمين المعترضين ، فيلقى فى عوده صاحب الباب ، ومروره فى زمرة الخليفة إلى أن
١٥ يصل إلى الإسفِهْسَلار ، فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة ، وفى يد كل منهم دَبُّوس ، وهو راكب خير دوابه وأسرعها ، هذا كله[c] أمام الموكب .

(a) بولاق : بفسح ... وبسير . (b-b) ساقطة من بولاق والمثبت من A . (c) لبدن : لمن .

---

[١] القلقشندى : صبح الأعشى ٣ : ٤٦٨ والقَرَبوس . الخشبة الصغيرة القائمة فى مُقَدَّم السَّرج (Dozy , *op. cit.*, II, 324). [٢] قارن ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٠ .

ثم يسير خَلْف دابة الخليفة قومٌ من « صِبْيان الرِّكاب » لحِفْظ أعقابه ؛ ثم عدَّة يحملون عشرة سيوف فى خرائط ديباج أحمر وأصفر بشراريب غزيرة[a] يقال لها « سُيُوف الدَّم » برسم ضرب الأعناق[1] ؛ ثم يسير بعدهم صِبْيان السِّلاح الصغير أرباب الفُرَنْجِيَّات المقدم ذكرهم أولًا[2] . ٣

ثم يأتى الوزير فى هيئته[b] وفى ركابه من أصحابه قومٌ يقال لهم « صبيان الزَّرَد »[3] من أقوياء الأجناد باختياره لنفسه[c] ما مقداره خمسمائة رجل من جانبيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكأنه على وقار[d] من حراسة الخليفة ، ويجتهد أن لا يغيب عن نظره ، وخلفه الطبول والصُّنوج والصَّفافير ، وهو مع عدَّة كثيرة تدوى بأصواتها وحسها الدنيا . ٦ ٩

ثم يأتى حامِلُ الرُّمح المقدم ذكره ودَرَقة حَمْزَة[e] ثم طوائف الراجل من الريحانية[f] والجيوشية وقبلهما المَصَامِدَة ثم الفُرَنْجِيَّة[4] ثم الوزيرية زُمْرة زُمْرة

(a) ساقطة من خزينة . (b) بولاق : هيبة . (c) من خزينة وفى الخطط وصبح : يختارهم لنفسه . (d) بولاق : وقاز . (e) من خزينة وفى الخطط : ودرقته حمراء . (f) من خزينة وفى الخطط والنجوم : الركابية .

---

(1) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٠ .
وكان صبيان الرِّكاب فى أول الدولة الفاطمية يعرفون « بالسُّعْدِيَّة » ، كانوا نحو مائة رجل يختصون بركاب السلطان [الخليفة] ويحملون سيوفًا محلاة بين يديه ، يعرفون لأجلها « بأصحاب السيوف الحلى » . وقد جرت عادتهم فى أيام الحاكم بأمر الله أن يتولوا قتل من يُؤْمر بقتله . (المقريزى : اتعاظ الحنفا ٢ : ١٢٧) .

(2) لا شك أن المقصود هم « أرباب السِّلاح الصغير » وعددهم ثلاثمائة المذكورين أعلاه ص ١٤٨ .

(3) صِبْيان الزَّرَد . هم أوباش العَسْكر وزُعّار الناس الذين اجتمعوا إلى الحسن بن الحافظ فى صراعه مع أبيه الخليفة الحافظ لدين الله سنة ٥٢٩ ، ففرَّق فيهم الزَّرَد وسمّاهم صبيان الزَّرَد وجعلهم خاصته . (ساويرس ابن المقفع : تاريخ بطاركة الكنيسة ٣ / ١ : ٢٨ ؛ المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ٣٦٩ و) . ويدل هذا النص على أن الوزير ، خلال هذا الموكب ، كان على غير وفاق مع الخليفة لحرصه على أن يكون مخفورا بصبيان الزَّرَد . وأرجح أن يكون هذا الوزير هو العادل بن السَّلّار . (انظر أعلاه ص ٥٩) .

(4) علّهم الطائفة الفَرْجية أو الفُرَنْجية أرباب الفُرَنْجيات . وقد ذكر المسبِّحى قوما من السودان سماهم : الفرحية . (أخبار ٦٥ ، ٨٠) .

فى عدَّة وافرة تزيد على أربعة آلاف فى الوقت الحاضر وهو أضعاف ذلك ؛ ثم أصحاب الرايات والسُّبْعين ، ثم طوائف العساكر من الآمرية والحافظية والحُجَريَّة الكبار والحُجَرِيَّة الصغار المنقولين والأَفْضَلية والجيوشية ، ثم الأتراك المُصْطَنَعين ثم الدَّيْلَم ثم الأكراد ثم الغُزّ المُصْطَنَعة ، وقد كان تقدَّم هؤلاء الفرسان عدَّة وافرة من المترجِّلة أرباب قِسِيِّ اليد وقِسِيِّ الرجل[a] فى أكثر من خمسمائة وهم المعدّون للأساطيل ، ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل .

فإذا انتهى الموكب إلى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ، ويدخلون من باب الفُتُوح ويقفون بَيْن القَصْرَيْن بعد الركوب[b] كما كانوا قبله . فإذا وصل الخليفة إلى الجامع الأَقْمَر ، بالقَمَّاحين اليوم[c] ، وقف وقفةً بجملته فى موكبه ، وانفرج الموكب للوزير فتحرَّك مسرعًا ليصير أمام الخليفة ليدخل بين يديه فيمر بالخليفة فَيَسْكع سَكْعَة ظاهرة[d](١) فيشير الخليفة للسلام عليه إشارة خفيفة[e] ، وهذا أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة ولا تكون إلَّا للوزير صاحب السيف ، فيفارقه[f] ويسبقه[g] إلى دخول الباب بالقصر راكبًا على عادته إلى موضعه ، ويكون الأمراء قد نزلوا قبله لأنهم فى أوائل الموكب ؛ فإذا وصل الخليفة إلى باب القصر ودخله وترجَّل الوزير ودخل قبله الأستاذون المُحَنَّكُون فيُحدقون به[h] والوزير أمام وجه دابته من مكان[i] ترجّله إلى

(a) ساقطة من خزينة . (b) من خزينة وفى الخطط : الرجوع . (c) النجوم : إلى موضع الجامع الأقمر الآن . (d) من خزينة وفى الخطط : ويسكع له سكعة ظاهرة . (e) بولاق : خفية . (f) ساقطة من الخطط . (g) الخطط : وسيقه . (h) الخطط : وأحدقوا به والمثبت من خزينة . (i) الخطط : أمام وجه الفرس مكان .

---

(١) سَكَع . لا يدرى أين يتوجَّه من الأرض أو تحيَّر ، ورجل سكع أى متحير (تاج العروس ٥ : ٣٨٣) . وانظر فيما يلى ص ١٨١ . وراجع Canard, M., *Le cérémonial fatimite* p. 382. الذى فهم سكع بمعنى أدار وجهه تجاه الخليفة عوضًا عن السلام !! .

الكرسىّ الذى ركب منه فينزل عليه ويدخل إلى مكانه بعد خدمة المذكورين له ، فيخرج الوزير فيركب من مكانه الجارى به عادته والأمراء بين يديه وأقاربه بين يديه[a] إلى داره فيدخل ، وينزل أيضًا إلى مكانه على كرسى ٣ فيخدمه الجماعة بالوداع .

دَنانِيرُ الغُرَّة التى كانت تُضرَب وتُفرَّق فى أوَّل السنة فى أيَّام الخلفاء[١] ٦

قال ابن الطُّوَيْر فى الفصل الخامس من كتابه بعد ذكر ركوب أوَّل العام ما نَصُّه[b] : ويتفرَّق الناس إلى أماكنهم فيجدون قد أُحْضِر إليهم الغُرَّة ، وهو أنه يتقدَّم أمر الخليفة بأنْ يُضرَب بدار الضَّرْب ، فى العشر الآخر من ذى ٩ الحجة بتاريخ السنة التى ركب أولها فى هذا اليوم ، جملة من الدنانير والرُّباعية والدراهم المدوَّرة المُقَشْقَلة[c] . فيحمل إلى الوزير منها ثلاثمائة وستون دينارًا وثلاثمائة وستون رباعيًا وثلاثمائة وستون قيراطًا ، وإلى أولاده وإخوته من كل ١٢ صنف من ذلك خمسون ، وإلى أرباب الرُّتَب من أصحاب[d] السيوف والأقلام من عشرة دنانير إلى عشرة رُباعية إلى عشرة قراريط إلى دينار واحد ورُباعى واحد وقيراط واحد ، فيقبلون ذلك على حكم البَرَكة[e] من قِبَل[f] الخليفة[٢] . ١٥

قال : ومبلغ الغُرَّة التى يُنْعم بها فى أوَّل العام المقدم ذكرها من الدنانير والرُّبَاعية والقراريط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار[٣] .

(a) ساقطة من الخطط . (b) هذه العبارة ساقطة من الخطط وموجودة فقط فى خزينة . (c) بولاق : المقسقلة . (d) خزينة : أرباب . (e) الخطط : البرمكية . (f) الخطط : من مبلغ .

---

(١) هذا العنوان موجود فقط فى مخطوطة خزينة .

(٢) يسمى الرُّباعى لأن وزنه أربع حبات بينا القيراط وزن حبة واحدة .

(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٦ — ٤٥٠ وقارن ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٤٩ — ٥٠٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٧٩ — ٩٤ ودراستى Inastrontsev و Canard السابق =

[المَوَاكِبُ المُختَصَرة]

قال ابن الطُّوَيْر ، وقد ذكر ركوب الخليفة فى أَوَّل العام وحضور الغُرَّة :

٣ ولا ينقطع[a] الركوب بعد هذا اليوم ، الذى هو أَوَّل العام ، فيركبون فى آحاد الأيام إلى أن يكمل[b] شهر ، ولا يتعدَّى ذلك يومى السبت والثلاثاء[١] .

٦ فإذا عزم الخليفة على الركوب فى أحد هذه الأيام أعلم بذلك ، وعلامته إنفاق الأسلحة فى صِبْيَان الرِّكاب من خِزَانة السِّلَاح خاصة دون ماسواها ، وأكثر ذلك إلى مصر . ويركب الوزير صحبته من ورائه على أَخْصَرَ من النظام

٩ المتقدِّم[c] وأقل جَمْع ، فيخرج شاقًا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولونى على المَشَاهد[٢] إلى دَرْب الصَّفَا ، ويقال له « الشَّارع الأَعْظَم » ، إلى دار الأَنْماط ، إلى الجامع العتيق . فإذا وَصَل إلى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف

(a) الخطط : وينقطع . (b) ليدن : يعمل . (c) بعد ذلك فى الخطط : يعنى فى ركوب أول العام .

= الإشارة إليهما. وقارن كذلك Sanders , P., *The Court Ceremonial of the Fatimid Caliphate in Egypt* pp. 150 - 169.

(١) فالمقريزى يذكر ، لا شك نقلًا عن ابن المأمون ، أن الخليفة الآمر كان يمضى أبدًا فى يومى الثلاثاء والسبت إلى النزهة فى بستان البَعْل والتَّاج والخمسة وجوه وقبة الهواء من ظاهر القاهرة أو إلى دار الملك بمصر أو بالهَوْدَج الذى أنشأه بجزيرة مصر . (اتعاظ ٣ : ١٢٩ والمقفى (مخ . ليدن) ٢ : ٢١١) .

(٢) المَشَاهِد . هذه أقدم إشارة إلى منطقة المَشَاهِد الواقعة على الطريق المُوَصِّل بين القاهرة والفسطاط (الشَّارع الأَعْظَم) . وهى مَشَاهِد أقيمت على عدد من آل البيت تمثل : مشهد السيدة سُكَيْنَة ومشهد عَاتِكَة والجَعْفَرِى ومشهد السيدة رُقَيَّة بالإضافة إلى المَشَاهد الثلاثة المُعَلَّقة التى شيَّدها الخليفة الحاكم بأمر الله . وقد عَرَفَت هذه المنطقة ازدهارًا عمرانيًا مع مطلع القرن السادس الهجرى . (أبو عبيد البكرى : جغرافية مصر من كتاب الممالك والمسالك ٥٧ ، مجهول : الاستبصار فى عجائب الأمصار ٨٣ ، الإدريسى : أنوار علو =

على مَصْطَبَة بجانبه فيها محراب مفروشة بحُصُر معلّق عليها سجادة وفى يده المصحف المنسوب خَطُّه إلى علىّ بن أبى طالب رَضِىَ الله عنه ، وهو من حاصله ، فإذا وازاه وقف فى موضعه وناوله المصحف من يده ، فيتسلَّمه منه ويُقَبِّله ويتبرَّك به مرارًا ، ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلات ثلاثين دينارًا ، وهى رسمه متى اجتاز به ، فيوصِّلها الشريف إلى مُشَارف الجامع فيكون نصيبهما منها خمسة[a] عشر دينارًا ، والباقى للقَوَمة والمؤذنين دون غيرهم .

ثم[b] يسير [الخليفة][b] إلى أن يصل دار المُلْك[1] فينزلها والوزير معه ، ومنذ يخرج من باب القصر إلى أن يصل إلى دار المُلْك لا يمر بمسجد إلّا

(a) النجوم : أربعة . (b) زيادة من النجوم .

= الأجرام فى الكشف عن أسرار الأهرام ٥٤ ، ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢١ ، المقريزى : السلوك ٢ : ٥٤٣ ، ابن فهد : إتحاف الورى بأخبار أم القرى ٢ : ٤٢٦ - ٤٢٧ و ٤٣١ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٥٤ ، Ragib , Y., « Les mausolées fatimides du quartier d'al - Masâhid » , *An. Isl.* XVII (1981) , pp. 1 - 30).

وتقع هذه المشاهد اليوم على يمين ويسار شارع الأشرفية فيما بين مشهد السيدة نفيسة جنوبًا وشارع الصَّلِيبة شمالًا .

ويُطْلَق لفظ « المشاهد » أيضًا على تسعة من المشاهد الشريفة ، المدفون بها رفات آل بيت رسول الله ﷺ ، تقع بين الجبل والقرافة الكبرى ، وهذه المَشَاهِد هى : مشهد القاسم الشَّبيه ومَشْهَد السيدة كُلْثوم ، ومشهد يحيى الشَّبيه ، ومشهد الحسن والحسين (أو المحسن) ، ومشهد السيدة آمنة ، ومشهد على ابن عبد الله ، ومشهد محمد بن عبد الله ، ومشهد السيدة أم كُلْثوم ، ومشهد السيدة زَيْنَب (راجع ، ابن المأمون : أخبار ٣٥ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٩ ، ابن ميسر : أخبار ٩١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٢ و ٢ : ٤٣٦ - ٤٤٢ ، ٢٦٤ ، اتعاظ ٣ : ٨١ ، والمقفى (خ . ليدن) ٢ : ٢٠٩ و ، Ragib , Y., « Les Sanctuaires des gens de la Cité des morts au Caire », *RSO* LI (1977), pp. 47 - 76).

[1] دار المُلْك . من بناء الأفضل شاهنشاه بدأ بناءها فى سنة خمسمائة بشاطىء النيل على ساحل الفُسْطاط ، ولما كملت فى سنة إحدى وخمسمائة تحوّل إليها الأفضل من دار القِبَاب بالقاهرة ، ونقل إليها الدواوين من القصر وجعل فيها الأسْمِطَة ومجلسًا سمّاه « مجلس =

أعطى قَيِّمه من الخريطة دينارًا ، فلا يزال بدار المُلْك نهاره ، فتأْتيه المائدة
من القصر وعدّتها خمسون شَدَّة على رؤوس الفرّاشين مع صاحب المائدة[١] ،
٣ وهوأستاذ جليل غير مُحَنَّك ، وكل شَدة فيها طَيْفور فيه[a] الأوانى الخاص ،
وفيها من الأطعمة الخاص من كل نوع شهى وكل صنف المطاعم العالية ، ولها
رواء ورائحة المِسْك فائحة منها ، وعلى كل شَدَّة طَرْحة حرير تعلو القَوّارة
٦ التى هى الشدَّة[٢] ، فيحمل إلى الوزير منها جزء وافر ، ولمن صحبه وللأمراء
ولكافة الحاضرين فى الخدمة ، ويصل منها إلى الناس بمصر من بعضهم بعضًا
شىء كثير .

٩ ولا يزال [الخليفة] إلى أن يُؤَذَّن عليه بالعصر فيُصَلّى ويتحرَّك إلى العَوْد
إلى القاهرة والناس فى طريقه لنظره . فيركب[b] وزيُّه فى هذه الأيام أنه يلبس

(a) الخطط : فيها . (b) ساقطة من خزينة .

= العَطَايا ، وجرَّد الخليفة الآمر من كل امتيازاته وعزله بقصره بالقاهرة . وبعد وفاة الأفضل فى سنة ٥١٥ وتَوَلّى المأمون البطائحى الوزارة كان من أهم ما طلبه منه الخليفة إعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل استبداد الأفضل ، وكتب الآمر مسطورًا بخطه للوزير المأمون « بأن لا يلتفت لحاسد ولا مبغض » فى حق المأمون . (ابن المأمون : أخبار ٢٢ – ٢٣) وأصبحت دار الملك بعد وفاة الأفضل من جمله متنزهات الخلفاء ، ويركبون إليها فى المواكب المختصرة . (ابن المأمون : أخبار ٩٧) .

وراجع عن دار الملك ، ابن المأمون : أخبار ١٥ ، ١٠١ ، ابن ميسر : أخبار ٧٦ هـ[٢٧٧] ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٣ – ٤٨٤ و ٢ : ٢٩١ ، أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٢ هـ[٥] ، على مبارك : الخطط ١ : ٥٥) وانظر فيما يلى ص ١٩٣ .

وعلى ذلك فإن هذا وصفٌ للموكب بعد سنة ٥١٥ . وموضع هذه الدار اليوم مجموعة المبانى المجاورة لجامع عابدى بك المعروف بجامع الشيخ رويش فى آخر شارع أثر النبى من الجهة القبلية على النيل .

(٢) صاحب المائدة . ورد مرة أخرى بنفس اللقب عند ابن الطُّوَيْر (فيما يلى ص ٢٠٢ س ٩) ، أما ابن المأمون فسماه « متولى المائدة » وذكر أن متولى المائدة فى زمن الخليفة الآمر كان يدعى وفىّ الدولة إسعاف . (ابن المأمون : أخبار ٥١ ، ٧٤ ، ٨٨) .

(٣) عن الشَّدَّة والطيفور والقَوّارة انظر أعلاه ص ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٤٥ .

الثِّياب المذهبة البياض والمُوَّنة والمِنْديل من النسبة ، وهو مشدود شَدَّة مفردة عن شدَّات الناس ، وذؤابته مرخاة من جانبه الأيسر ؛ ويتقلَّد بالسيف العربى المجوهر بغير حَنَك ولا مِظَلة ولا يتيمة ، فإن ذلك فى أوقات مخصوصة . ولا يمر أيضًا بمسجد فى سلوكه فى هذه الطريق بالسَّاحل إلَّا ويعطى قَيِّمَه دينارًا أيضًا كما جرى فى الرَّواح ، ويَنْعَطف من باب الخَرْق ويدخل من باب زُوَيْلَة شاقًا القاهرة حتى يدخل القصر ، فيكون ذلك من المحرم إلى شهر رمضان إما أربع مَرَّات أو خمس مرَّات[1] .

رُكوبُ أوَّل شَهْر رَمَضان

قال ابن الطُّوَيْر : فإذا انقضى شَعْبَان اهتم بركوب أوَّل شهر رَمَضان ، وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين ، فيجرى أمره فى اللباس والآلات والأسْلحة والعَرْض والركوب والترتيب والموكب والطريق المسلوكة ، كما وصفناه فى أوَّل العام لا يختلّ بوجه . ويكتب إلى الولاة والنوّاب والأعمال بمساطير مُخلَّقة يُذْكر فيها ركوب الخليفة[2] .

---

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٤ وقارن ، القلقشندى : صبح ٣ : ٥١٧ ، أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩١ – ٩٢ .

(2) نفسه ١ : ٤٩١ ، نفسه ٣ : ٥٠٥ وساقطة من النجوم واستعاض عنها أبو المحاسن بنص لابن عبد الظاهر (النجوم ٤ : ١٠٢ – ١٠٤) .

وانظر ركوب أول رمضان سنة ٤١٥ عند المسبحى : أخبار ٦١ ، وذكر ابن المأمون : أخبار ٥٤ ، ٨١ أنه كان يُخرج لغرة رمضان بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة .

وانظر ملاحق الكتاب .

رُكُوب أيَّام الجُمَع الثلاث
من شَهْر رَمَضَان[١]

قال ابن الطُّوَيْر : إذا انقضى ركوب أوَّل شهر رَمَضان استراح [الخليفة] فى أوَّل جمعة[٢] . فإذا كانت الثانية ركب الخليفَة إلى الجامع الأنْوَر الكبير[٣] فى هيئة المواسم وما تقدَّم ذكره من الآلات ، ولِباسه فيه ثياب الحرير البيض ، توقيرًا للصلاة من الذهب ، والمِنْديل والطَّيْلسان المقوَّر الشعرى . فيدخل من باب الخطابة والوزير معه "بعد أن يتقدَّمه فى أوائل النهار صاحب بيت المال – وهو المقدَّم ذكره فى الأستاذين – وبين يديه الفُرُش المختصة[a]

(a) خزينة الفراش المختص .

[١] هذا الفصل موجود فى مخطوطة خزينة فى الحديث على المواكب بينما نقله المقريزى فى الخطط أثناء ذكره للجامع الأنور .

[٢] تبعًا لما ورد عند المسبحى فإن الخليفة كان يصلى الجمعة الأولى ، قبل بناء الجامع الأنور ، فى جامع القاهرة (الجامع الأزهر) . (نصوص ضائعة ١٣) . ومع ذلك فإنه بعد بناء الجامع الأنور كانت العادة فى أول الدولة الفاطمية فى الركوب لصلاة جمع رمضان تختلف قليلًا عن الوصف الذى أورده ابن الطُّوَيْر فى آخر الدولة ، فالمسبحى يذكر فى حوادث سنة ٤١٥ أن الخليفة كان يركب فى أول جمعة من رمضان إلى الجامع الأزهر ثم يستريح الجمعة الثانية ويركب الجمعة الثالثة إلى الجامع الأنور ولكنه لم يذكر مكان صلاة الجمعة الثالثة . (أخبار ٦٢ ، ٦٤) وتبعه فى ذلك ابن المأمون فذكر أن الخليفة كان يصلى الجمعة الأولى بالجامع الأزهر والجمعة الثانية بالجامع الأنور ولم يتعرض للجمعة الثالثة . (أخبار ٥٤ ، ٨١) .

[٣] الجامع الأنْوَر . بدأ بناءه الخليفة العزيز بالله خارج باب الفتوح الأول فى سنة ٣٨٠ وسمَّاه « جامع الخُطْبَة » ، ثم توقف العمل فيه إلى أن أكمله ولده الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٣ ، ولكنه لم يُفْتتح رسميًا للصلاة إلّا فى سنة ٤٠٣ . وأُطْلق عليه ابتداء من هذا التاريخ « الجامع الأنْوَر » كما أُطلق على جامع القاهرة اسم « الجامع الأزْهَر » حيث استخدم الفاطميون صيغة أفعل التفضيل فى تسمية مساجدهم مثل : الجامع الأنْوَر والجامع الأفْخَر (جامع الفكهانى) . ولكنه عرف فيما بعد باسم جامع الحاكم . (راجع ، المقريزى : الخطط ٢ : ٢٧٧ – ٢٨٢ ، السيوطى : حسن ٢ : ٢٣٧ وحومار : وصف مدينة القاهرة ١٧٦ هـ[٤] وما ذكرت فيه من مراجع) .

[٤ ، ٤] اكتفى المقريزى فى مخطوطة خزينة بذكر هذه الفقرة فقط فيما يخص ركوب أيام =

بالخليفة إذا صار إليه فى هذا اليوم ، وهو محمول بأيدى الفرَّاشين المميزين ، و[a] ملفوف فى العَرَاضى الدّبيقية فيفرش فى المحراب ثلاث طرَّاحات ، إما ساmان وإما دبيقى أبيض أحسن ما يكون من صنفهما كلٌّ منقوش بالحُمْرة ، فتجعل الطرَّاحات متطابقات". ويُعَلَّق ستران يَمْنَة ويَسْرة ، وفى الستر الأيمن كتابة مرقومة بالحرير الأحمر واضحة منقوطة أوّلها « البَسْمَلة » و « الفَاتِحَة » و « سورة الجُمُعَة » ، وفى الستر الأيسر مثل ذلك وسُورة ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ [الآية ١ سورة المنافقون] قد أسْبلا وفرشا فى التعليق بجانبى المحراب لاصقين بجسمه . ثم يصعد قاضى القضاة المنبر وفى يده مدخنة لطيفة خيزران يُحْضِرها إليه صاحب بيت المال فيها جمرات ويجعل فيها ندّ مثلث لا يُشَم مثله إلّا هناك ، فيُبَخِّر الذروة التى عليها الغشاء كالقبة لجلوس الخليفة للخطابة ، ويكرّر ذلك ثلاث دفعات ؛ فيأتى فى هيئة موقّرة من الطبل والبوق وحوالى ركابه خارج أصحاب الركاب القُرَّاء ، وهم قُرَّاء الحضرة من الجانبين يُطَرِّبون بالقراءة نوبة بعد نوبة يستفتحون بذلك من ركوبه من الكرسىّ على ما تقدّم طول طريقه إلى قاعة الخطابة من الجامع . ثم تُحْفَظ المقصورة من خارجها بترتيب صاحب[b] الباب وإسْفِهْسَلَار العساكر ، ومن أوّلها[c] إلى آخرها صبيان الخاص وغيرهم ممن يجرى مجراهم ، ومن داخلها من باب خروجه إلى المنبر واحد فواحد ، فيجلس فى القاعة وإنْ احتاج إلى تجديد وضوء فَعَل والوزير فى مكان آخر .

فإذا أُذّن بالجمعة دخل إليه قاضى القضاة فقال : « السلام على أمير المؤمنين الشريف القاضى ورحمة الله وبركاته ، الصلاة يرحمك الله » . فيخرج ماشيًا

(a) الخطط : وهو . (b) فى بولاق : أصحاب . (c) الخطط : ومن داخلها .

= الجمع الثلاث من شهر رمضان .

وحواليه الأستاذون المُحَنَّكون والوزير وراءه ومن يليهم من الخواص وبأيديهم
الأسلحة من صبيان الخاص ، وهم أمراء وعليهم هذا الاسم . فيصعد المنبر
٣ إلى أن يصل إلى الذروة تحت القبة المُبَخَّرة ، فإذا استوى جالسًا والوزير على
باب المنبر ووجهه إليه فيشير إليه بالصعود فيصعد إلى أن يصل إليه فيُقَبِّل يديه
ورجليه بحيث يراه الناس ، ثم يُزَرِّر عليه تلك القبة لأنها كالهَوْدَج ، ثم ينزل
٦ مستقبلًا فيقف ضابطًا لباب المنبر ، فإن لم يكن ثَمَّ وزير صاحب سيف زَرَّر
عليه قاضي القضاة[1] كذلك ، ووقف صاحب الباب ضابطًا للمنبر ، فيخطب خُطْبَة
قصيرة من مسطور يُحْضَر إليه من ديوان الإنشاء يقرأ فيه آية من القرآن
٩ الكريم . ولقد سمعته مرة فى خطابته بالجامع الأزهر وقد قرأ فى خطبته[2]
﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾ الآية
[الآية ١٥ سورة الأحقاف] . ثم يصلى على أبيه وجَدّه ، ويعنى بهما محمدًا ﷺ
١٢ وعليّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، ويعظ الناس وَعْظًا بليغًا قليل اللفظ .
وتشتمل الخطبة على ألفاظ جَزْلَة ، ويذكر مَنْ سَلَف من آبائه حتى يصل إلى
نفسه فقال وأنا أسمعه : « اللّهم وأنا عبدك وابن عبدك لا أملك لنفسى ضَرًّا
١٥ ولا نَفْعًا » ويتوسَّل بدعوات فخمة تليق بمثله ، ويدعو للوزير إن كان ،
وللجيوش بالنصر والتأليف ، وللعساكر بالظَّفر ، وعلى الكافرين والمخالفين
بالهلاك والقَهْر ، ثم يختم بقوله « اذكروا الله يذكركم » ، فيطلع إليه من زرَّر
١٨ عليه ويفك ذلك التزرير وينزل القهقرى . وسبب التزرير عليهم قراءتهم من مسطور
لا كعادة الخطباء . فينزل الخليفة ويصير على تلك الطَّرَّاحات الثلاث فى المحراب
وحده إمامًا ويقف الوزير وقاضى القضاة صفًا ومن ورائهما الأستاذون
٢١ المُحَنَّكون والأمراء المطوَّقون وأرباب الرُّتب من أصحاب السيوف والأقلام ،

---

[1] ذلك لأن وزير السيف كان يجمع إلى الوزارة وظيفة قضاء القضاة وداعى الدعاة وقيادة الجيش . (انظر المقدمة) .

[2] للأسف لم يحدّد لنا ابن الطُّوَيْر الخليفة الذى خطب هذه الخطبة لنعرف على التقريب الفترة التى دوّن فيها كتابه .

والمؤذنون وقوف وظهورهم إلى المقصورة لحِفْظِه . فإذا سمع الوزير الخليفة أسْمَع القاضى فأُسْمَع القاضى المؤذنين وأُسْمَع المؤذّنون الناس ، هذا والجامع مشحون بالعالم للصلاة وراءه . فيقرأ ما هو مكتوب فى الستر الأيمن فى الركعة الأولى ، وفى الركعة الثانية ماهو مكتوب فى الستر الأيسر وذلك على طريق التذكار خيفة الارتجاج . فإذا فرغ خرج الناس وركبوا أولًا فأولًا ، وعاد طالبًا القصر والوزير وراءه ، وضربت البوقات والطبول فى العَوْد .

فإذا أتت الجمعة الثانية ركب إلى الجامع الأزْهَر من القَشَّاشين[1] على المنوال الذى ذكرناه والقالب الذى وصفناه .

فإذا كانت الجمعة الثالثة أُعْلم بركوبه إلى مصر للخطابة فى جامعها ، فيُزَيِّن له أهل القاهرة من باب القصر[a] إلى جامع ابن طولون ، ويُزَيِّن له أهل مصر من جامع ابن طولون إلى الجامع بمصر[2] ، يرتب ذلك والى مصر كل أهل معيشة فى مكان ، فيُظهر المختار من الآلات والستور والمثمنات ، ويهتمون بذلك ثلاثة أيام بلياليهن . والوالى مارّ وعائد بينهم وقد ندب من يحفظ الناس ومتاعهم . فيركب يوم الجمعة المذكور شاقًا لذلك كله على الشَّارع الأعظم إلى مسجد عبد الله[3] ، الخراب اليوم ، إلى دار الأنْمَاط إلى الجامع

(a) الخطط : من باب القصر أهل القاهرة .

(1) القَشَّاشين . التى عرفت فيما بعد بالخُرَّاطين هى الموضع الذى يعرف اليوم بشارع الصَّنادقية بالأزهر .

(2) يمكن أن نفهم من هذا النص أن جامع ابن طولون كان هو الحد الفاصل ، من الناحية الإدارية ، بين القاهرة والفسطاط .

(3) مسجد عبد الله . هذا المسجد ابتناه والى مصر عبد الله بن عبد الملك بن مروان (٨٦ – ٩٠هـ) . (الكندى ، الولاة والقضاة ٥٩) . وكان موضعه مكانًا يجلس فيه أهل الفسطاط يتحدثون فيه ، فسألوا واليهم عبد الله ابن عبد الملك أن يبنى لهم فيه مسجدًا ، وشكوا إليه ما يلقون من الشمس ، فبناه فكانوا يجتمعون فيه . وعندما دخل العبّاسيون مصر أمر صالح بن على بهدمه ، ثم لما صُرِف عن مصر بناه بعض جيرته بنيانًا غير طائل . فلما تولى عبد الرحمن بن عبد الله العمرى قضاء مصر من قبل هارون الرشيد سنة ١٨٥ هدمه وأعاد بناءه =

بمصر[١] ، فيدخل إليه من المَعُونة[٢] ومنها باب متَّصل بقاعة الخطيب بالزىّ
الذى تقدَّم ذكره فى خطبة الجامعين بالقاهرة وعلى ترتيبهما . فإذا قضى الصلاة
٣ عاد إلى القاهرة من طريقه بعينها شاقًا بالزينة إلى أن يصل إلى القصر ويعطى
أرباب المساجد التى يمرّ عليها كل واحد دينارًا[٣] .

رُكُوب صَلَاة عيد الفِطْر[٤]

٦ قال ابن الطُّوَيْر : إذا قرب آخر العَشْر الآخر من شهر رمضان ، خرج الزىّ
من أماكنه على ما وصفناه – يعنى[a] فى ركوب أوَّل العام[b] – ويركب

(a) من خزينة . (b) فى الخطط : ولكن فيه زيادات يأتى ذكرها .

= وكتب قضية بذلك جاء فيها أنه « خيف على سقفه من قِبَل خشبه واحتاج إلى العمارة والمَرَمَّة فى جِذْره .... وأن كل ما كان تحت هذا المسجد وما فوقه والثلاثة الأجنحة التى كانت حوله ملصقة به ، أن ذلك كله من حق هذا المسجد وحدوده ليس لأحد فيه حق ولا دعوة ولا طلبة بوجه من الوجوه » وجعلت له حوانيت تحته فى حقوقه لتكون غلتها فى مرمته إن احتاج إليها ، وذلك فى صفر سنة ثمان وثمانين ومائة . (الكندى : الولاة والقضاة ٤٠٦ – ٤١٠ وانظر ، ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٣ ، ٢٣ ، ٣٦ ، ٩١ ، ٥ : ٤٢ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٣١ ، ٢ : ٢٧٠ ، ٢٨٠ وفيه أن هذا المسجد صار خرابًا فى عصره ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٣٢٦) .

وربما يدل على موضع هذا المسجد اليوم المسجد المعروف بمسجد أبى السعود الجارحى بمصر القديمة . وانظر فيما يلى ص ١٩٥ .

[١] هذا هو نفس طريق المواكب المختصرة .

[٢] المَعُونة . هى مقر الشرطة .

[٣] المقريزى : الخطط ٢ : ٢٨٠ – ٢٨٢ وقارن ، القلقشندى : صبح ٣ : ٥٠٥ – ٥٠٨ ، Sanders , P., *op. cit.*, pp. 89 - 104.

[٤] أورد لنا ابن زولاق وصفًا لأول صلاة عيد فِطْر أدَّاها الخليفة المعز لدين بالقاهرة فى سنة ٣٦٢ . (راجع ، ابن ميسر : أخبار ١٥٩ – ١٦٠ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٥١ والاتعاظ ١ : ١٣٧ – ١٣٨) ، كما قدَّم لنا المُسَبِّحى وصفًا لركوب الخليفة الظاهر لصلاة عيد الفطر سنة ٤١٥ (أخبار ٦٥ – ٦٧ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١٦١) وفى السجلات المستنصرية ذكرٌ لركوب الخليفة لصلاة عيد الفطر فى سنوات ٤٤٥ و ٤٥١ و ٤٧٦ و ٤٧٨ و ٤٨٠ (السجلات رقم ١٣ ، ١ ، ٣١ ، ١٩ ، ١٨) . ويبدو أن الوزير الأفضل قد قلَّل من دور الخليفة الآمر فى صلاة العيد خاصة بعد =

[الخليفة] فى مستهل شَوَّال بعد تمام شهر رمضان ، وعدّته عندهم أبدًا ثلاثون يومًا . فإذا تهيأت الأمور من الخليفة والوزير والأمراء وأرباب الرُّتَب على ما تقدَّم وصار الوزير بجماعته إلى باب القصر ، ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المِظَلَّة واليتيمة والآلات المقدم ذكرها ، ولباسه فى هذا اليوم ، [a]الذى هو عيد الفطر[a] ، الثياب البيض الموشَّحة المجَوَّمة[b] ، وهى أُجَل لباسهم ، والمِظَلَّة كذلك فهى[c] أبدًا تابعة لثيابه كيف كانت الثياب كانت[1] . ٣ ٦

(a-a) ساقطة من الخطط . (b) بولاق : المحومة . (c) الخطط : فإنها .

= انتقاله إلى دار الملك بالفسطاط ، بل إن المقريزى يذكر أن ركوب الخليفة لصلاة العيد فى المُصَلَّى ظاهر باب النصر وإلقائه خطبة العيد « كان قد بُطِّل فى الأيام الجيوشية والأفضلية » (اتعاظ ٣ : ٨٣) لاشك بعد سنة ٤٨٠ وهو آخر تاريخ فى السجلات المستنصرية يذكر فيه الخليفة المستنصر خبر ركوبه لصلاة العيد ، ولا شك أن ذلك أيضًا كان بإيعاز من الأفضل الذى شارك والده أمير الجيوش فى السلطة فى أعقاب هذ التاريخ . (ابن ميسر : أخبار ٨١) . وقد (دفع ذلك الوزير المأمون البطائحى إلى إعادة تقليد ركوب الخليفة لصلاة العيد بالمُصَلَّى بعد أن كانت تتم بالإيوان بالقصر فى زمن الأفضل . (ابن المأمون : أخبار ٢٣ – ٢٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٥١ – ٤٥٢) . وأضاف ابن المأمون أن عيد الفطر هو الموسم الكبير عند الفاطميين وكان لذلك يسمى « بعيد الحُلَل » لأن الحُلَل فيه تُعَمّ الجماعة وفى غيره للأعيان خاصة . (أخبار ٣٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٢) .

وقد أورد ابن المأمون وصفًا تفصيليًا لهيئة صلاة عيد الفطر فى زمن خلافة الآمر ووزارة المأمون البطائحى يتَّفق فى الأعم مع وصف ابن الطُّوَيْر . (أخبار ٨٤ – ٨٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٢ – ٤٥٥) . كذلك فقد أورد أبو المحاسن نقلًا عن تاريخ ابن أبى المنصور (؟) كيفية ركوب الخليفة الآمر فى زمن وزارة المأمون البطائحى لصلاة العيد بالمُصَلَّى خارج باب النصر . (النجوم ٥ : ١٧٦ – ١٧٨) .

[1] نقل القلقشندى عن ابن الطُّوَيْر فيما يخص المِظَلَّة قوله : « وكان من شرطها عندهم أن تكون على لون الثياب التى يلبسها الخليفة فى ذلك الموكب . لا تخالف ذلك » . (صبح ٣ : ٤٦٩) .

ويكون خروجه من باب العيد[١] إلى المُصَلّى[٢] ، والزيادة ظاهرة فى هذا اليوم فى العساكر [a]والأجناد والفارس والراجل[a] وقد انتظم القوم له صَفَّيْن من باب القصر إلى باب المُصَلّى ، ويكون صاحب بيت المال قد تقدّم على ٣ الرسم لفرش المُصَلّى [a]كما عمل فى الجوامع[a] فيفرش الطَّرّاحات على رسمها

(a-a) ساقطة من الخطط .

[١] باب العيد . أحد أبواب القصر الكبير كان يفتح فى واجهته الشرقية فى مواجهة السور الجنوبى لدار الوزارة الكبرى . ولم يكن يؤدى إلى قاعة أو قصر صغير مثل بابى البحر والذَّهَب وإنما كان يقود من خلال الدَّهاليز الطوال إلى الفناء الداخلى للقصر الذى كان يتم فيه « عَرْض الخيل » وإلى الإيوان الكبير . وسمى باب العيد لأن الخليفة كان يستخدمه فى الذهاب لصلاة العيدين فى المُصَلّى خارج باب النصر . وفى سنة ٦٦١ نقل السلطان الظاهر بيبرس هذا الباب إلى القدس وجعله بابًا لخان السبيل الذى أقامه هناك فى هذه السنة . وذكر المقريزى أنه أدرك العامة تسمى موضعه بباب القاهرة . (المسبحى : أخبار ٣٦ ، ابن المأمون : أخبار ١٦ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٤٣ ، ٧٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٨ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٣٤٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٤٥ ، ٤٥١ ، ٢ : ٤٣ والسلوك ١ : ٤٩١ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٣٥ ، ٧ : ١٧٤ ، على مبارك : الخطط ٢ : ٢٩٤ ، Fu'ād Sayyid , A., *La capitale de l'Egypte* pp. 301 - 306).

ويدل على موضعه اليوم ظهر مدرسة عمر مكرم الابتدائية بشارع قصر الشوق بالجمالية .

[٢] مُصَلّى العيد . كان يقع خارج باب النصر الأول على يمين الخارج منه . بناه القائد جوهر وخصه لصلاة العيد فى رمضان سنة ٣٥٨ (المقريزى : الخطط ١ : ٤٥١) وكان يعرف فى أول الأمر ، كما يذكر ابن زولاق ، بمصلى القاهرة تمييزه عن مصلى آخر بناه جوهر بالفسطاط وخصصه لعامة أهلها (ابن ميسر : أخبار ١٥٩ والمقريزى : اتعاظ ١ : ١١٣) . وقد جدّد الخليفة العزيز بالله المصلى فى سنة ٣٨٠ وأمر ببناء عدد من المصاطب بينه وبين القصر الكبير يجلس عليها المؤذنون حتى يتّصل التكبير من المصلى إلى القصر . (المسبحى : نصوص ١٣ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٥١ واتعاظ ١ : ٢٦٧) . وقد بقى بعض هذا المصلى إلى أيام المقريزى واتخذ جانب منه مصلى للأموات . وهو عبارة عن ساحة واسعة تقع خارج أسوار المدينة غير مغطاة يحددها سور منخفض تخصص لصلاة العيدين .

ويدل على موضعه اليوم المقابر الواقعة فى الزاوية التى تتلاقى فيها سكة قايتباى بشارع نجم الدين بجبانة باب النصر .

(راجع ، المسبحى : أخبار ٦٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٦٤ ، ٤٥١ ، ٢ : ١٣٨ ، ٤٦٣ ، أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٤ ، ٩ : ٤١) .

فى المحراب مطابقة[١] ويُعلَّق أيضًا[a] سترين يَمْنة ويَسْرة فى الأيمن « البَسْمَلَة » و « الفاتحة » و ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الآية ١ سورة الأعلى] وفى الأيسر بعد الفاتحة ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴾ [الآية ١ سورة الغاشية][٢] ، ثم يركز ٣
فى جانبى المُصَلّى لواءين مشدودين [b]مثل ذلك[b] على رمحين ملبَّسين بأنابيب الفضة وهما مستوران مرخيان . فيدخل الخليفة من شرقى المُصَلّى إلى مكان يستريح[c] فيه دقيقة ، ثم يخرج محفوظًا كما يُحْفظ فى جامع القاهرة — ٦
[b]يعنى أنه يخرج ماشيًا وحواليه الأستاذون المُحَنَّكون والوزير وراءه ومن يليهم من الخواص وبأيديهم الأسلحة من صبيان الخاص وهم أمراء وعليهم هذا الاسم[b] —. قال : فيصير إلى المحراب فيصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة ٩
والوزير وراءه والقاضى ، ويقرأ فى كل ركعة ما هو مرقوم فى السترين تذكارًا[d] .

فإذا فرغ وسَلَّم صَعَد المنبر للخطبة العيدية يوم الفِطْر ، فإذا جلس فى ١٢
الذروة وهناك[e] طَرّاحة سامان أو دبيقى على قدرها ، وباقيه يُستر ببياض على مقداره فى تقطيع درجه وهو مضبوط لا يتغيَّر ، فيراه أهل ذلك الجَمْع
جالسًا فى الذروة ، ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير وقاضى القضاة ١٥
وصاحب الباب[f] وإسْفِهْسَلار العساكر وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المِظَلَّة وزمام الأشراف الأقارب وصاحب
بيت المال وحامل الرُّمح ونقيب الأشراف الطالبيين وَوَجْهُ الوزير إليه ، فيشير ١٨

(a) ساقطة من الخطط . (b-b) ساقطة من الخطط . (c) بولاق : ليستريح . (d) ساقطة من الخطط . (e) خزينة : وهو مفروش فى الذروة المذكورة . (f) الواو ساقطة من بولاق .

---

(١) أعاد ابن الطُّوَيْر هنا (كما جاء فى مخطوطة خزينة) ذكر ما سبق وأورده فى هيئة صلاة الجمعة (انظر اعلاه ص ١٧٢) .

(٢) عند ابن زولاق أنه قرأ فى الثانية ﴿ والضُّحَىٰ ﴾ (ابن ميسر : أخبار ١٥٩) وعند ابن المأمون أنه قرأ فى الثانية ﴿ والشَّمْسِ وضُحَـٰها ﴾ . (أخبار ٨٧) .

إليه بالصعود فيَصْعَد إليه[a] ويقرب وقوفه منه ويكون وجهه مواز رجليه فيقبِّلها بحيث يراه العالم ، ثم يقوم فيقف على يَمْنَة الخليفة[b] .

٣ فإذا وقف أشار إلى قاضى القضاة بالصعود[a] فيصعد إلى سابع درجة ثم يتطلَّع إليه صاغيًا[c] لما يقول فيشير إليه بقوله[d] فيُخْرج من كمه مُدْرجًا قد أُحْضِر إليه أمس من ديوان الإنشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير ، فيُعْلِن

٦ بقراءة مضمونه فيقول[e] : « بسم الله الرحمن الرحيم . ثبت بمن شَرُف بصعوده المنبر الشريف فى يوم كذا ، وهو عيد الفِطْر ، من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين بعد

٩ صعود[f] السيد الأجلّ ونعوته المقدَّرة ودعائه المحرَّر » . فإن أراد الخليفة أن يُشرِّف أحدًا من أولاد الوزير وإخوته استدعاه القاضى بالنعت[g] المذكور . ثم يتلوا ذلك ذكر القاضى المذكور[h] ، وهو القارئ ، فلا يتَّسع له أن

١٢ يقول عن نفسه نعوته ولا دعاءه بل يقول : المملوك فلان بن فلان . وكان[h] قرأه مرَّة القاضى ابن أبى عقيل[١] فلما وَصَل إلى اسمه قال : « العبد الذليل المعترف بالصنع الجميل فى المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن أبى عقيل » ،

١٥ فاستُحْسِن ذلك منه ثم حَذَا حذوه الأعز ابن سلامة[٢] ، وقد استقضى فى

(a) ساقطة من بولاق . (b) الخطط : على يمينه . (c) خزينة : استنادا . (d) من خزينة . (e) الخطط : ويقول . (f) ساقطة من خزينة . (g) خزينة : بالثبت . (h) ساقطة من الخطط .

---

(١) هو قاضى القضاة الأعز أبو المكارم أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن أبى عقيل تولى القضاء فى المحرم سنة ٥٣١ إلى حين وفاته فى شعبان سنة ٥٣٣ . (ابن ظافر : أخبار ١٠١ ، ابن ميسر : أخبار ١٢٨ و ١٣١ ، المقريزى : المقفى (مخ . السليمية) ١٠٥ ظ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ٧٩ - ٨٠) .

(٢) هو القاضى الأعز أبو محمد الحسن بن على ابن سلامة المعروف بابن الغُوَيرِس تولى القضاء فى شهر ربيع الأول سنة ٥٥٩ عوضًا عن أبى القاسم هبة الله المعروف بالقاضى المفضل ضياء الدين بن أبى كامل . (المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٧٨ ، ابن حجر : رفع الإصر ١ : ١٨٩ ، السيوطى : حسن ٢ : ١٥٣) .

آخر الوقت ، فقال : « المملوك فى محل الكرامة ، الذى عليه من الولاء أُصدق علامة ، حسن بن على بن سلامة » . ثم يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر بنعوتهم وذكر خِدَمهم ودعائهم على الترتيب . ٣

فإذا طَلَع الجماعة ، وكل منهم يعرف مقامه فى المنبر يَمْنَة ويَسْرة ، [a]فإذا لم يبق أحد ممن يَطْلع[a] أشار الوزير إليهم فأخذ من هو فى[b] كل جنب بيده نصيبًا من اللواء الذى بجانبه فيُسْتَر الخليفة ويُستْرون ، ويُنادَى فى ٦ الناس بأن ينصتوا . فيخطب الخليفة الخطبة[c] من المسطور على العادة ، وهى خطبة بليغة مُوَافِقَة لذلك اليوم . فإذا فَرَغ ألقى كل من فى يده شىء من اللّواء[d] خارج المنبر فينكشفون [a]كما كانوا قبل يُستَرون[a] ، وينزلون أولًا ٩ فأولًا الأقرب فالأقرب إلى القهقرى . فإذا خلا المنبر إلَّا من الخليفة قام هابطًا منه إلى المكان الذى خرج منه ثم يلبث لبثة يسيرة[e] ويركب فى زيّه المُفَخَّم من طريقه[f] بعينها إلى أن يصل إلى قريب من القصر[g] [h]فيقف وقفة بجملته ١٢ فى موكبه وينفرج الموكب للوزير فيتحرَّك مسرعًا ليصير أمام الخليفة ليدخل بين يديه ، فيمر بالخليفة فيَسْكَع له سَكْعَة ظاهرة ، فيشير الخليفة للسلام عليه إشارة خفيفة ، وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة ولا تكون إلَّا للوزير صاحب ١٥ السيف ، فيفارقه ويسبقه إلى الدخول من باب القصر راكبًا على عادته إلى موضعه ، ويكون الأمراء قد نزلوا قبله لأنهم فى أوائل الموكب[h][1] . فإذا

(a-a) زيادة من خزينة . (b) الخطط : من . (c) الخطط : من اللواء شىء . (d) ساقطة من الخطط . (e) هذه العبارة مثبتة من خزينة . (f) الخطط : وركب فى زيّه المفخم وعاد من طريقه . (g) الخطط : إلى قريب القصر . (h-h) هذه العبارة ساقطة من الخطط وموضعها : فيتقدمه الوزير كما شرحنا ثم يدخل من باب العيد فيجلس فى الشباك .

---

[1] انظر أعلاه ص ١٦٦ .

دَخَل الخليفة من باب العيد جلس فى الشُّبَّاك وقد نُصِب منه إلى [a] الفسقية التى كانت وسط الإيوان[a] مقدار عشرين قصبة سِمَاطٌ من الخُشْكنان

٣ والبَسَنْدود والبَزْمَاوَرْد مثل الجبل الشاهق ، وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار إلى رطل[1] ، فيدخل ذلك الجَمْع إليه فيَفْطر وينقل منه مَنْ ينقل ويباح ولا يحجر عليه ولا مانع دونه فيمر ذلك بأيدى الناس وليس هو مما يُعتدّ به ولا

٦ يُغْنى عما[b] يفرَّق للناس ويحمل إلى دورهم .

ويُعمل فى هذا اليوم سِمَاطٌ من الطعام فى القاعة[1] – يعنى قاعة الذهب[c] – ويحضر عليه الخليفة والوزير[2] .

٩ رُكُوبُ صَلَاةِ عيد النَّحْر[1]

قال ابن الطُّوَيْر : فإذا انقضى ذو القعدة وأَهَلَّ[d] ذو الحجة اهتم بالركوب[4] فى عيد النَّحْر[e] ، وهو يوم عاشره ، فيجرى حاله كما جرى فى عيد

(a-a) الخطط : إلى فسقية كانت فى وسط الإيوان . (b) بولاق وليدن : ولا يعنى مما . (c) ساقطة من بولاق وميونخ . (d) ليدن : وهلّ هلال . (e) ليدن وميونخ : بركوب عيد النحر .

---

(1) هذا السِّماط هو الفِطْرة التى تعمل بدار الفِطْرة خصيصًا لهذه المناسبة (انظر أعلاه ص ١٤٣) . وكان هناك سِماطان : سِماط أوّل ، هو المذكور فى هذا النص ، يُمَدّ فى الإيوان الكبير ، وسِماط ثان يُمَدّ فى قاعة الذَّهب . (انظر فيما يلى ص ٢١٣) .

(2) انظر فيما يلى ص ٢١٤ .

(3) المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٥ وقارن ، القلقشندى : صبح ٣ : ٥٠٨ وأبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٤ ، Sanders , P., *op. cit.*, pp. 104 - 145.

(4) أورد لنا المُسَبِّحى كيفية ركوب الخليفة الظَّاهر لإعزاز دين الله لصلاة عيد النحر فى سنة ٤١٥ . (أخبار ٨٠ – ٨١) . كما أشارت السجلات المستنصرية إلى ركوب الخليفة المستنصر بالله لصلاة عيد الأضحى فى السنوات ٤٧٤ و ٤٧٦ ، ٤٧٨ . (السجلات رقم ٣٠ ، ٦٤ ، ٢٧) .

(5) ذكر ابن المأمون أن يوم سابع ذى الحجة يعرف « بيوم الهَناء بعيد النَّحْر » ،=

الفِطْر من الزىّ والركوب إلى المُصَلّى ، ويكون لباس الخليفة فيه الأحمر الموشّح ولا ينخرم منه شىء ، وركوبه ثلاثة أيام متوالية : فأوَّلها ، وهو[a] يوم إلى المُصَلّى والخطابة كعيد الفِطْر[١] ، وثانى يوم وثالثه إلى المَنْحَر[٢] ، وهو المقابل لباب الرِّيح الذى فى ركن القصر المقابل لسور دار سَعِيد السُّعَدَاء الخانقاه ٣

(a) من خزينة .

= وكان الناس يتوجهون عند أذان الصبح إلى دار الوزير لخدمته وللهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والأقلام ثم الأمراء والأستاذون المُحَنَّكون والشعراء بعدهم . وبعد ذلك يركب الوزير إلى القصر ويدخل من باب الذهب فيجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له فى موضعها الجارى به العادة ، ثم يُغْلق الباب الذى عندها ، والمعروف بباب السِّرداب لأن حمام القصر من ورائه ، على الرسم المعتاد لوزراء السيوف والأقلام . ثم يُفْتَح الباب ويشير له متولى الرسالةبالدخول إلى القصر فيدخل إلى المكان الذى هُيء له ويدعو لمجلس الوزارة بينما يبقى الأمراء المُطَوَّقون بالدّهاليز إلى أن يجلس الخليفة ويستفتح القُرّاء ثم يستدعى الوزير وبقية رجال الدولة على قدر طبقاتهم للسلام على الخليفة والهناء بالعيد . (ابن ميسر : أخبار ٨٨ – ٩١ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٥ – ٨٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٢) .

[١] انظر أعلاه ص ١٧٧ وما بعدها .

[٢] المَنْحَر . هو الموضع الذى اتخذه الخلفاء الفاطميون لنحر الأضاحى فى عيد الأضحى وعيد الغدير . وكان ، كما فى النص ، مقابلا لباب الرِّيح (وهو باب القصر الذى كان يفتح فى واجهته الشمالية على يمين المتجه من الرُّكْن المُخَلَّق إلى رحبة باب العيد) (ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٣٦ ، المقريزى : خطط ١ : ٤٣٤ و ٤٣٧ ، Fu'ad Sayyid , A., *op. cit.*, pp. 288 - 292) وفى مواجهة سور دار سعيد السعداء (وهى دار بنيت فى خلافة المستنصر ولكنها تنسب إلى خادم من خدام الحافظ يدعى قُنْبر أو عَنْبَر ويلقب سعيد السعداء) (المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٤ و ٤٣٧ ، *Ibid.*, pp. 295 - 296) وعندما تولى الناصر صلاح الدين حوّل هذه الدار إلى خانقاه للصوفية فى سنة ٥٦٩ فأصبحت بذلك أول خانقاه عرفت فى مصر . (ابن ميسر : أخبار ١٤٤ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٣٦٤ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤١٥ ، السيوطى : حسن ٢ : ٢٦٠) . وقد حدّد المقريزى موضع المَنْحَر فى عصره بأنه ما فى داخل الدرب الأصفر تجاه خانقاه بيبرس الجاشنكير (الواقع اليوم فى شارع الجمالية) من الدور والطاحون وغيرها ، أما ظاهره فتجاه رأس حارة بَرْجَوان بفصل بينه وبينها الحوانيت التى تقابل باب الحارة . (الخطط ١ : ٤٣٦ ، *Ibid.*, pp. 292 - 94).

ويحدد موضع المَنْحَر اليوم بمجموعة المبانى الواقعة غربى جامع سعيد السعداء (بشارع الجمالية) بين شارعى الدرب الأصفر والتمبكشية بالجمالية . =

اليوم[١] ، وكان براحًا خاليًا لا عمارة فيه ، فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه ، ويكون الوزير واقفًا عليه فيترجَّل ويدخل ماشيًا بين يديه لقربه ، هذا بعد انفصالهما من المُصَلَّى . ويكون قد قِيد إلى هذا المَنْحَر أحد وثلاثون فصيلًا وناقة أمام مصطبة يطلع عليها الخليفة والوزير ، وهى مفروشة[a] ، ثم أكابر الدولة ، وهو بين الأستاذين المُحَنَّكين . فيقدِّم الفرَّاشون له إلى المصطَبَة رأسًا فرأسًا ، ويكون بيده حربة من رأسها الذى لاسنان فيه ، ويد قاضى القضاة فى أصل سنانها ، فيجعله القاضى فى نَحْر النحيرة فيطعن به الخليفة وتجرّ من بين يديه حتى يأتى على العدَّة المذكورة . فأوَّل نحيرة هى التى تقدَّد وتُسَيَّر إلى داعى اليمن[٢] ، وهو الملك فيه ، فيفرِّقها على المعتقدين وزن نصف درهم إلى ربع درهم .

ثم يُعمل ثانى يوم كذلك فيكون عدد ما يُنْحر سبعًا وعشرين . ثم يعمل فى اليوم الثالث كذلك . وعِدَّة ما يُنحر ثلاثًا وعشرين . هذا وفى مدَّة هذه الأيام الثلاثة يُسَيَّر رسم الأُضحية إلى أرباب الرُّتَب والرُّسوم كما سُيِّرت الغُرَّة فى أول السنة من الدنانير بغير رُباعية ولا قراريط على مثال الغُرَّة [b]بعد الطبقة العليا إلى ما دونها[b] من عشرة دنانير إلى دِينار . أما لحم الجزور[c]

(a) ساقطة من الخطط . (b-b) زيادة من خزينة . (c) ليدن : الجزر .

= وراجع المسبحى : أخبار ٨١ و ٨٢ وابن المأمون : أخبار ٢٥ و ٤١ – ٤٢ .

(١) القلقشندى : صبح ٣ : ٣٤٦ . .

(٢) هذا النص يدل على مدى أهمية دعوة اليمن للخلافة الفاطمية ، ولا شك أن هذا التقليد بدأ منذ أن تولى الدعوة الفاطمية فى اليمن الداعى على بن محمد الصُّلَيْحى سنة ٤٤٥ وظل كذلك إلى سنة ٥٢٤ (سنة وفاة الخليفة الآمر) فقد انفصلت الدعوة اليمنية عن الدعوة الفاطمية فى هذا التاريخ ودعا أصحابها إلى الإمام الطَّيِّب بن الآمر وامتنعوا عن الدعوة لخلفاء الآمر فى مصر (راجع ، أيمن فؤاد سيد : تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن ١٧١ – ١٩٠) وعلى ذلك فإن هذا الوصف يصدق على عصر الآمر ولا ينطبق على الفترة التالية له إلَّا إذا كان المقصود الزُّرَيْعيون فى عَدَن الذين دعوا للخليفة الحافظ لدين الله .

فإنه يُفرَّق فى أرباب الرسوم للبركة فى أطباق مع أدوان الفرَّاشين ، وأكثر ذلك يفرِّقه[a] قاضى القضاة وداعى الدعاة للطلبة بدار العِلْم[١] والمُتَصَدِّرين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بهم المتشيعين للبركة[b] . فإذا انقضى ذلك خَلَع الخليفة على الوزير ثيابه الحُمْر التى كانت عليه ومنديلًا آخر من القصر[c] بغير اليتيمة والعِقْد المنظوم ، هذا عند عَوْد الخليفة من المَنْحَر[٢] . فيركب الوزير من القصر بالخِلَع المذكورة شاقًا القاهرة ، فإذا خرج من باب زُوَيْلَة[٣] انعطف على يمينه سالكًا على الخليج فيدخل من باب القَنْطَرة إلى دار الوزارة[٤] وبذلك انفصال عيد النحر[٥] .

قال : وثمن الضحايا على ما تقدَّم[d] من غير رُباعية ولا قراريط ما يقرب من ألفى دينار[٦] .

(a) الخطط : تفرقة . (b) الخطط : بها من الشيعة للتبرك . (c) ساقطة من الخطط . (d) الخطط : ما تقرر .

---

[١] عن دار العِلْم . انظر أعلاه ص ١١٠ .

[٢] لباس الخليفة الخاص بالنحر هو « البدلة الحمراء بالشدة التى تسمى بشَدَّة الوقار والقلَم والعَلَم والجوهر فى وجهه بغير قضيب ملك فى يده » . (ابن المأمون : أخبار ٤١) .

[٣] باب زُوَيْلَة . هو باب القاهرة الجنوبى القائم إلى اليوم وهو من بناء بدر الجمالى تم بناؤ فى سنة ٤٨٥ .

[٤] باب القَنْطَرَة : هو الباب الذى يفتح فى شمال السور الغربى للقاهرة المُطِلّ على الخليج حيث يوجد مدخل شارع أمير الجيوش الجوانى بجوار مدرسة باب الشعرية والداخل من هذا الشارع اليوم يصل إلى شارع الجمالية عن طريق شارع الضبيبة ويجد نفسه أمام خانقاه بيبرس (دار الوزارة الفاطمية) . وقد ظلّت بقايا هذا الباب قائمة إلى أن هدمت فى سنة ١٢٩٥ / ١٨٧٨ . (راجع ، القلقشندى : صبح ٣ : ٢٩٩ ، ٣٥٠ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٢ – ٨٣ و ٢ : ١٤٧ ، أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٣٩ ، على مبارك : الخطط ٣ : ١٢٨ ، Fu'ād Sayyid , A., *op. cit.*, pp. 180 - 181).

[٥] أورد ابن المأمون وصفًا تفصيليًا للاحتفال بعيد الأضحى فى سنة ٥١٦ أوْفَى من وصف ابن الطُّوَيْر . (أخبار ٤٠ – ٤٣) .

[٦] المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٧ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٥١١ ، أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٨ – ٩٩ .

رُكُوبُ عيد الغدِير

قال ابن الطُّوَيْر : إذا كان العشر الأوسط من ذى الحجة اهتم الأمراء والأجناد بركوب عيد الغدير[١] ، وهو فى الثامن عشر منه ، وفيه خُطْبة وركوب الخليفة بغير مِظَلّة ولا يتيمة ولا خروج عن القاهرة ، ولا يُخْرج لأحدٍ شيء . فإذا كان أوّل[a] ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجارى به العادة فيدخل القصر ، وفى دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسىّ على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدِّهْليز ويخرج فيقف قُبالة باب القصر ، ويكون ظهره إلى دار فخر الدين جَهَارْكَس اليوم[٢] . ثم يخرج الخليفة

(a) ساقطة من الخطط .

[١] أوّل ما احتفل الشيعة بعيد الغدير فى العراق سنة ٣٥٢ فى أيام مُعِزّ الدولة بن بُوَيْه ، وأوّل ماعُمِل بمصر فى سنة ٣٦٢ . (ابن ميسر : أخبار ١٦٢ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٩ والاتعاظ ١ : ١٤٢ ، ٢٧٣) . وهو نسبة إلى غدير خُمّ ، وخُمّ موضع بين مكة والمدينة ، به غدير وحوله شجر كثير (ياقوت : معجم البلدان ٢ : ٣٧١) كان رسول الله ﷺ عند عودته من مكة بعد حجة الوداع فى اليوم الثامن عشر من ذى الحجة سنة ١٠هـ قد نزل بهذا الغدير وآخى بينه وبين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه (راجع ، ابن حنبل : المسند ٩٥٠ - ٩٥٢ و ٩٦١ و ٩٦٤) ويُعلّق الشيعة أهمية كبيرة على هذا الحديث إذ يعتبرونه مبايعة علنية من الرسول لعلى بن أبى طالب بخلافته . (راجع ، القاضى النعمان : دعائم الإسلام ١ : ١٦ ، القلقشندى : صبح ١٣ : ٢٤١ و ٢ : ٤١٧) .

[٢] باب القصر المقصود هنا هو باب الذَّهَب . وفخر الدين جهاركس صاحب هذه الدار معاصر لابن الطُّوَيْر فقد توفى بدمشق سنة ٦٠٨ لذلك فقد أضاف المقريزى فى مخطوطة خزينة « قلت : دار فخر الدين هذه هى الآن المارستان المنصورى » .

وقد أقام فخر الدين جهاركس داره بعد زوال الدولة الفاطمية فى مكان قاعة ست الملك من القصر الصغير الغربى ، وقد عرفت بعد ذلك بدار موسك ثم بالدار القطبية ، نسبة إلى الملك المفضل قطب الدين أحمد الأيوبى ، وظلت مع ورثته إلى أن أخذها السلطان المنصور قلاوون من مؤنسة خاتون ورسم بعمارتها مارستانًا وقبة ومدرسة فى سنة ٦٨٢ (المقريزى : الخطط ٢ : ٤٠٦) وراجع أخبار فخر الدين جهاركس عند ابن واصل : مفرج الكروب (الجزء الثالث) ، ابن خلكان : وفيات ١ : ٣٨١ ، الصفدى : الوافى ١١ : ٢٠٥ .

راكبًا أيضًا[a] فيقف فى الباب ، ويقال له القوس ، وحواليه الأستاذون المُحَنَّكون رجَّالة ، ومن الأمراء المُطَوَّقين من يأمره الوزير بإيثار[b] خدمة الخليفة على خدمته . ثم يجوز زىّ كل من له زىّ على مقدار همته ، فأوّل ٣
ما يجوز زىّ الخليفة وهو الظاهر فى ركوبه فتجد الجنائب الخاص ، التى قدَّمنا ذكرها أولًا ، ثم زىّ الأمراء المطوَّقين ، لأنهم غلمانه ، واحدًا فواحدًا بعُدَدهم وأسلحتهم وجنائبهم إلى آخر أرباب القصب والعَمَّاريات ، ثم طوائف العسكر ٦
أزمتها أمامها وأولادهم مكانهم لأنهم فى خدمة الخليفة وقوف[a] بالباب طائفة طائفة ، فيكونون أكثر عددًا من خمسة آلاف فارس ، ثم المترجِّلة الرماة بالقِسِىّ الأيدى والأرجل، وتكون عِدَّتهم قريبًا من ألف ، ثم الراجل من الطوائف الذين ٩
قدَّمنا ذكرهم فى الركوب ، يعنى الجيوشية والريحانية[c] ، فتكون عِدَّتهم قريبًا من سبعة آلاف ، كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب مليح مستحسن .
ثم يأتى زىّ الوزير مع ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته فى جمع عظيم ١٢
وهيئة هائلة ، ثم زىّ صاحب الباب وفيهم أصحابه وأجناده ونُوَّاب الباب وسائر الحجَّاب ، ثم يأتى زىّ إسْفِهْسَلار العساكر بأصحابه وأجناده فى عدَّة وافرة .
ثم يأتى زىّ والى القاهرة وزى والى مصر . فإذا خرجا خرج الخليفة من الباب ١٥
والوقوف بين يديه مشاة فى ركابه خارجًا عن صبيان ركابه الخاص . فإذا وَصَل إلى باب الزُّهُومة بالقصر[1] انعطف على يساره داخلًا من الدرب هناك جائزًا

(a) ساقطة من خزينة . (b) الخطط : بإشارة . (c) زيادة من خزينة .

---

[1] باب الزُّهُومة . هو الباب الجنوبى الغربى للقصر الكبير كان يفتح فى واجهته الغربية بدل على مكانه قاعة شيخ الحنابلة بالمدارس الصالحية التى بنيت موضع الركن الجنوبى الغربى للقصر . وكان هذا الباب فى مواجهة مطبخ القصر فكان خدم القصر يدخلون بالطعام إليه من هذا الباب فسمى باب الزُّهومة لذلك . والزُّهُومة تعنى الزَّفَر . (القلقشندى : صبح ٣ : ٣٤٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٥ و ٤٦٢ ، ٢ : ٣٧٤ ، أبو المحاسن : النجوم ٤ : ٣٦ ، Fu'ād Sayyid , A., *op. cit.*, pp. 264 - 68).

على الخُوَخ[١] ، فإذا وصل إلى باب الدَّيْلم[٢] الذى داخله المَشْهَد الحُسَيْنى[a] فيجد فى دِهْليز ذلك الباب قاضى القضاة والشهود ، فإذا وازاهم
٣ خرجوا للخدمة والسلام عليه ، فيسلِّم القاضى كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التى تليه والشهود أمام رأس الدَّابة بمقدار قصبة . ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدِّهْليز إلى الإيوان الكبير[٣] وقد عُلِّق عليه الستور القُرْقُوبى فى
٦ جميعه على سعته وغير القُرْقُوبى سترًا فسترًا ، ثم يعلَّق بدائره على سعته ثلاثة صفوف : الأوسط طوارق فارسيات مدهونة والأعلى والأسفل درق وقد نصب كرسىّ الدعوة وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب فى هذا العيد ، [b]الذى
٩ يقال له عيد الغدير المعروف بغدير خُمّ[b] ، فيجلس القاضى والشهود تحته والعالم من الأمراء والأجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الرأى من الأكابر والأصاغر . فيدخل الخليفة من باب العيد إلى الإيوان إلى باب المُلْك ، فيجلس
١٢ بالشُّبَّاك وهو ينظر القوم ، ويخدمه الوزير عند ما ينزل ، ويأتى هو ومن معه فيجلس

(a) فى بعض المخطوطات : المشهد النفيسى . (b-b) ساقطة من الخطط .

(١) المقصود الخُوَخ السَّبع . وهى سبع خوخ متتالية متصلة باصطبل الطَّارِمَة يتوصَّل منها الخلفاء إلى الجامع الأزهر فيخرجون من باب الدَّيْلم إلى الخُوَخ ويعبرون منها إلى الجامع الأزهر . وذكر المقريزى أن هذه الخُوَخ قد زالت تمامًا فى عصره (الخطط ١ : ٣٦٢ و ٣٧٤ ، ٢ : ٣٥ و ٤٠ و ٤٥ ، Fu'ād Sayyid , A., *op. cit.*, pp. 324 - 26).
أى أن الموكب يخرج من باب الذَّهَب ويسير جنوبًا تجاه باب الزُّهومة ثم ينعطف يسارًا مخترقًا الخُوَخ السبع مارًا بالقصر النافعى حتى يصل إلى باب الدَّيْلم .

(٢) باب الدَّيْلم . هو الباب الجنوبى الشرقى للقصر الكبير يفتح فى واجهته الجنوبية ويدل على موضعه اليوم باب المشهد الحسينى المعروف بالباب الأخضر . وكان يُفضى إلى قبة الدَّيْلم التى دفن بها رأس الحسين وصارت تعرف منذ سنة ٥٤٨ بالمَشْهد الحسينى . (المقريزى . الخطط ١ : ٤٢٧ ، Fu'ād Sayyid, A., *op. cit.*, pp. 316 - 323) . وهذا يدل على أن وصف ابن الطُّوَيْر هو وصف للموكب بعد سنة ٥٤٨ .

(٣) واضح أن باب الدَّيْلم وباب العيد كانا يؤديان معًا إلى الإيوان الكبير عن طريق عدد من الدَّهاليز الطوال .

بمفرده على يسار منبر الخطيب ، ويكون قد سير لخطيبه[a] بدلة حريرية يخطب فيها وثلاثون دينارًا ، وتُدْفع له كرّاس محرَّرة من ديوان الإنشاء تتضمَّن نص الخلافة من النبى عليه السلام إلى على بن أبى طالب بزعمهم ، [b]وشَرَح فيها الخبر المنقول : « مَنْ كُنْت مولاه فعلىّ مولاه » وغير ذلك مما ورد فى حق على من الكرامة ، وأن هذا هو النص له بالخلافة دون غيره[b] فإذا فرغ الخطيب[c] ونزل ، صلّى قاضى القضاة بالناس ركعتين [d]يقرأ فيهما من الآيات ما يقع الاختيار عليه فى ذلك المحل[d] . فإذا قضيت الصلاة قام الوزير إلى الشُّبَّاك فيخدم الخليفةَ ويمضى[e] ويَنْفَضّ الناس بعد التهانى بين الإسماعيلية بعضهم بعضًا[1] . وهو عندهم أعظم من عيد النَّحْر ويَنْحَر فيه أكثرهم[2] ....

رُكوبُ تخْلِيق المِقْياس

قال ابن الطُّوَيْر : إذا أُذنَ الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك ، طالع ابن أبى الرَّدَّاد[3] بما استقر عليه أذرع القاع فى اليوم الخامس والعشرين من

(a) فى بولاق وليدن : لخطبته . (b-b) زيادة من خزينة . (c) ساقطة من الخطط . (d-d) ساقطة من الخطط . (e) من خزينة .

[1] كان الاحتفال بعيد الغدير يتم فى صدر الدولة الفاطمية بطريقة مبسَّطة فقد ذكر المُسَبِّحى فى حوادث سنة ٤١٥ أن الناس جروا على رسومهم فى يوم عيد الغدير وتزيوا بأفخر زيهم وطلع المنشدون إلى القصر المعمور يدعون وينشدون على رسومهم ولم يجر منهم شىء من سَبّ السلف بمصر ولا تجمُّع ولا حال يُذَم . (أخبار ٨٥ ، المقريزى : اتعاظ ٢ : ١٦٨) . ثم لا نجد حديثًا عن الاحتفال بعيد الغدير حتى عام ٥١٦ عندما يقدّم لنا ابن المأمون وصفًا للرسوم المعقَّدة التى أصبحت تصحب هذا الاحتفال أثناء خلافة الآمر ووزارة المأمون البطائحى (أخبار ٤٢ - ٤٤) . وقد تضمَّن وصف ابن المأمون تفاصيل إضافية على الوصف الذى يقدمه لنا ابن الطُّوَيْر والذى يبدو أنه ، كما هى بقية أوصافه ، وصفًا نموذجيًا لما يجب أن يكون عليه الموكب أو الاحتفال ، بينما يقدّم لنا المُسَبِّحى وابن المأمون تسجيلًا للاحتفال كما تم بالفعل . ويُسْتخلص مما أورده ابن المأمون أن الاحتفال كان يتم على نموذج الاحتفال بعيد الأضحى .

[2] المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٩ وقارن Sanders , P., *op. cit.*, pp. 223 - 35.

[3] ابن أبى الرَّدَّاد متولى قياس النيل . كانت النصارى تتولى قياس ماء النيل حتى عزلهم المتوكل العباسى بإشارة القاضى بكّار بن =

بُؤونة وأرَّخه بما يوافقه من أيام الشهور العربى ، فعلم ذلك من مطالعته وأخرجت إلى ديوان المكاتبات فنزلت فى المسير[a] المرتب بأصل القاع ،
٣ والزيادة بعد ذلك فى [b]كل يوم تؤرخ بيومه[b] من الشهر العربى وما وافقه من أيام الشهر القبطى ، لا يزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد قبل الخليفة وبعده الوزير . فإذا انتهى فى ذراع الوفاء ، وهو السادس
٦ عشر ، إلى أن يبقى منه إصبع أو إصبعان وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يُحْمَل إلى المقياس[١] فى تلك الليلة من المطابخ عشرة قناطير من الخُبْز السَّمِيذ[٢] وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الجامات الحلواء[٣] وعشر شمعات

(a) بولاق : السير . (b-b) ليدن وميونخ : كل يوم مؤرخا بيومه من بؤنة .

= قتيبة ، فرتَّب يزيد بن عبد الله التركى ، والى مصر ، فيه أبا الردَّاد عبد الله بن عبد السلام المؤدب فى سنة سبع وأربعين ومائتين ، واستقر قياس النيل فى بنيه إلى العصر العثمانى وصار كل من يتولى أمر المقياس يعرف بابن أبى الردَّاد . (الكندى : الولاة والقضاة ٢٠٣ ، المسبحى : أخبار ٣٧ – ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ابن خلكان : وفيات ٣ : ١١٢ ، الصفدى : الوافى ١٧ : ٢٥٧ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٢٩٥ ، المقريزى : الخطط ١ : ٥٨ ، ٢ : ١٨٥ ، أبو المحاسن : النجوم ٢ : ٣١١ ، السيوطى : حسن ٢ : ٣٧٥ – ٣٧٦ ، Fu'ād Sayyid A., *op. cit.*, pp. 89 - 91).

[١] مِقْيَاس النيل . عمود رخامى مازال قائمًا إلى اليوم فى الطرف الجنوبى لجزيرة الرَّوْضَة (مسجل بالآثار برقم ٧٩) فى وسط بئر مربع يهبط إليه بواسطة سلالم موجودة على جوانب جدرانه . وينقسم هذا العمود إلى ثمانية أوجه مقسمة إلى ستة عشر ذراعًا ، تنقسم العشرة العليا فقط إلى أصابع تكون أربعة وعشرين إصبعا لكل ذراع ، والستة أذرع السفلى غير مقسمة إلى أصابع . والبناء القائم اليوم والمعروف بالمقياس الهاشمى أو المتوكلى يرجع إلى عام ٢٤٧ ، وهو ترميم وإصلاح للمقياس القديم الذى بنى فى سنة ٩٧ / ٧١٥ ، أمر بعمله الخليفة المتوكل العباسى . (راجع الهامش السابق وفريد شافعى : العمارة العربية فى مصر الإسلامية ٣٨٥ – ٣٩٣ والمسبحى : أخبار ٣٣ هـ١ ، Kamel Osman Ghaleb , Le Mikyas ou Nilomètre de l'Ile de Rodha , *MIE* t. LIV (1951).

[٢] الخبز السَّميذ هو الحُوَّارى أى المصنوع من الدقيق الأبيض أو لُباب الدقيق ، ويبدو أن السميذ أجود درجة من الحُوَّارى . (القاموس المحيط ٣٦٩ ، ٤٨٧ ، Dozy , *op. cit.*, II , 334).

[٣] جام جـ . جامات . آنية تكون أحيانًا من الفخار أو من الزجاج أو من الفضة يصب فيها السكر بعد نضجه لصنع الحلوى . (القاموس ١٤٠٩ ، Dozy , *op. cit.*, I , 168) .

ويؤمر بالمبيت فى تلك الليلة بالمقياس . فيحضر إليه قُرَّاء الحضرة والمُتَصَدِّرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم ، فيستعملون ذلك ويقدون الشمع عليهم من العشاء الآخرة وهم يتلون القرآن برفق ويُطَرِّبون بمكان التطريب فيختمون الخَتْمَة الشريفة . ويكون هذا الاجتماع فى جامع المِقْيَاس[١] ، ليوفى[a] الماء ستة عشر ذراعًا فى تلك الليلة .

ولوَفَاءِ النِّيل عندهم قدرٌ عظيم ويبتهجون به ابتهاجًا زائدًا ، وذلك لأنه عمارة الديار المصرية[b] وبه التئام الخلق على فضل الله ، فيحسن عند الخليفة موقعه ويهتم بأموره[c] اهتمامًا عظيمًا أكثر من كل المواسم[٢] . فإذا أصبح الصبح من

(a) بولاق : فيوفى . (b) زيادة من ميوغ . (c) بولاق : بأمره .

---

[١] جامِعُ المِقْيَاس . كان جزءًا من مجموعة عمائر أقامها أمير الجيوش بدر الجمالى فى رجب سنة ٤٨٥ / ١٠٩٢ حول المقياس عند الطرف الجنوبى لجزيرة الرَّوْضة . ولم يُخلِّف لنا المقريزى وصفًا لهذا الجامع فى الفصل الذى عقده للحديث عن جوامع القاهرة وظواهرها (الخطط ٢ : ٢٩٠) كما أن ابن دقماق نسب بناء هذا الجامع إلى الأفضل شاهنشاه دون تعيين عام البناء (الانتصار ٤ : ١١٥) . وقدّم لنا ج . ما رسيل ، أحد علماء الحملة الفرنسية فى آخر القرن الثامن عشر ، وصفا تفصيليًا يؤكد الوجود التاريخى لهذا الجامع . وللأسف الشديد فقد اختفت جميع هذه العمائر التى شيَّدها بدر الجمالى ، فيما عدا المقياس ، بعد وصف مارسيل لها بنحو نصف قرن ليحل محلها قصرٌ كبير بناه فى سنة ١٢٦٧ / ١٨٥٠ حسن باشا فؤاد المناسترلى (على مبارك : الخطط ٥ : ١٢٣) وقد ضاعت أغلب معالم هذا القصر اليوم .

وكان يوجد بالجامع ثلاث لوحات تذكارية تحمل تقريبًا نصًا واحدًا توضح أن أمير الجيوش بدر الجمالى هو الذى أمر ببناء هذا الجامع فى رجب سنة ٤٨٥ فى خلافة المستنصر بالله (راجع ، Marcel, J. J., « Mémoire sur le Meqyas de l'Ile de Roudah », *Description de l'Egypte* - Etat moderne XV, Paris 1826, pp. 459 - 464 ; van Berchem, M., *CIA* Egypte I, n° 39 pp. 56 - 66 ; Creswell K. A. C., *MAE* I, pp. 217 - 219 ; Wiet, G., *RCEA* VII, n° 2794 - 96، أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ١ : ٩٠ ، أيمن فؤاد سيد : « جامع المقياس بجزيرة الروضة » ، دراسات أثرية إسلامية مهداة إلى الأستاذ عبد الرحمن عبد التواب (تحت الطبع) .

[٢] راجع كيفية الاحتفال بوفاء النيل فى رجب سنة ٤١٥ عند المسبحى : أخبار ٤٧ =

هذا اليوم وحضرت مطالعة ابن أبى الرَّدَّاد إليه بالوَفَاء ركب إلى المِقْياس لتخليقه ، فيستدعى الوزير على العادة فيحضر إلى القصر فيركب الخليفة بزىّ أيام الركوب من غير مِظَلَّة ولا مايجرى مجراها ، بل فى هيئة عظيمة من الثياب ، الوزير تابعه فى الجمع الهائل على ترتيب الموكب ، ويخرج [a]من القصر شاقًا القاهرة إلى باب زُوَيلة[a] وسالكًا الشارع إلى آخرُ الركن من بستان عبَّاس ، المعروف اليوم بسيف الإسلام [عند رأس الصَّليبة بالقرب من الخانقاه الشيخونية الآن][b] ، فيعطف سالكًا على جامع ابن طولون والجِسْر الأَعْظَم بين الركنين إلى السَّاحِل بمصر ، إلى الطريق المسلوكة على طرف الخَشَّابين الشرق على دار الفاضل ، إلى باب الصِّناعة[c] بجوارها ، وله دِهْليز مادّ فيخرج منها منعطفًا على الصناعة الأخرى ، وكانت هذه برسم المَكْس ، إلى السُّيُوفيين ثم على مَنَازِل العِزّ ، التى هى اليوم مدرسة[١] ، ثم إلى دار المُلْك فيدخل من الباب المقابل لسلوكه فيترجَّل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيًا إلى المكان المعدّ له . ويكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعُشَارى

(a-a) المثبت من صبح وفى الخطط : ويخرج شاقا من باب زويلة . (b) زيادة من صبح . (c) الخطط : الصاغة .

= ولاحظ بساطة الاحتفال فى بداية العصر الفاطمى .

[١] مَنَازِل العِزّ . أنشأتها السيدة تَغْريد أم العزيز بالله بن المعز فى الفسطاط . وكانت تُشرف على النيل . وسكنها فترة ناصر الدولة الحسين بن حمدان إلى أن قتل سنة ٤٦٥ . (ابن ميسر : أخبار ٣٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٨٤ - ٤٨٥ ، ٢ : ٣٦٤) . وفى القرن السادس أصبحت منازل العز من بين المواضع المعدة لنزه الخلفاء الفاطميين .

وقد سكن الملك المظفر تقى الدين أبو سعيد عمر بن نور الدولة شاهنشاه الأيوبى منازل العزّ مدة ، ثم اشتراها فى شهر شعبان سنة ٥٦٦ إلى أن ولّاه عمه السلطان صلاح الدين نيابة حَمَاة وما معها سنة ٥٨٢ فوقفها على فقهاء الشافعية وجعلها مدرسة عرفت بالمدرسة التقوية نسبة إليه . (المقريزى : الخطط ٢ : ٣٦٤ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ١٠٩) .

وعن موضعها الحالى راجع تعليق محمد رمزى على النجوم الزاهرة ٥ : ٣٨٦هـ ١ .

الخاص وهو بيت مُثَمَّن من عاج وأبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع وطوله قامة رجل تام ، فيجمع[a] بين الأجزاء الثمانية فيصير بيتًا دوره أربعة وعشرون ذراعًا ، وعليه قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبته مُلَبَّس[b] ٣
بصفائح الفضة والذهب[c] فيتسلمه رئيس العُشَاريات الخاص ويُرَكِّبه على العُشارى المختص بالخليفة ، ويُجعل باكر ذلك اليوم الذى يركب الخليفة فيه على الباب الذى يخرج منه للركوب إلى المقياس . ٦

فإذا استقرّ الخليفة بالمَنْظَرة بدار المُلك التى يخرج من بابها إلى العُشَارى وأسند إليه ، استدعى الوزير من مكانه فيحضر إليه ويخرج بين يديه إلى أن يركب فى العُشَارى فيدخل البيت المذهب وحده ومعه من الأستاذين المُحَنَّكين ٩
من يأمره من ثلاثة إلى أربعة . ثم يطلع فى العُشَارى خواص الخليفة خاصة ، ورسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصه وليس فى العُشَارى من هو جالس سوى الخليفة باطنًا والوزير ظاهرًا فى رواق من باب البيت الذى هو ١٢
بعَرَانيس[d] من الجانبين قائمة مخروطة من أَخَفّ الخشب ، وهى مدهونة وعليها من جانبيها ستور معمولة برسمها على قدرها .

فإذا اجتمع فى العُشَارى مَنْ جرت عادته بالاجتماع[e] اندفع من باب ١٥
القنطرة طالبًا باب المقياس العالى على الدَّرَج التى يعلوها النيل[f] . فيدخل الوزير ومعه الأستاذون بين يدى الخليفة إلى الفسقية . فيصلى هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده ، فإذا فرغ من صلاته أُحضرت الآلة التى فيها ١٨
الزعفران والمِسْك فيَدِيفها فى إناء بيده بآلة معه[g] ، ثم[h] يتناولها صاحب بيت المال فيناولها لابن أبى الرَّدَّاد فيلقى نفسه فى الفسقية وعليه غلالته

(a) ليدن : فيجمع . (b) ميوخ : وقبته ملبسة ، ليدن : وهو وقبته ملبس . (c) ليدن وميوخ : الفضة المذهبة . (d) صبح : بفوانيس . (e) ميوخ : بالاجتماع بذلك .
(f) ميوخ : الذى يعلوها الماء فيه . (g) الخطط : فيديفه بيده بآلة وفى ميوخ وليدن : فيديفها بيده بآلة . (h) زيادة من ميوخ .

وعمامته ، والعمود قريب من درج الفسقية ، فيتعلَّق فيه برجليه ويده اليسرى ويُخلِّقه بيده اليمنى وقُرّاء الحَضْرَة من الجانب الآخر يقرءون القرآن نَوْبَة نَوْبَة ؛
٣ ثم يخرج على فوره راكبًا فى العُشَارى المذكور ، وهو بالخيار إما أن يعود إلى دار المُلْك ويركب منها عائدًا إلى القاهرة ، أو ينحدر فى العُشَارى إلى المَقْس فيتبعه الموكب[a] [فيسير من هناك][b] إلى القاهرة . ويكون فى البحر فى
٦ ذلك اليوم ألف قُرْقُورَة[١] مشحونة بالعالم فَرَحًا بوفاء النيل .

ثم يصير ابن أبى الرَّدَّاد باكر ثانى ذلك اليوم إلى القصر بالإيوان الكبير الذى فيه[c] الشُّبَّاك إلى باب بجواره فيجد خِلْعَة معبأة هناك فيؤمر بلبسها ويخرج
٩ من باب العيد شاقًا بها بين القصرين من أوله قَصْدًا لإشاعة ذلك ، فإن ذلك من علامة وفاء النيل ولأهل البلاد إلى ذلك تطلُّع ، وتكون خِلْعَة مُذْهبة ؛ وإذا كان من العدول المُحَنَّكين فيشرَّف فى الخِلْعَة بالطَّيْلَسَان المُقَوَّر ويندب
١٢ له من التغييرات ولمن يريده خمس تغييرات مركبات بالحلى ، ويُحْمل أمامه على أربعة بِغال مع أربعة من مستخدمى بيت المال أربعة أكياس فى كل كيس خمسمائة درهم ظاهرة فى أكفهم ، وبصحبته[d] أقاربه وبنوعمه
١٥ وأصدقاؤه ، ويُنْدب له الطبل والبوق ويكتنف به[e] عدَّة كثيرة من المتصرِّفين الرجالة . فيخرج من باب العيد ويركب إحدى التغييرات ، وهى أميزها ،

(a) ميوغ : فتتبعه المراكب . (b) زيادة من صبح . (c) من صبح وفى الخطط : فى . (d) ليدن : ويحجبه . (e) ليدن : ويلتف إليه .

---

(١) قُرْقُورة جـ . قراقر وقراقير . ورد اللفظ فى معظم المعاجم العربية وبعض المصادر خاليا من الهاء فى آخره ، قُرْقور كعُصفور : السفينة (الفيروزابادى : القاموس ٥٩٣) . وذكر الجواليقى أنه ضربٌ من السفن أعجمى ، وقد تكلمت به العرب . (المعرب ٢٧١) . وفى المصادر الإسلامية والدراسات الحديثة كما ذكرها النخيلى مايفيد أن القراقر كان منها الكبير والصغير وأنها تستخدم فى التجارة . وإشارة ابن الطوير هنا هى الوحيدة التى تفيد استخدام هذا النوع من السفن للنزهة فى النيل . (راجع ، النخيلى : السفن الإسلامية ١٢٠ – ١٢٥) .

وشُرُّف أمامه بحملين من النَّقَّارات التى قدَّمنا ذكرها – يعنى فى ركوب أوَّل العام من زىّ الموكب . فيسير شاقًا القاهرة والأبواق تضرب أمامه كبارًا وصغارًا والطبل وراءه مثل الأمراء ، وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب[a] القصر فيُقَبِّله ويركب . وهكذا يعمل كل مَنْ يُخْلَع عليه من كبير وصغير من الأمراء المطوَّقين إلى مَنْ دونهم سيفًا وقلمًا . ويخرج من باب زُوَيْلة طالبًا مصر من الشارع الأعظم إلى مسجد عبد الله إلى دار الأنْمَاط جائزًا على الجامع إلى شاطىء البحر ، فيُعَدّى إلى المقياس بخِلَعِه وأكياسه ، وهذه الأكياس مُعَدَّة لأرباب الرسوم عليه فى خِلَعِه ولنفسه ولبنى عمه بتقرير من أول الزمان[1] .

رُكُوبُ فَتْح الخَلِيج[2]

فإذا انقضى هذا الشأن شرع فى الركوب إلى فتح الخليج ثانى يوم ، وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت[b] زيادة النيل ذراع الوفاء اهتمامًا عظيمًا ؛

(a) كذا فى الخطط وفى صبح وليدن ومبوخ : أبواب . (b) ليدن : وصلت .

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٦ – ٤٧٧ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٥١٢ – ٥١٤ .

[2] واضح أنه كان يحتفل ، فى العصر الفاطمى الأول ، بتخليق المقياس وفتح الخليج فى يوم واحد . (المسبحى : أخبار ١٠ – ١١ ، ٤٦) . وأول إشارة تقابلنا عن الاحتفال بكسر سد الخليج فى العصر الفاطمى ترجع إلى سنة ٣٦٢ (ابن ميسر : أخبار ١٦١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٠ والاتعاظ ١ : ١٣٩) ثم إشارة المسبحى للاحتفال فى سنتى ٤١٤ و ٤١٥ وبعد ذلك يمدنا ناصر خسرو بوصف للاحتفال كما تم فى سنة ٤٤٠ . (سفرنامة ٩٣ – ٩٧) . ثم تسكت المصادر بعد ذلك عن الحديث عن هذا الاحتفال إلى أن يقدّم لنا ابن المأمون وصفًا مليئًا بالتفصيلات عن كيفية الاحتفال بفتح الخليج فى السنوات ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ وهو يكاد يتطابق فى أكثر مواضعه مع وصف ابن الطُّوَيْر الذى لا ندرى فى أى عام تمّ . (أخبار ٥٥ – ٥٦ ، ٧١ – ٧٣ ، ٧٥ – ٨٠) . وكان الناس يتزاحمون لحضور هذا اليوم ويعملون أخشابًا يركبون بعضها على بعض للتفرّج على يوم كسر الخليج مما دفع الحكومة الفاطمية إلى بناء دار واسعة فى سنة ٥١٨ ليتفرَّج الناس فيها عند كسر الخليج بالكراء . (ابن ميسر : أخبار ٩٧ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٠٧) .

فيُعْمل فى بيت المال موائد[a] من التماثيل شكل الوحوش من الغِزْلان والسباع والفِيَلَة والزراريف[b] عدَّة وافرة ، منها ما هو مُلَبَّس بالعَنْبَر ، ومنها ما هو مُلَبَّس بالصَّنْدَل ، ثم شكل التفاح والأُتْرُجّ اللطيف[c] ، والوحوش مُفَسَّرة الأَعْيُن والأعضاء بالذهب إلى غير ذلك .

ثم تخرج الخَيْمَة التى يقال لها « القَاتُول » لأنَّ فَرَّاشًا سقط من أعلى عمودها فمات فسميت بذلك ، وطوله سبعون ذراعًا وأعلاه صفرية فضية تَسَع راوية ماء ، وعليه الفَلْكَة التى كانت فى الإيوان إلى قريب الوقت[1] . ثم يعمل فى أوَّل العمود شُقَّة دائرة ، ثم أَوْسَع منها ، ويتوالى ذلك إلى إحدى عشرة شُقَّة ، فتصير سعة الخيمة ما يزيد على فَدَّانين مستديرة ، وتُنْصب فى برّ الخليج الغربى على حافته ، مكان بستان المَحَلِّى[d][2] اليوم[e] .

(a) ساقطة من الخطط . (b) كذا فى صبح وهو جمع عامى استخدمه ابن الطوير فيما سبق ص ٩٤ . (c) ساقطة من صبح وفى ليدن : اللطاف . (d) فى الأصول : المحلى . (e) فى صبح : عند منظرة يقال لها السكرة .

---

(1) عن هذه الخيمة راجع ، ابن المأمون : أخبار ٥٥ ، ١٠٢ - ١٠٣ ، ابن ميسر : أخبار ٨٥ - ٨٦ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٤ ، القلقشندى : صبح ٢ : ١٣٨ و ٣ : ٤٧١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٧٠ - ٤٧١ والاتعاظ ٢ : ٢٨٧ ، ٣ : ٧٢ - ٧٣ ، ابن الصيرفى : الأفضليات ، دمشق ١٩٨٢ ، ٢٠٩ - ٢١٩ .

(2) بستان المَحَلِّى . كان مكان منشية الأمير سيف الدين بلبان المهرانى ، فلما خرب وقطعت أشجاره ، عمرت المنشية المذكورة مكانه ، وكان مجاورًا لبستان الخشَّاب والبستان الفاضلى إلى جانب قنطرة السدّ من البر الغربى للخليج . (ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢١) . وقد حَكَر الأمير آقْبُغا عبد الواحد هذا البستان وعمره عمارة كبيرة فى مطلع القرن الثامن ، وذكر المقريزى أن هذا الحِكْر كان بجوار السَّبْع سقايات ، بعضه بجانب الخليج الغربى ويعرف ببستان المحلى وبعضه بجانب الخليج من الجهة الشرقية . (الخطط ٢ : ١١٦ ، أبو المحاسن : النجوم ٩ : ١٩٦) .

وكان بستان المحلى يقع فى المنطقة التى يحدها اليوم من الشرق شارع بور سعيد ومن الشمال امتداد شارع الواقدية ومن الغرب شارع حلوان ومن الجنوب شارعا الماوردى وعلى باشا إبراهيم . (النجوم ٩ : ١٩٦هـ١) .

وكانت ثَمَّ منظرة يقال لها «السُّكَّرة»[(١)] برسم جلوس الخليفة لفتح الخليج فى مثل هذا اليوم ؛ ويَنْصب أرباب الرُّتب من الأمراء من بحرىّ تلك الخيمة الكبرى خيامًا كثيرة ، ويتمايزون فيها على قدر هِمَمِهم وضَرْبهم إياها ٣ فى الأماكن الأقرب فالأقرب على قدر رتبهم .

فإذا تم ذلك وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين فى المواضع المقدّم ذكرها [a]من السلاح والمركبات الحلى ٦ وجنائب الخليفة المقدَّم ذكرها[a] فى ركوب أوَّل العام و[b] آلات الموكب على عادته ويزاد فيه إخراج أربعين بوقًا ، عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ، ويكون بوَّاقوها ركبانًا وأرباب الأبواق النحاس مشاة ، ومن الطبول الكبار ٩ التى مكان خشبها فضة عشرة . فإذا حضر الوزير إلى باب القصر خَرج الخليفة فى هيئة عظيمة وهِمَّة عالية وقد تضاعفت عُدَد[c] الأجناد فى ذلك اليوم فارسها وراجلها ، ويخرج زىّ الخليفة من المِظَلَّة والسيف والرُّمح والألوية ١٢ والدواة وغير ذلك من الأستاذين المُحَنَّكين . ويركب فى ذلك اليوم من الأقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنَّوْبَة فى كل سنة ، فيتقدَّمون إلى المنظرة فى مكان لهم صُحْبَة أُسْتَاذَيْن لخِدْمَتهم وحِفْظِهم ، ويكون ١٥

(a-a) زيادة من A . (b) الواو من ليدن . (c) من A وفى بولاق وليدن : همم .

(١) مَنْظَرَة السُّكَّرَة . واحدة من مناظر الخلفاء الفاطميين ، بناها الخليفة العزيز بالله فى بر الخليج الغربى وكانت مخصَّصة لجلوس الخلفاء يوم فتح الخليج . (أبو صالح : تاريخ ٣٢ ، ابن المأمون : أخبار ٧٢ ، ٧٨ ، ابن دقماق : الانتصار ٤ : ١٢٠ - ١٢١ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٠) وأضاف المقريزى « ويشبه أن يكون موضعها فى المكان الذى يقال له اليوم المريس بالقرب من قنطرة السد » ، والمَريس هو مكان بستان الخَشَّاب وعرف بالمريس لأن كثيرًا من السودان والمريس والنوبة كانوا يسكنون به فعرف بهم . (الانتصار ٤ : ١٢١) ويحدد مكان « المريس » اليوم المنطقة التى تحدّ من الشمال بامتداد شارع الواقدية ، ومن الغرب شارع حلوان ومن الجنوب شارع على إبراهيم بالسيدة زينب . (أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ٩ : ١٩٦ هـ١) .

قد لُفّ عمود الخيمة الكبرى المشار إليها إما بدبياج أبيض أو أحمر من أعلاه إلى أسفله ، ويُنْصَب مُسندًا إليه سرير الملك ويُغَشّى بقُرْقُوبى وعَرَانِيسه[١] ذهب ظاهرة .

فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه ثوبٌ يقال له « البَدَنَة » ، وهو كله ذهبٌ وحريرٌ مرقوم ، والمِظَلّة من شكله ، ولا يلبس هذا الثوب فى غير هذا اليوم[٢] . ويسير بالموكب الهائل شاقًا القاهرة من الطريق التى ركب منها لتخليق المقياس ، إلّا أنه لا يدخل طرق مصر من الخشّابين بل خارجها من طريق الساحل . فإذا جاز على جامع ابن طولون وَجَد قد ربط من رأس المنارة من مكان العُشارى النحاس حبلًا طويلًا قويًا موضوعًا آخره فى الطريق وفيه قوم يقال لهم النختبارية[٣] ، واحد فى زىّ فارس على شكل فرس وفى يده رمح وبكتفه دَرَقَة فينحدر على بَكَر وفى رجليه آخر يمسكها وهو يتقلّب فى الهواء بطنًا وظهرًا حتى يصل إلى الأرض . ويكون قاضى القضاة وأعيان الشهود جلوسًا فى باب الجامع من هذه الجهة ، فإذا وازاهم الخليفة ، وكانوا قد ركبوا ، وَقَف لهم وقفة فيُسَلّم على القاضى ثم يدخل فيُقَبِّل الرجل من جانبه لا غير ويدخل بالشهود فى الفَرْجَة أمام وجه الدّابة بمقدار أربعة أذرع عن الخليفة[a] ، فيُسَلّم عليهم ويرجعون إلى دوابهم فيركبون ؛ ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان : إحداهما ديباج أحمر ، والأخرى دبيقى أبيض بصفارى فضة لكل واحدة ؛ فيتم الخليفة

(a) المثبت من صبح وفى الخطط : بمقدار قصبة .

[١] عِرْناس جـ . عرانيس . العمود الذى يحمل مظلة السرير .

[٢] راجع ، القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٤ وانظر أعلاه ص ١٢٤ .

[٣] النختبارية . قوم لا نعرف على وجه التحديد دورهم أو وظيفتهم ذكرهم ابن المأمون جنبًا إلى جنب مع المنافقين . (أخبار ٨٩) ويبدو من وصف ابن الطُّوَيْر أنهم كانوا يؤدون ألعابًا بهلوانية .

بهيئته إلى أن يدخل من باب الخيمة ، ويكون الوزير قد تقدَّمه على العادة ليخدمه ، فيجده راجلًا على باب الخيمة فيمشى بين يديه إلى سرير الملك ، فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ويحيط به الأستاذون المُحَنَّكون والأمراء المُطَوَّقون بعدهم ، ويوضع للوزير الكرسىّ الجارى به عادته[a] فيجلس عليه ورجلاه تحكّ الأرض ، ويقف أرباب الرُّتَب صَفَّين[b] من ناحية سرير الملك إلى ناحية الخيمة ، والقُرَّاء يقرءُون القرآن ساعة زمانية ، فإذا ختموا قراءتهم استأذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يُطْلَق هذا اليوم ، فيأمر بتقديمهم واحدًا بعد واحد ، ولهم منازل على مقدار أقدارهم ، فالواحد يتقدَّم الواحد بخطوة فى الإنشاد ، وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له « النائب »[1] .

وتقدَّم شاعرٌ يقال له ابن جَبْر[2] وأنشأ قصيدة منها .

[الكامل]

فُتِحَ الخَلِيجُ فسَالَ منه الماءُ وعَلَتْ عليه الرايةُ البَيْضَاءُ
فَصَفَت مَوَارِدُه لنا فكأنَّـه كَفُّ الإمام فعُرْفُها الإعْطَاءُ

فانتقد الناس عليه فى قوله : « فسال منه الماء » وقالوا : أى شىء يجرى[c] من البحر غير الماء فضيَّع ما قاله بعد هذا المطلع .

(a) ليدن : عادة . (b) بولاق : صافين وليدن : سماطين . (c) بولاق ومبوخ : يخرج .

(1) انظر أعلاه ص ١١٧ – ١١٩ .
(2) شرف الدولة أبو محمد يحيى بن حسن ابن جبر شاعر معاصر للصالح طلائع ابن رُزِّيك . (العماد الأصفهانى : خريدة القصر ٢ : ٢٣١ – ٢٣٢ ، ابن سعيد : النجوم الزاهرة ٣٤٤ – ٣٤٥) .

وتقدَّم شاعر يقال له مسعود الدولة بن حُرَيْز[a][1] وأنشد :

[الكامل]

٣ مازَالَ هذا السَّدُّ يَنْظُر فتحه إِذْنُ الخليفة بالنَّوال المُرْسَل
حتى إذا بَرَزَ الإمامُ بوجهه وسَطَا عليه كل حامل مِعْوَل
فجرى كأن أُدِيف[b] فيه عَنْبَر يعلوه كافور بطيب المَنْدَل

٦ فانتقدوا عليه أيضًا قوله فى البيت الثانى وقالوا : أهلك وجه الإمام بسطوات المعاول عليه وإن كان[c] قصد فتح السد بالمعاول لكنه ما نظمه إلَّا قلقًا .

ثم تقدّم له شاعر شاهد يقال له كافى الدولة أبو العباس أحمد وأنشد قصيدة
٩ شهد له جماعة منهم القاضى الأثير بن سنان إنه[d] عملها بحضوره بديها :

[الكامل]

لمن اجْتِماع الخَلْق فى ذا المَشْهَد للنيل أَمْ لَكَ يا ابن بنت مُحمَّد
١٢ أم لاجْتِماعكما معًا فى مَوْطن وافيتما فيه لأصْدَق مَوْعد
ليس اجتماع الخَلْق إلَّا للذى حَازَ الفَضِيلة منكما فى المَوْلد[e]
شَكَرُوا لكلٍ منكما لوفائه[f] بالسَّعْى لكن مَيْلُهم للأَجْوَد
١٥ ولمن إذا اعتمد الوَفَاء ففعله بالقَصْد ليس له كمن لم يَقْصد
هذا يفى ويعُود يَنْقُص تارةً وتَسُدّ[g] أنت النقص إن لم يَزْدد
وقُوَاه إنْ بَلَغ النهاية قَصَّرت وإذا بَلَغْت إلى النهاية تبتدى

(a) الخطط : بن جرير . (b) بولاق : قد ديف . (c) بولاق : كان قد . (d) بولاق : فإنه . (e) ليدن : معكما فى الموعد . (f) ليدن : بوفائه . (g) ليدن : وتعد .

---

(١) انظر ترجمته عند العماد الأصفهانى : الخريدة ٢ : ٢٢٥ ، ابن سعيد : النجوم ٣٤٤ .

فالآن قد ضاقت مَسَالك سعيه بالسدّ فهو بـه يُخال[a] مقيّـد
فإذا أردت صَلاحَه فافتح له ليرى جنابا مخصبا وترى ندى
وأمر بفَصْدِ العَرق منه فماشكا جِسْم فصَحَّ الجسم إن لم يُفْصَد ٣
واسلم إلى أمْثال يومك هكذا فى عيش مغبوط وعِزّ مُخَلَّد

فأمر له على الفور بخمسين دينارًا وخَلَع عليه وزيد فى جاريه . ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبًا والوزير بين يديه حتى يطلع على المَنْظَرة المعروفة ٦ بالسُكَّرَة وقد فُرِشَت بالفُرُش المعدَّة لها فيجلس فيها ، ويتهيأ أيضًا للوزير مكان يجلس فيه . ويحيط بالسدّ حامى البساتين ومشارفها ، لأنه من حقوق خدمتهما ، فتفتح إحدى طاقات المنظرة ويطل منها الخليفة على الخليج ، وطاقة ٩ تقاربها يتطَلَّع منها أستاذ من الخواص ويشير بالفتح فيُفْتَح بأيدى عمال البساتين بالمَعَاول ويخدم بالطبل والبوق من البرّين . فإذا اعتدل الماء فى الخليج دخلت العُشاريات اللطاف ، ويقال لها السُّماريات الخاص[b][1] ، وكأنها خدم بين ١٢ يدى العُشَارى الذهبى المقدَّم ذكره ، ثم العُشَاريات[2] الخاص الكبار وهى

(a) بولاق : بخال . (b) بولاق وليدن : السماويات والتصويب من صبح .

---

[1] السُّمارية ويقال أيضًا سُمَيْرية جـ . سُماريات وسميريات . تطلق فى مصر على نوع من العُشَاريات اللطاف – أى الصغار – ونص ابن الطُّوَيْر هو الوحيد الذى يشير إليها وقد نقل هذا النص ابن منكلى فى الأحكام الملوكية والمقريزى فى الخطط . (راجع ، النخيلى : السفن الإسلامية ٦٩ – ٧٠ ، ٩٩) .

[2] عُشَارى جـ . عُشَاريات . نوع من السفن كان يستعمل فى البحر المتوسط وفى البحر الأحمر والنيل . ويبدو أن المستخدم منه فى البحر نوع من القوارب الصغار التى تلحق بالمراكب الكبيرة وذلك لنقل المسافرين فيها إلى الساحل .

والنوع المستخدم فى العصر الفاطمى كان خاصا باستخدام الخلفاء وخاصة عند الاحتفال بوفاء النيل وكسر الخليج . ويفهم مما أورده المسبحى (أخبار ٥٤) أن العشاريات كانت تستخدم مع المراكب الحربية حيث أرسلت فى عام ٤١٥ لحفظ الحصون الشامية . (راجع ، المسبحى : أخبار ١١ ، ٢٣ ، ٤٣ ، ٤٦ ، ٩٥ ، درويش النخيلى : السفن الإسلامية =

ستة[a] : الذهبىّ المذكور ، والفِضّى ، والأحمر ، والأصفر ، واللّازَوَرْدِى ، والصِّقِلّى ، وكان أنشأه نجّارٌ من رؤساء الصناعة صقلىّ وزاد فيه على الإنشاء المعتاد فيُنسب إليه . وهذه العُشَاريات لا تخرج عن خدمة[b] خاص الخليفة فى أيام النيل وتحوُّله إلى اللؤلؤة للفُرْجة ، وسارت[c] فى الخليج وعلى بيت كل منهما الستور الدَّبيقى الملوَّنة وبرؤسها وفى أعناقها الأهِلّة وقلائد من الخرز ، فتُسْنَد إلى البرّ الذى فيه المَنْظَرة الجالس فيها الخليفة .

فإذا استقرَّ جلوس الخليفة والوزير بالمَنْظَرة ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الدبيقى البيضاء ، وصلت المائدة من القصر فى الجانب الغربى من الخليج على رؤس الفرَّاشين صُحْبَة صاحب المائدة وعدتها مائة شَدَّة فى الطيافر الواسعة وعليها القَوَّارات الحرير وفوقها الطِّرَّاحات ولها رواء عظيم ومِسْك فائح فتوضع فى خيمة واسعة[d] منصوبة لذلك . ويحمل للوزير ما هو مستقرّ له بعادة جارية ، ومن صوانى التماثيل المذكورة ثلاث صوانى ، ويخصص منها أيضًا لأولاده وإخوته خارجًا عن ذلك إكرامًا وافتقادًا . ويُحْمَل إلى قاضى القضاة والشهود شَدَّة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيرًا للشَّرْع . ويُحْمَل إلى كل أمير فى خيمته شَدَّة طعام وصينية تماثيل . ويصل مِنْ ذلك إلى الناس شىء كثير ، ولا يزالون كذلك إلى أن يُؤَذَّن بالظهر فيُصَلّون ويقيمون إلى العصر ، فإذا أُذِّن به صَلّى ، وركب الموكب كله لانتظار ركوب الخليفة ، فيركب لابسًا غير البَدْلَة بل بهيئته والمِظَلّة مناسبة لثيابه التى عليه واليتيمة والترتيب بأجمعه على حاله[1] ويسير فى البرّ الغربىّ من الخليج شاقًا البساتين هناك حتى يدخل

(a) ليدن وصبح : سبعة .   (b) زيادة من ليدن .   (c) ليدن : وساروا .   (d) ليدن : وسبعة .

= ٩٥ - ١٠١ وأخبار مصر للمسبحى ١١ هـ ٢) .

[1] ذكر ابن المأمون أن الخليفة كان يلبس بدلة جميعها حريرى برسم العُود . (أخبار ٥٥ ، ٨٤) .

من باب القنطرة[a] إلى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد ويمرّ فيه للقوم أحسن الأيام ، ويمضى الوزير إلى داره مخدومًا على العادة[١] .

قال ابن الطُّوَيْر ، وقد ذكر ركوب الخليفة لفَتْح الخَلِيج : وهذا الخليج هو الذى حَفَرَه عمرو بن العاص لما وُلِّى على مصر فى أيّام أمير المؤمنين عمر ابن الخطّاب ، رضى الله عنه ، من بحر فُسْطاط مصر الحلو وأَلْحَقه بالقُلْزُم بشاطىء البحر الملح ؛ فكانت مسافته خمسة أيام لتقرب معونة الحجاز من ديار مصر فى أيام النيل . فالمراكب النيلية تفرّغ ما تحمله من ديار مصر بالقلزم فإذا فُرِّغَت حَمَلَت ما فى القُلْزُم مما وصل من الحجاز وغيره إلى مصر . وكان مسلكًا للتجار وغيرهم فى وقته المعلوم . وكان أوّل هذا الخليج من مصر يشق الطريق الشارع المسلوك منه اليوم إلى القاهرة حافًا بالقرموص[b][٢] الذى على البستان المعروف بابن كيسان[٣] مادًا ، وآثاره اليوم مادة باقية إلى الحوض المعروف بسيف الدين صِهْرِبنى[c] رزِّيك والبستان المعروف بالمُشْتهى ، وفيه آثار المَنْظَرة التى كانت معدَّة لجلوس الخليفة لفتح الخليج من هذا الطريق[٤] .

(a) صبح : فيعطف على يمينه ويسر .

(b) بولاق : القربوس والمثبت من A .

(c) بولاق : ابن .

---

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٧ س ١٤ – ٤٧٩ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٥١٤ – ٥١٧ وأبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٩ – ١٠٠ ، Sanders , P., *op. cit.*, pp. 170 - 216.

[٢] القُرْموص . حفرة واسعة الجوف ضيِّقة الرأس يستدفئ فيها الإنسان . (تاج العروس ٤ : ٤٣١) .

[٣] بستان ابن كيسان . عُمِل فى موضع صناعة مصر بعد سنة سبعمائة . ثم عرف بعد ذلك ببستان الطواشى ! (المقريزى : خطط ٢ : ١٩٧) .

[٤] المقريزى : الخطط ٢ : ١٤٣ .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

الفصل العاشر
ذكر هيئتهم في الجلوس العام
بمجلس الملك ٣

قَاعَةُ الذَّهَب

[وتُسَمَّى « قَصْرُ الذَّهَب » أحد قاعات القصر الذى هو قصر المعز . وبنى قصر الذَّهب العزيز بالله نِزَار بن المُعِزّ ، وكان يُدْخل إليه من باب الذَّهب ٦ الذى كان مقابلًا للدار القُطْبية – التى هى اليوم المارستان المنصورى ، ويُدْخَل إليه أيضًا من باب البحر ، الذى هو الآن تجاه المدرسة الكاملية . وجدَّدَها المستنصر فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وهذه القاعة كان بها جلوس الخلفاء ٩ فى الموكب يومى الاثنين والخميس ، وبها كان يُعْمل سِمَاطُ رمضان للأمراء وسِمَاطُ الطعام فى العيدين[١] ، وبها كان سَرِيرُ المُلْك][٢] .

هَيْئَةُ جُلوس الخلِيفَة بمَجْلِس المُلْك ١٢
بالقَاعَة المذكورة

قال القاضى المرتضى أبو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطُّوَيْر الفِهْرىّ القَيْسَرانىّ الكاتب المصرى فى كتاب « المُقْلَتَيْن فى ١٥ أخبار الدَّوْلَتَيْن الفَاطِمية والصَّلاحية » الفصل العاشر فى ذكر هيئتهم فى الجلوس العام بمجلس الملك[٣] : [a]ولا يتعدّى ذلك يومى الاثنين والخميس ومن كان أقرب الناس إليهم ولهم خدم لا تخرج عنهم[a] . ١٨

(a-a) ساقطة من خزينة .

---

(١) عن قاعة الذَّهب ووَصفها المعمارى وجلوس الخلفاء بها فى يومى الاثنين والخميس ، انظر مقدمة الكتاب .

(٢) المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٥ .

(٣) هذه هى الإشارة الوحيدة الكاملة إلى اسم ابن الطُّوَيْر ولقبه وكنيته وعنوان كتابه وأحد فصوله عند المقريزى فى الخطط . وانظر أعلاه ص ١٦٧ حيث يذكر الفصل الخامس .

ويُنتظر لجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين – يعنى الاثنين والخميس – وليس على التوالى بل على التفاريق . فإذا تهيأ ذلك[a] استدعى الوزيرَ من داره صاحبُ الرِّسَالة[١] على الرسم المعتاد فى سرعة الحركة ، فيركب الوزير فى أهبته[b] وجماعته ، فيسير من مكان تَرَجُّله عن دابته « بدِهْليز العَمُود » بالقصر[٢] إلى « مَقْطَع الوَزَارة »[٣] وبين يديه أجِلَّاء أهل الإمارة ، كل ذلك بقاعة الذَّهَب التى كان يسكنها السلطان بالقصر . وكان الجلوس قبل ذلك بالإيوان الكبير[٤] ، الذى هو خزائن السِّلاح ، فى صدره على سرير المُلْك[c][٥] إلى آخر أيَّام المستعلى ، وإنما الآمر[c] نقل الجلوس إلى هذا المكان

(a) الخطط : فى يوم من الأيام . (b) الخطط : أبهته . (c-c) بولاق وليدن : وهو باق فى مكانه إلى الآن من هذا المكان إلى آخر أيام المستعلى ثم إن الآمر ...، والمثبت من خزينة .

[١] القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨١ .

[٢] واضح من وصف ابن الطُّوَيْر أن قاعة الذَّهب كان يسبقها رواقٌ بأعمدة مما يعطى انطباعًا بأن القاعة كانت فى غاية الاتساع ، وأنه كان من الضرورى وجود دعائم لرفعها مكوَّنة من عدد من الأعمدة وهو ما يتفق فى الإجمال مع وصف غليوم أسقف صور كما نقله إلى الفرنسية جستاف شلمبرجيه بقول « Une vaste cour découverte qu'entouraient de magnifiques portiques à colonnades » أى « فناء مكشوف تحيط به أروقه ذات أعمدة » . (Schlumberger , G., *op. cit.*, p. 119). وراجع المقدمة .

[٣] مَقْطَع الوزارة . هو ما يطلق عليه « فَرْد كُمّ المجلس » (أعلاه ص ٦٨ و فيما يلى ص ٢٠٨ ، ابن المأمون : أخبار ٢٠ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٧٥) أو « مجلس الوزارة » . (ابن المأمون : أخبار ٤٨ ، ٨٨ ، ابن ميسر : أخبار ٩٠ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٢ س ٢٦) وانظر المقدمة ص ٩١* والنص ص ٦٨ ، ١٦١ .

[٤] الإيوان الكبير . بناه العزيز بالله فى سنة ٣٦٩ بالقصر الكبير الشرق . كان يتوصل إليه من باب العيد وكان به « الشُّبَّاك » الذى يجلس فيه الخليفة ويتكىء عليه (أعلاه ص ١٩٤ وفيما يلى ص ٢١٣) . وكان به جلوس الخلفاء الجلوس العام بمجلس الملك قبل انتقال الجلوس نهائيا إلى قاعة الذَّهب فى زمن الخليفة الآمر . ويُفْهم من نص المُسَبِّحى أنه كان له صَحْنٌ يجتمع به الناس لتُقرأ عليهم فيه السِّجِلَّات الصادرة عن الخليفة . (أخبار ٤ ، ٢٤) كان يُمَدّ فيه سماط رمضان والعيدين ويُعْمل به الاجتماع والخطبة يوم عيد الغدير . (المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٨) وانظر المقدمة .

[٥] سَرِيرُ المُلْك أو المَرْتَبة كما كان يُطْلق عليه فى أول الدولة الفاطمية (اتعاظ ٢ : ٤) . كان يتغير مكانه بتغير المكان الذى يجلس فيه الخليفة الجلوس العام . فأحيانًا يكون فى =

[a]واسمه مكتوب بأعلى باذْهَنْجه[1] إلى اليوم[a] . فيكون المجلس المذكور معلقًا بالستور[b] الديباج شتاء وبالدبيقى صيفًا ، وفُرُش الشتاء البسط الحرير [a]عِوَضًا عن الصوف[a] مطابقًا للستور الديباج ، وفُرُش الصيف مطابقًا ٣ للستور الدَّبيقىّ ما بين طبرى وطبرستان مذهب[c] معدوم المثل ، وفى صدره المرتبة المؤهلة لجلوسه فى هيئة جليلة[d] على سرير المُلْك المغشى بالقُرْقُوبىّ ، فيكون وجه الخليفة عليه[e] قُبالة وجه[e] الوقوف بين يديه . ٦

فإذا تهيأ الجلوس استُدْعى الوزير من « المَقْطَع » إلى باب المجلس المذكور وهو مُغْلَق وعليه سِتْر[f] ، فيقف عن يمينه زِمَام القصر وعن يساره زِمَام بيت المال ، فإذا انتصب الخليفة على المرتبة وَضَع أمين المُلْك مُفْلح[2] ، أحد ٩

(a-a) هذه العبارة ساقطة من خزينة . (b) الخطط : معلقا فيه ستور . (c) صبح : وفرش بطبرى طبرستان المذهب . (d) خزينة ومبوغ : هائلة . (e) زيادة من مبوغ وليدن . (f) صبح : وعلى بابه ستر معلق .

= الإيوان الكبير كما فى النص (وانظر كذلك ابن المأمون : أخبار ٤١ ، ٨٥ ، المقريزى : اتعاظ ١ : ١٣٦ ، ٢ : ٤) وأحيانًا أخرى يكون فى قاعة الذَّهَب (المسبحى : أخبار ٩) وخاصة بعد نقل الجلوس نهائيًا من الإيوان إلى قاعة الذهب . وكان هذا السرير ، كما يصفه صاحب « الذخائر والتحف » ، « من الذهب الإبريز الخالص مئة ألف مثقال وعشر آلاف مثقال ، ومرصّع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه » . (الذخائر والتحف ٢٦٢ ، الخطط ١ : ٣٨٥) وهو ما يتفق مع وصف غليوم أسقف صور للخليفة العاضد بأنه كان « جالسًا على سرير (عرش) من الذهب ، مرصع بالجواهر والأحجار الثمينه » Il était assis sur un siège d'or , constellé de gemmes et de pierres précieuses . (Schlumberger , G., *op. cit.*, p. 126).

(1) البَاذْهَنْج جـ . باذهنجات . لفظ فارسى أصله باذكير . باد بمعنى الهواء وكير بمعنى بيت ، فيكون معناه « بيت الهواء » . أى أنه فتحة للتهوية تكون بأعلى القاعات تعمل على تلطيف هواء القاعة . (ابن المأمون : أخبار ٣٥ هـ ٢) .

(2) هو صاحب المجلس وكان يُنعت دائمًا بأمين الملك . (القلقشندى : صبح ٣ : ٤٨١ ، حسن الباشا : الفنون والوظائف ٢٨٧ — ٢٨٨) . ويبدو أن كلمة مفلح كانت تكوّن جزءًا من لقبه ، فقد وصلت إلينا صيغة كتابة أثرية على لوح من البازلت من دار الأرقم بمكة بنص تجديد يرجع إلى حوالى سنة ٤٥٠ بأمر « الفقيرة إلى رحمة الله مولاة أمين الملك مفلح » (Wiet , G., *RCEA* VII , n°. 2620).

الأستاذين المُحَنَّكين الخواص ، الدَّواة مكانها من المرتبة ، وخَرَج من « المَقْطَع » الذى يقال له « فَرْد الكم »[١] [a]صاحب المجلس من الأستاذين المُحَنَّكين الخواص وهو علامة استواء الخليفة على المرتبة[a] ، والوزير[b] واقفٌ أمام باب المجلس وحواليه الأمراء المطوَّقون أرباب الخِدَم الجليلة وغيرهم ، وفى خلال القوم[c] قُرَّاء الحَضْرَة ، فيشير صاحب المجلس إلى الأستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر الخليفة جالسًا بمنصبه المذكور ، فيستفتح القُرَّاء بالقرآن[d] ويسلِّم الوزير بعد دخوله فيُقَبِّل يديه ورجليه ويتأخَّر مقدار ثلاثة أذرع وهو قائم مقدار[e] ساعة زمانية ، ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الأيمن وتُطْرح له مخدَّة تشريفًا ، ويقف الأمراء فى أماكنهم المقرَّرة : فصاحب الباب والإسْفِهْسَلار[f] من جانبى الباب يمينًا ويسارًا ، يليهم من خارجه لاصقًا بعتبته زِمَام الآمرية والحافظية كذلك ، ثم بقيتهم[g]على مقاديرهم ، وكل واحد لا يتعدَّى مكانه [h]هكذا إلى آخر الرِّواق ، وهو الإفريز العالى عن أرض القاعة ، ويعلوه الساباط على عقود القناطر التى على العهد هناك[h] ، ثم أرباب القصب والعَمَّاريات يَمْنَةً ويُسْرَة كذلك ، ثم الأماثل والأعيان من الأجناد المترشحين للتقدمة ، ويقف مستندًا للصدر[i] الذى يقابل باب المجلس نوَّاب الباب والحُجَّاب . ولصاحب الباب فى ذلك المحل الخروج والدخول وهو المُوَصِّل عن كل قائل ما يقول .

(a-a) ساقطة من الخطط . (b) الخطط : فإذا الوزير . (c) ليدن وبولاق : وفى خلالهم . (d) بولاق وليدن : بقراءة القرآن الكريم . (e) ساقطة من خزينة . (f) الخطط : اسفهسلار العساكر . (g) بولاق وليدن : يرتبهم . (h-h) ساقطة من خزينة . (i) ليدن : مسندا بالصدر وصبح : بالقدر .

---

(١) فى صبح الأعشى ٣ : ٤٩٥ « ثم يخرج كما من أكمامه يعرف بفرد الكم » وراجع مناقشة ذلك فى المقدمة .

فإذا انتظم ذلك النظام واستقرّ بهم المقام فأوّل ماثل للخدمة بالسلام قاضى القضاة والشهود المعروفون بالاستخدام ، فيجيز صاحبُ الباب القاضى دون من معه فيُسَلّم [a]متأدّبًا ويقف قريبًا ، ومعنى الأدب فى السلام أنه[a] يَرْفَع يده اليمنى مشيرًا ٣ بالمُسَبِّحَة قائلًا بصوت مسموع : « السلام على أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته » فيختص[b] بهذا الكلام دون غيره من أهل السلام ، ثم يُسَلِّم بالأشراف الأقارب زمامُهُم ، وهو من الأستاذين المُحَنَّكين ؛ وبالأشراف الطالبيين نقيبهم ، ٦ ويكون[c] من الشهود المعدَّلين ، وتارة من الأشراف المميزين ، فيمضى عليهم كذلك ساعتان زمانيتان أو ثلاث . فيحضر للسلام[d] فى ذلك الوقت مَنْ خُلِعَ عليه لقُوص أو الشرقية أو الغربية أو الاسكندرية فيُشَرَّفون بتقبيل العَتَبة[e] . وإذا[f] دعت حاجة ٩ الوزير إلى مخاطبة الخليفة فى أمر قام من مكانه وقرب من الخليفة مُنْحنيًا على سيفه فيخاطبه مرَّة أو مرّتين أو ثلاثا[g] . ثم يؤمر الحاضرون فيخرجون ، فآخر[h] من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله ، ويخرج ليركب على عادته إلى داره وهو مخدوم ١٢ بأولئك ، ثم يُرْخَى الستران ويُغْلَق باب المجلس إلى يوم مثله فيكون الحال كذلك[(1)] . فيدخل الخليفة إلى مكانه المستقر فيه ومعه خواص أستاذيه ، وكان أقرب الناس إلى الخلفاء الأستاذون المُحَنَّكون وهم أصحاب الأُنْس لهم ، ولهم من ١٥ الخِدَم ما لا يتطرَّق إليه سواهم ، وهم[i] : زمام القصر وشاد التاج الشريف — يعنى الذى يلف عمامة الخليفة[j] ، وصاحب بيت المال — يعنى الخازندار ، وصاحب

(a-a) ساقطة من خزينة وموضعها : فيسلم بأن يرفع .... (b) بولاق وليدن : فيتخصص .
(c) بولاق وليدن : وهو . (d) الخطط : ويختص بالسلام . (e) بولاق وليدن : القبة .
(f) بولاق : فإن ، ليدن : وإن . (g) ساقطة من الخطط . (h) الخطط : حتى يكون آخر من يخرج . (i) الخطط : ومنهم . (j) ما بين العارضتين من خزينة .

---

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٦ وصبح ٣ : ٤٩٤ – ٤٩٦ . وقارن ذلك بوصف ابن ميسر للمجلس الذى حضره الوزير المأمون البطائحى سنة ٥١٥ ، وهو منقول فى أغلب الظن عن ابن المأمون ، ويتطابق فى معظمه مع وصف ابن الطُّوَيْر . (ابن ميسر : أخبار ٨٨ – ٩١ ، النويرى : نهاية ٢٦ : ٨٥ – ٨٦ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٤٢) .

الدفتر وصاحب الرِّسَالة وزمام الأشراف الأقارب ، وصاحب المجلس وهم المُطَّلعون على أسراره[a] . وكانت لهم طريقة محمودة فى بعضهم بعضًا ،
٣ منها : أنه متى تَرَشَّح أستاذ للحَنَك وحُنِّك حمل إليه[b] كل واحد منهم[c] بدلة من ثياب ومنديلًا وسيفًا وفرسًا ، فيصبح لاحقًا بهم وفى يده مثل ما فى أيديهم[١] .

قال ابن الطُّوَيْر : [و] كان له ثياب يلبَسُها فى الدور أكمامها على النصف
٦ من أكمام ثيابه التى يلبسها فى المواكب[٢] .

وكان من قضاياهم أنه لا سبيل أن يركب أحد فى القصر سوى الخليفة[d] ولا ينصرف ليلًا ولا نهارًا إلَّا كذلك ، وله فى الليل شَدَّادات من
٩ النسوة[e] يخدمن البغلات والحمير الإناث للجواز فى السراديب القصيرة الأقباء والطلوع على الزلَّاقات إلى عالى المناظر والمساكن[f] . وفى كل مَحَلَّة من محلات القصر فسْقِيَّةٌ مملوءة بالماء خيفةً من حدوث حريق فى الليل[٣] .

١٢ [حِرَاسَةُ القَصْر]

ويبيت ....[g] خارج باب القصر فى كل ليلة خمسون فارسًا . فإذا أُذِّن بالعشاء الآخرة داخلَ القاعة وصَلَّى الإمامُ الراتبُ بها بالمقيمين فيها من
١٥ الأستاذين وغيرهم ، وَقَفَ على باب القصر أميرٌ يقال له « سِنَان الدولة ابن الكَرْكَنْدى »[h][٤] ، فإذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل

(a) الخطط : أسرار الخليفة . (b) خزينة : له . (c) بولاق : من المحنكين . (d) الخطط : وكان لا يركب أحد فى القصر إلَّا الخليفة . (e) الخطط : النساء . (f) الخطط : الأماكن . (g) كلمة غير واضحة فى خزينة وساقطة من الخطط . (h) ابن الكركندى ساقطة من خزينة وصبح .

(١) القلقشندى : صبح ٣ : ٤٧٧ .
(٢) نفسه ٣ : ٥١٨ .
(٣) المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٦ – ٣٨٧ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٥١٨ .
(٤) أضاف القلقشندى أنه يقوم مقام أمير جاندار فى وقته (صبح ٣ : ٥١٨ وانظر ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار ٥٧) .

والبوق وتوابعهما[a] من عُدَّة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية[١] .
ثم يخرج بعد ذلك أستاذ برَسْم هذه الخدمة فيقول : « أمير المؤمنين يردّ على
سنان الدولة السلام » فيَصْقَع[٢] و[b] ويَغْرِس حربةً على الباب ثم يرفعها ٣
بيده ، فإذا رفعها أُغْلق الباب وسار حوالى القصر سبعَ دورات . فإذا انتهى
ذلك جعل على الباب البيَّاتين والفرَّاشين ، المقدّم ذكرهم[c] ، وانضوى[d]
المؤذّنون إلى خزائنهم هناك ، وتُرمى السِّلْسِلَة عند المضيق ، آخر بين القصرين ٦
من جانب السُّيوفيين[٣] ، فينقطع المارّ من ذلك المكان إلى أن تَضْرِب
البوقية[e] قريب الفجر فينصرف الناس من هناك بارتفاع السِّلْسِلَة[٤] .

٩ ذِكْرُ سِمَاط شَهْر رَمَضَان الذى يُعْمَل بهذه القَاعَة

قال ابن الطُّوَيْر[f] : إذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان رُتِّب عمل
السِّماط كل ليلة بالقاعة[g] إلى آخر[h] السادس والعشرين منه ، ويستدعى له قاضى ١٢

(a) الخطط : ولوائقهما . (b) ميونخ : ثم . (c) ساقطة من خزينة . (d) الخطط : وانصرف . (e) بولاق : النوبة سحرا ، خزينة : النوتية وليدن : النوتية والمثبت من صبح . (f) من الخطط فالكلام متصل بما قبله فى خزينة . (g) الخطط : بالقاعة بالقصر . (h) ساقطة من الخطط .

(١) فى سنة ثلاث وأربعمائة منع الحاكم بأمر الله من ضرب الطبول والأبواق التى كانت تضرب حول القصر فى الليل . فصار الحراس يطوفون بغير طبل ولابوق . (المقريزى : اتعاظ ٢ : ٩٦) .

(٢) أى يصيح (تاج العروس ٥ : ٤١٤) .

(٣) سبق التعريف بمكان سوق السيوفيين (أعلاه ص ١١) ويضاف إلى ماذكر هناك أن السلسلة كانت تقع بناء على ذلك فى الموضع الذى يحدّده اليوم التقاء شارع المعز لدين الله مع شارع جوهر القائد .

(٤) المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٢ و ٢ : ٢٨ . وهذا النص متصل بما قبله فى مخطوطة خزينة ، وقارن مع القلقشندى : صبح ٣ : ٥١٨ - ٥١٩ ، وراجع كذلك وصف ناصر خسرو لكيفية حراسة القصر سنة ٤٤٠ . (سفرنامة ٨٩) .

القضاة فى[a] فى ليالى الجُمَع توقيرًا له ، فأما الأمراء ففى كل ليلة منهم قوم بالنَّوْبَة ولا يحرمونهم الإفطار مع أولادهم وأهاليهم [b]طول الشهر[b] ، [c]ويكون حضورهم[c] بمسطور يخرج إلى صاحب الباب والاسْفِهْسلار[d] ، فيعرف صاحب كل نَوْبَة ليلته فلا يتأخَّر . ويحضر الوزير فيجلس صدره فإن تأخَّر كان ولده أو أخوه وإن لم يحضر أحدٌ من قِبَله كان صاحب الباب . ويهتم فيه اهتمامًا عظيمًا تامًا بحيث لا يفوته شيء من أصناف المأكولات الفائقة والأغذية الرائقة ، وهو مبسوط فى طول القاعة [e]مادٌّ من الرواق إلى طول[f] ثلثى القاعة المذكورة[e] والفرَّاشون قيام لخدمة الحاضرين وجوق[g] الأستاذين يُحْضرون الماء المُبَخَّر فى الكيزان الخَزَف برسم الحاضرين ، ويكون انفصالهم العشاء الآخرة فيعمهم ذلك ويصل منه شيء كثير[h] إلى أهل القاهرة من بعض الناس إلى بعض ، ويأخذ الرجل الواحد ما يكفى جماعة . فإذا حضر الوزير أُخْرِج إليه مما هو بحضرة الخليفة وكانت يده فيه [i]فيخصه به[i] تشريفًا له [j]وتطييبًا لنفسه[j] ، وربما حمل لسحوره من خاص ما يعبى[k] لسحور الخليفة نصيبٌ وافر . ثم ينصرف الناس إلى أماكنهم بعد عشاء الآخرة بساعة أو ساعتين . قال : ومبلغ ما يُنْفَق فى شهر رمضان لسماطه مدَّة سبعة وعشرين يومًا منه ثلاثة آلاف دينار[1] .

ذِكْرُ سِمَاطِ العِيد بهذه القَاعَة

قال ابن الطُّوَيْر : وأما الأسْمِطَة الباطنة التى يحضرها الخليفة بنفسه ، ففى يوم عيد الفطر اثنان ، ويوم عيد النحر واحد . فأما الأول من عيد الفِطْر فإنه

(a) ساقطة من الخطط . (b-b) ساقطة من الخطط . (c-c) ساقطة من خزينة . (d) الخطط : واسفهسلاره . (e-e) ساقطة من خزينة . (f) زيادة من ليدن . (g) بولاق وحواشى . (h) ساقطة من بولاق وفى ليدن : ويصل منه شيء إلى أكثر أهل القاهرة . (i-i) ساقطة من الخطط . (j-j) ساقطة من خزينة . (k) بولاق : يعبن .

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٧ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٥٢٣ وانظر أعلاه ص ١٤ .

يُعَبّى فى الليل بالإيوان الكبير قُدَّام الشُّبَّاك الذى يجلس فيه الخليفة ، فيمدّ ما مقداره ثلاثمائة ذراع فى عرض سبعة أذرع من الخُشْكِنان والفانيد والبَسَنْدود [a]المقدم ذكر عمله بدار الفِطْرَة[a][1] . فإذا صلّى [الخليفة] الفَجْر فى أوّل الوقت حَضَر إليه الوزير وهو جَالس فى الشُّبَّاك ومُكِّن الناس من ذلك الممدود فأُخِذَ وحُمِلَ ونُهِبَ ، فيأخذه مَنْ يأكله فى يومه ومَنْ يدّخره لغده ومَنْ لا حاجة له به فيبيعه ، ويتسلّط عليه أيضًا حواشى القصر المقيمين هناك .

فإذا فَرَغ من ذلك وقد بزغت الشمس ، ركب من باب المُلْك بالإيوان وخرج من باب العيد إلى المُصَلَّى والوزير معه – كما وَصَفْنا فى هيئة ركوب هذا العيد فى فصله – مخليًا قاعة الذَّهَب لسِمَاط الطعام ، فيُنْصب له سرير الملك قُدَّام باب المجلس فى الرِّواق[2] ، وتُنْصب عليه مائدة من فِضَّة يقال لها « المُدَوَّرَة »[3] عليها من الأوانى الفضيات والذهبيات والصينى الحاوية للأطعمة الخاص الفائحة الطيب الشهية من غير خضروات سوى الدجاج الفائق المُسَمَّن معمولة بالأمزجة الطيبة النافعة . ثم يُنْصَب السِّمَاط أمام السرير إلى باب المجلس قباله ويُعْرَف بالمُحَوَّل[4] طول القاعة – وهو الباب الذى يُدْخل منه إليها من باب البحر[5] ، [a]الذى هو باب القصر اليوم[a] .

(a-a) ساقطة من خزينة .

---

(1) انظر أعلاه ص ١٤٤ .

(2) ذكر ابن المأمون أن الفِطْرَة كانت تحمل إلى قاعة الذَّهَب ويرسم بأن تكون التعبئة فى مجلس الملك وتعبى الطيافير المشورة الكبار من السرير إلى باب المجلس ، وتعبى من باب المجلس إلى ثلثى القاعة سماطًا واحدًا مثل سماط الطعام . (أخبار ٨٤ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٢) .

(3) المُدَوَّرَة . مائدة من خشب . فقد ذكر ابن المأمون فى حوادث سنة ٥١٥ أن سماط عاشوراء عبى بمجلس العطايا من دار الملك بمصر فى غير المكان الجارى به العادة فى الأعياد « ولا يعمل مُدَوَّرة خشب بل سُفْرة كبيرة من أدم » . (أخبار ١٥ وكذلك ٨٩ س ٢ ، ٩٣ س ٢) .

(4) المُحَوَّل . انظر أعلاه ص ١١٢ .

(5) باب البحر . أحد أبواب القصر الكبير كان يفتح فى واجهته الغربية المُطِلَّة على بين القصرين وكان يؤدى إلى المُحَوَّل أو مجلس الداعى ، بناه الحاكم بأمر الله . وهو الباب الذى بنيت قباله دار الحديث الكاملية فى سنة ٦٢٢ . وقد ظلّ هذا الباب قائمًا إلى أن هدمه الظاهر بيبرس فى سنة ٦٧٢ . وقد أقام الأمير بدر =

والسِّماط خَشَب مدهون شبه الدَّكك اللَّاطية[١] فيصير [a]من جمعه للأوانى[a] سماطًا عاليًا فى ذلك الطول وبعرض عشرة أذرع ، مفروش فوقه[b] الأزهار المشمومات[c] ويُرَصّ الخبز على حافتيه شوابير[c][٢] كل واحدة ثلاثة أرطال من نقىّ الدقيق ، ويدهن وجهها حين خبزها[d] بالماء فيتَحَصَّل لها بريق ويحسن منظرها . ويُعَمَّر داخل ذلك السِّماط – على طوله[e] – بأحد وعشرين طبقًا فى كل طبق أحد وعشرون خروفًا ثَنِيًا سمينًا مشويًا ، ومن كل من الدجاج والفراريج وفراخ الحمام ثلاث مائة وخمسون طائرًا ، فيعبى طائلًا مستطيلًا فيكون كقامة الرجل الطويل ، ويَشوَّر بشرائح الحلواء اليابسة ويُزَيَّن بألوانها المصبغة . ثم يسد خلل تلك الأطباق بالصحون الخَزَفية التى فى كل واحد منها سبع دجاجات ، وهى مترعة بالألوان الفائقة[f] من الحلواء المائعة والطَّبَاهِجَة[٣] المُفَتَّقَة[g] والطيب غالبٌ على ذلك كله ، فلا يبعد أن تناهز

(a-a) ساقطة من خزينة . (b) خطط : فيفرش فوق ذلك . (c) بولاق : سواميذ ، ليدن : شواميد . (d) الخطط : عند خبيزها . (e) ساقطة من خزينة . (f) ليدن : القائمة . (g) بولاق : المشققة وصبح : بتشاريغ الحلواء اليابسة والنجوم : المفتقة بالمسك الكثير .

= الدين بَكْتاش على موضع الأرض المتخلفة عن الباب وما خلفه من قاعات القصر قصرًا عرف بقصر أمير سلاح ، ثم اشتراه الأمير بشتاك فى سنة ٧٠٦ وأقام مكانه ومكان بقايا القصر قصرًا فخمًا عرف بقصر بَشْتاك أتمه فى سنة ٧٣٨ مازالت بقاياه موجودة إلى اليوم فى شارع المعز لدين الله ومسجلة بالآثار برقم ٣٤ . (ابن دقماق : الانتصار ٥ : ٣٧ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٩٠ – ٣٩١ ، ٣٦٢ ، ٤٣٣ ، Fu'ād Sayyid , A., *op. cit.*, pp. 280 - 285).

[١] اللَّاط . خشب الصنوبر والحور (Dozy , *op. cit.*, II, 508).

[٢] شابُورة جـ . شوابير . ضرب من تحذيف شعر الجبهة كان معروفا فى عهد العباسيين ، كان يتخذه الرجال والنساء ، وأغلب متخذيها من الذكور المخنثين . قال أبو الفدا : « ولأصحاب جغرافيا اصطلاح فى تعريف البحور فيقولون يمتدّ كالفوارة والكالشابورة وكالطيلسان ونحو ذلك » (تقويم البلدان ١٩ س ٩) . أى أن الشابورة تعنى شكل المثلث . (البغدادى : كتاب الطبيخ ٧٤ – ٧٥ هـ١) .

[٣] الطَّبَاهِجَة . نوع من لحم الضأن المكمور ، صنعته أن يؤخذ لحم مشرح يقطع صغارا ، يعزل فيه السمين بناحية والمهزول بناحية أخرى ، ثم يؤخذ السمين ويُجْعل فى قَعْر القدر ويغلى حتى يرشح ويذوب شحمه ثم يجعل المهزول عليه ويلقى عليه قطع بصل وطاقات نعنع وكَرَفس ويحرك حتى ينشف ماؤه ، ثم =

عِدَّة الصحون المرصوفة[a] خمسمائة صحن . ويُرَتَّب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة إلى حين عَوْد الخليفة من المُصَلَّى والوزير معه . فإذا دخلا القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة فينزع[b] عنه الثياب العيدية التى ٣
فى عمامتها اليتيمة ولبس سواها من خزائن الكُسْوات الخاصة التى قدّمنا ذكرها . هذا وقد عُمِل بدار الفِطْرة قصران حلواء[c] فى كل واحد سبعة عشر قنطارًا وحملًا ، منها واحد يمضى به من طريق قصر الشوك إلى باب ٦
الذَّهَب[١] ، والآخر يُشَق به بين القصرين يحملهما العتّالون ، فينصبان أوَّل السماط وآخره وهما شكل مليح ، مدهونان بأوراق الذهب ، وفيهما شخوص بائنة لأنها[d] مسبوكة فى قوالب لوحًا لوحًا . ٩

فإذا غيَّر الخليفة خرج راكبًا[e] ونزل على السرير الذى عليه « المُدَوَّرَة »[٢] الفضة وجلس ، قام على[f] رأسه أربعة من كبار الأستاذين المُحَنَّكين وأربعة من خواص الفرَّاشين ، ثم يستدعِي الوزيرَ فيطلعُ إليه ويجلس ١٢
عن يمينه [g]بالقرب من باب السرير[g] ، ويستدعى الأمراء المطوَّقين ومَنْ يليهم

(a) بولاق : المذكورة . (b) الخطط : لينزع . (c) بولاق : من حلوى . (d) بولاق : ناتئة كأنها ، ليدن : نابتة كأنها . (e) الخطط : فإذا عبر الخليفة راكبا . (f) خزينة : وجلس فيه وعلى . (g-g) ساقطة من الخطط .

= يلقى عليه كزبرة يابسة وكمون وكراويا ودار صينى وزنجبيل الجميع مدقوقًا ناعمًا ، ويفرد نصف الأبازير ليطرح بعد النضج . ثم يؤخذ خل خمر وماء حصرم وماء ليمون فيمزج ويلقى عليه من جملة الأبازير شىء ، ومن أحب أن يضيف إليه شيئا من ماء السماق فعل ، ثم يسقى تلك المياه حالًا فحالًا حتى يتكامل النضج ويخرج منها البقول ويضاف إليها باق الأبازير وشىء يسير من فلفل . (البغدادى : كتاب الطبيخ ١٤ – ١٥ ، ابن رزين التجيبى : فضالة الخوان فى طيبات الطعام والألوان ، تحقيق محمد شقرون ، بيروت ١٩٨٤ ، ١١٩) .

(١) طريق قصر الشوك إلى باب الذهب . أى من قصر الشوك فى الواجهة الشرقية للقصر إلى رحبة باب العيد ثم إلى الركن المُخلَّق ثم باب الذهب .

(٢) المُدَوَّرة . انظر أعلاه ص ٢١٣ .

من الأمراء دونهم فيجلسون على السماط كقيامهم بين يديه ، فيأكل من أراد من غير إلزام ، فإن من الحاضرين مَنْ لا يعتقد الفِطْر فى ذلك اليوم ، فيستولى على ذلك المعمول قلّة الأكل وثِقَل الرسوم[a] ويباح فلا يبقى منه شئ إلّا السّماط حَسْب[b] فيعم أهل القاهرة ومصر [c]رسومًا وغير ذلك من واحد إلى واحد والقُرّاء يقرؤن ويحمل لهم[c] من ذلك نصيب وافر .

فإذا انقضى ذلك قريب[d] صلاة الظهر ، انفضَّ الناس وخرج الوزير [c]من القصر[c] إلى داره مخدومًا بالجماعة الحاضرين ، وقد عَمل سِماطًا لأهله وحواشيه ومَنْ يعزّ عليه من الأمراء[e] [f]لا يلحق بأيسر يسير من سماط الخليفة[f][١] .

وعلى هذا العمل يكون سِمَاط عيد النَّحْر أوّل يوم منه وركوبه إلى المُصَلَّى كما ذكرنا ولا يخرج عن هذا المنوال ولا ينقص عن هذا المثال ، ويكون الناس كلهم مفطرين ولا يفوت أحدًا منهم شئ كما ذكرنا فى عيد الفطر .

قال : ومبلغ ما يُنْفَق فى سماطى الفِطْر والأضْحَى أربعة آلاف دينار[٢] .

(a) الخطط : الآكلون وينتقل إلى دار أرباب الرسوم . (b) الخطط : فقط . (c-c) ساقطة من الخطط . (d) الخطط : عند . (e) زيادة من خزينة . (f-f) ساقطة من خزينة .

---

[١] ذكر القلقشندى أنه « قد وقع فى كلام ابن الطُّوَيْر خُلْفٌ فى وقته ، فذكر فى موضع من كتابه أن ذلك يكون قبل ركوب الخليفة لصلاة العيد ، وذكر فى موضع آخر أن ذلك يكون بعد حضوره من الصلاة » . (صبح ٣ : ٥٢٥) . وقارن أبا المحاسن : النجوم ٤ : ٩٧ – ٩٨ وانظر كذلك : ناصر خسرو : سفرنامة ١٠٦ – ١٠٧ .

وقد أورد المقريزى فى عقب ذلك خبر رجلين من الأجناد يأكلان على السماط أظنه ليس لابن الطوير ، وذكر خبرًا مشابهًا له فى ص ٤٤٣ منسوبًا لابن المأمون .

[٢] المقريزى : الخطط ١ : ٣٨٦ – ٣٨٧ ، القلقشندى : صبح ٣ : ٥٢٣ – ٥٢٤ .

ذِكْرُ جُلوس الخليفَة
فى المَوَالِد السِّتَّة

قال ابن الطُّوَيْر : ذِكْرُ جلوس الخليفة فى الموالد الستة فى تواريخ مختلفة وما يُطْلَق فيها ، وهى : « مَوْلد النبى » ﷺ ، و « مَوْلد أمير المؤمنين على ابن أبى طالب » ، و « مولد فاطمة » عليهما السلام ، و « مَوْلِد الحَسَن » و « مَوْلِد الحسين » عليهما السلام ، و « مولد الخليفة الحاضر » . ويكون هذا الجلوس فى المَنْظَرَة التى هى أنزل المناظر وأقرب إلى الأرض قبالة دار فخر الدين جَهَارْكس[1] والفندق المُسْتجدّ .   ٣ ٦

فإذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الأول تقدّم بأن يعمل فى دار الفِطْرة عشرون قنطارًا من السُّكَّر اليابس حَلْواء يابسة من طرائفها ، وتُعبَّى فى ثلاثمائة صينية من النحاس ، وهو مَوْلِد النبى ﷺ[2] ، فتفرَّق تلك الصوانى فى أرباب الرسوم من أرباب الرُّتَب ، وكل صينية فى قَوَّارة[3] من أوَّل النهار إلى ظهره . فأوَّل أرباب الرسوم قاضى القضاة ثم داعى الدعاة ويدخل فى ذلك القُرَّاء بالحضرة والخطباء والمتصدِّرون بالجوامع بالقاهرة وقَوَمَة المَشَاهِد ، ولا يخرج   ٩ ١٢

---

[1] انظر أعلاه ص ١٨٦ .

[2] لا يحدثنا المسبحى عن الاحتفال بالمولد النبوى سنة ٤١٥ . ولا ندرى كيفية الاحتفال بهذه الموالد بعد هذا التاريخ ، ولكن ابن المأمون يذكر لنا أن الوزير الأفضل أبطَل أمر الموالد الأربعة : النبوى والعلوى والفاطمى والإمام الحاضر ، إلى أن أعادها الخليفة الآمر على إلحاح الأستاذين المُحَنَّكين الذين حسَّنوا له إعادتها وإقامة الجوارى والرسوم فيها ، فأجابهم إلى ذلك فى سنة ٥١٦ . (ابن المأمون : أخبار ٦٢ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٣ والمقفى (مخ . ليدن) ٢ : ٢٠٧ ظ ، اتعاظ ٣ : ١٠١) .

ويورد لنا ابن المأمون كذلك وصفًا للاحتفال بالمولد الآمرى [الخليفة الحاضر] فى سنتى ٥١٦ ، ٥١٧ . (أخبار ٣٥ – ٣٦ ، ٦٠) وكذلك ما كان يصرف برسم الموالد الأربعة : النبوى والعلوى والفاطمى والآمرى (أخبار ٩٣) .

[3] القَوَّارة . انظر أعلاه ص ١٤٥ ، ٢٠٢ .

ذلك مما[a] يتعلّق بهذا الجانب بدعو يخرج من دَفْتَر المَجْلِس كما قدّمناه . فإذا
صُلِّى الظهر ركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر ومعهم
٣ أرباب تَفرِقَة الصوانى فيجلسون مقدار قراءة الخَتْمَة الكريمة ، ثم يُستدعى
قاضى القضاة ومَنْ معه ، فإن كانت الدعوة مضافة إليه وإلّا حضر الداعى
معه بنقباء الرسائل ، فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من
٦ السُّيُوفيين[1] قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين فيقفون هناك وقد مُسِكَت[b]
الطريق على السالكين من الركن المُخَلَّق[2] ومن سُوَيقة أمير الجيوش[3] عند
الحوض هناك[4] ، وكُنِسَت الطريق فيما بين ذلك ورُشَّت بالماء رشًّا خفيفًا ،
٩ وفُرِش تحت المنظرة المذكورة بالرمل الأصفر . ثم يستدعى صاحب الباب من
دار الوزارة ووالى القاهرة ماضٍ وعائد لحِفْظ ذلك اليوم[c] من الازدحام

(a) ليدن : عما . (b) بولاق : سلكت . (c) B : الموضع .

[1] انظر أعلاه ص ١١ ، ٢١١ .
[2] الرُّكْن المُخلَّق . وهو موضع زاوية القصر التى تلتقى عندها واجهته الغربية مع واجهته الشمالية تجاه حوض الجامع الأقمر على يمنة من أراد الدخول إلى المسجد الذى كان معروفًا فى وقت المقريزى بمعبد موسى . وقيل له الرُّكن المُخلَّق لأنه ظهر فى سنة ستين وستمائة فى هذا الموضع حجر مكتوب عليه « هذا مسجد موسى عليه السلام » ، فخُلِّق بالزَّعفران وسمى من ذلك اليوم بالرُّكْن المُخلَّق . (المقريزى : الخطط ١ : ٤٠٥ ، ٢ : ٤١٢) .
وعلى ذلك فإن المقريزى تدخل فى سياق هذا الخبر بما أن ابن الطُّوَيْر توفى قبل إطلاق اسم الركن المُخلَّق على زاوية القصر ، أو أنه كان يُعرف بذلك منذ العصر الأيوبى !
وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة كتابة على لوح من الرخام مكوّنة من ثلاثة أسطر مكتوبة بالخط النسخى المملوكى تحوى النص التالى . « أمر بفتح هذا المسجد المبارك الذى يسمى معبد موسى عليه السلام مولانا السلطان الملك الظاهر خلّد الله ملكه و .. » . وهى محفوظة فى المتحف تحت رقم ٦٩٠١ . (Wiet , G., *Inscriptions historiques sur pierres* , pp. 56 - 57).
[3] سويقة أمير الجيوش . كانت تقع فيما بين حارة بَرْجَوان وحارة بهاء الدين (حارة بين السيارج الآن) . وموضع حارة بَرْجَوان ومدخلها موجود إلى الآن فى مواجهة الجامع الأقمر (راجع ، المقريزى : الخطط ٢ : ١٠١) .
[4] المقصود حوض الجامع الأقمر .

على نظر الخليفة . فيكون بروز صاحب الباب من الركن المُخَلَّق هو وقت استدعاء القاضى ومن معه من مكان وقوفهم ، فيقربون من المَنْظَرة ويترجَّلون قبل الوصول إليها بخطوات ، فيجتمعون تحت المَنْظَرة دون الساعة الزمانية بسَمْتٍ وتشوّف لانتظار الخليفة ، فتُفْتح إحدى الطاقات فيظهر منها وجهُه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عدَّة من الأستاذين المُحَنَّكين وغيرهم من الخواص منهم ، ويفتح بعض الأستاذين طاقةً ويُخْرج منها رأسه ويده اليمنى فى كمه ويشير به قائلًا : « أمير المؤمنين يرد عليكم السلام » فيسلم بقاضى القضاة أوّلًا بنعوته ، وبصاحب الباب بعده كذلك ، وبالجماعة الباقية جملة من غير تعيين أحد . فيستفتح قُرَّاء الحضرة بالقراءة ويكونون قيامًا فى الصَّدْر وجوهُهم للحاضرين وظهورُهم إلى حائط المَنْظَرة ، فيُقَدَّم خطيب الجامع الأنْوَر – المعروف بجامع الحاكم – فيخطب كما يخطب فوق المِنْبَر إلى أن يصل إلى النبى ﷺ فيقول : وإن هذا يوم مولده إلى ما مَنَّ الله به على مِلَّة الإسلام من رسالته ، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ؛ ثم يؤخَّر ويُقدَّم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك ، ثم خطيب الجامع الأقْمَر[1] فيخطب كذلك ، والقُرَّاء فى خلال خطابة الخطباء يقرءون . فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ رأسه ويده فى كمه من طاقته وردّ على الجماعة السلام ثم تُغلق الطاقتان فتنفضّ الناس .

ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام إلى حين فراغها على عدّتها من غير زيادة ولا نقص[2] .

---

(1) ذكر ابن عبد الظاهر فيما نقله المقريزى أن الجامع الأقمر « لم تكن فيه خطبة لكنه يعرف بالجامع الأقمر » . (الخطط ٢ : ٢٩٠) ولكن نص ابن الطوير لا يترك مجالًا للشك فى أنه كان جامعًا له خطيب يلقى خطبة الجمعة من على منبره . والجامع تم بناءُ سنة ٥١٩ .

(2) المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٣ وقارن القلقشندى : صبح ٣ : ٤٩٨ – ٤٩٩ .

جُلوسُ الخليفة
فى ليالى الوَقُود الأربع

وهى : ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه

قال ابن الطُّوَيْر : إذا مضى النصف من جمادى الآخرة ، وكان عددُه عندهم تسعة وعشرين يومًا ، أمر أن يُسْبك فى خزائن دار أفتكين[1] ستون شمعة [a]وزن كل شمعة منها[a] سُدُس قنطار بالمصرىّ ، وحملت إلى دار قاضى القضاة لركوب ليلة مستهل رجب[2] .

فإذا كان بعد صلاة العَصْر من ذلك اليوم اهتم الشهود أيضًا ، فمنهم من يركب بثلاث شمعات إلى اثنتين إلى واحدة ، ويمضى أهل مصر منهم إلى القاهرة فيُصَلُّون المغرب فى الجوامع والمساجد ثم ينتظرون ركوب القاضى ؛ فيركب من داره بهيئته وأمامه الشمع المحمول إليه موقودًا مع المندوبين لذلك من الفرَّاشين من الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة ، وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدَّر محفوظ ، ويندب فى حجبته ثلاثة من نوَّاب الباب وعشرة من الحجَّاب خارجًا عن حجَّاب الحكم

(a-a) ساقطة من ميوخ .

---

(1) خزائن دار أفتكين . انظر أعلاه ص ١٤٢ - ١٤٣ .

(2) ذكر المسبحى فى حوادث سنة ٤١٥ كيفية إحياء ليلة النصف من رجب فى أوائل العصر الفاطمى . (أخبار ٤٨ ، ٥٣) كذلك فقد ذكر ناصر خسرو كيفية الاحتفال بليالى الوقود نحو سنة ٤٤٠ . (سفرنامة ١٠٢) . وبعد هذا التاريخ لا نجد أية إشارة إلى كيفية إحياء هذه الليالى ، ولكننا نعلم من خلال شكر الخليفة الآمر لوزيره المأمون البطائحى أن الوزير الأفضل كان قد عطَّل الاحتفال بإحياء هذه الليالى ثم أعادها الوزير المأمون بناء على رغبة الخليفة فى سنة ٥١٦ . (ابن المأمون : أخبار ٣٦ ، المقريزى : الاتعاظ ٣ : ٨٢ والخطط ١ : ٤٦٦) . ثم ذكر ابن المأمون كيفية إحياء هذه الليالى فى سنة ٥١٧ . (أخبار ٦٣ - ٦٤ ، ٦٩) .

المستقرين وعدَّتهم خمسة فى زىّ الأمراء ، وفى ركابه القرَّاء يُطَرِّبون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب فى جلوسهم بمجلس الحكم الأقدمُ فالأقدمُ ، وحوالى[a] كل واحد ماله من شمع ، فيشقّون من أوّل شارع فيه دار القاضى إلى بين القصرين ، وقد اجتمع من العالم فى وقت جوازهم مالا يُحْصى كثرة رجالًا ونساءً وصبيانًا بحيث لا يعرف الرئيس من المرؤس ، وهو مارّ إلى أن يأتى هو والشهود باب الزُّمُرّد[1] من أبواب القصر فى الرَّحْبَة الوسيعة تحت المنظرة العالية فى السَّعَة العظيمة من الرَّحْبَة المذكورة وهى التى تقابل درب قَراصْيا[2] ، فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقُرَّاء والخُطَباء – كما شرحنا فى الموالد الستة – ويترجّلون تحتها ريثما يجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع وبين شخصه ، ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كالموالد ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته ، ثم يُسَلّم الأستاذ من الطاقة الأخرى استفتاحًا وانصرافًا ، كما ذكرنا .

(a) صبح : حول .

---

(1) باب الزُّمُرُّد . أحد أبواب القصر الفاطمى الكبير ، كان يفتح فى الواجهة الشرقية للقصر المطلة على رحبة باب العيد ، وسمى بذلك لأنه كان يتوصل منه إلى قصر الزُّمُرُّد . وقد منح السلطان قلاوون هذا القصر ومبلغًا من المال عوضًا عن الدار القطبية التى حولها فى سنة ٦٨٢ إلى مارستان . ثم آل مُلْك القصر إلى الأمير بدر الدين خطير الحاجب سنة ٧٤١ إلى أن اشترته السيدة خوند تتر الحجازية من ورثته وبنت فى موضعه قصرًا ومدرسة لتدريس مذهبى الشافعى ومالك وجعلت بها قبة دفنت بها بعد وفاتها سنة ٧٦٤ . ويرجع تاريخ إنشاء هذه المدرسة إلى سنة ٧٦١ . (المسبحى : أخبار ٧٨ ، المقريزى : الخطط ١ : ٣٦٢ ، ٤٠٥ ، ٤٣٥ ، ٢ : ٤٣ ، ٣٨٢ ، Fu'ād Sayyid , A., *op. cit.*, pp. 297 - 301).

(2) درب قَراصْيا . ذكر المقريزى أن هذا الدرب من جملة الدروب القديمة وكان تجاه باب قصر الزُّمُرُّد الذى حلّت مكانه المدرسة الحجازية ، وأصبح من جملة خُطّ رحبة باب العيد . ولم تزل هذه الرحبة خالية من البناء إلى ما بعد الستمائة من الهجرة فاختط فيها الناس وعمروا فيها الدور والمساجد . (الخطط ٢ : ٤٣ ، ٤٧) .

ثم يركب الناس إلى دار الوزارة فيدخل القاضى والشهود إلى الوزير فيجلس لهم فى مجلسه ويُسَلِّمون عليه ، ويخطب الخطباء أيضًا بأخفّ من مقام الخليفة ويدعون له ويخرجون عنه ، فيشُق القاضى والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها[a] ويصلّى ركعتين ؛ ثم يخرج من باب زُوَيْلة طالبًا مصر بغير نظام ، ووالى القاهرة فى خدمته اليوم مستكثرًا من الأعوان والحَفَظَة فى الطرقات إلى جامع ابن طولون ، فيدخل القاضى إليه للصلاة فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم ، فيدخل المَشَاهِد[1] التى فى طريقه أيضًا ، فإذا وصل إلى باب مصر ترتَّب كما ترتَّب فى القاهرة وسار شاقًا الشارع الأعظم إلى باب الجامع من الزيادة التى يَحْكم فيها[2] ، فيوقد له التنُّور الفضة الذى كان معلَّقًا فيه[3] ، وكان مليحًا فى شكله وتعليقه غير منافر فى الطول والعرض ، واسع التدوير فيه مناطق فى كل منطقة مائة وعشرون بزاقة وفيه سروات بارزة مثل النخيل فى كل واحدة عدَّة بزاقات تقرب عِدَّة ذلك من ثلاثمائة ، ومعلّق بدائر سفله مائة قنديل نجومية ، ويخرج [b]له الحاكم[b] فإن كان ساكنًا بمصرِ استقرّ بها ، وإن كان ساكنًا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودّعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة إلى داره .

فإذا مضى من رَجَب أربعة عشر يومًا ركب ليلة الخامس عشر كذلك وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر إلى القَرَافة ليصَلّى فى جامعها[4]

(a) ساقطة من ميونخ . (b-b) ميونخ و A : من الجامع ، ليدن : من الحاكم ، B : من جامع الحاكم .

---

[1] المَشَاهد . انظر أعلاه ص ١٦٨ .

[2] انظر أعلاه ص ١٠٧ .

[3] انظر أعلاه ص ٩ (تركة الأفضل) .

[4] جامع القَرَافَة . بنته السيدة تَغْرِيد أم العزيز بالله على يد الحسن بن عبد العزيز الفارسى فى شهر رمضان سنة ست وستين وثلاثمائة ، بنته فى خِطَّة المَعَافِر بالقرافة الكبرى . وأصبح يعرف بعد ذلك بجامع الأولياء . وقد بُنِى هذا الجامع على نحو بناء الجامع الأزهر . وفى سنة ٥١٦ أمر الوزير المأمون البطائحى وكيله أبا البركات محمد بن عثمان برَمّ شَعَث هذا الجامع . وظل على عمارته إلى أن احترق فى سنة ٥٦٤ ولم يبق منه بعد حريقه سوى المحراب الأخضر . (المقريزى : الخطط ٢ : ٣١٨ – ٣٢٠) . ويدل على =

والناس يجتمعون[a] له لينظروه ومن معه فى كل مكان لا يملّون من ذلك .

فإذا انْقَضَت هذه الليلة استدعى منه الشمع ليكمل نقصه حتى يركب به فى أوّل شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة والأسواق معمورة بالحَلْوَاء[b] ويتفرَّغ الناس لذلك هذه الأربع الليالى[١] .

٣

° ° °

حُزْنُ عاشُورَاء

قال ابن الطُّوَيْر : إذا كان اليوم العاشر من المحرَّم احتجب الخليفة عن الناس ، فإذا علا النهار ركب قاضى القضاة والشهود وقد غيَّروا زيّهم – فيكونون كما هم اليوم – ثم صاروا إلى المشهد الحسينى[٢] ، وكان قبل ذلك يُعمل فى الجامع الأزهر . فإذا جلسوا فيه ومن معهم من قُرَّاء الحضرة والمتصدِّرين فى الجوامع ، جاء الوزير فجلس صدرًا والقاضى والداعى من جانبيه والقُرَّاء يقرءون نَوْبة بنَوْبة ويُنْشد قومٌ من الشعراء ، غير شعراء الخليفة ، شعرًا يرثون به أهل البيت عليهم السلام ، فإن كان الوزير رافضيًا تغالوا وإن كان سنيًا اقتصدوا[٣] . ولا يزالون كذلك إلى أن تمضى ثلاث ساعات

٦ ٩ ١٢

(a) ليدن : يجتمعون . (b) ليدن : الحلوى .

= موضعه اليوم الحوش المعروف بحوش أبى على بالقرافة الكبرى بالقرب من ضريح خضرة الشريفة . Ragib , Y., « Sur deux monuments funéraires du cimetière d'al -Qarâfa al-Kubrâ au Caire » *An. Isl.* XII (1974), pp. 67 - 72 ; Bloom , J. M., « The Mosque of the Qarafa in Cairo » , *Muqarnas* IV (1987) , pp. 7 - 20).

[١] المقريزى : الخطط ١ : ٤٦٧ .

[٢] شُيِّد المشهد موضع قبة الدَّيْلَم داخل باب الدَّيْلَم فى سنة ٥٤٨ .

[٣] هذا التمييز حدث منذ أن ولى رضوان السنى الوزارة سنة ٥٣١ .

فيُسْتَدْعَوْن إلى القصر بنقباء الرسائل ، فيركب الوزير وهو بمنديل صغير إلى داره ويدخل قاضى القضاة والداعى ومن معهما إلى باب الذَّهب فيجدون الدَّهاليز قد فُرِشَت مصاطبها بالحُصْر بدل البُسُط ، ويُنْصب فى الأماكن الخالية من المَصَاطِب دِكَك لتلحق بالمصاطب وتفرش[a] ، ويجدون صاحب الباب جالسًا هناك فيجلس القاضى والداعى إلى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم ، فيقرأ القُرَّاء ويُنْشد المنشدون أيضًا [b]ثم يُفْرش وسط القاعة بالحُصر المقلوبة ليس على وجوهها وإنما تخالف مقاربتها[b] ثم يفرش عليها « سِمَاط الحُزْن » مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخلَّلات والأَجْبَان والألبان الساذجة والأعسال النحل والفطير والخبز المُغَيَّر لونه بالقصد[c] . فإذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأُدْخل الناس للأكل منه ، فيدخل القاضى والداعى ، ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران إلى جانبه ، وفى الناس من لا يدخل ولا يُلْزَم أحدٌ بذلك . فإذا فرغ القوم انفصلوا إلى أماكنهم ركبانًا بذلك الزىّ الذى ظهروا فيه ، وطاف النُّوَّاح بالقاهرة ذلك اليوم ، وأغلق البيَّاعون حوانيتهم إلى جوار العصر ، فيُفْتَح الناس بعد ذلك ويتصرَّفون[1] .

(a) بولاق : لتفرش . (b-b) زيادة من خزينة . (c) ساقطة من خزينة .

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٣١ .
وقد ذكر ابن زولاق كيفية عمل حزن عاشوراء فى صدر الدولة الفاطمية (ابن ميسر : أخبار ١٦٤) وذكر المقريزى كيفية الاحتفال بيوم عاشوراء سنة ٣٩٦ لاشك نقلًا عن المسبحى (اتعاظ ٢ : ٦٧) ، كذلك فقد وصف ابن المأمون كيفية عمل سماط حزن عاشوراء سنة ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ . (أخبار ١٥ ، ٣٥ ، ٥٩ ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٣١ والاتعاظ ٣ : ٩٧) .

مَلَاحِقُ الكِتَابِ

إلى ابن مَسْلَمَة يذكر ركوب أمير المؤمنين من القاهرة إلى مصر رتّبها على جناح طائر

« كتبت هذه الرُّقْعَة غداة يوم الجمعة الجامعة لِشَمْل الدولة المؤذنة بالسعادة المتصلة بذكر ما تجدَّد أمس الخميس ، وهو أسعد يوم أسفر عنه صباح ولاحت على وجهه غرر وأوضاح ، من النعمة بركوب أمير المؤمنين فى صبيحته من قصر الخلافة إلى مصر على الطريق الشارع لابسًا مِنْ ملابس العِزّ أفخره وأغلاه ، ومِنْ نفائس الجَوْهر أزهره وأعلاه ، فى طبقات الأولياء ووجوه الأشراف والأمراء والأعيان والعبيد والقُوَّاد وأصناف العساكر والأجناد ، ومواكب حَسَدَت كواكب السماء الأرض لزينتها وعظم أقدارها ، وغبطت النجوم الترب لجلالة أقدارها .

وقد كانت القاهرة المُعِزِّيَّة إلى مصر من عدة الأيام زُيِّنت بأنواع الحُلِىّ والحُلَل ، وبدائع الديباج والوَشْى ، والثياب المذهبة والأنماط الطميمة المستغربة ، حتى لم يَبْق من الأرض فيها شِبْرٌ إلّا وهو مُزَيَّن ، ولا فِتر إلّا وهو مستبدع مستحسن . ووقع الإجماع بأن هذا اليوم المذكور أُجَلّ يوم أُرِّخت فيه بمثله الأيام ، وعَجِزَ عن وصفه الأنام ، وتَزَيَّنت بَجماله بطون الدَّفاتر ، وتَشَرَّفت بذكره رؤوس المنابر . ثم عاد إلى قصر الإمامة ومَقَرِّ العِزّ والكرامة ، مؤيّدًا منصورًا سالمًا موفورًا ، مخصوصًا بصنيع الله وإقباله ، محفوفًا بالملائكة من عن يمينه وشماله .

فبادرنا لهذه البشارة العظيمة إليك ، لتعرف قَدْر هذه الموهبة فيما مَنَّ الله تعالى به له من السلامة عليك ، ولحضرته الشريفة من الانتظام والاستقامة ، وتذيع به ما جرى فى الخاصّة والعامة إن شاء الله »[1] .

---

[1] رسائل العميدى - مخطوطة برنستون رقم ٤٣٦٥ . وقد اعتمدت على الصورة المنسوخة التى أمدتنى بها الدكتورة باولا سوندرز Paula Sanders

نُسْخَةُ كتاب بالبِشَارَة بالسَّلامة فى الرُّكوب
فى غُرَّة السَّنة أورده أبو الفَضْل
الصُّورى فى « تذْكِرته » ٣

الحمد لله الذى لم يَزَلْ يُولِى إحسانًا وإنعامًا ، وإذا أبلَى عبيدَه عَامًا أجَدَّهم بفضله عَامًا ؛ فقد أمدَّكم معاشر الخلفاء كَرَمًا ومَنًّا ، وآتاكم من جُودِه كأثر ممَّا يُتَمَنَّى ؛ ومَنَحكم من عطائه ما يُوفِى علَى ما أردتموه ، ﴿ وسَخَّرَ لَكُمُ ٦ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهارَ وآتاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ﴾ [الآيتان ٣٣ و ٣٤ سورة إبراهيم] وقد آستقبلتم هذه السَّنَة السعيدة ، وإذا عَمِلْتم بالطاعة كنتم مستنجزين من ثواب الله الأغراضَ البعيدة . ٩

وصلَّى الله علَى سيدنا محمد نَبِيِّه الذى غدتِ الجنة مُدَّخَرَةً لمن عَمِل بهُدَاه لَمَّا سمِعَه ، ومُهَيَّأَة لمن آمن به وآتَّبع النُّورَ الذى أُنزِل مَعَه ؛ وبيَّنَ بإرشاده ما تَجْرِى أمورُ السِّنِينَ عليه فى العَدَد والحِسَاب ، ونَسَخ ما كانت الجاهليةُ ١٢ [تفعله] فيه زِيَادَةً فى الكُفْر وضَلَالًا عن الصَّوَاب ؛ وعلَى أخيه وآبن عَمِّه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب الذى كَمَّلَ الله الإسلامَ بإمامته ، وضاعف الأجْرَ لأهْلِ ولايته ، ومنح شيعَتَه مَقْبُولَ شفاعته ؛ وعلَى الأئمة من ذرّيتهما ١٥ خُلَفَاءِ الله علَى خلقه ، والقائمين بواجب حَقِّه ؛ والعاملين فى سياسة الكَافَّةِ بما يُرضِيه سبحانه ، ويَضْمَنُ غُفْرانه ورِضْوانَه ، وسلَّم عليهم أجمعين ، سلامًا باقيًا إلَى يَوْم الدِّين . ١٨

وإنَّ أحق النِّعَم بنَشْر الذِّكْر ، وأوجَبَها للوَصْف وإعمال الفِكْر ؛ نِعْمةٌ رفعت الشَّكَّ وأزالت اللَّبْس ، ووَضُح ضياؤُها لأُولِى الألباب وُضُوحَ الشمس ؛ وآشترك الناسُ فتضاعفت الفائدة لديهم ، وآنتفعُوا بذلك فى ٢١ تَواريخهم ومُعامَلَاتِهم ومالَهُم وعليهم ؛ وتلك هى المعرفةُ باليوم الذى هو مَطْلَعُ السَّنة وأوّلها ، ومَبْدَؤُها ومُسْتَقْبلها ؛ وحقيقة ذلك ظُهُورُ إمام كُلِّ زمان .

وكان ظهورُ إمام زماننا مولانا وسيّدنا الإمام فلان – ليتساوى فى الشرف برؤيته العامَّةُ والخاصَّةُ ، فيكون آستقلال رِكَابِه إشعارًا بأن اليوم الذى تَجَلَّى فيه لأوليائه ، ولرَعَاياه المُتَفَيِّئِينَ ظِلَّ لِوَائه ؛ هو آفتتاح السنة وأوّل مُحَرَّمها ، وعليه المُعْتَمَد فى عَدَدِ تامِّ الشهور وناقِصِها من مُفْتَتَحِها إلى مُخْتَتَمِها – يَوْمَ كذا غُرَّةَ المحرّم من سنة كذا ، فى عساكِرَ لا يُحْصَر عَدَدُها ، وقبائِلَ لا ينقطع مَدَدُها ؛ وإذا آضطرمت نار الكُفْر وآلتَهبتْ ، طَفِئَت بأنوارهم وخَبَتْ ؛ وقد تقلَّدَتْ هِنْدِيَّةً تَرُوعُ إذا أشرقت وسكنت ، فما الظَّنُّ إذا آصْطُحِبَت ؛ والأرض بمرورها عليها مُبْهِجَةٌ مُونِقَه ، وملائكة الله عَزَّ وجَلَّ به مُحْدِقه ؛ فآذَنَ بأن اليومَ المذكورَ هو غُرَّة السَّنة المعيَّنه ، وأن اليومَ الفُلانِىَّ أَمْسُه آنسِلاخ كذا سنة كذا المتقدّمة : لتستقيمَ أمورُهُم على أعدل نُهُوجِهِم ؛ وليُحفظ نظام دينهم فى صَوْمِهم وفِطْرِهم وحَجِّهِم . وكذلك أصدر هذا الكتاب لِيَتْلُوَه الأميرُ على مَنْ يسكن عَمَله ، وجميع مَنْ قِبَلَه ؛ ويتماثلوا فى معرفته ، ويحملَ كُلٌّ منهم الأمْرَ عليه فى مُعْتَقَدِه وأسباب معاملاته ؛ ويشكروا الله على النِّعْمة عليهم بهدايته . وهو يعتمد ذلك ويُطَالِعُ بكائِنِه فيه إن شاء الله تعالى ، وكُتِبَ فى اليوم المذكور[1] .

نُسْخَةُ كتاب بالبِشَارَة بالسَّلامَة فى الركوب فى أوّل شهر رَمَضان من إنشاء ابن الصَّيْرَفى

الحمد لله كَالِىء خلقه فى اليَقَظَة والمَنَام ، والكَافِلِ لهم بمضاعفة الأجر فى شهر الصِّيَام ؛ وصلَّى الله على سيدنا محمد الذى بعثه رَحْمَةً للأنام ، وعلى

(١) القلقشندى : صبح ٨ : ٣١٤ – ٣١٥ .

أخيه وآبن عَمّه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طَالِبٍ أخلص وَلِىّ ، وأشْرَفِ وَصِىّ ، وأفْضَل إمام ؛ وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتِهما الدَّاعِينَ إلى دار السلام ؛ صلاةً دائمةَ الاتّصَال ، مستمرّةً فى الغُدُوِّ والآصَال .

وإن من المَسَرَّة التى تُتَهَادَى : والنِّعْمَة الشاملة للخلق جميعا وفُرادى ؛ ما مَنّ الله به من ظهور مولانا وسيدنا الإمام فلان ، صلوات الله عليه وعلى آبائه الطَّاهِرين ، وأبنائه الأكرمين ؛ يوم كذا غُرَّةَ شهر رَمَضَان من سنة كذا ، إعلامًا بأوّل الشّهر وافْتِتَاحِه ، وأن الصيامَ الأوّلَ من فَجْرِه الأوّلِ قبلَ تَنَفُّسِ صَباحِه ؛ وتَوَجُّهِهِ إلى ظاهر المُعِزِّيَّةِ القاهرة المحروسة فى عساكرِه المُظَفَّرة وجنودِه ، وأوليائِه وأنصارِه وعبيده ؛ والمِنَّةُ بِرُؤْيته قد تساوى فيها الكَافّة ، وملائكة الله مُطِيفَةٌ حَافَّة ، وعَوْدِه إلى قُصُوره الزاهرة ، وقد شمل المستظلين بأفْيَائِه بسعادَتى الدنيا والآخرة .

أُصْدِرَ إليك هذا الأمرُ لتَقِفَ على الجملة ، وتشكُرَ النِّعْمَةَ السابغةَ على أهل المِلَّة ؛ وتَتْلُوَها على أهل عَمَلِك ، وتطالع بكائِنِك فى ذلك ؛ فآعْلَم هذا وآعمل به ؛ إن شاء الله تعالى[1] .

نُسْخَةُ كتاب بالبِشَارة بالسَّلَامَة
فى ركوب الجمعة الأولى من شهر رَمَضَان من إنشاء
ابن الصَّيْرَفى

أفضل ما سُيِّر ذِكْرُه ، ووجب حَمْدُ الله تعالى عليه وشُكْرُه ؛ ما عَادَ على الشريعة بالجَمَال والبَهْجَه ، وأضحى واصِفُه صحيحَ المَقَال صَادِقَ اللَّهْجَه ؛ فضاعفَ حُسْنَه ومَحَّصَ سَيِّئَه ، وجعل أسباب السعادة مُتَسَهِّلَةً

(١) القلقشندى : صبح ٨ : ٣١٦ .

مُتَهَيِّئة ؛ وذلك ما يَسَّره الله تعالىٰ من آستقلال رِكَاب سيِّدنا ومولانا صلوات الله عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ؛ يوم الجمعة من شهر رَمَضَان من سنة كذا : مُؤدِّيا خُطبَتهَا وصَلَاتها ، وضامنا لأُمَّة آئْتَمَّتْ به خَلاصَها يوم الفَزَع الأكبر ونَجَاتَها ؛ فى وَقَارِ النبوة وسكينة الرِّسَالَة ، والهَيْبَةِ المُسْتَوْلية علىٰ العَظَمَة والجَلَالَة ؛ والعساكر الجَمَّةِ التى تُقْلِقُ بمهابَتِها وتُزْعِج ، وتُظَنُّ لكَثْرَتِها واقِفةً والرِّكَاب يُهَمْلِج ؛ ولما آنتهىٰ إليه ، خَطَبَ ووَعَظَ ففتح أبوابَ التَّوْبَة ، وآب إلىٰ الطاعات مَنْ لم يُطْمَعْ منه بالأَوْبَة ؛ وصلَّى صلاةً تَقَبَّلها جَلَّ وعزَّ بقَبُولٍ حَسَن ، وقَصَّر فى وَصْفِها ذَوُو الفَصَاحِة واللَّسْن ؛ وعاد إلىٰ مُسْتَقَرّ الخلافة ، ومَثْوىٰ الرحمة والرأفة ؛ وعَيْنُ الله له مُلَاحظَة ، وملائكته له حَافِظَة . أُعْلِمتَ ذلك لتُذِيعه فى أهل عملك ، وتطالع بكائنك[1] .

نُسْخةُ كتاب بالبِشَارة بالسَّلَامَة
فى ركوب الجمعة الثانية من شهر رَمَضان من إنشاء
ابن الصَّيْرَفى

لم يَزَلْ غَامِرُ كَرَم الله وفَضْلِه ، يَفُوقُ حاضِرُه ما كان من قَبْلِه ؛ فنعمة الله تعالىٰ سابغة ، ومِنَنُه مُتَتَابعة ؛ ومَلَابسها ضافِيَة ، ومَغَارِسُها نامية ، وسَحَائِبها هَامِيَة ؛ وهو جَلَّ وعَزَّ يضاعفها علىٰ مَنْ صَلَّى وصام ، ويُوَاليها عند من تَمَسَّك بالعُرْوَةِ الوُثْقىٰ التى لا آنفصال لها ولا آنْفِصَام ؛ وتجدّد من ذلك ما كان من بُرُوزِ مولانا وسيدنا الإمام فلان : صَلَوَاتُ الله عليه وعلىٰ آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكْرَمين ؛ يوم الجمعة من شهر رَمَضَان من سنة كذا : فى شامخ عِزِّه ، وبَاذِخِ مَجْدِه ؛ وتَوَجُّهِه إلىٰ الجامع الأنْوَرِ المنسوب إلىٰ مولانا

---

[1] القلقشندى : صبح ٨ : ٣١٧ .

الإمام الحاكم بأمر الله جدّه ؛ سلام الله عليه وصلَوَاتُه ، وبركاته وتَحِيَّاته ؛ وعساكره قد تجاوزت الحَدّ ، وكَثُرت عن الإحصاء والعَدّ ، فإذا تأملها الطَّرْفُ آنْقَلَب عنها خاسِئًا وآرْتَدّ .

ولما وصل إلى الجامع المذكور خَطَب فأوْرَدَ من القَوْل أحْسَنَه ، ووَعَظَ فأسمع من الوَعْظ أوضَحَه وأَبْيَنَه ؛ وصلّى صلاةً جَهَر بالقراءة فيها ورَتَّلها ، وعاد إلى قُصُوره الشريفة وقد شملت البَرَكات برؤيته ، ووُفِّق مَنْ عَمِلَ بمَوْعِظَتِه ، ونَجَا مَن آقتدى به فى صلاته ، وآستولى على السَّعْد من جميع أرْجائِه وجِهَاته . أعلمناك ذلك لتعرف قَدْرَ النِّعْمة به ، فآشكر الله سبحانه بمقتضاه ، وآعتمد تلاوة هذا الأمر على رُءُوس الأشهاد ؛ فآعلم ذلك[1] .

نُسْخةُ كتاب بالبِشَارَة بالسَّلَامَة
فى الركوب فى الجمعة الثالثة من شهر رَمَضَان من إنشاء ابن الصَّيْرَفى

من عوائد الله — سبحانه — الإحْسَانُ إلى عَبِيدِه ، وتَعْوِيضُهُم للشُّكْرِ عليه بنُمُوِّهِ ومَزِيدِهِ ؛ والامتِنَانُ بتيسير عَصِيِّه ، وتعجيل قَصِيِّه ، وتقريب بعيده ؛ فهو لا يُخْلِيهم من نَوَاجِمِه ، ولا يُعْفِيهم من هَوَاجِمِه .

ولما أقبل هذا الشهر الشريف كان من عُمُوم بركاته ، وشُمُول خَيْرَاته ، أن مولانا وسيدَنا الإمامَ الفلانىَّ صَلَواتُ الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، وأبنائه الأكرمين ؛ والى فيه بَرَكَاتِه ، وزَكَّى أعمالَ المؤمنين فى آستماع آخْتِطَابه والائتمام بصَلَاته ؛ وفى هذا اليوم وهو يوم الجمعة من شهر رَمَضَان ، أعمل ركابه إلى الجامع العتيق بمصر لِيُسْهِمَ لهذه المدينة من حَظَّى الدنيا والآخرة ،

---

[1] القلقشندى : صبح ٨ : ٣١٧ — ٣١٨ .

مثل ما أسهمه وعجّله لأهل المعزّية القاهرة . فكانت هيبته يعجز وصفها كل لسان ، وظهر – عليه السلام – فى الرداءين : السيف والطيلسان ؛ والجيوش قد آنبسطت وآنتشرت ، والنفوس قد آبتهجت وآستبشرت ، والألسنة قد عكفت على الدعاء بتخليد ملكه وتوفرت . وعند وصوله خطب فأحسن فى الألفاظ والمعانى ، وحذر من تأخير التوبة والتضجيع فيها والتوانى ؛ وصلى صلاةً شرفها الله وفضلها ، ورضيها تبارك وتعالى وتقبلها ؛ وآنكفأ عائدا إلى قصوره ومنازله المعظمة : ضاعف الله له ثوابه وأجره ، وأوجب شكره ورفع ذكره ؛ ويجب أن تعتمد إذاعة ذلك ليبالغ الكافة فى الاعتراف بالنعمة فيه ، ويواصلوا شكر الله تعالى عليه ، والمطالعة بما آعتمد فيه[1] .

نسخة كتاب بالبشارة بالسلامة
فى ركوب عيد الفطر مع خلو الدولة عن وزير
من إنشاء ابن الصيرفى

الحمد لله ناشر لوائه فى الأقطار ، ومعوض المطيعين من جزائه ببلوغ الأوطار ، الذى نسخ الإفطار بالصيام ونسخ الصيام بالإفطار ؛ وكلف عباده ما يطيقونه ، ووعد عليه جزيل أجره ، وأسبغ من نعمه مالا يطمع فى القيام بواجب حمده عليه وشكره ؛ وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى أعلن بالإيمان وباح ، وبين المحظور فى الشريعة والمباح ؛ وأرشد إلى ما حرمه الإسلام وحلله ، ومهد سبل الهدى لمن آستغواه الشيطان وضلله ؛ وأوضح مراتب الأوقات ومنازلها ، وعرف تفاوت الأيام وتفاضلها ؛ وعلى أخيه وآبن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب الذى مضت فى الله عزماته ، وبيضت

---

[1] القلقشندى : صبح ٨ : ٣١٩ .

وجهَ الدِّينِ الحَنِيفِ مَوَاقِفُه ومَقَاماتُه ؛ وعلى الأئمة من ذرّيّتهما الذين تكفَّلُوا أمر الأمة نَصًّا ، وآمتطَوْا على مَنارها فلم يألوا جُهْدا و لم يتركوا حِرْصًا ؛ فالحاضر منهم يُوفِى على مَنْ كان مِنْ قَبْلِه ، وأحزابُ الحَقِّ فَرِحُون بما آتاهم الله من فَضْلِه ؛ وسلم عليهم أجمعين سلاما لا آنقطاع لدَوَامه ، وشرَّفهم تشريفًا لا آنفصام لإبرامِه ؛ وأسْنَى ومَجَّد ، وتَابع وجَدَّد .

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عِيدِ الفِطْر من سنة كذا : بعد أن وَفَّى الصِّيامَ حَقَّه ، وحاز أجْرَ مَنْ جعل الله على خَزَائنه رِزْقَه ؛ وبعد أن أفطر بحَضْرَتِه الأولياء من آله وأُسْرَتِه ، والمُقَدَّمُون من رُؤَسَاء دَوْلَته ، والمُتَمَيِّزون من أوليائه وشِيعَتِه . وكان من نَبَإِ هذا اليوم أنَّ أمير المؤمنين لمَّا آرْتُقِب بُروزُه من قُصُوره ، وتَجَلَّى فأشرقت الأرضُ بنُورِه ، توجه إلى المُصَلَّى قَاضِيًا لسُنَّة العِيد ، فكانت نِعْمَةُ ظهوره بالنَّظَر [للحاضِر] وبالخَبَر للبعيد ؛ وآستقلَّ رِكَابُه بالعساكر المنصورة التى أبدَتْ مَنْظَرًا مُفْتِنا مُعْجِبًا ، وجعلت أدِيمَ الأرض بالخَيلِ والرَّجْلِ مُحْتَجِبًا ؛ وذَخَرَتْ الانتِقَامَ ممَّن شَقَّ العَصَا ، وتجاوزت فى الكَثْرة عَدَدَ الرَّمْلِ والحَصَا ؛ وزيَّنَتِ الفَضَاء بهيئتها ، ورَوَّعَتِ الأعداءَ بهَيْبَتِها ؛ وجمعت بين الطَّاعة وشِدَّة البَاس ، وآدَّرَعَتْ من التَّقْوى أمنعَ جُنَّةٍ وأحْصَنَ لِبَاس ؛ و لم يزلْ سائرا فى السَّكِينة والوَقَار ، نَاظِرًا للدُّنيا بعَيْنِ الاحْتِقَار ؛ والثَّرى بالجِبَاهِ والشِّفَاهِ مُصَافَحٌ مَلْثُوم ، فهُمَا مَوْسُومَتَان به وهو بهما مَوْسُوم ؛ إلى أن وصل إلى مقرّ الصَّلاة ، ومَحَلِّ المُنَاجاة ؛ فصَلَّى أتمَّ صلاةٍ وأكْمَلَها ، وأدَّاها أحْسَنَ تَأْدِيةٍ وأفْضَلَها ؛ وأخلص فى التَّكبير والتَّهليلِ إخلاصَ مَنْ لم يَفُتْ أمْرًا ويخشى الله ويَتَّقيه ونَصَحَ فى إرشاده ووَعْظِه ، وأغْرَبَ ببديع معناه وفَصِيحِ لَفْظِه ؛ وعاد إلى مَثْوى كرامَتِه ، وفَلَك إمَامَتِه ؛ مَحْمُودَ المَقَام ، مُشْمُولا بالتوفيق فى النَّقْضِ والإبْرَام . أعلمك أمير المؤمنين ذلك لتُذِيعَهُ فيمَنْ قِبَلَك ، وتشكروا الله على النِّعْمَة الشاملة لهم ولك ؛ فآعلم هذا وآعمل به ، إن شاء الله تعالى . وكُتِب فى اليوم المذكور[1] .

---

[1] القلقشندى : صبح ٨ : ٣٢٠ – ٣٢١ . (وانظر ، المقريزى : الخطط ١ : ٤٥٦ – ٤٥٧) .

نُسخةُ كتاب البِشارَة بالسَّلامة
فى رُكُوب عيد الفِطْر والدَّوْلة مشتملة على وزير
من إنشاء ابن الصَّيرَفى ٣

الحمد لله الذى أعَزَّ الإسلام وشَيَّدَ مَنَارَه ، وأيَّدَ أوْلِياءَه ونصر أنْصارَه ؛ وأظهر فى مَوَاسِمِه قُوَّتَه وآستِظْهارَه ، وختم الشَّرائعَ بشَرَف أبديٍّ فكان حَظُّها منه إيثارَه ، وحَظُّ الإسلام آستِبْدَادَه به وآستئثاره ؛ وصلَّى الله على جدِّنا محمد الذى كَرَّمَه ٦ باصْطِفَائِه ، وأسْعَدَ من حَافَظَ على آتِّباع نَهْجِه وآقتِفَائِه ؛ وبَيَّن بشَرْعه ما حَلَّلَه وحَرَّمَه ، ودعا الأمة بإرساله إلى دِينٍ قَيِّم أعلى بِنَاءَه وأحْكَمَه ؛ ووعدهم على مَفْرُوضه ومَسْنُونه جَزِيلَ الأجْر ، وأمر فى آعتقاد خِلَافه بالدَّفْع والمَنْع والزَّجْر ؛ ٩ وعلى أخيه وآبن عَمِّه أبينا أمير المؤمنينَ عَلِيِّ بن أبى طَالِبٍ أوَّلِ الأئمة الخُلَفاء ، والمُشْتَهِرة فضائِلُه آشتهاراً ليس به من خَفَاء ؛ ومَنْ حَبَاه الله المَحَلَّ الرفيع والمنَّ الجزيل ، وخَصَّه من الشَّرَفِ بما جاء فيه من مُحْكَمِ التَّنْزِيل ؛ وعلى الأئمة من ذُرِّيَّتِهِما ١٢ القائمين بفرض الله والمؤدِّين لحُقُوقه ، والذين كَفَلَتْ أماناتُهم بآنبساط نُورِ الحَقِّ وآنتشارِ لِوَائِه وخُفُوقه ؛ وسَلَّمَ وكَرَّم ، ومَجَّدَ وعَظَّم .

وكتاب أمير المؤمنين إليك يوم كذا عيد الفِطْرِ من سنة إحدى وثلاثين ١٥ وخمسمائة[1] ، الذى أمر الله فيه بما نَهى عنه من قَبْلِهِ ، وضاعف الأجْر بكَرَمِهِ وفَضْله ؛ فرفع تكاليفَ الصَّوْم ، وأوجَبَ الإفطارَ فى هذا اليوم ؛ وساوى فى ذلك بين كُلِّ مُتْهِم ومُنْجِد ، وأمر بَنى آدَمَ فيه بأخْذ الزِّينة عند ١٨ كُلِّ مَسْجِد ؛ وكان من خَبَره أن الفَجْر لمَّا طلع مُبَشِّرًا بالشمس ، ومُؤْذِنًا بِبَعْثِها من الرَّمْس ؛ تتابعت الجُيُوش المَوْفُوره ، والعساكر المنصوره ؛ إلى أبواب القُصُور الزاهرة تَوكُّفًا لأنوار أمير المؤمنين ، وتَرَقُّبًا لظهوره قاضيًا حَقَّ ٢١

---

[1] الوزير هنا هو رِضْوان بن وَلَخْشى . (ابن ميسر : أخبار ١٢٤ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ١٥٩) .

الدِّين ؛ فلما أسفر الصُّبْحُ وأضاء ، وملأت الخلائقُ الفضَاء ؛ تَجلَّى من أفْلاك
إمامته ، وبَرَز فأُغْبِطَ كُلُّ مُؤْمن بثَبَاته علٰى المُشَايَعَة وإقَامَتِه ؛ وكان ظاهرًا
٣ وهو مُحْتَجِبٌ بالأنوار ، ومُمْتَنعا وهو مُنْتَهَبٌ بالأبصار ؛ والكَافَّةُ يُصَافِحُون
الأرض ويَجْتَهِدون فى الدعاء بإخلاص نِيَّاتِهم ، والعساكر المؤيدة لَوْ أنَّها
عَمَّتِ الأرضَ بتَطْبِيقها ، وساوت بين قَرِيبها وسَحِيقها ؛ وصارت كالجبال
٦ الرَّوَاسِى فيها ، لكانت قد تزلزلت ومَادَتْ بأَهْلِيها . وهى مع تَبَايُن أجناسها
وطَوَائِفِها مُتَظَافِرة علٰى مُعَانِدِى الدَّوْلة ومُخَالِفِيها ؛ مُتَلَائِمَةٌ علٰى الوَلَاء ،
مُتَمَالِئَةٌ علٰى الأعداء ؛ تَتَلَفَّتُ إلٰى المُجَاهَدة كأنها الأُسُودُ إقْدامًا وبَاسًا ،
٩ وكأنَّما فُصِّلَتْ جَوامِدُ الغُدْران سِلَاحا لها ولِبَاسًا ؛ والسيِّدُ الأجَلُّ الأفضلُ
التى عَظُمَت به المواهب وجَلَّت ، وذهبت بوِزَارَته الغَيَاهِبُ وتجلَّت ؛ وتهلَّل
بنظره وَجْهُ المِلَّة وكان عَابِسا ، وأعاد الدَّوْلَةَ مُعْصِرًا وقد كانت قبله عَانِسا ؛
١٢ وحَسُنَت الدُّنيا بأيامه إذ ليس فيها مَنْ يُضَاهِيه ، وآنتظَمَت أمورها علٰى الإرادة
بصدورها عن أوامره ونواهيه ؛ تُرَتَّبُ المواكبُ بمَهَابَتِه ، ويُسْتَغْنَى بتَوَغُّلها فى
القلوب عن إيمائِه وإشارَتِه ؛ وكُلُّ طائفة مُقْبِلَةٌ علٰى شانها ، لَازِمَةٌ لمكانها ؛
١٥ مُتَصَرِّفَةٌ علٰى تهذيبه وتقريره ، عاملةٌ بآدابه : فوقُوفُها بوُقُوفِه ومَسِيرُها بمَسِيرِه .

وتوجه أمير المؤمنين إلٰى المُصَلَّى محفوفا بأنوار تُجلى ما أنشأتْه سَنَابِكُ
الخَيْل ، وتَمْحُو آيَةَ نَقْع قام مُثَارُهَا مقام ظَلَام اللَّيل ؛ وعليه من وَقَارِ الإمامة ،
١٨ وسَكِينة الخلافة ؛ ما خَصَّه الله تعالٰى به دون البَرِيَّة وحده ، لأنه مما وَرِث
أُمَيَّةَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله وجدّه ؛ ولما آنتهٰى إليه قَصَد المِحْرَاب
وأمّه ، وأدّى الصَّلَاة أكْمَلَ أداءٍ وأتَمَّه ؛ ثم آنتهٰى إلٰى المِنْبَر فعلاه ، ومجَّدَ
٢١ الله تعالٰى وحَمِدَه علٰى ما أولاه ؛ ووَعَظَ وَعْظًا خَوَّف عاقِبَةَ المعاصى
والذُّنوب ، وحَلَّ وِكاءَ العُيُون وداوٰى مَرَضَ القُلُوب ؛ وأمر بسُلُوك سبيل
الطَّاعات وأفعالِ البر ، وحَثَّ علٰى التَّوَفُّر عليها فى الجَهْر والسِّر ؛ وعاد إلٰى

قُصُوره المكرمة ، ومَوَاطِنِه المُقَدَّسة ؛ وقد بذل فى نُصْحِه لله ولرسوله وللمؤمنين جُهْدَه ، وفَعَل فى الإرشاد والهداية مالا غَايَةَ بَعْدَه .

أنبأك أمير المؤمنين خَبَرَ هذا اليَوْم لتَشْكُرَ الله علىٰ النِّعْمَة فيه ، وتُذِيعه قِبَلَك علىٰ الرسم فيما يُجَاريه ؛ فآعلم هذا وآعمل به إن شاء الله تعالىٰ[1] .

نُسْخَةُ كتاب بالبِشَارة بالسَّلَامَة
فى رُكوب عيد النَّحر مع خُلُوّ الدولة عن وزير
من إنشاء ابن الصَّيْرَفى

أما بعد ، فالحمد لله الذى أعلىٰ مَنَارَ المِلَّة ، وشرَّف مَوَاسِمَ أهل القِبْلَة ؛ وكفَّل أمير المؤمنين أمْرَ الأيَّام ، كما كَفَّلَه أمْرَ الأنام ، فرأىٰ الناسُ من حُسْن سِيرَته أيْقَاظًا مالا يَرَوْنَه مَجَازا فى المَنَام ؛ وصلى الله علىٰ جَدِّنا محمد نبيه الذى أرسله إلىٰ الناس كَافَّة ، وجعل العِصْمَةَ مُحِيطةً به حَافَّة ؛ فأطلع فى ظلام الشِّرك شَمْسَ التوحيد وبَدْرَه ، وآمن به مَنْ شرح للإسلام صَدْرَه ، وعصاه من تمرّد فأثقل الوِزْرُ ظَهْرَه ؛ وبَيَّن عباداتٍ كَرُم أجْرُها وعَظُمَ ثَوَابُها ، وألْزَمَ طاعاتٍ جعل الجَنَّة للعاملين بها مُفَتَّحَةً أبوابُها ؛ وعلىٰ أخيه وآبن عَمِّه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طَالِب مُظَافِرِه ومُظَاهِره ، والمساوى فى حُكْمه بين باطنه وظَاهِرِه ؛ ولم يَزَلْ حاملًا علىٰ المَحَجَّةِ البيضاء جاعلًا ذلك من قُرَبه وذَخَائِره ، قائما بحقوق الله جَاهِدًا فى تعظيم حُرُمَاتِه وشعائره ؛ وعلىٰ مَنْ فى وَعْرِها وسَهْلِها ؛ والذَّابِّين بالمَشْرَفِيَّة عن حِمىٰ الشريعة ، والَّذين مُتَابَعَتُهم من أوْجَه ذَرِيعَه .

وكتاب أمير المؤمنين هذا إليك يوم كذا عِيدِ النَّحْر سنة كذا وكذا : وهو يومٌ أظهر الله فيه قُوَّة الدَّوْلَة وآقْتِدارَها وأوجب فيه — رَغْبَةً ورَهْبَةً — مسارعة

[1] القلقشندى : صبح ٨ : ٣٢١ — ٣٢٤ .

النفوس المخالِفَة إلى الطاعة وآبتدارَها ؛ وذلك أن عساكرَ أمير المؤمنين توجهت
إلى قُصُورِه الزاهرة عند آنفِجَار الفَجْر ، وحافظت على ماتُحْرِزُه من كريم
٣ الثَّوابِ وجَزِيل الأجْر ؛ وآستنزلت الرَّحْمةَ برُؤْيَة إمام الأُمَّة ، وأعَدّتِ
الإخلاصَ فى خِدْمَتِه من أوفى الحُرُمات وأقوى الأذِمَّة ؛ وأقامت إلى أن بَرَز
أميرُ المؤمنين والأنوارُ الساطعةُ طَوَالِعُه ، ومَهَابَتُه تَمْنَع كُلَّ طَرْفٍ من آستقصاء
٦ تَأمُّلِه وتُدَافِعُه ؛ وقَصَدَ المُصَلَّى فى كَتَائِبَ لَجِبَة ، ومَوَاكِبَ للتعظيم
مُسْتَوْجِبَة ؛ وعِزَّةٍ تتبين فى الشَّمائِلِ والصَّفَحَات ، وقُوَّةٍ يشهدُ بطِيبِ وَصْفِها
أرَجُ النَّفَحَات ؛ قد غَدَت عُدَدُها مُحكَّمة ؛ وخيولها مُطَهَّمة ؛ وذَوابِلُها إذا
٩ ظَمِئتْ كانت مُقَوَّمة ، وإذا رَوِيتْ عادت مُحَطَّمة ؛ تتقلَّدُ صفائحَ متى
آنتُضِيَتْ أنصفَتْ من الجَائِرِ الحَائف ، ومتى آقْتَضَبَت عَمَلًا كان آقتِضَابُها
مُبَيِّضًا للصَّحَائف ؛ وفى ظلِّها مَعَاقِلُ لِلّائذين ، وبِحَدِّها مَصَارِعُ للمُنَابِذين ؛
١٢ وهى للدِّماء هَوَارِق ، وللهَامَات فَوَالِق ، ولمُسْتَغْلق البلاد مفاتح ولمُسْتَفْتحها
مَغَالِق .

ولما آنتهى إلى المُصَلَّى قضىْ الصلاةَ أحْسَنَ قَضَاءٍ وأدَّاها أفْضَلَ تأدية ،
١٥ وآستنزل رَحْمَةً لم تَزَلْ بصِلَاته مُتَمَادِيَة ؛ وآنتهى إلى المِنْبَر فرقِيَه ، وخطب
خطبةَ مَنِ آسْتَخْلَفَه الله فكان مُرَاقِبَه ومُتَّقِيَه ؛ ووَعَظَ أبلغ وَعْظ ، وأبان عَمَّا
للعامل بنُصْحِه فى الدُّنيا والآخرة من فائدة وَحَظّ . وعطف على الأضاحِى
١٨ المُعَدَّةِ له فنَحَرَها جَرْيا فى الطاعات على فِعْلِها المُتَهَادِى ، وأضْحَتْ تتوقع
التَّكْميل بإنجازه وَعِيدَه فى الأعادِى ؛ فالله يَقْضِى بتصديقه ، ويَمُنُّ بتخَيُّله
وتحقيقه ؛ وعاد إلى قُصُوره المُكَرَّمة مشكُورًا سَعْيه ، مضمونا نَفْعُه ؛ مرضيًّا
٢١ فعله ، مشمولًا عبيدُه منه بما هو أهْلُه . أعلمك أمير المؤمنين ذلك فاعلم هذا
وآعمل به . وكُتِب فى اليوم المذكور[1] .

---

[1] القلقشندى : صبح ٨ : ٣٢٤ — ٣٢٥ .

نُسْخةُ كتاب بالبِشَارَة بالسَّلامة
فى رُكُوب عيد النَّحر والدَّولة مشتملة على وزير
من إنشاء ابن قادوس[1]

٣

أما بعد ، فالحمد لله مَاحِى دَنَسِ الآثام بالحَجِّ إلى بَيْتِه الحَرَام ، ومُوجِبِ الفَوْزِ فى المَعَادِ لمن عَمِل بمراشد أئمة الهُدىٰ الكِرَام ؛ ومُضَاعِفِ الثَّواب لمَن آجتهد فيما أمر الله به من التَّلْبِيَة والإحْرَام ، ومُخَوِّل الغُفْرَانِ لمن كان بفرائض الحَجِّ ونَوَافِلِه شَديدَ الوُلُوعِ والغَرَام ؛ وصلى الله علىٰ جدّنا محمد الذى لبَّى وأحرم ، وبَيَّن ما أَحَلَّ اللهُ وحَرَّم ؛ وعلىٰ أخيه أبينا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طَالِبِ الذى ضَرَب وكَبَّر ، وحَقَّر من طَغىٰ وتَجَبَّر ؛ وعلىٰ الأئمة من ذرّيَّتِهما أعلامِ الدِّين ، وحُتُوف المُعْتَدِين ؛ وسَلَّم وكَرَّم ، وشَرَّف وعَظَّم .

٦ ٩

وأنَّ من الأيام كَمُلَت محاسِنُها وتَمَّت ، وكَثُرت فضائلُها وجَمَّت ؛ ووجب تخليدُ عِزِّ صِفَاتِها ، وتَعَيَّن تسْطِيرُ تأثيراتها ؛ يَومَ عِيدِ النَّحر من سنة كذا : وكان من قَصَصِه أن الفَجْر لما سَلَّ حُسَامَه ، وأبدَىٰ الصَّباحُ آبتسَامَه ؛ نَهض عبيد الدَّوْلة فى جموع الأولياء والأنصار ، وأُولِى العَزِيمَة والاستبصار ، مُيَمِّمِينَ القُصُور الزاهرة مُتَبَرِّكين بأفْنِيَتِها ، ومُسْتَمْلِين بسعادتها ؛ وتألَّفوا صفوفًا تَبْهَر النواظر ، ويُخْجِلُ تَألُّفها تَألُّفَ زَهْرِ الرَّوْض الناضر ؛ مُسْتَصْحِبِين فُنُونا من الأزْيَاءِ تَرُوق ، ومُسْتَتْبِعِين أصنافًا من الأسلحة يَغُضُّ لَمْعُها من لَمْعِ اللَّهَب والبُرُوق ؛ والأعلام خافِقَة ، والرَّايات بألْسِنَة النَّصر ، علىٰ الإخلاص لإمام العَصْر ، مُتَوافقة ؛ فأقاموا علىٰ تَشَوُّفٍ لظهوره ، وتَطَلُّعٍ للتَّبرُّك بلامِعِ نوره .

١٢ ١٥ ١٨

---

[1] القاضى المفضل كافى الكفاة أبو الفتح محمود بن القاضى الموفق إسماعيل بن حميد الدمياطى ، كاتب الإنشاء بالدهار المصرية ، وشيخ القاضى الفاضل ، كان يسميه « ذا البلاغتين » المتوفى نحو سنة ٥٥٠ هـ . (العماد الأصفهانى : خريدة القصر (قسم مصر) ١ : ٢٢٦ – ٢٣٤ ، أبو شامة : الروضتين ١ : ٢٥٩ ، ابن ميسر : أخبار مصر ١٥٧ ، المقريزى : اتعاظ ٣ : ٢٣٥ .

ولما بزغتْ شمسُ سَعَادته ، وجَرت الأمورُ على إيثاره وإرَادَتِه ؛ وبَدَتْ أنوار الإمامة الجَلِيَّة ، وظهرت طَلْعَتُها المُعَظَّمة البَهِيَّة ؛ خَرَّ الأنامُ سُجُودا بالدعاء ٣ والتمجيد ، والاعترافِ بأنَّهم العبيدُ بَنُو العَبِيد ، وآستقلَّ رِكَاب أمير المؤمنين ، ووزيره السَّيِّد الأَجَلّ الذى قام بنصْرِ الله فى إنْجَادِ أوليائه ، وتَكَفَّل للإسلام برفْعِ مَنَارِه ونَشْرِ لِوَائِه ؛ ونَاضَلَ عن حَوْزَةِ الدِّيْن وجاهد ، وناضَلَ أحزابَ ٦ الكُفَّار وناهد ؛ يقوم بأحكام الوزارة ، وتدبير الدولة تدبير أولى الإخلاصِ والطَّهَارة ؛ ويتَّبع آراءَ أمير المؤمنين فيما تنفد بِه أوامِرُه ، ويعمل بأحكام الصَّوَابِ فيما تقتضيه مَوَارِدُه ومَصَادِرُه ؛ ويُحْسِن السِّيَاسَة والتدبير ، ويَتَوَخَّى ٩ الإصابة فى كُلّ صغير من أمور الدَّوْلة العَلَوِيَّة وكبير ؛ ويُخْلِصُ لله جَلّ وعَزّ ولإمامه ، ويُكَفْكِفُ من الأعداء ببذْل الجُهْدِ فى إعمال لَهْذَمه وحُسَامه .
وسار أمير المؤمنين والعساكرُ متتابعة فى أثَره ، مُتَوَافِقَةٌ على آمتثال أمْرِه ؛ قد ١٢ رفَعَت السَّنَابِكُ من العَجَاجِ سَحَابًا ، وخَيَّلَتْ جُنَنُ الجُنْد للناظرين فى البَرّ عُبَابًا ؛ والجِيَادُ المُسَوَّمَةُ تَمُوجُ فى أعِنَّتِها ، وتختال فى مراكبها وأجِلَّتِها ؛ وتُسْرِعُ فتُكْسِب الرِّياحَ نَشَاطا ، وتفيد المُتَعَرِّض لوَصْفِها إفراطا ، وتُهْدِى ١٥ لمَن يحاول مماثلتها غُلُوًّا وآشْتِطَاطًا ؛ وأصواتٌ مرتفعةٌ بالتهليل ، وأصواتُ الحديد تُسْمِعُ بشائرَ النَّصْر بتَرْجَمَة الصَّلِيل ؛ ويكاد يُرْعِب الأرضَ تَزَلْزُلُ الصَّهِيل ، وتَرُضُّ سَنَابِكُها الهِضَابَ وتغدو صِلَابُها كالكَثِيبِ المَهِيل .

١٨ ولما آنتهى رِكَابُ أمير المؤمنين إلى المُصَلَّى والتوفيق يَكْتَنِفُه ، والسعادة تُصَرِّفه ؛ قَصَد المِحْرَاب فأقام الصلاة ،ونَحَا المنبر فَشَرَّفه إذ عَلَاه ؛ وأَدَّى الصَّلَاة على أكمل الأوضاع وأَتَمِّهَا ، وأجْمَعِ [الأحوال] لمراضى الله ٢١ وأعَمِّها ؛ وآنثنى للبُدْنِ المُعَدَّة فنَحَر ما حَضَرَ تَقَرُّبًا لخَالِقِه ، وأجرى القَانُونَ على حقائقه ؛ وعاد إلى قُصُوره الزاهرة وقد غفر الله بسَعْيِه الذُّنُوب ، وطَهَّر برُؤْيَتِهِ القلوب ، وبَلَّغ الأمم من المَرَاشِد نِهَايَة المطلوب . أعلمك أمير المؤمنين ٢٤ نَبَأَ هذا اليوم الَّذى تشتمل المَسَارُّ على جميعه أوَّلًا وآخِرًا ، وبَاطِنًا وظاهِرًا ؛

لتُذِيعَ نَبأَه فى عَمَل ولَايتك ، وتُشِيعَ خَبَره فى الرعايا على جَارِى عَادَتك ؛ فاعْلَم هذا وآعمل به ، وطالع مَجْلِسَ النَّظَر السيدىّ الأجلّى بما آعتمدْتَه فى ذلك ، إن شاء تعالى . وكُتِب فى اليوم المذكور[١] .

نُسْخَةُ كتاب بالبِشارة بركوب الخليفة فى عيد النّحر كتب به الأستاذ البارع أبو القاسم على بن مُنْجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصَّيْرَفى المنعوت بتاج الرئاسة

« أما بعد ، فالحمد لله الذى رَفَع مَنَار الشَّرع وحَفظ نِظَامة ، ونَشَر راية هذا الدِّين وأوْجَب إعْظَامَه ، وأطْلَع بخِلَافَة أمير المؤمنين كواكب سُعُوده ، وأظْهَر للمُؤالف والمُخَالف عِزَّة أحْزابه وقُوّة جُنُوده ، وجَعَل فَرْعَه ساميًا ناميًا وأصْلَه ثابتًا راسخًا ، وشرَّفه على الأديان بأسرها وكان لعُراها فاصِمًا ولأحْكَامها ناسِخًا .

يَحْمَدُه أمير المؤمنين أن آلزَم طاعته الخليفة ، وجعل كراماته الأسباب الجديرة بالإمارة الخليفة ، ويَرْغَب إليه فى الصَّلاة على جَدّه محمدٍ الذى حَاز الفَخار أجْمَعَه ، وضَمن الجَنَّة لمن آمَنَ به واتَّبع النور الذى أُنْزل معه ، ورَفَعَه إلى أعْلَى مَنْزِلَة تخَيّر له منها المَحَلّ ، وأرْسَلَه بالهُدَى ودين الحَقّ فزَهَق الباطل وخَمَدت نارُه واضمحلّ ، صَلّى الله عليه وعلى أخيه وابن عمّه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب خَيْر الأُمَّة وإمامها ، وخَيْر المِلَّة وبَدْر تمامها ، والموفى يومه فى الطَّاعات على ماضى أمْسِه ، ومَنْ أقامه رسولُ الله ﷺ فى المُبَاهَلَة مقام نَفْسه واختَصّه بأبْعَد غاية فى [٢]الفَخْر وأشْرَفها وأفْضَلها ، فبعثه الله مع [...] المشركين وأنزل[٢] سورة بَراءَة فنادى فى الحج بأوّلها ، ولم يكن غيره ينفذ نفاذه

---

[١] القلقشندى : صبح ٨ : ٣٢٦ - ٣٢٨ .

[٢-٢] زيادة من خزينة وما بين المعقوفتين غير واضح بالأصل .

ولا يَسُدّ مكانه لأنه قال : « لا يُبَلِّغ عنّى إلّا رجل من أهل بيتى » عملًا فى ذلك بما أمر الله به سبحانه ، وعلى الأئمة من ذريتهما خلفاء الله فى أرضه ، والقائمين فى سياسة خَلْقه بصريح الإيمان ومَحْضِه ، والمحكمين من أمر الدِّين مالا وجه لحَلِّه ولا سبيل إلى نقضه ، وسلَّم عليهم أجمعين سلامًا يتَّصل دوامه ولا يخشى إنصرامه ومَجَّد وكَرَّم وشَرَّف وعَظَّم .

وكتابُ أمير المؤمنين هذا إليك يوم الأحد عيد النَّحْر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة الذى تَبَلَّج فجره عن سيئات مُحُصَت ، ونفوس من آثار الذنوب خُلِّصت ، ورحمة امتدَّت ظلالُها وانتشرت ، ومغفرةٌ هنأت ونشرت . وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين بَرَزَ لكافة مَنْ بحضرته من أوليائه متوجهًا لقضاء حَقّ هذا العيد السعيد وأدائه ، فى عترة راسخة قواعدها متمكِّنة ، وعساكر جمَّة تضيق عنها ظروف الأمكنة ، ومواكب تتوالى كتوالى السَّيل ، وتَهاب هيبة مجيئه فى الليل بأسلحة تحْسَر لها الأبصار وتَبْرق ، وترتاع الأفئدة منها وتفرق ، فمن مشرق إذا ورد تورَّد ، ومن سَمْهرى إذا قصد تَقَصَّد ، ومن عمد إذا عمدت تبرَّأت المغافر من ضمانها ، ومنْ قِسِىّ إذا أرسلت بنانها وصلت إلى القلوب بغير استئذانها . ولم يزل سائرًا فى هدى الإمامة وأنوارها وسكينة الخلافة ووقارها إلى أن وَصَل إلى المُصَلَّى قُدَّام المحراب وأدَّى الصلاة إذ لم يكن بينه وبين التقبيل حجاب ، ثم علا المنبر فاستوى على ذروته ، ثم هلَّل الله وكَبَّر ، وأثنى على عظمته وأحسن إلى الكافة بتبليغ موعظته ، وتوجَّه إلى ما أعدّ من البدن فنحره تكميلًا لقربته ، وانتهى فى ذلك إلى ما أمر الله عز وجل . وعاد إلى قصوره المكرَّمة ومنازله المقدّسة قد رضى الله عمله وشكر فعله وتقبَّله .

أعلمك أمير المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه وتذيعه قِبَلك على الرَّسْم مما تجاريه . فاعلم هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى[1] » .

---

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٤٣٧ .

نُسْخَةُ كتاب بالبِشَارَة بوَفَاء النِّيل
من إنشاء
تاجِ الرئاسة أبى القاسم على بن مُنجب بن سليمان الصَّيْرَفى

٣

« أما بعد فإن أَحَقّ ما وجبت به التهنئة والبُشْرَى وغَدَت المَسَار منتشرة تتوالى وتترى ، وكان من اللَّطائف التى غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى ما استدعى الشُّكْر لمُوجِد العالم وخالقه ، وظلَّت النعمة به عامَّة ٦ لصامت الحيوان وناطقه ، وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذى يَسَّره الله تعالى وله الحمد يوم كذا . فإن هذا العَطِيَّة تؤدى إلى خِصْب البلاد وعمارتها ، وشمول المصالح وغزارتها ، وتفضى بتضاعف المنافع والخيرات ، وتكاثر الأرزاق ٩ والأقوات ، ويتساهم الفائدة فيها جميع العباد ، وتنتهى البركة بها إلى كل دان وناء وكل حاضر وباد . فأذِع هذه النعمة قبلك ، وانشرها فى كل من يتدبر عملك ، وحُثَّهم على مواصلة الشكر لهذه الألطاف الشاملة لهم ولك فاعلم ١٢ هذا وأعمل به إن شاء الله تعالى[1] » .

وَكَتَبَ أيضًا

« إن أَولى ما تضاعف به الابتهاج والجذل ، وانفتح به الرجاء واتَّسع الأمَل ١٥ ما عمَّ نَفْعه صامت الحيوان وناطقه ، وأحدث لكل أحد اغتباطًا لزمه وآل أن لا يفارقه ؛ وذلك ما مَنَّ الله به من وفاء النيل المبارك الذى تُحْيى به كل أرض موات ، وتكتسى بعد اقشعرارها حُلَّة النبات ، ويكون سببًا لتوافر ١٨ الأقوات ، فإنه وفى المقدار الذى يحتاج إليه . فلتذع هذه المِنَّة فى القاصى والدانى لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والتهانى إن شاء الله تعالى[2] » .

---

(1) المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٩ . (2) نفسه ١ : ٤٧٩ .

وكتب أيضا

« من لُطْف الله الواجب حَمْده اللازم شكره ، وفضله الذى لا يُمَلّ بِشْره
ولا يُسْأَم ذكره ، ومَنّه الذى استبشر به الأنام وتضاعف فيه الإنعام ، ومَثَّل
الله الحياة به فى قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ
فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ ﴾ [الآية ٢٤ سورة يونس] ،
أمر النيل المبارك الذى يعمّ النجود والتهائم ، وتنتفع به الخلائق وترتع فيما يُظهره
البهائم .

وقد تَوَجَّه إليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فُلانٌ فاجْره على رَسْمِه فى
إظهاره مجملًا ، وإيصاله إلى رسمه مكملًا ، وإذاعة هذه النعمة على الكافة
ليتساهموا الاغتباط بها ، ويبالغوا فى الشُّكْر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى
حَسْبِها . فاعلم ذلك وأعمل به إن شاء الله تعالى[1] » .

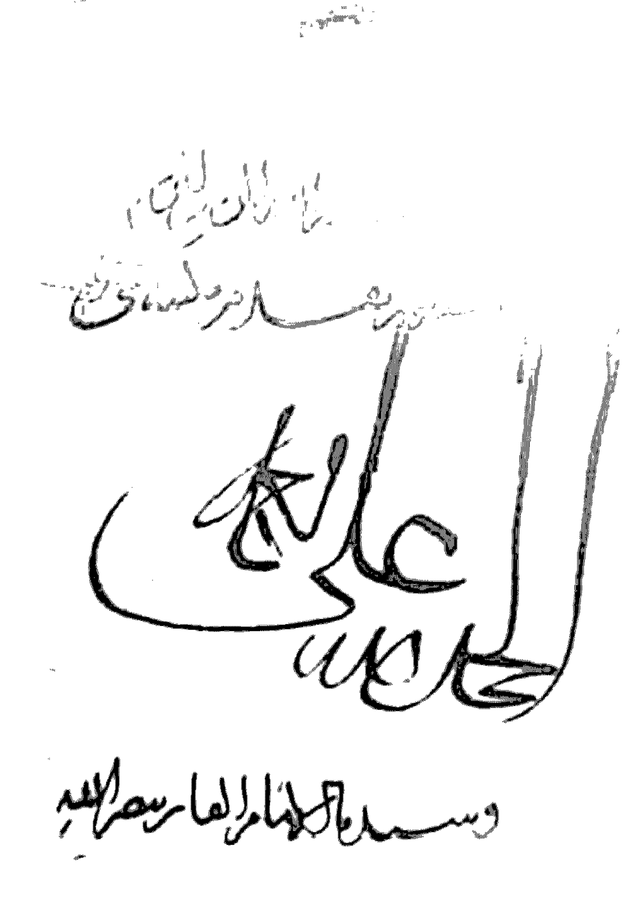
---

[1] المقريزى : الخطط ١ : ٤٧٩ .



« الحمد لله على آلائه » ، علامة الخليفة الحافظ لدين الله ، كما جاءت على منشور موجّه إلى رهبان دير سانت كاترين بسيناء مؤرّخ سنة ٥٣٠ / ١١٣٦ (Stern, S.M., *Fatimid Decrees*, pl. 17).





« الحمد لله على نِعَمِه » ، علامة الوزير الصَّالح طَلاَئِع بن رُزِّيك كما جاءت على منشور موجَّه إلى رهبان دير سانت كاترين مؤرَّخ سنة ٥٥١ / ١١٥٦ (Stern , S.M., *Fatimid Decrees*, pl. 33).

ثَبَتُ المَصادِر والمراجع وبَيان طبعاتها

الأبشيهى (بهاء الدين أبو الفتح محمد بن أحمد المحلى) المتوفى سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م .
« المُستَطْرَف فى كل فن مُسْتَظرَف » ، ١ - ٢ ، بيروت - دار مكتبة الحياة ١٩٨٧ .
ابن الأثير (عِزّ الدين أبو الحسن على بن محمد) المتوفى سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م .
« الكامل فى التاريخ » ، ١ - ١٣ ، بيروت - دار صادر ١٩٦٥ - ١٩٦٧ .
أحمد عبد المجيد هريدى .
« فهرست خِطَط مصر - فهرس تحليلى لكتابى ابن دقماق والمقريزى عن مصر » ،
١ - ٣ ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٣ - ١٩٨٤ .
أحمد فكرى .
« خصائص عمارة القاهرة فى العصر الأيوبى » ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ،
القاهرة ١٩٧٠ ، ١ : ١٦١ - ١٩٢ .
« مساجد القاهرة ومَدَارسها » ، الجزء الثانى - العصر الأيوبى ، القاهرة - دار المعارف
١٩٦٩ .
الإدريسى (أبو جعفر محمد بن عبد العزيز بن عبد الرحمٰن) المتوفى سنة ٦٤٩ هـ / ١٢٥١ م .
« أنوار عُلُوّ الأجرام فى الكشف عن أسرار الأهرام » ، إعداد أرسولا سركين ، طبع
بالتصوير عن مخطوطة مكتبة جون رايلاندس بمانشستر رقم ٢٦٢ ، فرانكفورت - معهد
تاريخ العلوم العربية والإسلامية ١٩٨٨ .
أُسَامَة بن مُنْقِذ (الأمير أبو المُظَفَّر مؤيّد الدولة مجد الدين أسامة بن مُرْشِد بن على بن مُنْقِذ الشَّيْزَرى)
المتوفى سنة ٥٨٤ هـ / ١١٨٨م
« كتاب الاعْتبَار » ، تحقيق وتقديم قاسم السَّامرَّائى - الرياض ١٩٨٧ .
أمية بن أبى الصَّلْت (أبو الصَّلْت أمية بن عبد العزيز الأندلسى) المتوفى سنة ٥٢٨هـ / ١١٣٣م .
« الرِّسَالة المصرية » ، تحقيق عبد السلام هارون ، نوادر المخطوطات - ١ ، القاهرة ١٩٥١ ،
٥ - ٥٦ .
ابن إيَّاس (أبو البركات محمد بن أحمد بن إيّاس الحنفى) المتوفى ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤م .
« بَدَائِعُ الزُّهور فى وَقَائع الدُّهور » ، الجزء الأول - القسم الأول ، تحقيق محمد مصطفى ،
النشرات الإسلامية ٥ / ١ - ١ ، القاهرة ١٩٧٥ .
ابن أَيْبَك الدَّوادارى (أبو بكر عبد الله بن أَيْبَك) المتوفى بعد سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٥ م .
« كَنْزُ الدُّرر وجامع الغُرَر » ، الجزء السادس المسمى « الدُّرَّة المُضِيَّة فى أخبار الدَّولة
الفاطمية » ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة - المعهد الألمانى للآثار ١٩٦١ .

أيمن فؤاد سيد .

« تاريخ المذاهب الدينية فى بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجرى » ، القاهرة – الدار المصرية اللبنانية ١٩٨٨ .

« دراسة نقدية لمصادر تاريخ الفاطميين فى مصر » ، دراسات عربية وإسلامية مهداة إلى أديب العربية الكبير أبى فهر محمود محمد شاكر بمناسبة بلوغه السبعين ، القاهرة ١٩٨٢ ، ١٢٩ – ١٧٩ .

« مصادر تاريخ اليمن فى العصر الإسلامى » ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٤ .

وانظر : جومار وابن الصَّيْرَفى وابن فَضْل الله العُمَرى وابن المأمون والمُسَبِّحى وابن مُيَسَّر .

البَغْدَادى (محمد بن الحسن بن محمد بن الكريم الكاتب) توفى بعد سنة ٦٢٣هـ / ١٢٢٦م .

« كتاب الطَّبيخ » ، نشره داود الجلبى ، الموصل ١٩٣٤ .

ابن جُبَيْر (أبو الحسين محمد بن أحمد الكُنانى) المتوفى سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م .

« رحلة ابن جُبَيْر » ، بيروت ١٩٦٧ .

الجَوَاليقى (أبو منصور موهوب بن أحمد) المتوفى سنة ٥٤٠هـ / ١١٤٥م .

« المُعَرَّب من الكلام الأعجمى » ، حقّقه وشرحه أحمد محمد شاكر ، القاهرة – دار الكتب المصرية ١٣٦١ .

جومار (إدم فرنسوا جومار) المتوفى سنة ١٨٦٢م .

« وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل » من كتاب « وَصْف مصر » ، نقله عن الفرنسية وقدَّم له وعلّق عليه أيمن فؤاد سيد ، القاهرة ١٩٨٨ .

ابن الجَيْعان (شرف الدين أبو زكريا يحيى بن شاكر بن عبد الغنى) المتوفى سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م .

« التُّحفة السَّنِيَّة بأسماء البلاد المصرية » ، نشره موريتز ، القاهرة ١٨٩٨ .

ابن حَجَر العَسْقَلانى (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن على) المتوفى سنة ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م .

« رَفْعُ الإصْر عن قضاة مصر » ، الجزء الأول فى قسمين تحقيق حامد عبد المجيد وآخرين ، القاهرة – الإدارة العامة للثقافة – وزارة التربية والتعليم ١٩٥٧ – ١٩٦١ .

حسن الباشا .

« الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية » ، ١ – ٣ ، القاهرة – دار النهضة العربية ١٩٦٥ – ١٩٦٦ .

ابن حمّاد (أبو عبد الله محمد بن على الصّنهاجى) المتوفى سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م .
« أخبار ملوك بنى عُبَيْد » ، نشره م . فوندرهايدن ، الجزائر ١٩٢٧ .
ابن حَنْبَل (أبو عبد الله أحمد بن محمد الشّيبانى الوائلى) المتوفى ٢٤١هـ / ٨٥٥م .
« المُسْنَد » ، ١ - ١٥ ، نشرة أحمد محمد شاكر، القاهرة دار المعارف ١٩٥٠ - ١٩٥٦ .

ابن خَلْدون (ولىّ الدين أبو زَيْد عبد الرحمٰن بن محمد بن محمد الحَضْرَمى الإشبيلى) المتوفى سنة ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م .
« العِبَرُ وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والعجم والبربر » ، ١ - ٧ بولاق ١٢٨٤هـ .
ابن خَلِّكان (شمس الدين أبو العبّاس أحمد بن محمد) المتوفى سنة ٦٨١هـ / ١٢٨٢م .
« وَفَياتُ الأعْيان وأنباء أبناء الزمان » ، ١ - ٨ ، تحقيق إحسان عبّاس ، بيروت - دار صادر ١٩٦٩ - ١٩٧٢ .

ابن دُقْمَاق (صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيْدَمُر العلائى) المتوفى سنة ٨٠٩هـ / ١٤٠٦م .
« الانْتِصارُ لواسطة عَقْد الأمصار » ، ٤ - ٥ ، نشره فولرز ، القاهرة ١٨٩٤ .

الذَّهَبى (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز) المتوفى سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٧م .
« العِبَرُ فى خَبَر من غَبَر » ، ١ - ٥ ، تحقيق صلاح الدين المنجد وفؤاد سيّد ، الكويت - سلسلة التراث العربى ١٩٦٠ - ١٩٦٥ .
« تاريخُ الإسلام » ، الطبقة الثانية والستون ٦١١ - ٦٢٠ ، حقّقه وضبط نصّه بشّار عوّاد معروف وشعيب الأرنؤوط وصالح عباس ، بيروت - مؤسسة الرّسالة ١٩٨٨ .

الرُّشيد بن الزُّبير (رشيد الدين أبو الحسين أحمد بن على بن إبراهيم ... بن الزُّبير الأسْوانى) المتوفى سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٦م .
« الذَّخائرُ والتُّحَف » ، تحقيق محمد حميد الله ، الكويت - سلسلة التراث العربى ١٩٥٩ .

الزَّبيدى (أبو الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الملقب بمُرْتضى) المتوفى سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م .
« تاجُ العروس من جواهر القاموس » ، ١ - ١٠ ، مصر ١٣٠٦ - ١٣٠٧هـ .
زكى محمد حسن المتوفى سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .
كنوزُ الفاطميين » ، القاهرة - دار الآثار العربية ١٩٣٧ .
ابن الزَّيّات (شمس الدين أبو عبد الله محمد الأنصارى) المتوفى سنة ٨١٤هـ / ١٤١١م .
« الكواكب السَّيّارة فى ترتيب الزيارة » ، بولاق ١٣٢٥هـ .

ساويرس بن المُقَفَّع ، أسقف الأشمونين .
« تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية » المعروف « بسِيَر البِيْعَة المقدّسة » (المنسوب إلى) ، ٢ - ٤ ، نشره : يَسّى عبد المسيح وعزيز سوريال عطية وأزولد بورمستر وأنطون خاطر ، القاهرة - جمعية الآثار القبطية ١٩٥٩ - ١٩٧٤ .
سِبْط ابن الجَوْزى (شمس الدين أبو المُظَفَّر يوسف بن قِزْأُوغلى) المتوفى سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م .
« مِرْآة الزمان فى تاريخ الأعيان » ، المجلد الثامن ، حيدر آباد الدكن - الهند ١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ .
السُّبْكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن على) المتوفى سنة ٧٧١هـ / ١٣٦٩م .
« طبقات الشّافعية الكبرى » ١ - ١٠ ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحى ، القاهرة ١٩٦٣ - ١٩٧٦ .
السِّجِلّات المستنصرية .
« سِجِلّات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، إلى دعاة اليمن وغيرهم قَدَّس الله أرواح جميع المؤمنين » ، تحقيق عبد المنعم ماجد ، القاهرة - دار الفكر العربى ١٩٥٤ .
ابن سَعيد (على بن سعيد المغربى) المتوفى سنة ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م .
« المُغْرِبُ فى حُلَى المَغْرِب » ، القسم الخاص بالفسطاط ، حقّقه زكى محمد حسن وآخرون ، القاهرة - جامعة فؤاد الأول ١٩٥٣ .
« النجوم الزّاهرة فى حُلَى حضرة القاهرة » ، تحقيق حسين نصّار ، القاهرة - مركز تحقيق التراث ١٩٧٢ .
سِهَام مصطفى أبو زيد .
« الحِسْبَة فى مصر الإسلامية من الفتح العربى إلى نهاية العصر المملوكى » ، القاهرة ١٩٨٦ .

أبو شَامَة (شهاب الدين عبد الرحمٰن بن إسماعيل المقدسى) المتوفى سنة ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م .
« الرَّوْضتين فى أخبار الدولتين » ، الجزء الأول فى قسمين ، تحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة ١٩٥٦ - ١٩٦٢ .
ابن شَدّاد (بهاء الدّين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم) المتوفى سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٩م .
« النّوادِرُ السُّلْطانية والمَحَاسِن اليوسفية » أو « سيرة صلاح الدّين » ، تحقيق جمال الدين الشّيّال ، القاهرة الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٤ .
الشّيّال ، جمال الدين المتوفى سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م .
« مجموعة الوَثائق الفاطمية » ، القاهرة - الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ١٩٥٨ .

أبو صالح الأرْمَنِّى = أبو المكارم سعد الله .

الصَّفَدى (صلاح الدين خليل بن أَيْبَك) المتوفى سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م .
« الوافى بالوفيات » ، ١ – ١٨ و ٢٢ ، تحقيق مجموعة من العلماء (النشرات الإسلامية ٦) ، استامبول – بيروت ١٩٤٩ – ١٩٨٨ .

ابن الصَّيْرَفى (تاج الرِّئاسة أبو القاسم على بن منجب بن سليمان) المتوفى سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٨م .
« الإشَارَة إلى مَنْ نال الوزارة » ، نشره عبد الله مخلص فى مجلة BIFAO XXV (1925), pp. 49 - 112 ; XXVI (1926), pp. 49 - 70.
« قانون ديوان الرِّسائل » ، نشره على بهجت ، القاهرة ١٩٠٥ .
« القانون فى ديوان الرِّسائل والإشارة إلى مَنْ نال الوزارة » ، حققهما وكتب مقدمتهما وحواشيهما ووَضَع فهارسهما أيمن فؤاد سيِّد ، القاهرة – الدار المصرية اللبنانية ١٩٩٠ .

طَرْخان ، إبراهيم على .
« النُّظُم الاقطاعية فى الشرق الأوسط فى العصور الوسطى » ، القاهرة ١٩٦٨ .

الطَّرَسُوسى (مَرْضى بن على بن مَرْضى الطَّرَسُوسى) المتوفى ٥٨٩هـ / ١١٩٣م .
« تَبْصِرَة أرباب الألباب فى كيفية النجاة فى الحروب من الأسواء ونَشْر أعلام الأعلام فى العُدَد والآلات المعينة على لقاء الأعداء » ، ألَّفه لصلاح الدين الأيوبى ، عني بنشره كلود كاهن بعنوان Cahen, Cl., « Un traité d'armurerie composé pour Saladin », *BEO* XII (1947 - 48), pp. 103 - 163.

ابن ظَافِر (جمال الدين أبو الحسن على بن أبى منصور ظافر الأزْدى) المتوفى سنة ٦١٢هـ / ١٢١٥م .
« أخبار الدُّول المنقطعة » ، دراسة تحليلية للقسم الخاص بالفاطميين مع مقدّمة وتعقيب أندريه فريه ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٢ .

ابن ظَهِيرَة (علّه أبو إسحاق إبراهيم بن على بن محمد) المتوفى سنة ٨٩١هـ / ١٤٨٦م .
« الفَضَائل الباهرة فى محاسن مصر والقاهرة » ، حقَّقه مصطفى السَّقَّا وكامل المهندس ، القاهرة ١٩٦٩ .

عبّاس حلمى كامل .
« تطوُّر المسكن المصرى الاسلامى من الفتح العربى إلى الفتح العثمانى » ، رسالة دكتوراه بجامعة القاهرة ١٩٦٨ .

أبو عُبَيْد البَكْرى (عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسى) المتوفى سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م .

« جغرافية مصر من كتاب الممالك والمسالك » ، بحث وتحقيق عبد الله يوسف الغنيم ، الكويت ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

ابن عِذَارى (أبو عبد الله محمد بن محمد المَرّاكِشِى) المتوفى نحو سنة ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م .

«البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب » ، ١ - ٤ ، تحقيق ج . س . كولان و إ . ليفى بروفنسال ، ليدن ١٩٤٨ .

على بَهْجَت وألبير جبرييل .

« حَفَائِرُ الفُسْطاط » ، القاهرة - دار الآثار العربية ١٩٢٧ .

على بن خَلَف ، أحد كُتّاب الدَّوْلة الفاطمية ، المتوفى بعد سنة ٤٣٧هـ / ١٠٤٦م .

« مَوَاد البيان » فى ترتيب الكتابة للدولة الفاطمية ، ألّفه سنة ٤٣٧ ، تحقيق حسين عبد اللطيف ، منشورات جامعة الفاتح بليبيا ١٩٨٢ .

وبدأت مجلة المورد فى نشر كتاب مواد البيان فى المجلد ١٧ / ١ (١٩٨٨) ، ١٤٣ - ١٧٢ بتحقيق حاتم صالح الضامن الذى لم يتعرَّف على طبعة حسين عبد اللطيف .

على مُبَارَك (بن سليمان الرُّوجى) المتوفى سنة ١٣١١هـ / ١٨٩٣م .

« الخِطَط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة » ، ١ - ٢٠ ، بولاق ١٣٠٤ ؛ وصدرت عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية ، طبعة ثانية ظهر منها إلى الآن سبعة أجزاء ١٩٦٩ - ١٩٨٧ .

العمَاد الأصْفَهانى (أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبو الفرج الكاتب) المتوفى سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م .

« خَرِيدة القَصْر وجَرِيدة العَصْر » قسم شعراء مصر ، ١ - ٢ ، تحقيق أحمد أمين وشوقى ضيف وإحسان عبّاس ، القاهرة - لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥١ .

عماد الدِّين الأُصْفَهانى من علماء القرن السادس / الثانى عشر .

« البُستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان » ، حقَّقه كلود كاهن Cahen , Cl.,

« Une chronique syrienne du VI° / XII° siècle », *BEO* VII - VIII (1937 - 38), pp. 113 - 158.

عُمَارة اليمنى (نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبى الحسن على الحَكَمى) المتوفى سنة ٥٦٩ هـ / ١١٧٤ م .

« تاريخ اليمن » ، نشره حسن سليمان محمود ، القاهرة - مكتبة مصر ١٩٥٧ .

« النُكَت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية » ، تحقيق هرتويغ درنبرغ ، شالون ١٨٩٧ .

العَيْنى (بدر الدين أبو محمد بن أحمد بن موسى) المتوفى سنة ٨٥٥هـ / ١٤٥١م .

« السَّيْف المُهنَّد فى سيرة الملك المُؤيَّد » ، حقَّقه وقدَّم له فهيم محمد شلوت ، القاهرة ١٩٦٧ .

أبو الفِدا (المؤيد إسماعيل بن على صاحب حماه) المتوفى سنة ٧٣٢هـ / ١٣٣١م .
« تقويم البلدان » ، نشره رينو ودى سلان ، باريس ١٨٤٠ .
« المختصر فى أخبار البشر » ، ١ - ٤ ، مصر ١٣٢٥هـ .
ابن الفُرات (ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن على الحَنفى) المتوفى سنة ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م .
« تاريخُ الدُّوَل والملوك » ، ١ - ٣ ، مخطوطة مكتبة فينا رقم ٨١٤ (مصورة فى المكتبة التيمورية برقم ٢١١٠ تاريخ) .
الرابع فى قسمين والخامس بتحقيق حسن الشَّمَّاع فى البصرة ١٩٦٧ - ١٩٧٠ .
ابن فَرْحُون (برهان الدين إبراهيم بن على بن محمد اليعمرى) المتوفى سنة ٧٩٩هـ / ١٣٩٧م .
« الدِّيباجُ المُذْهب فى تراجم أعيان المذهب » ، ١ - ٢ ، تحقيق محمد الأحمدى أبو النور ، القاهرة ١٩٧٩ .
فريد شافعى .
« العمارة العربية فى مصر الإسلامية - عصر الولاة » ، القاهرة ١٩٧٠ .
ابن فَضْل الله العُمَرى (شهاب الدين أحمد بن يحيى) المتوفى سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م .
« مَسَالِكُ الأبصار فى مَمالك الأمْصار » - ممالك مصر والشام والحجاز واليمن ، حقّقها وكتب مقدّمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيّد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٥ .
ابن فَهْد (نجم الدين محمد بن محمد المكى) المتوفى سنة ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م .
« إتحاف الوَرَى بأخبار أم القرى » ، ١ - ٣ ، تحقيق وتقديم فهيم محمد شلتوت ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة ١٩٨٣ - ١٩٨٤ .
الفِيرُوزَابادى (مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب بن محمد الشِّيرازى) المتوفى سنة ٨١٧هـ / ١٤١٥م .
« القاموس المحيط » ، بيروت - مؤسسة الرِّسالة ١٩٨٧ .

قاسم عبده قاسم .
« أهْلُ الذمة فى مصر العصور الوسطى - دراسة وثائقية » ، القاهرة - دار المعارف ١٩٧٧ .
القاموس المحيط = الفِيرُوزابادى .
ابن القَطَّان (... ابن أبو الحسن على بن محمد الكُتامى) عاش فى القرن السابع / الثالث عشر .
جزء من كتاب « نُظْم الجُمَان » ، حقَّقه محمود على مكى ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس بالرباط د . ت .
القِفْطى (جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف) المتوفى سنة ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م .
« إنباهُ الرُّواه على أنباه النحاة » ، ١ - ٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة - دار الكتب المصرية ١٩٥٠ - ١٩٧٣ .

ابن القَلانِسى (أبو يعلى حمزة بن أسد التميمى) المتوفى سنة ٥٥٥هـ / ١١٦٠م .
« ذَيْل تاريخ دمشق » ، حقّقه آمدروز ، بيروت ١٩٠٨ .
القَلْقَشَنْدى (أحمد بن على بن أحمد الفَزَارى) المتوفى سنة ٨٢١هـ / ١٤١٨م .
« صُبْح الأعْشَى فى صِناعَة الإنْشا » ، ١ - ١٤ ، القاهرة - دار الكتب المصرية ١٩١٢ - ١٩٣٨ .
« ضَوْءُ الصُّبْح المُسْفِر وجَنْى الدَّوح المُثْمر » ، عنى بطبعه وتصحيحه محمود سلامة ، القاهرة ١٩٠٦ .

الكِنْدى (أبو عمر محمد بن يوسف) المتوفى بعد سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٦م .
« كتاب الولاة وكتاب القضاة » ، نشره ر . جست GMS ، ليدن - لندن ١٩١٢ .

لِسَان العرب = ابن منظور .

ماجد ، عبد المنعم .
« نُظُم الفاطميين ورُسُومهم فى مصر » ، ١ - ٢ ، القاهرة - مكتبة الأنجلو ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .
ابن المأمون (الأمير جمال الدين أبو على موسى بن المأمون البَطَائحى) المتوفى سنة ٥٨٨هـ / ١١٩٢م .
« أخبار مصر - نصوصٌ من » ، حَقَّقها وكتب مقدّمتها وحواشيها ووضع فهارسها أيمن فؤاد سيد ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٨٣ .
مجهول المؤلّف (كاتب مرّاكشى من كُتّاب القرن السادس / الثانى عشر) .
« كتابُ الاستِبْصار فى عجائب الأمصار - وصف مكة والمدينة ، ومصر ، وبلاد المغرب » ، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد ، كلية الآداب - جامعة الإسكندرية ١٩٥٨ .
أبو المَحَاسِن (جمال الدين يوسف بن تغرى بردى) المتوفى سنة ٨٧٤هـ / ١٤٧٠م .
« النُّجومُ الزَّاهرة فى ملوك مصر والقاهرة » ، ١ - ١٢ ، بتعليقات محمد بك رمزى ، القاهرة - دار الكتب المصرية ١٩٢٩ - ١٩٥٦ .
« المَنْهَل الصَّافى والمُسْتَوْفى بعد الوَّافى » ، ١ - ٤ ، تحقيق محمد محمد أمين ونبيل عبد العزيز ، القاهرة - مركز تحقيق التراث ١٩٨٤ - ١٩٨٦ .
محمد رمزى بك المتوفى سنة ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م .
« القاموس الجغرافى للبلاد المصرية » ، ١ - ٥ ، القاهرة - دار الكتب المصرية ١٩٥٣ - ١٩٦٨ .

محمد عبد العزيز مرزوق .
« الزَّخْرَفة المَنْسُوجة فى الأَقْمِشَة الفاطمية » ، القاهرة – دار الآثار العربية ١٩٤٢ .
محمد كامل حسين المتوفى سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م .
« فى أدب مصر الفاطمية » ، القاهرة – دار الفكر العربى ١٩٧٠ .
محمد محمد أمين .
« الأوقاف والحياة الاجتماعية فى مصر ٦٤٨ – ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ – ١٥١٧م – دراسة تاريخية وثائقية » ، القاهرة – دار النهضة العربية ١٩٨٠ .
محمود أحمد .
« جامع عمرو بن العاص بالفسطاط من الناحيتين التاريخية والأثرية » ، القاهرة ١٩٣٨ .
المَخْزُومِى (القاضى السعيد ثقة الثِّقات ذو الرياستين أبو الحسين على بن أبى عمرو عثمان بن يوسف) المتوفى سنة ٥٨٥هـ / ١١٨٩م .
« المِنْهاجُ فى أحْكام خَرَاج مِصْر » ، تحقيق كلود كاهن ، ***Suppl. aux An. Isl.*** **- cahier n°8, Le Caire 1986.**

مخطوطة المتحف البريطانى رقم Add. 23483
المُسَبِّحِى (الأمير المختار عِزّ المُلْك محمد بن عبيد الله) المتوفى سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م .
« أخبار مِصْر » ، الجزء الأربعون (القسم التاريخى) ، حقَّقه أيمن فؤاد سيِّد وتيارى بيانكى ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٧٨ .
« نُصُوصٌ ضائعة من أخبار مصر » ، اعتنى بجمعها ونشرها أيمن فؤاد سيِّد ***An. Isl.*** **XVII** (1981) ، صفحة ١ – ٥٤ .
المَسْعُودى (أبو الحسن على بن الحسين) المتوفى سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٦م .
« مُرُوج الذَّهب ومَعَادن الجَوْهَر » ، ١ – ٧ طبعة بربيه دى مينار وبافيه دى كورتاى وتصحيح شارل بلا ، بيروت – الجامعة اللبنانية ١٩٧٠ – ١٩٧٩ .
المَقْرِيزى (تقى الدين أحمد بن على) المتوفى سنة ٨٤٥هـ / ١٤٤١م .
« اتِّعاظ الحُنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا » ، ١ – ٣ ، الأول بتحقيق جمال الدين الشيّال والثانى والثالث بتحقيق محمد حلمى محمد أحمد ، القاهرة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٦٧ – ١٩٧٣ .
« إغَاثَةُ الأمة بكشف الغُمَّة » ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال ، القاهرة ١٩٥٧ .
« الخطَط » المعروف « بالمَوَاعظ والاعتبار بذكر الخِطَط والآثار » ، ١ – ٢ ، بولاق ١٢٧٠ ومخطوطة مكتبة خزينة باستامبول رقم ١٤٧٢ ومخطوطة ميونخ رقم ١١٦ ومخطوطة ليدن رقم ٣٧٢ ، ونشرة G. Wiet المعهد العلمى الفرنسى بالقاهرة ١٩١١ – ١٩٢٧ .

وانظر أحمد عبد المجيد هريدى .
« السُّلوك لمعرفة الدول والملوك » ، ١ - ٤ ، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٧٢ .
« المُقَفَّى الكبير » ، مخطوطة مكتبة السليمية رقم ٤٩٦ ومخطوطة المكتبة الأهلية بباريس رقم ٢١٤٤ ومخطوطة مكتبة ليدن رقم ١٣٦٦ .
أبو المَكَارِم (المؤتمن أبو المكارم سعد الله بن جرجس بن مسعود) عاش فى القرن السادس / الثانى عشر .
« تاريخ الكنائس والأديرة » ، ١ - ٢ ، إعداد وتعليق الراهب صموئيل السريانى ، القاهرة ١٩٨٤ ، والجزء الثانى بتحقيق B. T. A. Evetts لندن ١٨٩٥ . عندما نشر Evetts الجزء الثانى ، اعتمادًا على نسخة باريس ، نسب هذا الكتاب إلى أبى صالح الأرمنى . ولكن نسخة خطية مؤرخة فى سنة ١١٩١م ، كانت فى ملك أحد أقباط طنطا ، أطُّلع عليها على مبارك الذى استفاد منها كثيرًا فى الجزء السادس من خِططِه وهو يتكلّم عن كنائس القاهرة ، تثبت أن مؤلّف الكتاب هو المؤتمن أبو المكارم سعد الله (Iscarus, T., « Un nouveau manuscrit sur les églises et monastères de l'Egypte au XII° siècle » dans *Congrès International de Géographie*, Avril 1925, Le Caire 1926, V, pp. 207 - 208. وقد نشر الراهب صمويل الكتاب اعتمادًا على صورة لهذه المخطوطة التى أُخرجت للأسف خارج مصر . وهذه النشرة ، التى كتبها ناشرها بخط يده ، لا تتناسب مع قيمة الكتاب وأهميته وفى حاجة إلى إعادة نشر بمنهج علمى .
ابن مَمَّاتى (أبو المكارم أسعد بن مهذَّب الخطير أبى سعيد بن مينا) المتوفى سنة ٦٠٦هـ / ١٢٠٩م .
« قوانين الدَّواوين » ، حقَّقه عزيز سوريال عطية ، القاهرة - الجمعية الملكية الزراعية ١٩٤٣ .
المَنَاوى ، محمد حمدى .
« الوزارة والوزراء فى العصر الفاطمى » ، القاهرة - دار المعارف ١٩٧٠ .
المُنْذِرى (زكىّ الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوى) المتوفى سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م .
« التكملة لوفيات النَّقَلَة » ، ١ - ٤ ، حقَّقه وعلَّق عليه بشّار عوّاد معروف ، بيروت - مؤسسة الرسالة ١٩٨١ .
ابن مَنْظُور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن على الأنصارى الإفريقى) المتوفى سنة ٧١١هـ / ١٣١١م .
« لِسَانُ العرب » ، ١ - ٢٠ ، بولاق ١٣٠٠ - ١٣٠٧هـ .
ابن مُيَسَّر (تاج الدين محمد بن على بن يوسف بن جَلَب راغب) المتوفى سنة ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م .
« أخبارُ مصر - المنتقى من » انتقاه تقىّ الدين المقريزى ، حقَّقه وكتب مقدمته وحواشيه ووضع فهارسه أيمن فؤاد سيد ، القاهرة - المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ١٩٨١ .
النابُلُسى (علاء الدين أبو عمر عثمان بن إبراهيم بن خالد بن محمد القُرَشى) المتوفى سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦١م .
« تاريخ الفَيُّوم وبلاده » نشره موريتز ، القاهرة ١٨٩٩ .

« تجريد سيف الهِمَّة لاستخراج ما فى ذِمَّه الذِّمَّة » ، نشر كلود كاهن أقسامًا منه بعنوان
Cahen , Cl., « Histoires Coptes d'un Cadi Médiéval » , *BIFAO* LIX (1960) pp. 133 - 150 .

«لُمَعُ القوانين المُضِيَّة فى دواوين الديار المصرية » نشره كارل بيكر وكلود كاهن فى مجلة *BEO* XVI (1961)

ناصرى خسرو (قام برحلته بين سنتى ٤٣٧ - ٤٤٤هـ / ١٠٤٥ - ١٠٥٢م) .

« سَفَرْنامة » ، ترجمة يحيى الخشاب ، بيروت - دار الكتاب الجديد ١٩٧٢ .

النَّخيلى ، درويش .

« السُّفُن الإسلامية على حروف المعجم » ، جامعة الإسكندرية ١٩٧٤ .

النُّوَيْرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكرى الشافعى) المتوفى سنة ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م .

« نهاية الأرب فى فنون الأدب » ، ج ٢٦ مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ معارف عامة . والجزء الثامن من طبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٣١ .

ابن وَاصِل (جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن نصر الله التميمى الحموى) المتوفى سنة ٦٩٧هـ /١٢٩٨م .

« مُفَرِّج الكروب فى أخبار بنى أيوب » ، ١ - ٣ ، تحقيق جمال الدين الشيَّال ، القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٦٠ ، ٤ - ٥ ، تحقيق حسنين محمد ربيع ، القاهرة ١٩٧٢ - ١٩٧٧ .

ياقوت الحموى (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرُّومى) المتوفى سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م .

« مُعْجَم الأدباء » ، ١ - ٢٠ ، نشرة أحمد فريد رفاعى ، القاهرة ١٩٣٦ .

« معجم البلدان » ، ١ - ٦ ، نشرة فرديناند وستنفلد ، ليبتسج ١٨٦٦ - ١٨٧٠ .

يحيى بن سعيد الأنطاكى المتوفى سنة ٤٥٨هـ / ١٠٦٦م .

« تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى » نشره مع كتاب « التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق » لسعيد بن البطريق ، لويس شيخو اليسوعى ، بيروت ١٩٠٩ .

* * *

Behrens - Abouseif, D., « The North - Eastern Extension of Cairo under the Mamluks », *An. Isl*. XVII (1981), pp. 157 - 190.

Beshir, B.I., « Fatimid Military Organization », *Der Islam* LV/1 (1978), pp. 37 - 65.

Bianquis, Th., « Al - Hâkim bi Amr Allâh ou la folie de l'unité chez un souverain fatimide », *Les Africains* XI (1978), pp. 107 - 133.

Brockelmann. C., *GAL = Geschichte der arabischen Litteratur*, Bd. I-II, Leiden 1943, Suppl. I-III, Leiden 1937 - 42.

Cahen, Cl., « L'Administration financière de l'armée fatimide d'après al - Makhzûmî », *JESHO* XV (1972), pp. 163 - 182.

----------., « L'Historiographie arabe des origines au VII°s. H »., *Arabica* XXXIII (1986), pp. 133 - 198.

----------., « Quelques chroniques anciennes relatives aux derniers Fatimides », *BIFAO* XXXVII (1937 - 38), pp. 1 - 27.

----------., « Un récit inédit du vizirat du Dirgham », *An. Isl.* VIII (1969), pp. 27 - 46.

----------., « Le régime des impôts dans le Fayyum Ayyubide », *Arabica* III (1956), pp. 8 - 30.

---------., « Un traité d'armurerie composé pour Saladin », *BEO* XII (1947 - 48), pp. 103 - 163.

Canard, M., « Le Cérémonial fatimide et le Cérémonial Byzantin - Essai de comparaison », *Byzantion* XXI (1951), pp. 355 - 420.

----------., « La Procession du nouvel an chez les Fatimides », *AIEO* X (1952), pp. 364 - 395.

Casanova, P., « Topographie d'al - Foustât » = *Essai de reconstitution topographique de la ville d'al - Foustât ou Misr*, *MIFAO* XXXV, Le Caire 1913 - 1919.

Cohen, M.R., *Jewish Self - Government in Medieval Egypt - The origins of the Office of Head of the Jews, ca. 1065 - 1126*, Princeton University Press 1980.

Creswell, K.A.C., *MAE = The Muslim Architecture of Egypt* I. Ikhshids and Fatimids, Oxford 1952.

Dachraoui, F., *Le califat fatimide au Maghreb 296 - 362 / 909 - 973*, Tunis *STD* 1981.

Dozy, R., *Supplément aux Dictionnaires arabes*, I-II, Paris 1927.

Eche, Y., *Les Bibliothèques arabes publiques et sémi - publiques en Mésopotamie, en Syrie et en Egypte au Moyen - Age*, Damas *IFD* 1967.

Ellisséeff, N., *Nûr ad- Dîn, un grand prince musulman de Syrie au temps des Croisades*, I-III, Damas *IFD* 1967.

Encyclopédie de l'Islam, I-IV, 1ère édition, Paris - Leiden 1913 - 19; I-VI, deuxième édition, Leiden - Paris depuis 1960 et en cours.

Fischel, W.J., *Jews in the Economic and Political Life of Mediaeval Islam*. 1937. Reprint New York : Ktav Publishing House, 1969.

Fu'ad Sayyid , A., *La Capitale de l'Egypte à l'époque fatimide (al - Qâhira et al-Fustât) , Essai de reconstitution topographique* , sous presse.

----------., « Remarques sur la composition des Ḫiṭaṭ de Maqrîzî d'aprés un manuscrit autographe » , *Hommage à la mémoire de Serge Sauneron* , *IFAO* le Caire II (1979) , pp. 231 - 258 .

Gabriel , A., *Les Fouilles d'al- Foustat et les origines de la maison arabe en Egypte* , Paris 1921 .

Garcin , J. Cl., *Un Centre musulman de la Haute - Egypte médiévale : Qûs* , Le Caire *IFAO* 1976 .

----------., « Habitat médiéval et histoire urbaine à Fustat et au Caire » , dans *Palais et Maisons du Caire* I. Epoque mamelouke , Paris *CNRS* 1982 , pp. 145 - 217 .

Goitein , S.D., *A Mediterranean Society - The Jewish communities of the Arab World as portrayed in the documents of the Cairo Geniza* , I-IV , Berkeley 1967 - 1983 .

Gottheil , R., « A Distinguished Family of Fatimid Cadis (al-Nuᶜmân) in the Thenth Century » , *JAOS* 27 (1906) , pp. 217 - 296.

Hassan , Z.M., *Les Tulunides , étude de l'Egypte musulmane à la fin du IX° siècle 868 - 905* , Paris 1933 .

Lev ,Y., « Army , Regime , and Society in Fatimid Egypte 358 - 487 / 968 - 1094 » , *IJMES* XIX (1987) , pp. 337 - 366 .

----------., « The Fatimid Army AH. 358 - 427 / 968 - 1036 CE.: military and social aspects » , *Asian and African Studies* (Haifa) , XIV (1980) , pp. 165 - 192 .

Mann , J., *The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs* , 2 vols., Oxford 1920 - 22 .

Mayer , L.A., *Mamluk Costume* , Genéve 1952 .

Rabie , H., *The Financial System of Egypt A.H. 564 - 741 / A.D. 1169 - 1341* , London 1972 .

Salmon , G., *Etudes sur la topographie du Caire - La Kalᶜat al - Kabch et la Birkat al - Fîl* , *MIFAO* VII , Le Caire 1902 .

Sanders , P., *The Court Ceremonial of the Fatimid Caliphate in Egypt* , Ph. D. Dissertation present to the Univ . of Princeton 1984 .

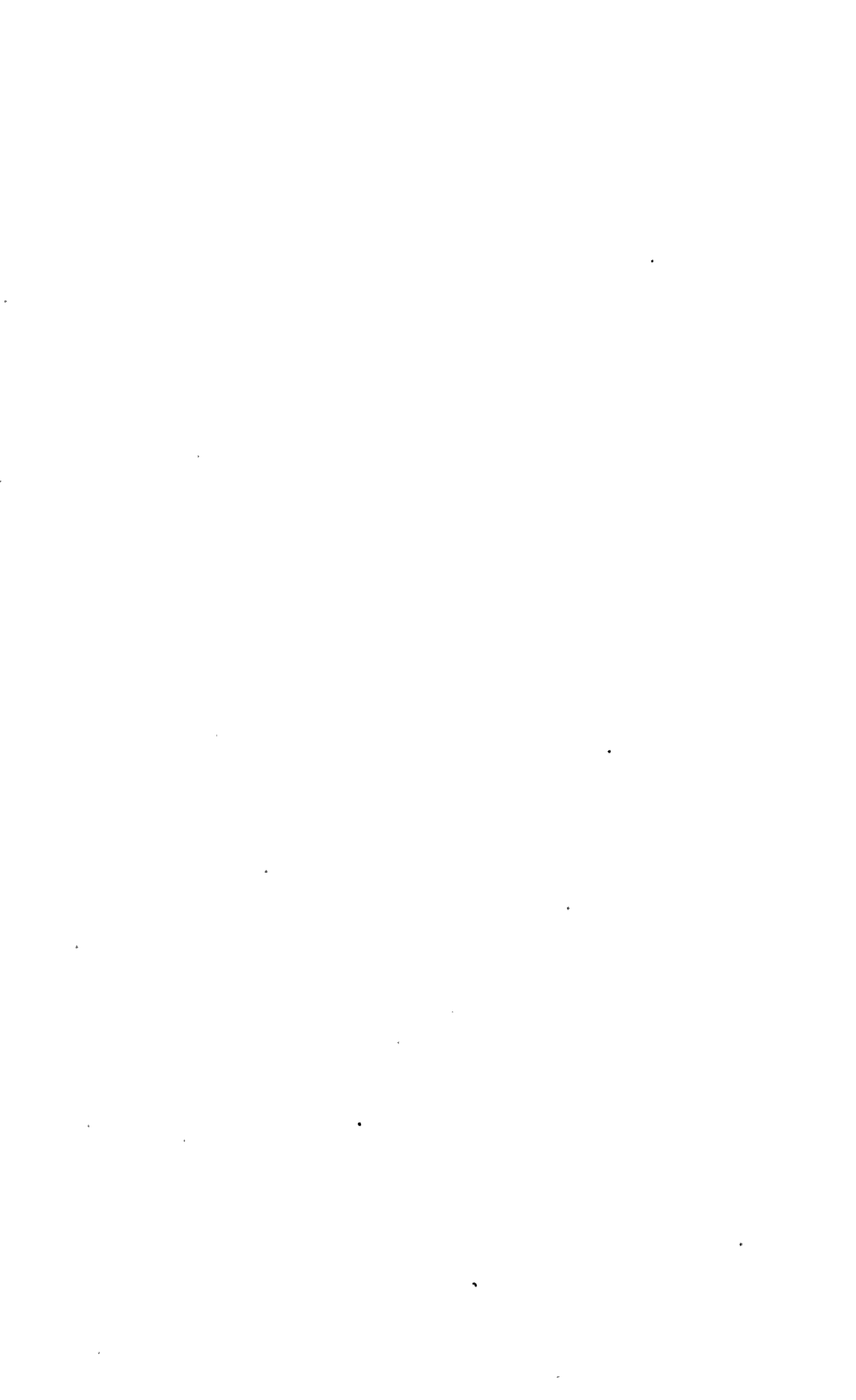
Sayed , H.I., « The Development of the Cairene *Qâᶜa* : Some Considerations » , *An. Isl.* XXIII (1987) , pp. 31 - 53 .

Schlumberger , G., *Campagnes du Roi Amaury Ier de Jérusalem en Egypte au XII° siècle* , Paris 1906 .

Serjeant , R.B., *Islamic Textiles - Material for a History up to the Mongol*

conquest. Beirut - Librairie du Liban 1972.
Stern, S.M., *Fatimid Decrees - Original Documents from the Fatimid Chancery*. London 1964.
Wiet, G., *CIA* = *Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum*. 1ère partie - Egypte t.II, *MIFAO* LII, Le Caire 1929 - 30.
----------, *Inscriptions Historiques sur Pierre* (Catalogue Général du Musée de l'Art Islamique du Caire), *IFAO* Le Caire 1971.
Wiet, G., Combe, E., et Sauvaget, J., *RCEA* = *Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe*, I-XVI, Le Caire *IFAO* 1931 - 1964.

فهارس الكتاب



١ – الأعـــلام

٢ – الوَظَائِف والأَلْقَاب

٣ – المُصْطَلَحات وأسْمَاء الدَّواوين

٤ – خِطَط القَاهِرَة والفُسْطاط وظواهرهما والطُّبوغرافيا الدَّاخلية للقصر

٥ – الأَمَاكِن والبُلْدان

٦ – المَنْسوجات والمَلابِس

٧ – الأَطْعِمَة والأَشْرِبَة

٨ – الطَّوائف والجماعات